سلسلة نصوص تراثية للباحثين ( ٦٦٤ )

# المعاني اللطيفة

## ما وصفه المصنفون بأنه معنى لطيف

## في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق


يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"ومن ذلك : مشروعيةُ الاختلاف بينهم في الفروع فكانتِ المذاهب على اختلافها كشرائعَ متعددةٍ(١) ، كلٌّ مأمور بها في هذه الشريعة ، فصارت هذه الشريعة كأنها عدةَ شرائعَ بُعثَ النبيُّ ( صلى الله عليه و سلم ) بجميعها ، وفي ذلك توسعةٌ زائدةٌ لها ، وفخامةٌ عظيمةٌ لقدرِ النبي ( صلى الله عليه و سلم ) ، وخصوصيةٌ له على سائر الأنبياء ، حيث بعثَ كلٌّ منهم بحكمٍ واحدٍ ، وبُعثَ هو ( صلى الله عليه و سلم ) في الأمرِ الواحدِ بأحكامَ متنوعةٍ ، يحكَمُ بكلٍّ منها وينفّذُ ، ويصوبُ قائلهُ ، ويؤجرُ عليه ، ويهدي به .

**وهذا معنى لطيفٌ فتحَ** الله به ، ويستحسنه كلُّ منْ له ذوقٌ وإدراكٌ لأسرارِ الشريعةِ .

---

(١) – المقصود بها هنا التشبيه وليس الحقيقة ، وهو يقارنها بالشرائع السابقة ، حيث جمعت هذه الشريعة الخاتمة خير ما في الشرائع السابقة وزادت عليها كثيرا، فصارت كأنها بمثابة شرائع متعددة." [١]

"الرابع : أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك ، فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم .

الخامس : حمية النفوس عن الطيرة والعدوى . ( ٤/٤٤ )

١٥٠- ورد عدة أحاديث في الكي متعارضة ، فقد ورد أن النبي ( فعله ، وورد عدم محبته له ، وورد الثناء على من تركه ، وورد النهي عنه ، فكيف الجمع ؟

لا تعارض بينهما ولله الحمد ، فإن فعله يدل على جوازه ، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه ، وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل ، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة . ( ٤/٦٦ )

١٥١- في قوله ( : ( لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقيهم ) **معنى لطيف ما** هو ؟

هو أن النفس إذا حصل لها ما يشغلها عن محبوب أو مكروه أو مخوف ، اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب ، فلا تحس بجوع ولا عطش ، بل ولا حر ولا برد ، بل تشتغل به عن الإحساس المؤلم الشديد الألم ، فلا تحس به ، وما من أحد إلا وقد وجد في نفسه ذلك أو شيئاً منه . ( ٤/٩٢ )

١٥٢- ما صحة حديث : ( الحمية رأس الدواء ، والمعدة بيت الداء ) ؟

هذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ، ولا يصح رفعه إلى النبي ( قاله غير واحد من أئمة الحديث . ( ٤/١٠٤ )

١٥٣- ما الحكم إذا وقع الذباب في ماء أو مائع ؟

الذباب إذا مات في ماء أو مائع ، فإنه لا ينجسه ، وهذا قول جمهور العلماء ، ولا يعرف في السلف مخالف في ذلك ، ووجه الاستدلال : أن النبي ( أمر بمقله ، وهو غمسه في الطعام ، ومعلوم أنه يموت من ذلك ، ولا سيما إذا كان الطعام حاراً ، فلو كان ينجسه لكان أمر بإفساد الطعام وهو ( إنما أمر بإصلاحه . ( ٤/١١١ )

---

(١) رفع الملام / علي بن نايف الشحود، ص/١٠٦

١٥٤- لماذا كان المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلاً وشرعاً ؟

أما شرعاً لقوله ( : ( تداووا ولا تداووا بحرام ) .." [١]

" وقيل لسفيان الثورى : أيكون ذو المال زاهدا قال : نعم إن كان إذا زيد فى ماله شكر وإن نقص شكر وصبر وإنما يحمد قطع العلائق الظاهرة في موضعين : حيث يخاف منها ضررا في دينه أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة والكمال من ذلك : قطع العلائق التى تصير كلاليب على الصراط تمنعه من العبور وهي كلاليب الشهوات والشبهات ولا يضره ما تعلق به بعدها

فصل قال : واعتصام خاصة الخاصة : بالاتصال وهو شهود الحق تفريدا بعد

الاستحذاء له تعظيما والاشتغال به قربا لما كان ذلك الانقطاع موصلا إلى هذا الاتصال : كان ذلك للمتوسطين وهذا عنده لأهل الوصول ويعني بشهود الحق تفريدا : أن يشهد الحق سبحانه وحده منفردا ولا شيء معه وذلك لفناء الشاهد في الشهود والحوالة في ذلك عند القوم : على الكشف وقد تقدم أن هذا ليس بكمال وأن الكمال : أن يفنى بمراده عن مراد نفسه وأما فناؤه بشهوده عن شهود ما سواه : فدون هذا الفناء في الرتبة كما تقدم وأما قوله : بعد الاستحذاء له تعظيما فالشيخ لكثرة لهجه بالاستعارات عبر **عن معنى لطيف عظيم** بلفظة الاستحذاء التي هي استفعال من المحاذاة وهي المقابلة التي لا يبقى فيها جزء من المحاذي خارجا عما حاذاه بل قد واجهه وقابله بكليته وجميع أجزائه ومراده بذلك : القرب وارتفاع الوسائط المانعة ." [٢]

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في أذكار العطاس

ثبت عنه صلى الله عليه وسلم إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان ذكره البخاري . وثبت عنه في " صحيحه " : إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله ، فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم وفي " الصحيحين " عن أنس : أنه عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ، ولم يشمت الآخر فقال الذي لم يشمته عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتني ، فقال هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله [ ص ٣٩٨ ] وثبت عنه في " صحيح مسلم " : إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه وثبت عنه في " صحيحه " : من حديث أبي هريرة حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته ، فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس وحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه وروى أبو داود عنه بإسناد صحيح إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال وليقل أخوه أو صاحبه يرحمك الله ، وليقل هو يهديكم الله ويصلح بالكم وروى الترمذي ، أن رجلا عطس عند ابن عمر ، فقال الحمد لله والسلام على رسول الله . فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هكذا علمنا رسول الله

---

(١) فوائد من زاد المعاد، ص/٢٦

(٢) مدارج السالكين، ١/٤٦٦

صلى الله عليه وسلم ولكن علمنا أن نقول الحمد لله على كل حال [ ص ٣٩٩ ] وذكر مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر "كان إذا عطس فقيل له يرحمك الله ، قال يرحمنا الله وإياكم ويغفر لنا ولكم

[ حكم التشميت ]

فظاهر الحديث المبدوء به أن التشميت فرض عين على كل من سمع العاطس يحمد الله ولا يجزئ تشميت الواحد عنهم وهذا أحد قولي العلماء واختاره ابن أبي زيد ، وأبو بكر بن العربي المالكيان ، ولا دافع له .

[ ليس محل السلام عند العطاس ]

وقد روى أبو داود : أن رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام وعلى أمك " ثم قال " إذا عطس أحدكم فليحمد الله " قال فذكر بعض المحامد وليقل له من عنده يرحمك الله ، وليرد – يعني عليهم – يغفر الله لنا ولكم وفي السلام على أم هذا المسلم نكتة لطيفة وهي إشعاره بأن سلامه قد وقع في غير موقعه اللائق به كما وقع هذا السلام على أمه فكما أن سلامه هذا في غير موضعه كذلك سلامه هو .

[ معاني كلمة أمي ]

ونكتة أخرى ألطف منها ، وهي تذكيره بأمه ونسبه إليها ، فكأنه أمي محض [ ص ٤٠٠ ] أحد الأقوال في الأمي أنه الباقي على نسبته إلى الأم . وأما النبي الأمي : فهو الذي لا يحسن الكتابة ولا يقرأ الكتاب . وأما الأمي الذي لا تصح الصلاة خلفه فهو الذي لا يصحح الفاتحة ولو كان عالما بعلوم كثيرة . ونظير ذكر الأم هاهنا ذكر هن الأب لمن تعزى بعزاء الجاهلية فيقال له اعضض هن أبيك وكان ذكر هن الأب هاهنا أحسن تذكيرا لهذا المتكبر بدعوى الجاهلية بالعضو الذي خرج منه وهو هن أبيه فلا ينبغي له أن يتعدى طوره كما أن ذكر الأم هاهنا أحسن تذكيرا له بأنه باق على أميته . والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم .

[ علة الحمد بعد العطاس ]

[ معنى التشميت ]

ولما كان العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها ، ولهذا يقال سمته وشمته بالسين والشين فقيل هما بمعنى واحد قاله أبو عبيدة وغيره . قال وكل داع بخير فهو مشمت ومسمت . وقيل بالمهملة دعاء له بحسن السمت وبعوده إلى حالته من السكون والدعة فإن العطاس يحدث في الأعضاء حركة وانزعاجا . وبالمعجمة دعاء له بأن يصرف الله عنه ما يشمت به أعداءه فشمته إذا أزال عنه الشماتة " ك " قرد البعير إذا أزال [ ص ٤٠١ ] وقيل هو دعاء له بثباته على قوائمه في طاعة الله مأخوذ من الشوامت وهي القوائم . وقيل هو تشميت له بالشيطان لإغاظته بحمد الله على نعمة العطاس وما حصل له به من محاب الله فإن الله يحبه فإذا ذكر العبد الله وحمده ساء ذلك الشيطان من وجوه منها : نفس العطاس الذي يحبه الله وحمد الله عليه ودعاء المسلمين له بالرحمة ودعاؤه لهم بالهداية وإصلاح البال وذلك كله غائظ للشيطان محزن له فتشميت المؤمن بغيظ عدوه وحزنه وكآبته فسمي الدعاء له

بالرحمة تشميتا له لما في ضمنه من شماتته بعدوه **وهذا معنى لطيف إذا** تنبه له العاطس والمشمت انتفعا به وعظمت عندهما منفعة نعمة العطاس في البدن والقلب وتبين السر في محبة الله له فلله الحمد الذي هو أهله كما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله .." (١)

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في معالجة المرضى بترك إعطائهم ما يكرهونه من الطعام والشراب وإنهم لا يكرهون على تناولهما

روى الترمذي في " جامعه " وابن ماجه عن عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم قال بعض فضلاء الأطباء ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية المشتملة على حكم إلهية لا سيما للأطباء ولمن يعالج المرضى وذلك أن المريض إذا عاف الطعام أو الشراب فذلك لاشتغال الطبيعة بمجاهدة المرض أو لسقوط شهوته أو نقصانها لضعف الحرارة الغريزية أو خمودها وكيفما كان فلا يجوز حينئذ إعطاء الغذاء في هذه الحالة . واعلم أن الجوع إنا هو طلب الأعضاء للغذاء لتخلف الطبيعة به عليها عوض ما يتحلل منها فتجذب الأعضاء القصوى من الأعضاء الدنيا حتى ينتهي [ ص ٨٤ ] الطبيعة بمادته وإنضاجها وإخراجها عن طلب الغذاء أو الشراب فإذا أكره المريض على استعمال شيء من ذلك تعطلت به الطبيعة عن فعلها واشتغلت بهضمه وتدبيره عن إنضاج مادة المرض ودفعه فيكون ذلك سببا لضرر المريض ولا سيما في أوقات البحران أو ضعف الحار الغريزي أو خموده فيكون ذلك زيادة في البلية وتعجيل النازلة المتوقعة ولا ينبغي أن يستعمل في هذا الوقت والحال إلا ما يحفظ عليه قوته ويقويها من غير استعمال مزعج للطبيعة ألبتة وذلك يكون بما لطف قوامه من الأشربة والأغذية واعتدل مزاجه كشراب اللينوفر والتفاح والورد الطري وما أشبه ذلك ومن الأغذية مرق الفراريج المعتدلة الطيبة فقط وإنعاش قواه بالأراييح العطرة الموافقة والأخبار السارة فإن الطبيب خادم الطبيعة ومعينها لا معيقها . واعلم أن الدم الجيد هو المغذي للبدن وأن البلغم دم فج قد نضج بعض النضج فإذا كان بعض المرضى في بدنه بلغم كثير وعدم الغذاء عطفت الطبيعة عليه وطبخته وأنضجته وصيرته دما وغذت به الأعضاء واكتفت به عما سواه والطبيعة هي القوة التي وكلها الله سبحانه بتدبير البدن وحفظه وصحته وحراسته مدة حياته .

[ إجبار المريض على الطعام ]

واعلم أنه قد يحتاج في الندرة إلى إجبار المريض على الطعام والشراب وذلك في الأمراض التي يكون معها اختلاط العقل وعلى هذا فيكون الحديث من العام المخصوص أو من المطلق الذي قد دل على تقييده دليل ومعنى الحديث أن المريض قد يعيش بلا غذاء أياما لا يعيش الصحيح في مثلها . [ ص ٨٥ ]

[ معنى فإن الله يطعمهم ويسقيهم ]

" وفي قوله صلى الله عليه وسلم " فإن الله يطعمهم ويسقيهم " **معنى لطيف زائد** على ما ذكره الأطباء لا يعرفه إلا من له عناية بأحكام القلوب والأرواح وتأثيرها في طبيعة البدن وانفعال الطبيعة عنها كما تنفعل هي كثيرا عن الطبيعة ونحن نشير

---

(١) زاد المعاد، ٣٩٧/٢

إليه إشارة فنقول النفس إذا حصل لها ما يشغلها من محبوب أو مكروه أو مخوف اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب فلا تحس بجوع ولا عطش بل ولا حر ولا برد بل تشتغل به عن الإحساس المؤلم الشديد الألم فلا تحس به وما من أحد إلا وقد وجد في نفسه ذلك أو شيئا منه وإذا اشتغلت النفس بما دهمها وورد عليها لم تحس بألم الجوع فإن كان الوارد مفرحا قوي التفريح قام لها مقام الغذاء فشبعت به وانتعشت قواها وتضاعفت وجرت الدموية في الجسد حتى تظهر في سطحه فيشرق وجهه وتظهر دمويته فإن الفرح يوجب انبساط دم القلب فينبعث في العروق فتمتلئ به فلا تطلب الأعضاء حظها من الغذاء المعتاد لاشتغالها بما هو أحب إليها وإلى الطبيعة منه والطبيعة إذا ظفرت بما تحب آثرته على ما هو دونه . وإن كان الوارد مؤلما أو محزنا أو مخوفا اشتغلت بمحاربته ومقاومته ومدافعته عن طلب الغذاء فهي في حال حربها في شغل عن طلب الطعام والشراب . فإن ظفرت في هذا الحرب انتعشت قواها وأخلفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب وإن كانت مغلوبة مقهورة انحطت قواها بحسب ما حصل لها من ذلك وإن كانت الحرب بينها وبين هذا العدو سجالا فالقوة تظهر تارة وتختفي أخرى وبالجملة فالحرب بينهما على مثال الحرب الخارج بين العدوين المتقاتلين والنصر للغالب والمغلوب إما قتيل وإما جريح وإما أسير . فالمريض له مدد من الله تعالى يغذيه به زائدا على ما ذكره الأطباء من تغذيته بالدم وهذا المدد بحسب ضعفه وانكساره وانطراحه بين يدي ربه عز وجل فيحصل له من ذلك ما يوجب له قربا من ربه فإن العبد أقرب ما يكون [ ص ٨٦ ] ربه إذا انكسر قلبه ورحمة ربه عندئذ قريبة منه فإن كان وليا له حصل له من الأغذية القلبية ما تقوى به قوى طبيعته وتنتعش به قواه أعظم من قوتها وانتعاشها بالأغذية البدنية وكلما قوي إيمانه وحبه لربه وأنسه به وفرحه به وقوي يقينه بربه واشتد شوقه إليه ورضاه به وعنه وجد في نفسه من هذه القوة ما لا يعبر عنه ولا يدركه وصف طبيب ولا يناله علمه . ومن غلظ طبعه وكثفت نفسه عن فهم هذا والتصديق به فلينظر حال كثير من عشاق الصور الذين قد امتلأت قلوبهم بحب ما يعشقونه من صورة أو جاه أو مال أو علم وقد شاهد الناس من هذا عجائب في أنفسهم وفي غيرهم .

[ وصاله صلى الله عليه وسلم في الصوم ]

وقد ثبت في " الصحيح " : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يواصل في الصيام الأيام ذوات العدد وينهى أصحابه عن الوصال ويقول لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني ومعلوم أن هذا الطعام والشراب ليس هو الطعام الذي يأكله الإنسان بفمه وإلا لم يكن مواصلا ولم يتحقق الفرق بل لم يكن صائما فإنه قال أظل يطعمني ربي ويسقيني " وأيضا فإنه فرق بينه وبينهم في نفس الوصال وأنه يقدر منه على ما لا يقدرون عليه فلو كان يأكل ويشرب بفمه لم يقل لست كهيئتكم وإنما فهم هذا من الحديث من قل نصيبه من غذاء الأرواح والقلوب وتأثيره في القوة وإنعاشها واغتذائها به فوق تأثير الغذاء الجسماني والله الموفق . [ ص ٨٧ ]." (١)

" فصل

في هديه صلى الله عليه و سلم في أذكار العطاس

---

(١) زاد المعاد، ٨٣/٤

ثبت عنه صلى الله عليه و سلم [ إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان ] ذكره البخاري وثبت عنه في صحيحه : [ إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله فإذا قال له : يرحمك الله فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم ] وفي الصحيحين عن أنس : أنه عطس عنده رجلان فشمت أحدهم ولم يشمت الآخر فقال الذي لم يشمته : عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتني فقال : هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله

وثبت عنه في صحيح مسلم : [ إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه ]

وثبت عنه في صحيحه : من حديث أبي هريرة : [ حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه واذا استنصحك فانصح له وإذا عطس وحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه ]

وروى أبو داود عنه بإسناد صحيح : [ إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله على كل حال وليقل أخوه أو صاحبه : يرحمك الله وليقل هو : يهديكم الله ويصلح بالكم ]

وروى الترمذي أن رجلا عطس عند ابن عمر فقال : الحمد لله والسلام على رسول الله فقال ابن عمر : وأنا أقول : الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ولكن علمنا أن نقول الحمد لله على كل حال

وذكر مالك عن نافع عن ابن عمر : كان إذا عطس فقيل له : يرحمك الله قال : يرحمنا الله وإياكم ويغفر لنا ولكم

فظاهر الحديث المبدوء به : أن التشميت فرض عين على كل من سمع العاطس يحمد الله ولا يجزىء تشميت الواحد عنهم وهذا قولي أحد قولي العلماء واختاره ابن أبي زيد وأبو بكر بن العربي المالكيان ولا دافع له

وقد روى أبو داود : أن رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه و سلم فقال : السلام عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [ وعليك السلام وعلى أمك ] ثم قال : [ إذا عطس أحدكم فليحمد الله ] قال : فذكر بعض المحامد وليقل له من عنده : يرحمك الله وليرد – يعني عليهم – يغفر الله لنا ولكم

وفي السلام على أم هذا المسلم نكتة لطيفة وهي إشعاره بأن سلامه قد وقع في غير موقعه اللائق به كما وقع هذا السلام على أمه فكما أن سلامه هذا في غير موضعه كذلك سلامه هو

ونكتة أخرى ألطف منها وهي تذكيره بأمه ونسبه إليها فكأنه أمي محض منسوب إلى الأم باق على تربيتها لم تربه الرجال وهذا أحد الأقوال في الأمي أنه الباقي على نسبته إلى الأم

وأما النبي الأمي : فهو الذي لا يحسن الكتابة ولا يقرأ الكتاب وأما الأمي الذي لا تصح الصلاة خلفه فهو الذي لا يصحح الفاتحة ولو كان عالما بعلوم كثيرة ونظير ذكر الأم هاهنا ذكر هن الأب لمن تعزى بعزاء الجاهلية فيقال له : اعضض هن أبيك وكان ذكر هن الأب ها هنا أحسن تذكيرا لهذا المتكبر بدعوى الجاهلية بالعضو الذي خرج منه وهو هن أبيه فلا ينبغي له أن يتعدى طوره كما أن ذكر الأم هاهنا أحسن تذكيرا له بأنه باق على أميته والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه و سلم ولما كان العاطس قد حصل له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه

أحدثت له أدواء عسرة شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها ولهذا يقال : سمته وشمته بالسين والشين فقيل هما بمعنى واحد قاله أبو عبيدة وغيره قال : وكل داع بخير فهو مشمت ومسمت وقيل : بالمهملة دعاء له بحسن السمت وبعوده إلى حالته من السكون والدعة فإن العطاس يحدث في الأعضاء حركة وانزعاجا وبالمعجمة : دعاء له بأن يصرف الله عنه ما يسمت به أعداءه فشمته : إذا أزال عنه الشماتة كقرد البعير : إذا أزال قراده عنه وقيل : هو دعاء له بثباته على قوائمه في طاعة الله مأخوذ من الشوامت وهي القوائم

وقيل : هو تشميت له بالشيطان لإغاظته بحمد الله على نعمة العطاس وما حصل له به من محاب الله فإن الله يحبه فإذا ذكر العبد الله وحمده ساء ذلك الشيطان من وجوه منها : نفس العطاس الذي يحبه الله وحمد الله عليه ودعاء المسلمين له بالرحمة ودعاؤه لهم بالهداية وإصلاح البال وذلك كله غائظ للشيطان محزن له فتشميت المؤمن بغيظ عدوه وحزنه وكآبته فسمي الدعاء له بالرحمة تشميتا له لما في ضمنه من شماتته بعدوه **وهذا معنى لطيف إذا** تنبه له العاطس والمشمت انتفعا به وعظمت عندهما منفعة نعمة العطاس في البدن والقلب وتبين السر في محبة الله له فلله الحمد الذي هو أهله كما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله ." (١)

" فصل

في هديه صلى الله عليه و سلم في معالجة المرضى بترك إعطائهم ما يكرهونه من الطعام والشراب وأنهم لا يكرهون على تناولهما

روى الترمذي في جامعه وابن ماجه عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [ لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله عز و جل يطعمهم ويسقيهم ]

قال بعض فضلاء الأطباء : ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية المشتملة على حكم إلهية لا سيما للأطباء ولمن يعالج المرضى وذلك أن المريض إذا عاف الطعام أو الشراب فذلك لاشتغال الطبيعة بمجاهدة المرض أو لسقوط شهوته أو نقصانها لضعف الحرارة الغريزية أو خمودها وكيفما كان فلا يجوز حينئذ إعطاء الغذاء في هذه الحالة

واعلم أن الجوع إنما هو طلب الأعضاء للغذاء لتخلف الطبيعة به عليها عوض ما يتحلل منها فتجذب الأعضاء القصوى من الأعضاء الدنيا حتى ينتهي الجذب الى المعدة فيحس الإنسان بالجوع فيطلب الغذاء وإذا وجد المرض اشتغلت الطبيعة بمادته وإنضاجها وإخراجها عن طلب الغذاء أو الشراب فإذا أكره المريض على استعمال شئ من ذلك تعطلت به الطبيعة عن فعلها واشتغلت بهضمه وتدبيره عن إنضاج مادة المرض ودفعه فيكون ذلك سببا لضرر المريض ولا سيما في أوقات البحران أو ضعف الحار الغريزي أو خموده فيكون ذلك زيادة في البلية وتعجيل النازلة المتوقعة ولا ينبغي أن يستعمل في هذا الوقت والحال إلا ما يحفظ عليه قوته ويقويها من غير استعمال مزعج للطبيعة البتة وذلك يكون بما لطف قوامه من

---

(١) زاد المعاد، ٣٩٧/٢

الأشربة والأغذية واعتدل مزاجه كشراب اللينوفر والتفاح والورد الطري وما أشبه ذلك ومن الأغذية مرق الفراريج المعتدلة الطيبة فقط وإنعاش قواه بالأراييح العطرة الموافقة والأخبار السارة فإن الطبيب خادم الطبيعة ومعينها لا معيقها

واعلم أن الدم الجيد هو المغذي للبدن وأن البلغم دم فج قد نضج بعض النضج فإذا كان بعض المرضى في بدنه بلغم كثير وعدم الغذاء عطفت الطبيعة عليه وطبخته وأنضجته وصيرته دما وغذت به الأعضاء واكتفت به عما سواه والطبيعة هي القوة التي وكلها الله سبحانه بتدبير البدن وحفظه وصحته وحراسته مدة حياته

واعلم أنه قد يحتاج في الندرة إلى إجبار المريض على الطعام والشراب وذلك في الأمراض التي يكون معها اختلاط العقل وعلى هذا فيكون الحديث من العام المخصوص أو من المطلق الذي قد دل على تقييده دليل ومعنى الحديث : أن المريض قد يعيش بلا غذاء أياما لا يعيش الصحيح في مثلها

وفي قوله صلى الله عليه و سلم : [ فإن الله يطعمهم ويسقيهم **] معنى لطيف زائد** على ما ذكره الأطباء لا يعرفه إلا من له عناية بأحكام القلوب والأرواح وتأثيرها في طبيعة البدن وانفعال الطبيعة عنها كما تنفعل هي كثيرا عن الطبيعة ونحن نشير إليه إشارة فنقول : النفس إذا حصل لها ما يشغلها من محبوب أو مكروه أو مخوف اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب فلا تحس بجوع ولا عطش بل ولا حر ولا برد بل تشتغل به عن الإحساس المؤلم الشديد الألم فلا تحس به وما من أحد إلا وقد وجد في نفسه ذلك أو شيئا منه وإذا اشتغلت النفس بما دهمها وورد عليها لم تحس بألم الجوع فإن كان الوارد مفرحا قوي التفريح قام لها مقام الغذاء فشبعت به وانتعشت قواها وتضاعفت وجرت الدموية في الجسد حتى تظهر في سطحه فيشرق وجهه وتظهر دمويته فإن الفرح يوجب انبساط دم القلب فينبعث في العروق فتمتلئ به فلا تطلب الأعضاء حظها من الغذاء المعتاد لاشتغالها بما هو أحب إليها وإلى الطبيعة منه والطبيعة إذا ظفرت بما تحب آثرته على ما هو دونه

وإن كان الوارد مؤلما أو محزنا أو مخوفا اشتغلت بمحاربته وقفاومته ومدافعته عن طلب الغذاء فهي في حال حربها في شغل عن طلب الطعام والشراب فإن ظفرت في هذا الحرب انتعشت قواها وأخلفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب وإن كانت مغلوبة مقهورة انحطت قواها بحسب ما حصل لها من ذلك وإن كانت الحرب بينها وبين هذا العدو سجالا فالقوة تظهر تارة وتختفي أخرى وبالجملة فالحرب بينهما على مثال الحرب الخارج بين العدوين المتقاتلين والنصر للغالب والمغلوب إما قتيل وإما جريح وإما أسير

فالمريض : له مدد من الله تعالى يغذيه به زائدا على ما ذكره الأطباء من تغذيته بالدم وهذا المدد بحسب ضعفه وانكساره وانطراحه بين يدي ربه عز و جل فيحصل له من ذلك ما يوجب له قربا من ربه فإن العبد أقرب ما يكون من ربه إذا انكسر قلبه ورحمة ربه عندئذ قريبة منه فإن كان وليا له حصل له من الأغذية القلبية ما تقوى به قوى طبيعته وتنتعش به قواه أعظم من قوتها وانتعاشها بالأغذية البدنية وكلما قوي إيمانه وحبه لربه وأنسه به وفرحه به وقوي يقينه بربه واشتد شوقه إليه ورضاه به وعنه وجد في نفسه من هذه القوة ما لا يعبر عنه ولا يدركه وصف طبيب ولا يناله علمه

ومن غلظ طبعه وكثفت نفسه عن فهم هذا والتصديق به فلينظر حال كثير من عشاق الصور الذين قد امتلأت قلوبهم بحب ما يعشقونه من صورة أو جاه أو مال أو علم وقد شاهد الناس من هذا عجائب في أنفسهم وفي غيرهم

وقد ثبت في الصحيح : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يواصل في الصيام الأيام ذوات العدد وينهى أصحابه عن الوصال ويقول : [ لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني ]

ومعلوم أن هذا الطعام والشراب ليس هو الطعام الذي يأكله الإنسان بفمه وإلا لم يكن مواصلا ولم يتحقق الفرق بل لم يكن صائما فإنه قال : [ أظل يطعمني ربي ويسقيني ]

وأيضا فإنه فرق بينه وبينهم في نفس الوصال وأنه يقدر منه على ما لا يقدرون عليه فلو كان يأكل ويشرب بفمه لم يقل لست كهيئتكم وإنما فهم هذا من الحديث من قل نصيبه من غذاء الأرواح والقلوب وتأثيره في القوة وإنعاشها واغتذائها به فوق تأثير الغذاء الجسماني والله الموفق ." (١)

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في أذكار العطاس

ثبت عنه صلى الله عليه وسلم إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان ذكره البخاري . وثبت عنه في " صحيحه " : إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله ، فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم وفي " الصحيحين " عن أنس : أنه عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ، ولم يشمت الآخر فقال الذي لم يشمته عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتني ، فقال هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله [ ص ٣٩٨ ] وثبت عنه في " صحيح مسلم " : إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه وثبت عنه في " صحيحه " : من حديث أبي هريرة حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته ، فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس وحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه وروى أبو داود عنه بإسناد صحيح إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال وليقل أخوه أو صاحبه يرحمك الله ، وليقل هو يهديكم الله ويصلح بالكم وروى الترمذي ، أن رجلا عطس عند ابن عمر ، فقال الحمد لله والسلام على رسول الله . فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن علمنا أن نقول الحمد لله على كل حال [ ص ٣٩٩ ] وذكر مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر "كان إذا عطس فقيل له يرحمك الله ، قال يرحمنا الله وإياكم ويغفر لنا ولكم

[ حكم التشميت ]

فظاهر الحديث المبدوء به أن التشميت فرض عين على كل من سمع العاطس يحمد الله ولا يجزئ تشميت الواحد عنهم وهذا أحد قولي العلماء واختاره ابن أبي زيد ، وأبو بكر بن العربي المالكيان ، ولا دافع له .

[ ليس محل السلام عند العطاس ]

وقد روى أبو داود : أن رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام وعلى أمك " ثم قال " إذا عطس أحدكم فليحمد الله " قال فذكر بعض المحامد وليقل له من عنده

---

(١) زاد المعاد، ٨٣/٤

يرحمك الله ، وليرد – يعني عليهم – يغفر الله لنا ولكم وفي السلام على أم هذا المسلم نكتة لطيفة وهي إشعاره بأن سلامه قد وقع في غير موقعه اللائق به كما وقع هذا السلام على أمه فكما أن سلامه هذا في غير موضعه كذلك سلامه هو .

[ معاني كلمة أمي ]

ونكتة أخرى ألطف منها ، وهي تذكيره بأمه ونسبه إليها ، فكأنه أمي محض [ ص ٤٠٠ ] أحد الأقوال في الأمي أنه الباقي على نسبته إلى الأم . وأما النبي الأمي : فهو الذي لا يحسن الكتابة ولا يقرأ الكتاب . وأما الأمي الذي لا تصح الصلاة خلفه فهو الذي لا يصحح الفاتحة ولو كان عالما بعلوم كثيرة . ونظير ذكر الأم هاهنا ذكر هن الأب لمن تعزى بعزاء الجاهلية فيقال له اعضض هن أبيك وكان ذكر هن الأب هاهنا أحسن تذكيرا لهذا المتكبر بدعوى الجاهلية بالعضو الذي خرج منه وهو هن أبيه فلا ينبغي له أن يتعدى طوره كما أن ذكر الأم هاهنا أحسن تذكيرا له بأنه باق على أميته . والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم .

[ علة الحمد بعد العطاس ]

[ معنى التشميت ]

ولما كان العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها ، ولهذا يقال سمته وشمته بالسين والشين فقيل هما بمعنى واحد قاله أبو عبيدة وغيره . قال وكل داع بخير فهو مشمت ومسمت . وقيل بالمهملة دعاء له بحسن السمت وبعوده إلى حالته من السكون والدعة فإن العطاس يحدث في الأعضاء حركة وانزعاجا . وبالمعجمة دعاء له بأن يصرف الله عنه ما يشمت به أعداءه فشمته إذا أزال عنه الشماتة " ك " قرد البعير إذا أزال [ ص ٤٠١ ] وقيل هو دعاء له بثباته على قوائمه في طاعة الله مأخوذ من الشوامت وهي القوائم . وقيل هو تشميت له بالشيطان لإغاظته بحمد الله على نعمة العطاس وما حصل له به من محاب الله فإن الله يحبه فإذا ذكر العبد الله وحمده ساء ذلك الشيطان من وجوه منها : نفس العطاس الذي يحبه الله وحمد الله عليه ودعاء المسلمين له بالرحمة ودعاؤه لهم بالهداية وإصلاح البال وذلك كله غائظ للشيطان محزن له فتشميت المؤمن بغيظ عدوه وحزنه وكآبته فسمي الدعاء له بالرحمة تشميتا له لما في ضمنه من شماتته بعدوه **وهذا معنى لطيف إذا** تنبه له العاطس والمشمت انتفعا به وعظمت عندهما منفعة نعمة العطاس في البدن والقلب وتبين السر في محبة الله له فلله الحمد الذي هو أهله كما ينبغي لكريم وجهه وعز جلاله .." (١)

"فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في معالجة المرضى بترك إعطائهم ما يكرهونه من الطعام والشراب وإنهم لا يكرهون على تناولهما

روى الترمذي في " جامعه " وابن ماجه عن عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم قال بعض فضلاء الأطباء ما أغزر فوائد هذه الكلمة

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد . مشكول وموافق للمطبوع، ٣٩٧/٢

النبوية المشتملة على حكم إلهية لا سيما للأطباء ولمن يعالج المرضى وذلك أن المريض إذا عاف الطعام أو الشراب فذلك لاشتغال الطبيعة بمجاهدة المرض أو لسقوط شهوته أو نقصانها لضعف الحرارة الغريزية أو خمودها وكيفما كان فلا يجوز حينئذ إعطاء الغذاء في هذه الحالة . واعلم أن الجوع إنا هو طلب الأعضاء للغذاء لتخلف الطبيعة به عليها عوض ما يتحلل منها فتجذب الأعضاء القصوى من الأعضاء الدنيا حتى ينتهي [ ص ٨٤ ] الطبيعة بمادته وإنضاجها وإخراجها عن طلب الغذاء أو الشراب فإذا أكره المريض على استعمال شيء من ذلك تعطلت به الطبيعة عن فعلها واشتغلت بهضمه وتدبيره عن إنضاج مادة المرض ودفعه فيكون ذلك سببا لضرر المريض ولا سيما في أوقات البحران أو ضعف الحار الغريزي أو خموده فيكون ذلك زيادة في البلية وتعجيل النازلة المتوقعة ولا ينبغي أن يستعمل في هذا الوقت والحال إلا ما يحفظ عليه قوته ويقويها من غير استعمال مزعج للطبيعة ألبتة وذلك يكون بما لطف قوامه من الأشربة والأغذية واعتدل مزاجه كشراب اللينوفر والتفاح والورد الطري وما أشبه ذلك ومن الأغذية مرق الفراريج المعتدلة الطيبة فقط وإنعاش قواه بالأراييح العطرة الموافقة والأخبار السارة فإن الطبيب خادم الطبيعة ومعينها لا معيقها . واعلم أن الدم الجيد هو المغذي للبدن وأن البلغم دم فج قد نضج بعض النضج فإذا كان بعض المرضى في بدنه بلغم كثير وعدم الغذاء عطفت الطبيعة عليه وطبخته وأنضجته وصيرته دما وغذت به الأعضاء واكتفت به عما سواه والطبيعة هي القوة التي وكلها الله سبحانه بتدبير البدن وحفظه وصحته وحراسته مدة حياته .

[ إجبار المريض على الطعام ]

واعلم أنه قد يحتاج في الندرة إلى إجبار المريض على الطعام والشراب وذلك في الأمراض التي يكون معها اختلاط العقل وعلى هذا فيكون الحديث من العام المخصوص أو من المطلق الذي قد دل على تقييده دليل ومعنى الحديث أن المريض قد يعيش بلا غذاء أياما لا يعيش الصحيح في مثلها . [ ص ٨٥ ]

[ معنى فإن الله يطعمهم ويسقيهم ]

" وفي قوله صلى الله عليه وسلم " فإن الله يطعمهم ويسقيهم " **معنى لطيف زائد** على ما ذكره الأطباء لا يعرفه إلا من له عناية بأحكام القلوب والأرواح وتأثيرها في طبيعة البدن وانفعال الطبيعة عنها كما تنفعل هي كثيرا عن الطبيعة ونحن نشير إليه إشارة فنقول النفس إذا حصل لها ما يشغلها من محبوب أو مكروه أو مخوف اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب فلا تحس بجوع ولا عطش بل ولا حر ولا برد بل تشتغل به عن الإحساس المؤلم الشديد الألم فلا تحس به وما من أحد إلا وقد وجد في نفسه ذلك أو شيئا منه وإذا اشتغلت النفس بما دهمها وورد عليها لم تحس بألم الجوع فإن كان الوارد مفرحا قوي التفريح قام لها مقام الغذاء فشبعت به وانتعشت قواها وتضاعفت وجرت الدموية في الجسد حتى تظهر في سطحه فيشرق وجهه وتظهر دمويته فإن الفرح يوجب انبساط دم القلب فينبعث في العروق فتمتلئ به فلا تطلب الأعضاء حظها من الغذاء المعتاد لاشتغالها بما هو أحب إليها وإلى الطبيعة منه والطبيعة إذا ظفرت بما تحب آثرته على ما هو دونه . وإن كان الوارد مؤلما أو محزنا أو مخوفا اشتغلت بمحاربته ومقاومته ومدافعته عن طلب الغذاء فهي في حال حربها في شغل عن طلب الطعام والشراب . فإن ظفرت في هذا الحرب انتعشت قواها وأخلفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب وإن

كانت مغلوبة مقهورة انحطت قواها بحسب ما حصل لها من ذلك وإن كانت الحرب بينها وبين هذا العدو سجالا فالقوة تظهر تارة وتختفي أخرى وبالجملة فالحرب بينهما على مثال الحرب الخارج بين العدوين المتقاتلين والنصر للغالب والمغلوب إما قتيل وإما جريح وإما أسير . فالمريض له مدد من الله تعالى يغذيه به زائدا على ما ذكره الأطباء من تغذيته بالدم وهذا المدد بحسب ضعفه وانكساره وانطراحه بين يدي ربه عز وجل فيحصل له من ذلك ما يوجب له قربا من ربه فإن العبد أقرب ما يكون [ ص ٨٦ ] ربه إذا انكسر قلبه ورحمة ربه عندئذ قريبة منه فإن كان وليا له حصل له من الأغذية القلبية ما تقوى به قوى طبيعته وتنتعش به قواه أعظم من قوتها وانتعاشها بالأغذية البدنية وكلما قوي إيمانه وحبه لربه وأنسه به وفرحه به وقوي يقينه بربه واشتد شوقه إليه ورضاه به وعنه وجد في نفسه من هذه القوة ما لا يعبر عنه ولا يدركه وصف طبيب ولا يناله علمه . ومن غلظ طبعه وكثفت نفسه عن فهم هذا والتصديق به فلينظر حال كثير من عشاق الصور الذين قد امتلأت قلوبهم بحب ما يعشقونه من صورة أو جاه أو مال أو علم وقد شاهد الناس من هذا عجائب في أنفسهم وفي غيرهم .

[ وصاله صلى الله عليه وسلم في الصوم ]

وقد ثبت في " الصحيح " : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يواصل في الصيام الأيام ذوات العدد وينهى أصحابه عن الوصال ويقول لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني ومعلوم أن هذا الطعام والشراب ليس هو الطعام الذي يأكله الإنسان بفمه وإلا لم يكن مواصلا ولم يتحقق الفرق بل لم يكن صائما فإنه قال أظل يطعمني ربي ويسقيني " وأيضا فإنه فرق بينه وبينهم في نفس الوصال وأنه يقدر منه على ما لا يقدرون عليه فلو كان يأكل ويشرب بفمه لم يقل لست كهيئتكم وإنما فهم هذا من الحديث من قل نصيبه من غذاء الأرواح والقلوب وتأثيره في القوة وإنعاشها واغتذائها به فوق تأثير الغذاء الجسماني والله الموفق . [ ص ٨٧ ]." (١)

" حصن أخو عيينة قدموا على إبل عجاف فقالوا يا رسول الله أدع لنا ربك أن يغيثنا فذكر الحديث وفيه فقال اللهم أسق بلدك وبهيمك وانشر بركتك اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء وفيه قال فلا والله ما نرى في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء فذكر نحو حديث أنس بتمامه وفيه قال الرجل يعني الذي سأله أن يستسقى لهم هلكت الأموال الحديث كذا في الأصل والظاهر أن السائل هو خارجة المذكور لكونه كان كبير الوفد ولذلك سمي من بينهم والله أعلم وأفادت هذه الرواية صفة الدعاء المذكور والوقت الذي وقع فيه قوله هلكت الأموال وانقطعت السبل أي بسبب غير السبب الأول والمراد أن كثرة الماء انقطع المرعى بسببها فهلكت المواشي من عدم الرعى أو لعدم ما يكنها من المطر ويدل على ذلك قوله في رواية سعيد عن شريك عند النسائي من كثرة الماء وأما انقطاع السبل فلتعذر سلوك الطرق من كثرة الماء وفي رواية حميد عند بن خزيمة واحتبس الركبان وفي رواية مالك عن شريك تهدمت البيوت وفي رواية إسحاق الآتية هدم البناء وغرق المال قوله فادع الله يمسكها يجوز في يمسكها الضم والسكون وللكشميهني هنا أن يمسكها والضمير يعود على

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد. مشكول وموافق للمطبوع، ٨٣/٤

الأمطار أو على السحاب أو على السماء والعرب تطلق على المطر سماء ووقع في رواية سعيد عن شريك أن يمسك عنا الماء وفي رواية أحمد من طريق ثابت أن يرفعها عنا وفي رواية قتادة في الأدب فادع ربك أن يحبسها عنا فضحك وفي رواية ثابت فتبسم زاد في رواية حميد لسرعة ملال بن آدم قوله فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم يديه تقدم الكلام عليه قريبا قوله اللهم حوالينا بفتح اللام وفيه حذف تقديره اجعل أو أمطر والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور قوله ولا علينا فيه بيان للمراد بقوله حوالينا لأنها تشمل الطرق التي حولهم فاراد إخراجها بقوله ولا علينا قال الطيبي في إدخال الواو **هنا معنى لطيف وذلك** أنه لو أسقطها لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو مخلصة للعطف ولكنها للتعليل وهو كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا عن الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك أنفا أه قوله اللهم على الآكام فيه بيان للمراد بقوله حوالينا والإكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع أكمة بفتحات قال بن البرقي هو التراب المجتمع وقال الداودي هي أكبر من الكدية وقال القزاز هي التي من حجر واحد وهو قول الخليل وقال الخطابي هي الهضبة الضخمة وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الأرض وقال الثعالبي الأكمة أعلى من الرابية وقيل دونها قوله والظراب بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن وقال القزاز هو الجبل المنبسط ليس بالعالى وقال الجوهري الرابية الصغيرة قوله والأودية في رواية مالك بطون الأودية والمراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع به قالوا ولم تسمع أفعلة جمع فاعل إلا الأودية جمع واد وفيه نظر وزاد مالك في روايته ورءوس الجبال قوله فانقطعت أي السماء أو السحابة الماطرة والمعنى أنها أمسكت عن المطر على المدينة وفي رواية مالك فانجابت عن المدينة أنجياب الثوب أي خرجت عنها كما يخرج الثوب عن لابسه وفي رواية سعيد عن شريك فما هو إلا أن تكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك تمزق السحاب حتى ما نرى منه شيئا والمراد بقوله ما نرى منه شيئا أي في ." (١)

" الصاحب الحديث الخامس

٣٦٠٨ – قوله عن إسماعيل هو بن أبي خالد قوله قلت لعبد الله بن أبي أوفى الخ هذا مما حمله التابعي عن الصحابي عرضا وليس هذا من التلقين لان التلقين لا استفهام فيه وانما يقول الطالب للشيخ قل حدثنا فلان بكذا فيحدث به من غير ان يكون عارفا به حديثه ولا بعدالة الطالب فلا يؤمن ان لا يكون ذلك الطالب ضابطا لذلك القدر فيدل على تساهل الشيخ فلذلك عابوه على من فعله قوله بشر النبي صلى الله عليه و سلم هو استفهام محذوف الاداة قوله قال نعم في رواية مسلم بشر خديجة ببيت من قصب قال نعم الخ ووقع في رواية جرير عن إسماعيل انهم قالوا لعبد الله بن أبي أوفى حدثنا ما قال لخديجة قال قال بشروا خديجة فذكر الحديث هكذا تقدم في أبواب العمرة من البخاري قوله من قصب بفتح القاف والمهملة بعدها موحدة قال بن التين المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف قلت عند الطبراني في الأوسط من طريق أخرى عن بن أبي أوفى يعني قصب اللؤلؤ وعنده في الكبير من حديث أبي هريرة بيت من لؤلؤة مجوفة واصله في مسلم وعنده في الأوسط من حديث فاطمة قالت قلت يا رسول الله أين أمي خديجة قال في بيت من قصب قلت امن هذا القصب

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ٥٠٥/٢

قال لا من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت قال السهيلي النكتة قي قوله من قصب ولم يقل من لؤلؤ ان في لفظ القصب مناسبة لكونها احرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ هذا الحديث انتهى وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر انابيبه وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها واما قوله ببيت فقال أبو بكر الإسكاف في فوائد الاخبار المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها ولهذا قال لا نصب فيه أي لم تتعب بسببه قال السهيلي لذكر **البيت معنى لطيف لأنها** كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي صلى الله عليه و سلم بيت إسلام الا بيتها وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها قال وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه وان كان اشرف منه فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر انتهى وفي ذكر البيت معنى اخر لان مرجع أهل بيت النبي صلى الله عليه و سلم إليها لما ثبت في تفسير قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت أم سلمة لما نزلت دعا النبي صلى الله عليه و سلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي الحديث أخرجه الترمذي وغيره ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة لان الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها وعلي نشا في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها قوله لا صخب فيه ولا نصب الصخب بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة الصياح والمنازعة برفع الصوت والنصب بفتح النون والمهملة بعدها موحدة التعب وأغرب الداودي فقال الصخب العيب والنصب العوج وهو تفسير لا تساعد عليه اللغة وقال السهيلي مناسبة نفي هاتين الصفتين اعني المنازعة والتعب انه صلى الله عليه و سلم لما دعا إلى الإسلام اجابت خديجة طوعا فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك بل ازالت عنه كل نصب وانسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب ان يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها الحديث السادس

٣٦٠٩ – قوله عن عمارة هو بن القعقاع قوله عن أبي هريرة في رواية مسلم عن بن نمير عن بن فضيل بهذا الإسناد سمعت أبا هريرة قوله اتى جبريل في رواية سعيد بن كثير عند الطبراني ." (١)

" بطريق الفحوى لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال في الحال بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة مما ينهي عنه فلأن ينهى عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أحرى وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه لما كان اشتقاق الكرم من الكرم والأرض الكريمة هي أحسن الأرض فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء لأن المؤمن خير الحيوان وخير ما فيه قلبه لأنه إذا صلح صلح الجسد كله وهو أرض لنبات شجرة الإيمان قال ويؤخذ منه أن كل خير باللفظ أو المعنى أو بهما أو مشتقا منه أو مسمى به إنما يضاف بالحقيقة الشرعية لأن الإيمان وأهله وإن أضيف إلى ما عدا ذلك فهو بطريق المجاز وفي تشبيه الكرم بقلب **المؤمن معنى لطيف لأن** أوصاف الشيطان تجري مع الكرمة كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة كما أن من غفل عن عصير كرمه تخمر فتنجس ويقوي التشبه أيضا أن الخمر يعود خلا من ساعته بنفسه أو بالتخليل فيعود طاهرا وكذا المؤمن يعود من ساعته

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – دار المعرفة، ١٣٨/٧

بالتوبة النصوح طاهرا من خبث الذنوب المتقدمة التي كان متنجسا باتصافه بها إما بباعث من غيره من موعظة ونحوها وهو كالتخليل أو بباعث من نفسه وهو كالتخلل فينبغي للعاقل أن يتعرض لمعالجة قلبه لئلا يهلك وهو على الصفة المذمومة تنبيه الحبلة المذكورة في حديث وائل عند مسلم بفتح المهملة وحكى ضمها وسكون الموحدة وبفتحها أيضا وهو أشهر هي شجرة العنب وقيل أصل الشجرة وقيل القضيب منها وقال في المحكم الحبل بفتحتين شجر العنب الواحدة حبلة وبالضم ثم السكون الكرم وقيل الأصل من أصوله وهو أيضا اسم ثمر السمر والعضاه

( قوله باب قول الرجل فداك أبي وأمي )

تقدم ضبط فداك ومعناه في باب ما يجوز من الرجز والشعر قريبا قوله فيه الزبير عن النبي صلى الله عليه و سلم يشير إلى ما وصله في مناقب الزبير بن العوام من طريق عبد الله بن الزبير قال جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة يوم الأحزاب في النساء الحديث وفيه قول الزبير فلما رجعت جمع لي النبي صلى الله عليه و سلم أبويه فقال فداك أبي وأمي

٥٨٣٠ - قوله يحيى هو بن سعيد القطان وسفيان هو الثوري قوله يفدى بفتح أوله وسكون الفاء للكشميهني ولغيره بضم أوله والفاء المفتوحة والتشديد وقد تقدم في مناقب سعد بن أبي وقاص بيان الجمع بين حديث الزبير المذكور في الباب في إثبات التفدية له وبين حديث علي هذا في نفي ذلك عن غير سعد وكأن البخاري رمز بذلك إلى هذا الجمع وغفل من خص حديث الزبير بتخريج مسلم مع إخراج البخاري له ورمزه إليه في هذاالباب وقوله في آخر هذا الحديث أظنه يوم أحد تقدم الجزم بذلك في رواية إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه في غزوة أحد من كتاب المغازي ولفظه فإني سمعته يقول إرم سعد فداك أبي وأمي وتقدم هناك سبب هذا القول لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ." (١)

"قلت: والذي قاله المازري موجه؛ لأنه يحمل على إرادة حسم المادة بترك تسمية أصل الخمر بهذا الاسم الحسن، ولذلك ورد النهي تارة عن العنب وتارة عن شجرة العنب فيكون التنفير بطريق الفحوى؛ لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال في الحال بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة مما ينهى عنه فلأن ينهى عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أحرى. وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه: لما كان اشتقاق الكرم من الكرم، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء لأن المؤمن خير الحيوان، وخير ما فيه قلبه؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان. قال: ويؤخذ منه أن كل خير - باللفظ أو المعنى أو بهما أو مشتقا منه أو مسمى به - إنما يضاف بالحقيقة الشرعية؛ لأن الإيمان وأهله وإن أضيف إلى ما عدا ذلك فهو بطريق المجاز، وفي تشبيه الكرم بقلب المؤمن معنى لطيف؛ لأن أوصاف الشيطان تجري مع الكرمة كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم، فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة، كما أن من غفل عن عصير كرمه تخمر فتنجس.." (٢)

"قال السهيلي: لذكر **البيت معنى لطيف لأنها** كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة، ٥٦٨/١٠

(٢) فتح الباري - نسخة رائعة، ٣٨٩/١

شاركها فيها أيضا غيرها. قال: وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ الجزء السابع القصر. انتهى. وفي ذكر البيت معنى آخر؛ لأن مرجع أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ (١) قالت أم سلمة ﴿ لما نزلت دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي ﴾ (٢) الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها.

(١) – سورة الأحزاب آية : ٣٣.

(٢) – الترمذي تفسير القرآن (٣٢٠٥).." (١)

"ص –٢١٢– فقد جعل الاسم تارة مدعوا، وتارة مدعوا به، في قوله : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [ الأعراف : ١٨٠ ] فهو مدعو به باعتبار أن المدعو هو المسمى، وإنما يدعى باسمه . وجعل الاسم مدعوا باعتبار أن المقصود به هو المسمى، وإن كان في اللفظ هو المدعو المنادى، كما قال : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ أي : ادعوا هذا الاسم، أو هذا الاسم، والمراد إذا دعوته هو المسمى، أي الاسمين دعوت، ومرادك هو المسمى : ﴿ فله الأسماء الحسنى ﴾ فمن تدبر **هذه المعاني اللطيفة تبين** له بعض حكم القرآن وأسراره، فتبارك الذي نزل الفرقان على عبده، فإنه كتاب مبارك تنزيل من حكيم حميد، لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، ومن تركه من جبار قصمه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم،وهو الصراط المستقيم، وهو قرآن عجب، يهدي إلى الرشد، أنزله الله هدى ورحمة، وشفاء وبيانا وبصائر وتذكرة .

فالحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه،كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله .

آخره ولله الحمد والمنة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .." (٢)

"الْوَاحِدُ بِذَلِكَ الِاسْمِ . فَقَدْ جُعِلَ الِاسْمُ تَارَةً مَدْعُوًّا وَتَارَةً مَدْعُوًّا بِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ فَهُوَ مَدْعُوٌّ بِهِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمَدْعُوَّ هُوَ الْمُسَمَّى وَإِنَّمَا يُدْعَى بِاسْمِهِ . وَجُعِلَ الِاسْمُ مَدْعُوًّا بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ هُوَ الْمُسَمَّى وَإِنْ كَانَ فِي اللَّفْظِ هُوَ الْمَدْعُوَّ الْمُنَادَى كَمَا قَالَ ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ أَيْ أُدْعُوا هَذَا الِاسْمَ أَوْ هَذَا الِاسْمَ وَالْمُرَادُ إذَا دَعَوْته هُوَ الْمُسَمَّى ؛ أَيْ الِاسْمَيْنِ دَعَوْت وَمُرَادُك هُوَ الْمُسَمَّى : ﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ . فَمَنْ تَدَبَّرَ **هَذِهِ الْمَعَانِيَ اللَّطِيفَةَ تَبَيَّنَ** لَهُ بَعْضُ حِكَمِ الْقُرْآنِ وَأَسْرَارِهِ فَتَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ فَإِنَّهُ كِتَابٌ مُبَارَكٌ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ قُرْآنٌ عَجَبٌ يَهْدِي إلَى الرُّشْدِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ هُدًى وَرَحْمَةً وَشِفَاءً وَبَيَانًا

(١) فتح الباري – نسخة رائعة، ٣٧٧/٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٩/٩١

وَبَصَائِرَ وَتَذْكِرَةً . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى وَكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعَزَّ جَلَالُهُ . آخِرُهُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .." (١)

"فقد جعل الاسم تارة مدعوا وتارة مدعوا به في قوله : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ فهو مدعو به باعتبار أن المدعو هو المسمى وإنما يدعى باسمه . وجعل الاسم مدعوا باعتبار أن المقصود به هو المسمى وإن كان في اللفظ هو المدعو المنادى كما قال ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ أي ادعوا هذا الاسم أو هذا الاسم والمراد إذا دعوته هو المسمى ؛ أي الاسمين دعوت ومرادك هو المسمى : ﴿ فله الأسماء الحسنى ﴾ . فمن تدبر **هذه المعاني اللطيفة تبين** له بعض حكم القرآن وأسراره فتبارك الذي نزل الفرقان على عبده فإنه كتاب مبارك تنزيل من حكيم حميد لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء من ابتغى الهدى في غيره أضله الله ومن تركه من جبار قصمه الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو قرآن عجب يهدي إلى الرشد أنزله الله هدى ورحمة وشفاء وبيانا وبصائر وتذكرة . فالحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله . آخره ولله الحمد والمنة وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .." (٢)

" يصلح للرمي مع السلاح قال الطبري

ورأيت منهم من يبرك على الركبتين جميعا ويرمي وكان بعض الأستاذين يقعد على الركبة اليسرى واليمنى بائنة عنها ويرمي من وراء ركبتيه وهذا مذهب ينسب إلى الكاغدي

وأما الأستاذ أبو موسى فإنه كان يقوم قائما بحذاء الرقعة ورجلاه مستويتان ملتصقتان ثم يجر اليسرى إلى خلف ويقعد على عقبه ويكون مشط الرجل اليمنى ملتصقا بالركبة الشمال وعلى ركبته اليمنى إلى خلف وفي شد الركبة على **الأرض معنى لطيف**

وأما مذهب الزراد فإنه كان يجعل قدمه اليسرى خلف أليته ويجعل رأس الركبة اليسرى بحذاء المنكب والقدم اليمنى بائنا عن الركبة اليسرى ويرمي

وأما مذهب طاهر فإنه كان يجلس متربعا متصدرا و يأمر تلامذته بالجلوس على اليسرى والاتكاء على اليسار

ومن الرماة من كان يقعد على رجله اليسرى ويجعل ركبته اليمنى على ركبته اليسرى مبسوطة إذا أراد يرمي في القرب فإذا أراد البعد جلس على رجله اليمنى وبسط اليسرى عليها كما فعل في الابتداء ." (٣)

"ص -٨٧- فائدة: حذف لام يد ودم وغد

المشهور عند النحاة أن حذف لام يد ودم وغد وبابه حذف اعتباطي لا سبب له لأنهم لم يروه جاريا على قياس الحذف وقد يظهر **فيه معنى لطيف وهو** أن الألفاظ أصلها المصادر الدالة على الأحداث فأصل مصدر غدا يغدو غدوا بوزن رمى

---

(١) قاعدة في الاسم والمسمى، ص/١٣

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٢١٢/٦

(٣) الفروسية، ٤٥٨/٠

وأصل دمي بوزن فرح مصدر دمي يدمى كبقي يبقى وأصل كذلك يدي من يديت إليه يديا ثم حذفوا فقالوا: يدا وكذلك سم أصله سمو من سما يسمو سموا كعلم يعلم علما فلما زحزحت على أصل موضوعاتها وبقى فيها من المعنى الأول ما يعلم أنها مشتقة منه حذفت منها لاماتها بإزاء ما نقص من معانيها ليكون النقص في اللفظ موازيا للنقص في المعنى فلا يستوفى حروف الكلمة بأسرها إلا عند حصول المعنى بأسره

فائدة: دخول الزوائد على الحروف

دخول الزوائد على الحروف الأصلية منبه على معان زائدة على معنى الكلمة التي وضعت الحروف الأصلية عبارة عنه فإن كان المعنى الزائد آخرا كانت الزيادة آخر كنحو التاء في فعلت لأنها تنبيء عما رتبته بعد الفعل وإن كان المعنى الزائد أولا كانت الزيادة الدالة عليه سابقة على حروف الكلمة كالزوائد الأربع فإنها تنبيء أن الفعل لم يحصل بعد لفاعله وأن بينه وبين تحصيله جزءا من الزمان وكان الحرف الزائد السابق للفظ مشيرا في اللسان إلى الجزء من الزمان مرتبا في البيان على حسب ترتب المعنى في الجنان وكذلك حكم جميع ما يرد." (١)

"ص -١٥٨- وعندي فيه جواب أحسن من هذا وهو أنه لم يقصد حكاية سلام الملائكة فنصب قوله سلاما مفعول القول المفرد كأنه قيل قالوا قولا سلاما وقالوا سدادا وصوابا ونحو ذلك فإن القول إنما تحكي به الجمل وأما المفرد فلا يكون محكيا به بل منصوب به انتصاب المفعول به ومن هذا قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ ليس المراد أنهم قالوا هذا اللفظ المفرد المنصوب وإنما معناه قالوا قولا سلاما مثل سدادا وصوابا وسمي القول سلاما لأنه يؤدي معنى السلام ويتضمنه من رفع الوحشة وحصول الإستئناس وحكى عن إبراهيم لفظ سلامه فأتى به على لفظه مرفوعا بالابتداء محكيا بالقول ولولا قصد الحكاية لقال سلاما بالنصب لأن ما بعد القول إذا كان مرفوعا فعلى الحكاية ليس إلا فحصل من الفرق بين الكلامين في حكاية سلام إبراهيم ورفعه ونصب ذلك إشارة **إلى معنى لطيف جدا** وهو أن قوله سلام عليكم من دين الإسلام المتلقي عن إمام الحنفاء وأبي الأنبياء وأنه من ملة إبراهيم التي أمر الله بها وباتباعها فحكى لنا قوله ليحصل الإقتداء به والإتباع له ولم يحك قول أضيافه وإنما أخبر به على الجملة دون التفصيل والله أعلم فزن هذا الجواب والذي قبله بميزان غير جائر يظهر لك أقواهما وبالله التوفيق.

فصل:

وأما السؤال الحادي عشر: وهو نصب السلام من قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ ورفعه في قوله حكاية عن مؤمني أهل الكتاب ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ فالجواب عنه أن الله سبحانه مدح عباده الذين ذكرهم في هذه الآيات بأحسن أوصافهم وأعمالهم فقال: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ فسلاما هنا صفة لمصدر محذوف." (٢)

" فائدة حذف لام يد ودم وغد

---

(١) بدائع الفوائد، ٢/١٤٥

(٢) بدائع الفوائد، ٣/٢٢٧

المشهور عند النحاة أن حذف لام يد ودم وغد وبابه حذف اعتباطي لا سبب له لأنهم لم يروه جاريا على قياس الحذف

وقد يظهر **فيه معنى لطيف وهو** أن الألفاظ أصلها المصادر الدالة على الأحداث فأصل مصدر غدا يغدو غدوا بوزن رمى وأصل دمي بوزن فرح مصدر دمي يدمى كبقي يبقى وأصل كذلك يدي من يديت إليه يديا ثم حذفوا فقالوا يدا وكذلك سم أصله سمو من سما يسمو سموا كعلم يعلم علما

فلما زحزحت على أصل موضوعاتها وبقى فيها من المعنى الأول ما يعلم أنها مشتقة منه حذفت منها لاماتها بإزاء ما نقص من معانيها ليكون النقص في اللفظ موازيا للنقص في المعنى فلا يستوفى حروف الكلمة بأسرها إلا عند حصول المعنى بأسره فائدة دخول الزوائد على الحروف

دخول الزوائد على الحروف الأصلية منبه على معان زائدة على معنى الكلمة التي وضعت الحروف الأصلية عبارة عنه فإن كان المعنى الزائد آخرا كانت الزيادة آخر كنحو التاء في فعلت لأنها تنبيء عما رتبته بعد الفعل

وإن كان المعنى الزائد أولا كانت الزيادة الدالة عليه سابقة على حروف الكلمة كالزوائد الأربع فإنها تنبيء أن الفعل لم يحصل بعد لفاعله وأن بينه وبين تحصيله جزءا من الزمان وكان الحرف الزائد السابق للفظ مشيرا في اللسان إلى الجزء من الزمان مرتبا في البيان على حسب ترتب المعنى في الجنان وكذلك حكم جميع ما يرد عليك في كلامهم

فإن قيل فهلا كانت الياء مكان التاء والهمزة

قيل أصل هذه الزوائد الياء بدليل كونها في الوضع الذي لا يحتاج فيه إلى الفرق بين ما مذكر ومؤنث وهو فعل جماعة النساء فإنك إذا قلت النسوة يقمن فالفرق حاصل بالنون وأيضا فأصل الزيادة لحروف المد واللين والواو لا تزاد أولا لئلا يشتبه بواو العطف والألف يتعذر أولا لسكونها فلم يبق إلا الياء فهي الأصل فلما أريد الفرق كانت الهمزة للمتكلم أولى لإشعارها بالضمير المستتر في الفعل إذ هي أول ." (١)

" ومن هذا قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الفرقان ٦٣ ليس المراد أنهم قالوا هذا اللفظ المفرد المنصوب وإنما معناه قالوا قولا سلاما مثل سدادا وصوابا وسمي القول سلاما لأنه يؤدي معنى السلام ويتضمنه من رفع الوحشة وحصول الإستئناس

وحكى عن إبراهيم لفظ سلامه فأتى به على لفظه مرفوعا بالإبتداء محكيا بالقول ولولا قصد الحكاية لقال سلاما بالنصب لأن ما بعد القول إذا كان مرفوعا فعلى الحكاية ليس إلا فحصل من الفرق بين الكلامين في حكاية سلام إبراهيم ورفعه ونصب ذلك إشارة **إلى معنى لطيف جدا** وهو أن قوله سلام عليكم من دين الإسلام المتلقى عن إمام الحنفاء وأبي الأنبياء وأنه من ملة إبراهيم التي أمر الله بها وباتباعها فحكى لنا قوله ليحصل الإقتداء به والإتباع له ولم يحك قول أضيافه وإنما أخبر به على الجملة دون التفصيل والله أعلم فزن هذا الجواب والذي قبله بميزان غير جائر يظهر لك أقواهما وبالله التوفيق فصل نصب السلام ورفعه

---

(١) بدائع الفوائد، ١/٩٥

وأما السؤال الحادي عشر وهو نصب السلام من قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ورفعه في قوله حكاية عن مؤمني أهل الكتاب سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين القصص ٥٥

فالجواب عنه أن الله سبحانه مدح عباده الذين ذكرهم في هذه الآيات بأحسن أوصافهم وأعمالهم فقال وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فسلاما هنا صفة لمصدر محذوف هو القول نفسه أي قالوا قولا سلاما أي سدادا وصوابا وسليما من الفحش والخنا ليس مثل قول الجاهلين الذين يخاطبونهم بالجهل فلو رفع السلام هنا لم يكن فيه المدح المذكور بل كان يتضمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون سلموا عليهم وليس هذا معنى الآية ولا مدح فيه وإنما المدح في الإخبار عنهم بأنهم لا يقابلون الجهل مثله بل يقابلونه بالقول السلام فهو من باب دفع السيئة بالتي هي أحسن التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم

وتفسير السلف وألفاظهم صريحة بهذا المعنى وتأمل كيف جمعت الآية وصفهم في ." (١)

"ص -٩٥- الأغذية مرق الفراريج المعتدلة الطيبة فقط، وإنعاش قواه بالأراييح العطرة الموافقة، والأخبار السارة، فإن الطبيب خادم الطبيعة، ومعينها لا معيقها.

واعلم أن الدم الجيد هو المغذى للبدن، وأن البلغم دم فج قد نضج بعض النضج، فإذا كان بعض المرضى فى بدنه بلغم كثير، وعدم الغذاء، عطفت الطبيعة عليه، وطبخته، وأنضجته، وصيرته دما، وغذت به الأعضاء، واكتفت به عما سواه، والطبيعة هى القوة التى وكلها الله سبحانه بتدبير البدن وحفظه وصحته، وحراسته مدة حياته.

واعلم أنه قد يحتاج فى الندرة إلى إجبار المريض على الطعام والشراب، وذلك فى الأمراض التى يكون معها اختلاط العقل، وعلى هذا فيكون الحديث من العام المخصوص، أو من المطلق الذى قد دل على تقييده دليل، ومعنى الحديث: أن المريض قد يعيش بلا غذاء أياما لا يعيش الصحيح فى مثلها.

وفى قوله صلى الله عليه وسلم: "فإن الله يطعمهم ويسقيهم" **معنى لطيف زائد** على ما ذكره الأطباء لا يعرفه إلا من له عناية بأحكام القلوب والأرواح، وتأثيرها فى طبيعة البدن، وانفعال الطبيعة عنها، كما تنفعل هى كثيرا عن الطبيعة، ونحن نشير إليه إشارة، فنقول: النفس إذا حصل لها ما يشغلها من محبوب أو مكروه أو مخوف، اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب، فلا تحس بجوع ولا عطش، بل ولا حر ولا برد، بل تشتغل به عن الإحساس المؤلم الشديد الألم، فلا تحس به، وما من أحد إلا وقد وجد فى نفسه ذلك أو شيئا منه، وإذا اشتغلت النفس بما دهمها، وورد عليها، لم تحس بألم الجوع، فإن كان الوارد مفرحا قوى التفريح، قام لها مقام الغذاء، فشبعت به، وانتعشت قواها، وتضاعفت، وجرت الدموية فى الجسد حتى تظهر فى سطحه، فيشرق وجهه، وتظهر دمويته، فإن الفرح يوجب انبساط دم القلب، فينبعث فى العروق، فتمتلئ به، فلا تطلب." (٢)

---

(١) بدائع الفوائد، ٢/٣٨٦

(٢) الطب النبوي، ٣/١٧

"(ثم لم تكن فتنتهم) أي معذرتهم قاله ابن عباس: أي التي يتوهمون أن يتخلصوا بها أو حجتهم والفتنة التجربة من فتنت الذهب إذا خلصته، قال الزجاج: **فيه معنى لطيف وذلك** أن الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ منه فيقال لم تكن فتنته إلا بذلك المحبوب، فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤوا منها، وقيل المراد بالفتنة هنا جوابهم وسماه فتنة لأنه لم يكن جوابهم إلا الجحود والتبري فكان هذا الجواب فتنة لكونه كذبا.

(إلا أن قالوا) يعني المنافقين والمشركين قالوا: وهم في النار هلم فلنكذب فلعله أن ينفعنا والاستثناء مفرغ (والله ربنا ما كنا مشركين) قال القاضي: يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة، قال الزجاج: تأويل هذه الآية أن الله عز وجل أخبر بقصص المشركين وافتتانهم، ثم أخبر أن فتنتهم لم تكن حين رأوا الحقائق إلا أن انتفوا من الشرك، ونظير هذا في اللغة أن ترى إنسانا يحب غاويا فإذا وقع في هلكه تبرأ منه فتقول ما كانت محبتك إياه إلا أن تبرأت منه انتهى.

فالمراد بالفتنة على هذا كفرهم أي لم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقاتلوا عليه إلا ما وقع منهم من الجحود والحلف على نفيه بقولهم والله الخ.." (١)

"١٠٩٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَين بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَينِ بَعدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَين بَعدَ العِشَاءِ. متفقٌ عَلَيهِ.

سكت عن ركعتي الصبح لما جاء عنه في الصحيح. وحدثتني حفصة: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يركع ركعتين خفيفتين بعد ما يطلع الفجر»، فالسنن المؤكدة عشر.

وفي رواية: فأما المغرب والعشاء والفجر والجمعة ففي بيته.

قال الحافظ: والظاهر أن ذلك لم يقع عن عمد، وإنما كان - صلى الله عليه وسلم - يتشاغل بالناس في النهار غالبًا، وبالليل يكون في بيته غالبًا.

قال ابن دقيق العيد: وفي تقديم السنن على الفرائض وتأخيرها **عنها معنى لطيف مناسب**: أما في التقديم؛ فلأن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها، فتتكيف النفس في ذلك بحال عديدة عن حضور القلب في العبادة والخشوع فيها الذي هو روحها، فإذا قدمت السنن على الفريضة تأنَّست النفس بالعبادة، وتكيفت بحالة القرب من الخشوع، فيدخل في الفرائض على حالة حسنة. وأما السنن المتأخرة، فلما ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض.." (٢)

"قلت : الحياء : خلق كريم يمنع صاحبه من ارتكاب ما يعاب به ، وفي الحديث : " إن الله حيي كريم " ، و ﴿مثلا﴾ مفعول ، و ﴿ما﴾ نكرة ، صفته ، و ﴿بعوضة﴾ بدل ، والبعوضة : الذباب. وفي الحديث : " لو كانت الدنيا تساوي عند

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/١٢٠

(٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك ص/٦٣٥

الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء " ، وقيل : صغار البق ، أي : إن الله لا يترك أن يضرب مثلا – أي مثل كان – بعوضة فما فوقها. أو ﴿بعوضة﴾ مفعول أول ، و ﴿مثلا﴾ مفعول ثان ، من باب جعل ، و ﴿ماذا﴾ إما مبتدأ وخبر ، على أن ﴿ذا﴾ موصولة ، أو مفعولة بأراد على أنها مركبة ، و ﴿مثلا﴾ حال أو تمييز. والفسق : الخروج ، يقال : فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها.

يقوله الحق جل جلاله : ﴿إن الله﴾ لا يترك ترك المستحيي ﴿أن يضرب مثلا﴾ بالخسيس والكبير كالذباب والعنكبوت وغير ذلك. فأما المؤمنون فيتيقنون ﴿أنه الحق من ربهم﴾ ، وحكمته : **إبراز المعاني اللطيفة في** قوالب المحسوسات ليسهل الفهم ، وأما الكفار فيعترضون ويقولون : ﴿ماذا أراد الله﴾ بهذه الأمثال ؟ فإن الله منزه عن ضرب الأمثال بهذه الأشياء الخسيسة ، قال الله تعالى في الرد عليهم : أراد بهذا إضلال قوم بسبب إنكارها ، وهداية آخرين بسبب الإيمان بها ، ﴿وما يضل﴾ بذلك المثل إلا الخارجين عن طاعته ، ﴿الذين﴾ نقضوا العهد الذي أخذ عليهم في عالم الذر ، أو مطلق العهد ، ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من الأنبياء والرسل والأرحام وغيرها ، ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ، ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ الكاملون في الخسران ، نعوذ بالله من الخذلان.

٦٩

". (١)

" فلا حاجة إلى الإستعارة ولايخفى ما فيه فإن المجازية ما لا شبهة فيها دراية ورواية وذاك الإستعمال مجاز مشهور أو حقيقة عرفية وفي الثاني بأن نفاق السوق كإنتصاب الشخص في حسن الحال والظهور التام فأستعمل القيام فيه والإقامة في إنفاقها ثم أستعيرت منه للمداومة فإن كلا منهما يجعل متعلقه مرغوبا متنافسا فيه متوجها إليه **وهذا معنى لطيف لا** يقف عليه إلا الخواص إلا أن فيه تجوزا من المجاز وكأنه لهذا مال الطيبي إلى أن في هذا الوجه كناية تلويحية حيث عبر عن الدوام بالإقامة فإن إقامة الصلاة بالمعنى الأول مشعرة بكونها مرغوبا فيها وإضاعتها تدل على إبتذالها كالسوق إذا شوهدت قائمة دلت على نفاق سلعتها ونفاقها على توجه الرغبات إليها وهو يستدعي الإستدامة بخلافها إذا لم تكن قائمة وفي الثالث بأن القيام بالأمر يدل على الإعتناء بشأنه ويلزمه التشعر فأطلق القيام على لازمه وقد يقال بأن قام بالأمر معناه جد فيه وخرج عن عهدته بلا تأخير ولا تقصير فكأنه قام بنفسه لذلك وأقامه أي رفعه على كاهله بجملته فحينئذ يصح أن يكون فيه إستعارة تمثيلية أو مكنية أو تصريحية ويجوز أن يكون أيضا مجازا مرسلا لأن من قام لأمر على أقدام الإقدام ورفعه على كاهل الجد فقد بذل فيه جهده وفي الرابع بأن الأداء المراد به فعل الصلاة والقيد خارج عبر عنه بالإقامة بعلاقة اللزوم إذ يلزم من تأدية الصلاة وإيجادها كلها فعل القيام وهو الإقامة لأن فعل الشيء فعل لأجزائه أو العلاقة الجزئية لأن الإقامة جزء أو جزئي لمطلق الفعل ويجوز أن يكون هناك إستعارة لمشابهة الأداء للإقامة في أن كلا منهما فعل متعلق بالصلاة

وإلى ترجيح أول الأوجه مال جمع لأنه أظهر وأقرب إلى الحقيقة وأفيد وهو المروي عن ترجمان القرآن إبن عباس رضي الله تعالى عنهما كما أخرجه إبن جرير وإبن أبي حاتم من طرق عنه ولعل ذلك منه عن توقيف من رسول الله صلى الله تعالى

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ١/٦٦

عليه وسلم أو حمل لكلام الله سبحانه وتعالى على أحسن محامله حيث أنه المناسب لترتيب الهدى الكامل والفلاح التام الشامل وفيه المدح العظيم والثناء العميم ولا يبعد أن يقال بإستلزامه لما في الأوجه الأخيرة وتعين الأخير كما قيل في حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام لا يضر في أرجحية الأول في الكلام القديم إذ يرد أنه لو أريد ذلك قيل يصلون والعدول عن الأخصر الأظهر بلا فائدة لا يتجه في كلام بليغ فضلا عن أبلغ الكلام ولكل مقام مقال فأفهم و الصلاة في الأصل عند بعض بمعنى الدعاء ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب وإن كان صائما فليصل وهي عند أهل الشرع مستعملة في ذات الأركان لأنها دعاء بالألسنة الثلاثة الحال والفعل والمقال والمشهور في أصول الفقه أن المعتزلة على أن هذه وأمثالها حقائق مخترعة شرعية لأنها منقولة عن معان لغوية والقاضي أبو بكر منا على أنها مجازات لغوية مشهورة لم تصر حقائق وجماهير الأصحاب على أنها حقائق شرعية عن معان لغوية وقال أبو علي ورجحه السهيلي الصلاة من الصلوين لعرقين في الظهر لأن أول ما يشاهد من أحوالها تحريكهما للركوع وإستحسانه إبن جني وسمى الداعي مصليا تشبيها له في تخشعة بالراكع الساجد وقيل أخذت الصلاة من ذاك لأنها جاءت ثانية للإيمان فشبهت بالمصلى من الخيل للآتي مع صلوي السابق وأنكر الإمام الإشتقاق من الصلوين مستندا إلى أن الصلاة منأشهر الألفاظ فإشتقاقها من غير المشهور في غاية البعد وأكاد أوافقه وإن قيل إن عدم الإستشهار لا يقدح في النقل وقيل من صليت العصا إذا قومتها بالصلي فالمصلي كأنه يسعى في تعديل ظاهره وباطنه مثل ما يحاول تعديل الخشبة بعرضها على النار وهي فعله ." (١)

" على أن كل واحد منهما مستقل في إستحقاق الضرب فيكف إذا إجتمعا وضعف هذا الوجه بأن التكرار خلاف الأصل مع **فوات معنى لطيف حصل** بالأول وسابقه بأنه لا يظهر حينئذ لا يراد كلمة ذلك فائدة إذ الظاهر بما عصوا إلخ ويفوت أيضا ما يفوت وحظ العارف من هذه الآيات الإعتبار بحال هؤلاء الذين لم يرضوا بالقضاء ولم يشكروا على النعماء ولم يصبروا على البلواء كيف ضرب عليهم ذل الطغيان قبل وجود الأكوان وقهرهم بلطمة المسكنة في بيداء الخذلان وألبس قلوبهم حب الدنيا وأهبطهم من الدرجة العليا

ومن باب الإشارة الطعام الواحد هو الغذاء الروحاني من الحكمة والمعرفة وما تنبته الأرض هو الشهوات الخبيثة واللذات الخسيسة والتفكهات الباردة الناشئة من أرض النفوس المبتذلة في مصر البدن الموجبة للذلة لمن ذاقها والمسكنة لمن لاكها والهلاك لمن إبتلعها وسبب طلب ذلك الإحتجاب عن آيات الله تعالى وتجلياته وتسويد القلوب بدرن الذنوب وقطع وريدها واردها والذي يجر إلى هذا الغفلة عن المحبوب والإعتياض بالأغيار عن ذلك المطلوب نسأل الله تعالى لنا ولكم العافية إن الذين آمنوا لما أنجر الكلام إلى ذكر وعيد أهل الكتاب قرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب والترهيب وبهذا يتضح وجه توسيط هذه الآية وما قبلها بين تعداد النعم وفي المراد ب الذين آمنوا هنا أقوال والمروى عن سفيان الثوري أنهم المؤمنون بألسنتهم وهم المنافقون بدليل إنتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون

---

(١) روح المعاني، ١١٦/١

عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبر عنها بالإيمان لا تجديهم نفا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا وعن السدي أنهم الحنيفيون ممن لم يلحق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل ومن لحقه كأبي ذر وبحيري ووفد النجاشي الذين كانوا ينتظرون البعثة وعن إبن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم المؤمنون بعيسى قبل أن يبعث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وروى السدي عن أشياخه أنهم المؤمنون بموسى إلى أن جاء عيسى عليهما السلام فآمنوا به وقيل : إنهم أصحاب سلمان الذين قص حديثهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له : هم في النار فأظلمت الأرض عليه كما روى مجاهد عنه فنزلت عند ذلك الآية إلى يحزنون قال سلمان : فكأنما كشف عني جبل وقيل : إنهم المتدينون بدين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مخلصين أو منافقين وأختاره القاضي وكان سبب الإختلاف قوله تعالى فيما بعد : من آمن إلخ فإن ذلك يقتضي أن يكون المراد من أحدهما غير المراد من الآخر وأقل الأقوال مؤنة أولها الذين هادوا أي تهودوا يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة البخل ووجه التخصيص كون توبتهم أشق الأعمال كما مر : وإما معرب يهوذا بذال معجمة وألف مقصورة كأنهم سموا بأكبر أولاد يعقوب عليه السلام وقريء هادوا بفتح الدال أي مال بعضهم إلى بعض والنصارى جمع نصران بمعنى نصراني وورد ذلك في كلام العرب وإن أنكره البعض كقوله : تراه إذا دار العشى محنفا ويضحى لديه وهو نصران شامس ويقال في المؤنث نصران كندمان وندمانة قاله سيبويه وأنشدكما سجدت نصرانة لم تحنف

والياء في نصراني عنده للمبالغة كما يقال للأحمر أحمري إشارة إلى أنه عريق في وصفه وقيل : إنها للفرق بين الواحد والجمع كزنج وزنجي وروم ورومي وقيل : النصارى جمع نصرى كمهرى ومهاري حذفت إحدى ياءيه وقلبت الكسر فتحة للتخفيف فقلبت الياء ألفا وإلى ذلك ذهب الخليل وهو أسم لأصحاب عيسى عليه السلام وسموا بذلك لأنهم ." (١)

" ويمكن أن يقال من طرف الجمهور الذاهبين إلى أن المراد رؤية المومنين المشركين مثلى أنفسهم بأنه بالتفسير المأثور عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ولا نسلم أن رؤيتهم إياهم أقل من أنفسهم أحق بالذكر فى كونها آية من رؤيتهم مثليهم لجواز أن تكون الآية والعلامة لليهود على أنهم سيغلبون قتال المؤمنين لهؤلاء المشركين وغلبتهم عليهم مع وجود السبب العادى للجبن وهو رؤية المؤمنين إياهم أكثر من أنفسهم من عددهم فكأنه قيل : يا معشر اليهود تحققوا قتال المسلمين لكم وغلبتهم عليكم ولا تغتروا بعلمهم بقلتهم وكثرتهم فانهم يقدمون على قتال من يرونه أكثر منهم عددا ولا يجبنون ولا يهابون ينتصرون فما ذاك إلا لأن الله تعالى قد ملأ قلوبهم إيمانا وشدة على من خالفهم وأحاطهم بتأييده ونصره ووعدهم الوعد الجميل

لا يقال : إن الأوفق لهذا الغرض أن يرى المؤمنون المشركين على ما هم عليه من كون المشركين ثلاثة أمثالهم او يرونهم أكثر من ذلك لأن إقدامهم حينئذ على قتالهم أدل على سبب الغلبة على اليهود لأنا نقول : نعم الامر كما ذكر إلا أن هذه الرؤية لوفائها بالمقصود مع تضمنها مدح المؤمنين بالثبات الناشئ من قوة الإيمان بالنصر الموعود آخرا بقوله تعالى : فان يكن منكن مائة صابرة يغلبوا مائتين اختيرت على ما ليس فيها إلا أمر واحد غير متضمن لذلك المدح المخصوص

---

(١) روح المعاني، ٢٧٨/١

وعلى هذا لا يحتاج إلى التزام كون التثنية مجازا عن التكثير كما فى قوله تعالى : ثم ارجع البصر كرتين ولا إلى القول بأن ضمير مثلهم راجع إلى الفئة الأخيرة أى ترى الفئة المؤمنة الفئة الكافرة مثلى عدد الفئة الكافرة أعنى قريبا من ألفين وإن ذهب إلى ذلك البعض ويرد ايضا على قوله : على أن إبانة الخ بعد تسليم أن الإرادة نفسها كانت هى الآية أن إرادة القليل كثيرا لم تقع لليهود المخاطبين بصدر الآية لتكون إبانة آثار قدرته تعالى بذلك أدخل فى كونها آية لهم وحجة عليهم وكون ذلك اقرب لا عترافهم لكثرة مخالطتهم الكفرة الرائين يتوقف على أن الرائين قد أخبروهم بذلك وأنهم صدقوا به ولم يحملوه على أنه خيل لهم لخوفهم بسبب عدم علمهم بالحرب والخائف يخيل إليه أن اشجار البيداء شجعان شاكية وأسد ضارية وإثبات كل من هذه الأمور صعب على ان فيما روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أن اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تلك الواقعة : لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم بالحرب فأصبت منهم فرصة ولئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس ما يشعر فى الجملة بأنهم لو أخبروهم بذلك وصدقوا لحملوه على نحو ما ذكرنا وما ذكر من أن تعلق الفعل بالفاعل اشد الخ فمسلم إلا أنا لا نسلم أنه يستدعى أولوية جعل أول المذكورين السابقين فاعلا وأبعدهما مفعولا من العكس مطلقا بل ذلك إذا لم يكن فى **العكس معنى لطيف تحسن** مراعاته نظرا للمقام وهنا قد كان ذلك ولا سيما وقد سبق مدح الفئة الأولى بالمقاتلة فى سبيل الله تعالى وعدل عن مدحهم بالإيمان الذى هو الأساس إليه ولا شك ان مقاتلتهم للمشركين مع رؤيتهم إياهم أكثر من أنفسهم ومثليهم أمدح وأمدح كما لا يخفى وقرأ نافع ويعقوب ترونهم بالتاء واستشكلت على تقدير كون الخطاب لليهود بأنهم لم يروا المؤمنين مثلى أنفسهم ولا مثلى الكافرين ولم يروا الكافرين ايضا مثلى أنفسهم ولا مثلى المؤمنين واجيب بأنه يصح أن يقال : إنهم رأوا المؤمنين مثلى أنفسهم أو مثلى الكافرين على سبيل المجاز حيث نزلت رؤية المشركين منزلة رؤيتهم لما بينهم من الاتحاد فى الكفر والاتفاق فى الكلمة لا سيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فأسندت الرؤية اليهم مبالغة فى البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم ةكذا يصح أن يقال : إنهم رأوا حقيقة الكافرين مثلى المؤمنين ." (١)

" سجنه أي حبسه وهو في القراءتين مبتدأ خبره ما بعده وقرأ رب بالضم و السجن بكسر السين والجر على الإضافة فرب حينئذ مبتدأ والخبر هو الخبر والمعنى على ما قيل : لقاء صاحب السجن أو مقاساة أمره أحب إلي أي آثر عندي لأن فيه مشقة قليلة نافدة إثرها راحات كثيرة أبدية مما يدعونني إليه من مواتاتها التي تؤدي إلى الشقاوة والعذاب الأليم وصيغة التفضيل ليست على بابها إذ ليس له عليه السلام شائبة محبة لما يدعونه إليه وإنما هو والسجن شران أهونهما وأقربهما إلى الإيثار السجن والتعبير عن الإيثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة لها على مطلوبها خوفا من الحبس والإقتصار على السجن لكون الصغار من مستتبعاته على ما قيل وقيل : إكتفى عليه السلام بذكر السجن عن ذكره لوفائه بالغرض وهو قطع طمعها عن المساعدة خوفا مما توعدته لأنها تظن أن السجن أشد عليه من الصغار بناءا على زعمها أنه فتاها حقيقة وأن الفتيان لا يشق عليهم ذلك مشقة السجن ومتى كان الأشد أحب إليه مما يدعونه إليه كان غير الأشد أحب إليه من باب أولى وفيه منع ظاهر وإسناد الدعوة إليهن لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها فقد روي أنهن قلن له : أطع

---

(١) روح المعاني، ٩٧/٣

مولاتك واقض حاجتها لتأمن من عقوبتها فإنها المظلومة وأنت الظالم وروي أن كلا منهن طلبت الخلوة لنصيحته فلما خلت به دعته إلى نفسها وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أن كل واحدة منهن أرسلت إليه سرا تسأله الزيارة فإسناد ذلك إليهن لأنهن أيضا دعونه إلى أنفسهن صريحا أو إشارة

وفي أثر ذكره القرطبي أنه عليه السلام لما قال : رب السجن أحب إلي إلخ أوحى الله تعالى إليه : يا يوسف أنت جنيت على نفسك ولو قلت : العافية أحب إلي عوفيت ولذلك رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على من كان يسأل الصبر فقد روى الترمذي عن معاذ بن جبل عنه عليه الصلاة و السلام أنه سمع رجلا وهو يقول : اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : سألت الله تعالى البلاء فاسأله العافية

وإلا تصرف أي وإن لم تدفع عني كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه لدي بأن تثبتني على ما أنا عليه من العصمة والعفة أصب إليهن أي أمل على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية إلى إجابتهن بمواتاتها أو إلى أنفسهن وهو كناية عن مواتاتهن وهذا فزع منه عليه السلام إلى ألطاف الله تعالى جريا على سنن الأنبياء عليهم السلام والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله تعالى وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ومبالغة في إستدعاء لطفه سبحانه في صرف كيدهن بإظهار أنه لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث : أدركني وإلا هلكت لا أنه عليه السلام يطلب الإجبار الإلجاء إلى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه إلى السوء كذا قرره المولى أبو السعود **وهو معنى لطيف وقد** أخذه من كلام الزمخشري لكن قال القطب وغيره : إنه فرار إلى الإعتزال وإشارة إلى جواب إستدلال الأشاعرة بهذه الآية على أن العبد لا ينصرف عن المعصية إلا إذا صرفه الله تعالى وقد قرر ذلك الإمام بما قرره فليراجع وليتأمل وأصل إلا إن لا فهي مركبة من إن الشرطية ولا النافية كما أشرنا إليه وقد أدغمت فيه النون باللام و أصب من صبا يصبوا وصبوة إذا مال إلى الهوى ومنه الصبا للريح المخصوصة لأن النفوس تميل إليها لطيب نسيمها وروحها مضارع مجزوم على أنه جواب الشرط والجملة الشرطية عطف على قوله : السجن أحب وجيء بالأولى إسمية دون الثانية لأن أحبيته السجن مما يدعونه إليه كانت ثابتة مستمرة ولا كذلك الصرف المطلوب وقريء أصب من صبيت صبابة ." (١)

" فلام للغيب للتقوية والمراد حافظين الغيب واسئل القرية التي كنا فيها يعنون كما روى عن ابن عباس وقتادة والحسن مصر وقيل : قرية بقربها لحقهم المنادى بها والأول ظاهر على القول بأن المفتش لهم يوسف عليه السلام والثاني الظاهر على القول بأنه المؤذن وسؤال القرية عبارة عن سؤال أهلها إما مجازا في القرية لاطلاقها عليها بعلاقة الحالية والمحلية أو في النسبة أو يقدر فيه مضاف وهو مجاز أيضا عند سيبويه وجماعة وفي المحصول وغيره أن الاضمار والمجاز متباينان ليس أحدهما قسما من الآخر والأكثرون على المقابلة بينهما وأياما كان فالمسؤل عنه محذوف للعلم به وحاصل المعنى أرسل من تثق به إلى أهل القرية واسألهم عن القصة والعير التي أقبلنا فيها أي أصحابها الذين توجهنا فيهم وكنا معهم فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل : من أهل صنعاء والكلام هنا في التجوز والاضمار كالكلام سابقا

---

(١) روح المعاني، ١٢/٢٣٥

وقيل : لاتجوز ولا اضمار في الموضعين والمقصود احالة تحقيق الحال والاطلاع على كنه القصة على السؤال من الجمادات والبهائم أنفسها بناء على أنه عليهم السلام نبي فلا يبعد أن تنطق وتخبره بذلك على خرق العادة وتعقب بأنه مما لاينبغي أن يكون مرادا ولا يقتضيه المقام لأنه ليس بصدد اظهار المعجزة وقال بعض الأجلة : الأولى ابقاء القرية والعبر على ظاهرهما وعدم اضمار مضاف اليهما ويكون الكلام مبنيا على دعوى ظهور الامر بحيث أن الجمادات والبهائم قد علمت به وقد شاع مثل ذلك في الكلام قديما وحديثا ومنه قول ابن الدمينة : سل القاعة الوعسا من الاجرع الذي به البان هل حييت اطلال دارك وقوله : سلوا مضجعي عني وعنها فاننا رضينا بما يخبرن عنا المضاجع وقوله : واسأل نجوم الليل هل زار الكرى جفني وكيف يزور من لم يعرف ولا يخفى أن مثل هذا لايخلو عن ارتكاب مجاز نعم **هو معنى لطيف بيد** أن الجمهور على خلافه وأكثرهم على اعتبار مجاز الحذف وإنا لصادقون

٢٨

– فيما أخبرناك به وليس المراد اثبات صدقهم بما ذكر حتى يكون مصادرة بل تأكيد صدقهم بما يفيد ذلك من الاسمية وإن واللام وهو مراد من قال : إنه تأكيد في محل القسم ويحتمل على ماقيل أن يريد أن هنا قسما مقدرا وقيل : المراد الاثبات ولا مصادرة على معنى أنا قوم عادتنا الصدق فلا يكون ماأخبرناك به كذبا ولا نظنك في مرية من عدم قبوله قال أي أبوهم عليه السلام وهو استئناف مبني على سؤال نشأ مما سبق فكأنه قيل : فماذا كان عند قول ذلك القائل للأخوة ما قال فقيل : قال أبوهم عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا : بل سولت لكم أنفسكم أمرا وانما حذف للايذان بأن مسارعتهم الى قبول كلام ذلك القائل ورجوعهم به الى أبيهم أمر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جوابه يروى أنهم لما عزموا على الرجوع الى أبيهم قال لهم يوسف عليه السلام : اذا أتيتم أباكم فاقرؤا عليه السلام وقولوا له : ان ملك مصر يدعو لك ان لاتموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم أن في أرض مصر صديقين مثله فساروا حتى وصلوا اليه فأخبروه بجميع ما كان فبكى وقال ما قال وبل للأضراب ." (١)

" سكانهم للزراعة ولما قال : عند بيتك المحرم أثبت انه مكان عبادة فلما قال : ليقيموا أثبت أن الاقامة عنده عبادة وقد نفى كونها للكسب فجاء الحصر مع مافي ربنا من الاشارة الى أن ذلك هو المقصود

وعن مالك أن التعليل يفيد الحصر فقد استدل بقوله تعالى : لتركبوها على حرمة أكلها وفي الكشف ان استفادة الحصر من تقدير محذوف مؤخر يتعلق به الجار والمجرور أي ليقوموا أسكنتهم هذه الاسكان أخبر أولا أنه أسكنهم بواد قفر فأدمج فيه حاجتهم الى الوافدين وذكر وجه الايثار لشرف الجوار بقوله : عند بيتك المحرم ثم صرح ثانيا بأنه انما آثر ذلك ليعمروا حرمك المحرم وبنى عليه الدعاء الآتي ومن الدليل على أنه غير متعلق بالمذكور تخلل ربنا ثانيا بين الفعل ومتعلقه وهذا بين ولا وجه لاستفادة ذلك من تكرار ربنا الا من هذا الوجه اه واختار بعضهم ماذكرناه أولا في وجه الاستفادة وقال : **انه معنى لطيف ولا** ينافيه الفصل بالنداء لأنه اعتراض لتأكيد الاول وتذكيره فهو كالمنبه عليه فلا حاجة الى تعلق الجار والمجرور بمحذوف مؤخر واستفادة الحصر من ذلك وهو الذي ينبغي أن يعول عليه ويجعل النداء مؤكدا للاول يندفع ماقيل : إن

---

(١) روح المعاني، ٣٨/١٣

النداء له صدر الكلام فلا يتعلق مابعده بما قبله فلا بد من تقدير متعلق ووجه الاندفاع ظاهر وقيل : اللام لام الامر والفعل مجزوم بها والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها ولا يخفى بعده وأبعد منه ماقاله أبو الفرج بن الجوزي : ان اللام متعلقة بقوله : اجنبني وبني أن نعبد الاصنام وفي قوله : ليقيموا بضمير الجمع على مافي البحر دلالة على أن الله تعالى أعلمه بأن ولده اسماعيل عليه السلام سيعقب هنالك ويكون له نسل فاجعل أفئدة من الناس أي افئدة من أفئدتهم تهوي إليهم أي تسرع اليهم شوقا ووددا فمن للتبعيض ولذا قيل : لو قال عليه السلام : أفئدة الناس لأزدحمت عليهم فارس والروم وهو مبني على الظاهر من اجابة دعائه عليه السلام وكون الجمع المضاف يفيد الاستغراق وروى عن ابن جبير انه قال : لو قال عليه السلام : أفئدة الناس لحجت البيت اليهود والنصارى

وتعقب بأنه غير مناسب للمقام اذا المسؤول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لاتوجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوى اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكى بعبارة أخرى اه وأنت تعلم انه لا منافاة بين الشرطية في المروي وكون المسؤول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم وقد جاء نحو ذلك تلك الشرطية عن ابن عباس ومجاهد كما في الدر المنثور وغيره على أن بعضهم جعل هذا دعاء بتوجيه القلوب الى البيت

فقد أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحكم قال : سألت عكرمة وطاوسا وعطاء ابن أبي رباح عن هذه الآية فاجعل الى آخره فقالوا : البيت تهوى اليه قلوبهم ياتونه وفي لفظ قالوا : هواهم الى مكة ان يحجوا نعم هو خلاف الظاهر وجوز أن تكون من للابتداء كما في قولك : القلب منه سقيم تريد قلبه فكأنه قيل : أفئدة ناس واعترضه أبو حيان بأنه لايظهر كونها للابتداء لأنه لافعل هنا يبتدأ فيه لغاية ينتهي اليها اذ لايصح ابتداء جعل أفئدة من الناس وتعقبه بعض الاجلة بقوله : وفيه بحث فان فعل الهوى للأفئدة يبتدأ به لغاية ينتهي اليها ألا يرى الى قوله : اليهم وفيه تأمل اه وكأن فيه اشارة الى ماقيل : من أن الابتداء في من الابتدائية إنما هو من متعلقها لا مطلقا وان جعلناها متعلقة بتهوى لايظهر لتأخيره ولتوسيط الجار فائدة وذكر مولانا الشهاب في توجيه الابتداء وترجيحه على التبعيض كلاما لايخلو ". (١)

" على نحو ما تقدم أي أموال كثيرة من الذهب والفضة والحيوان وغيرها وبذلك فسره ابن عباس وقتادة وغيرهما وقال مجاهد يراد به الذهب والفضة خاصة وقرأ الأعمش وأبو رجاء وأبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم تخفيفا هنا وفيما بعد والمعنى على ما سمعت وقرأ أبو رجاء في رواية ثمر بالفتح والسكون

وفي مصحف أبي وحمل على التفسير وآتيناه ثمرا كثيرا فقال لصاحبه المؤمن والمراد بالصاحب المعنى اللغوي فلا ينافي هذا العنوان القول بأنهما كانا أخوين خلافا لمن وهم وهو أي القائل يحاوره أي يحاور صاحبه فالجملة في موضع الحال من القائل والمحاورة مراجعة الكلام من حار إذا رجع أي يراجعه الكلام في إنكاره البعث وإشراكه بالله تعالى وجوز أن تكون الجملة حالا من صاحبه فضمير هو عائد عليه وضمير صاحبه عائد على القائل أي والصاحب المؤمن يراجع بالوعظ والدعوة إلى الله عز و جل ذلك الكافر القائل له أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ٤٣ حشما وأعوانا وقيل : أولادا ذكورا وروي

---

(١) روح المعاني، ٢٣٨/١٣

ذلك عن قتادة ومقاتل وأيد بمقابلته بأقل منك مالا وولدا وتخصيص الذكور لأنهم الذين ينفرون معه لمصالحه ومعاونته وقيل : عشيرة ومن شأنهم أنهم ينفرون مع من هو منهم واستدل بذلك على أنه لم يكن أخاه لأن العشيرة مشتركة بينهما وملتزم الأخوة لا يفسر بذلك ونصب مالا ونفرا على التمييز وهو على ما قيل محول عن المبتدأ والظاهر أن المراد من أفعل التفضيل معناه الحقيقي وحينئذ يرد بذلك ما في بعض الروايات من أن الأخ المؤمن بقي بعد التصدق بماله فقيرا محتاجا فسأل أخاه الكافر ولم يعطه ووبخه على التصدق ودخل جنته أي كل ما هو جنة له يتمتع بها بناءا على أن الإضافة للإستغراق والعموم فتفيد ما أفادته التثنية مع زيادة وهي الإشارة إلى أنه لا جنة له غير ذلك ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون وإلى هذا ذهب الزمخشري **وهو معنى لطيف دق** تصوره على أبي حيان فتعقبه بما تعقبه واختار أن الأفراد لأن الدخول لا يمكن أن يكون في الجنتين معا في وقت واحد وإنما يكون في واحدة واحدة وهو خال عما أشير إليه من النكتة

وكذا ما قيل إن الأفراد لاتصال أحدهما بالأخرى وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في قوله تعالى جعلنا لأحدهما جنتين الخ الجنة البستان فكان له بستان واحد وجدار واحد وكان بينهما نهر فلذلك كان جنتين وسماه سبحانه جنة من قبل الجدار المحيط به وهو كما ترى والذي يدل عليه السياق والمحاورة أن المراد ودخل جنته مع صاحبه وهو ظالم لنفسه جملة حالية أي وهو ضار لنفسه بكفره حيث عرضها للهلاك وعرض نعمتها للزوال أو واضع الشيء في غير موضعه حيث كان اللائق به الشكر والتواضع لا ما حكى عنه

قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال إذ ذاك فقيل له : ما أظن أن تبيد أي تهلك وتفنى ويقال بادبيد بيدا وبيودا وبيدودة إذا هلك هذه أي الجنة أبدا ٣٥ أي طول الحياة فالمراد بالتأبيد طول المكث لا معناه المتبادر وقيل يجوز أن يكون أراد ذلك لأنه لجهله وإنكاره قيام الساعة ظن عدم فناء نوعها وإن فنى كل شخص من أشجارها نحو ما يقوله الفلاسفة القائلون بقدم العالم في الحركات الفلكية وليس بشيء وقيل ما قصد إلا أن هذه الجنة المشاهدة ." (١)

" روي عن أبي زيد أنه حملت زوجته عليه السلام أصبح لا يستطيع أن يكلم أحدا وهو مع ذلك يقرأ التوراة فإذا أراد مناداة أحد لم يطقها ثلاث ليال مع أيامهن للتصريح بالأيام في سورة ءال عمران والقصة واحدة والعرب تتجوز أو تكتفي بأحدهما عن الآخر كما ذكره السيرافي والنكتة في الاكتفاء بالليالي هنا وبالأيام ثمة على ما قيل أن هذه السورة مكية سابقة النزول وتلك مدنية والليالي عندهم سابقة على الأيام لأن شهورهم وسنيهم قمرية إنما تعرف بالأهلة ولذلك اعتبروها في التاريخ كما ذكره النحاة فأعطى السابق للسابق والليالي جمع ليل على غير قياس كأهل وأهال أو جمع ليلاة ويجمع أيضا على ليائل

سويا ١٠ حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الإعجاز وخرق العادة لا لاعتقال اللسان بمرض أي يتعذر عليك تكليمهم ولا تطيقه حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس وهذا ما عليه الجمهور وعن ابن عباس أن سويا عائد على الليالي أي كاملات مستويات فيكون صفة لثلاث وقرأ ابن أبي عبلة وزيد بن

---

(١) روح المعاني، ٢٧٥/١٥

علي رضي الله تعالى عنهما أن لا تكلم بالرفع على أن أن المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أي أنه لا تكلم فخرج على قومه من المحراب أي من المصلى كما روي عن ابن زيد أو من الغرفة كما قيل وأصل المحراب كما قال الطبرسي : مجلس الأشراف الذي يحارب دونه ذبا عن أهله ويسمى محل العبادة محرابا لما أن العابد كالمحارب للشيطان فيه وإطلاق المحراب على المعروف اليوم في المساجد لذلك وهو محدث لم يكن على عهد رسول الله وقد ألف الجلال السيوطي في ذلك رسالة صغيرة سماها إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب روى أن قومه كانوا من وراء المحراب ينتظرون أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم متغيرا لونه فأنكروه وقالوا : مالك فأوحى إليهم أي أومأ إليهم وأشار كما روي عن قتادة وابن منبه والكلبي والقرطبي وهو إحدى الروايتين عن مجاهد ويشهد له قوله تعالى إلا رمزا وروي عن ابن عباس كتب لهم على الأرض أن سبحوا بكرة وعشيا ١١ وهو الرواية الأخرى عن مجاهد لكن بلفظ على التراب بدل على الأرض وقال عكرمة : كتب على ورقة وجاء إطلاق الوحي على الكتابة في كلام العرب ومنه قول عنترة : كوحي صحائف من عهد كسرى فأهداها لأعجم طمطمي وقول ذي الرمة : سوى الأربع الدهم اللواتي كأنها بقية وحي في بطون الصحائف و أن إما مفسرة أو مصدرية فتقدر قبلها الباء الجارة والمراد بالتسبيح الصلاة مجازا بعلاقة الاشتمال وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وجماعة و بكرة وعشيا ظرفا زمان له والمراد بذلك كما أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية صلاة الفجر وصلاة العصر وقال بعض : التسبيح على ظاهره وهو التنزيه أي نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله عليه السلام كان مأمورا بأن يسبح شكرا ويأمر قومه

وقال صاحب التحرير والتحبير : عندي في هذا معنى لطيف وهو أنه إنما خص التسبيح بالذكر لأن العادة جارية أن كل من رأى أمرا عجب منه أو رأى فيه بديع صنعة أو غريب حكمة يقول : سبحان الله تعالى سبحان الخالق جل جلاله فلما رأى حصول الولد من شيخ عاقر عجب من ذلك فسبح وأمر بالتسبيح ا هـ ." (١)

" عن ذلك إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها اليه عليه السلام وفرح افتخار وامتنان واعتداد بها وفائدة الاضراب التنبيه على أن امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع أنه لاقدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل : وينبيء عن اعتدادهم بتلك الهدية التنكير في قول بلقيس : وإني مرسلة اليهم بهدية بعد عدها إياه عليه السلام ملكا عظيما

وكذا ما تقدم في خبر وهب وغيره من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وقيل : فرحهم بما أهدوه اليه عليه السلام من حيث توقعهم به ما هو أزيد منه فان الهدايا للعظماء قد تفيد ما هو أزيد منها مالا أو غيره كمنع تخريب ديارهم هنا وقيل : الكلام كناية عن الرد والمعنى أنتم من حقكم تفرحوا بأخذ الهدية لا أنا فخذوها وافرحوا وهو معنى لطيف إلا أن فيه خفاء ارجع أمر للرسول ولم يجمع الضمير كما جمعه فيما تقدم من قوله : أتمدونني الخ لاختصاص الرجوع به بخلاف الامداد نحوه وقيل : هو أمر للهدهد محملا كتابا آخر وأخرج ذلك ابن أبي حاتم عن زهير بن زهير

---

(١) روح المعاني، ٧١/١٦

وتعقب بأنه ضعيف دراية ورواية وقرأ عبد الله ارجعوا على أنه أمر للمرسلين والفعل هنا لازم أي انقلب وانصرف اليهم أي إلى بلقيس وقومها فلنأتينهم أي فوالله لنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها أي لاطاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وأصل القبل المقابلة فجعل مجازا أو كناية عن الطاقة والقدرة عليها وقرأ عبد الله بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها أي من سبأ أذلة أي حال كونهم أذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى : وهم صاغرون

٧٣

– حال أخرى والصغار وإن كان بمعنى الذل إلأ أن المراد به هنا وقوعهم في أسر واستعباد فيفيد الكلام أن إخراجهم بطريق الاسر لابطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل : ارجع اليهم فليأتوني مسلمين وإلا فلنأتينهم الخ

قال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين

٨٣

– في الكلام حذف أي فرجع الرسول اليها وأخبرها بما أقسم عليه سليمان فتجهزت للمسير اليه إذ علمت أنه نبي ولا طاقة لها بقتاله فروي أنها أمرت عند خروجها فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في جوف بعض في آخر قصر من قصورها وغلقت الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه وتوجهت إلى سليمان في أقيالها وأتباعهم وأرسلت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك قال عبد الله بن شداد : فلما كانت على فرسخ من سليمان قال : أيكم يأتيني بعرشها

وعن ابن عباس كان سليمان مهيبا لايبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه فقال : ماهذا فقالوا : بلقيس فقال : أيكم الخ ومعنى مسلمين على روي عنه طائعين وقال بعضهم : هو بمعنى مؤمنين واختلفوا في مقصوده عليه السلام من استدعائه عرشها فعن ابن عباس وابن زيد أنه عليه السلام استدعى ذلك ليريها القدرة التي هي من عند الله تعالى وليغرب عليها ومن هنا قال في الكشاف لعله ." (١)

"حصن أخو عيينة قدموا على إبل عجاف فقالوا: يا رسول الله ادع لنا ربك أن يغيثنا " فذكر الحديث وفيه: "فقال: اللهم اسق بلدك وبهيمك، وانشر بركتك. اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء " وفيه: "قال فلا والله ما نرى في السماء من قزعة ولا سحاب، وما بين المسجد وسلع من بناء " فذكر نحو حديث أنس بتمامه وفيه: "قال الرجل – يعني الذي سأله أن يستسقى لهم – هلكت الأموال " الحديث كذا في الأصل، والظاهر أن السائل هو خارجة المذكور لكونه كان كبير الوفد ولذلك سمي من بينهم والله أعلم. وأفادت هذه الرواية صفة الدعاء المذكور، والوقت الذي وقع فيه. قوله: "هلكت الأموال وانقطعت السبل" أي بسبب غير السبب الأول، والمراد أن كثرة الماء انقطع المرعى بسببها فهلكت المواشي من عدم الرعي،

---

(١) روح المعاني، ٢٠١/١٩

أو لعدم ما يكنها من المطر، ويدل على ذلك قوله في رواية سعيد عن شريك عند النسائي: "من كثرة الماء " وأما انقطاع السبل فلتعذر سلوك الطرق من كثرة الماء. وفي رواية حميد عند ابن خزيمة: "واحتبس الركبان " وفي رواية مالك عن شريك " تهدمت البيوت " وفي رواية إسحاق الآتية " هدم البناء وغرق المال". قوله: "فادع الله يمسكها" يجوز في يمسكها الضم والسكون، وللكشميهني هنا " أن يمسكها " والضمير يعود على الأمطار أو على السحاب أو على السماء، والعرب تطلق على المطر سماء، ووقع في رواية سعيد عن شريك " أن يمسك عنا الماء " وفي رواية أحمد من طريق ثابت " أن يرفعها عنا " وفي رواية قتادة في الأدب " فادع ربك أن يحبسها عنا. فضحك " وفي رواية ثابت " فتبسم " زاد في رواية حميد " لسرعة ملال ابن آدم". قوله: "فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه" تقدم الكلام عليه قريبا. قوله: "اللهم حوالينا" بفتح اللام وفيه حذف تقديره اجعل أو أمطر، والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور. قوله: "ولا علينا" فيه بيان للمراد بقوله: "حوالينا " لأنها تشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله: "ولا علينا". قال الطيبي: في إدخال الواو هنا معنى لطيف، وذلك أنه لو أسقطها لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط، ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر، فليست الواو مخلصة للعطف ولكنها للتعليل، وهو كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا عن الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك أنفا اهـ. قوله: "اللهم على الآكام" فيه بيان المراد بقوله: "حوالينا " والإكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد: جمع أكمة بفتحات، قال ابن البرقي: هو التراب المجتمع. وقال الداودي: هي أكبر من الكدية. وقال القزاز: هي التي من حجر واحد وهو قول الخليل. وقال الخطابي: هي الهضبة الضخمة، وقيل الجبل الصغير، وقيل ما ارتفع من الأرض. وقال الثعالبي: الأكمة أعلى من الرابية وقيل دونها. قوله: "والظراب" بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن. وقال القزاز: هو الجبل المنبسط ليس بالعالي. وقال الجوهري: الرابية الصغيرة. قوله: "والأودية" في رواية مالك " بطون الأودية " والمراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع به، قالوا: ولم تسمع أفعلة جمع فاعل إلا الأودية جمع واد وفيه نظر، وزاد مالك في روايته ورءوس الجبال. قوله: "فانقطعت" أي السماء أو السحابة الماطرة، والمعنى أنها أمسكت عن المطر على المدينة. وفي رواية مالك " فانجابت عن المدينة انجياب الثوب " أي خرجت عنها كما يخرج الثوب عن لابسه. وفي رواية سعيد عن شريك " فما هو إلا أن تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك تمزق السحاب حتى ما نرى منه شيئا " والمراد بقوله: "ما نرى منه شيئا " أي في." (١)

"الصاحب. الحديث الخامس قوله: "عن إسماعيل" هو ابن أبي خالد. قوله: "قلت لعبد الله بن أبي أوفى إلخ" هذا مما حمله التابعي عن الصحابي عرضا، وليس هذا من التلقين، لأن التلقين لا استفهام فيه وإنما يقول الطالب للشيخ قل حدثنا فلان بكذا فيحدث به من غير أن يكون عارفا به حديثه ولا بعدالة الطالب فلا يؤمن أن لا يكون ذلك الطالب ضابطا لذلك القدر فيدل على تساهل الشيخ، فلذلك عابوه على من فعله. قوله: "بشر النبي صلى الله عليه وسلم" هو استفهام محذوف الأداة. قوله: "قال نعم" في رواية مسلم: "بشر خديجة ببيت من قصب، قال نعم إلخ" ووقع في رواية جرير عن

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٥٠٥/٢

إسماعيل أنهم قالوا لعبد الله بن أبي أوفى" حدثنا ما قال لخديجة: قال: قال: بشروا خديجة" فذكر الحديث، هكذا تقدم في أبواب العمرة من البخاري. قوله: "من قصب" بفتح القاف والمهملة بعدها موحدة، قال ابن التين: المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف. قلت: عند الطبراني في"الأوسط" من طريق أخرى عن ابن أبي أوفى "يعني قصب اللؤلؤ"، وعنده في" الكبير" من حديث أبي هريرة"بيت من لؤلؤة مجوفة" وأصله في مسلم، وعنده في الأوسط" من حديث فاطمة قالت: قلت يا رسول الله أين أمي خديجة؟ قال: في بيت من قصب، قلت أمن هذا القصب؟ قال: لا من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت" قال السهيلي: النكتة في قوله: "من قصب" ولم يقل من لؤلؤ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع هذا الحديث انتهى. وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها. وأما قوله: "ببيت" فقال أبو بكر الإسكاف في"فوائد الأخبار": المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها، ولهذا قال: "لا نصب فيه": أي لم تتعب بسببه. قال السهيلي: لذكر **البيت معنى لطيف لأنها** كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي صلى الله عليه وسلم بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها. قال: وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر انتهى. وفي ذكر البيت معنى آخر، لأن مرجع أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ قالت أم سلمة"لما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي" الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها.

قوله: "لا صخب فيه ولا نصب" الصخب بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة: الصياح والمنازعة برفع الصوت، والنصب بفتح النون والمهملة بعدها موحدة التعب. وأغرب الداودي فقال: الصخب العيب، والنصب العوج. وهو تفسير لا تساعد عليه اللغة. وقال السهيلي: مناسبة نفي هاتين الصفتين – أعني المنازعة والتعب – أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعا فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها. قوله: "عن عمارة" هو ابن القعقاع. قوله: "عن أبي هريرة" في رواية مسلم عن ابن نمير عن ابن فضيل بهذا الإسناد" سمعت أبا هريرة". قوله: "أتى جبريل" في رواية سعيد بن كثير عند الطبراني." (١)

" ٤٨٦ – اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك إلى آخره قال الخطابي **فيه معنى لطيف وذلك** أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ١٣٨/٧

إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا آتي به وقيل لا أحيط به وقال مالك معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء فوكل ذلك إلى الله سبحانه المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه وكلما أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم مع أنه متعال عن القدر وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ ." (١)

"٩٥٧ – قوله : ( أن رجلا )

لم أقف على تسميته في حديث أنس ، وروى الإمام أحمد من حديث كعب بن مرة ما يمكن أن يفسر هذا المبهم بأنه كعب المذكور وسأذكر بعض سياقه بعد قليل ، وروى البيهقي في الدلائل من طريق مرسلة ما يمكن أن يفسر بأنه خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، ولكن رواه ابن ماجه من طريق شرحبيل بن السمط أنه " قال لكعب بن مرة : يا كعب حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله استسق الله عز وجل ، فرفع يديه فقال : اللهم اسقنا " الحديث . ففي هذا أنه غير كعب ، وسيأتي بعد أبواب في هذه القصة " فأتاه أبو سفيان " ومن ثم زعم بعضهم أنه أبو سفيان بن حرب ، وهو وهم لأنه جاء في واقعة أخرى كما سنوضحه إن شاء الله تعالى في " باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين " وقد تقدم في الجمعة من رواية إسحاق بن أبي طلحة عن أنس " أصاب الناس سنة – أي جدب – على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قام أعرابي " وسيأتي من رواية يحيى بن سعيد عن أنس " أتى رجل أعرابي من أهل البدو " وأما قوله في رواية ثابت الآتية في " باب الدعاء إذا كثر المطر " عن أنس " فقام الناس فصاحوا " فلا يعارض ذلك ، لأنه يحتمل أن يكونوا سألوه بعد أن سأل ، ويحتمل أنه نسب ذلك إليهم لموافقة سؤال السائل ما كانوا يريدونه من طلب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم ، وقد وقع في رواية ثابت أيضا عند أحمد " إذ قال بعض أهل المسجد " وهي ترجح الاحتمال الأول .

قوله : ( من باب كان وجاه المنبر ) )

بكسر واو وجاه ويجوز ضمها أي مواجهة ، ووقع في شرح ابن التين أن معناه مستدبر القبلة ، وهو وهم ، وكأنه ظن أن الباب المذكور كان مقابل ظهر المنبر ، وليس الأمر كذلك . ووقع في رواية إسماعيل بن جعفر " من باب كان نحو دار القضاء " وفسر بعضهم دار القضاء بأنها دار الإمارة ، وليس كذلك وإنما هي دار عمر بن الخطاب ، وسميت دار القضاء لأنها بيعت في قضاء دينه فكان يقال لها دار قضاء دين عمر ، ثم طال ذلك فقيل لها دار القضاء ذكره الزبير بن بكار بسنده إلى ابن عمر ، وذكر عمر بن شبة في " أخبار المدينة " عن أبي غسان المدني : سمعت ابن أبي فديك عن عمه كانت دار القضاء لعمر ، فأمر عبد الله وحفصة أن يبيعاها عند وفاته في دين كان عليه ، فباعوها من معاوية ، وكانت تسمى دار القضاء . قال ابن أبي فديك سمعت عمي يقول : إن كانت لتسمى دار قضاء الدين . قال وأخبرني عمي أن الخوخة

---

(١) شرح السيوطي على مسلم، ١٧٨/٢

الشارعة في دار القضاء غربي المسجد هي خوخة أبو بكر الصديق التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يبقى في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر " وقد صارت بعد ذلك إلى مروان وهو أمير المدينة ، فلعلها شبهة من قال إنها دار الإمارة فلا يكون غلطا كما قال صاحب المطالع وغيره ، وجاء في تسميتها دار القضاء قول آخر رواه عمر بن شبة في " أخبار المدينة " عن أبي غسان المدني أيضا عن عبد العزيز بن عمران عن راشد بن حفص عن أم الحكم بنت عبد الله عن عمتها سهلة بنت عاصم قالت : كانت دار القضاء لعبد الرحمن بن عوف وإنما سميت دار القضاء لأن عبد الرحمن بن عوف اعتزل فيها ليالي الشورى حتى قضي الأمر فيها فباعها بنو عبد الرحمن من معاوية بن أبي سفيان . قال عبد العزيز : فكانت فيها الدواوين وبيت المال ، ثم صيرها السفاح رحبة للمسجد . وزاد أحمد في رواية ثابت عن أنس " إني لقائم عند المنبر " فأفاد بذلك قوة ضبطه للقصة لقربه ، ومن ثم لم يرد هذا الحديث بهذا السياق كله إلا من روايته .

قوله : ( قائم يخطب )

زاد في رواية قتادة في الأدب " بالمدينة " .

قوله : ( فقال يا رسول الله )

هذا يدل على أن السائل كان مسلما فانتفى أن يكون أبا سفيان فإنه حين سؤاله لذلك كان لم يسلم كما سيأتي في حديث عبد الله بن مسعود قريبا .

قوله : ( هلكت الأموال )

في رواية كريمة وأبي ذر جميعا عن الكشميهني " المواشي " وهو المراد بالأموال هنا لا الصامت ، وقد تقدم في كتاب الجمعة بلفظ " هلك الكراع " وهو بضم الكاف يطلق على الخيل وغيرها ، وفي رواية يحيى بن سعيد الآتية " هلكت الماشية ، هلك العيال ، هلك الناس " وهو من ذكر العام بعد الخاص ، والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من الأقوات المفقودة بحبس المطر .

قوله : ( وانقطعت السبل )

في رواية الأصيلي " وتقطعت " بمثناة وتشديد الطاء ، والمراد بذلك أن الإبل ضعفت - لقلة القوت - عن السفر ، أو لكونها لا تجد في طريقها من الكلأ ما يقيم أودها ، وقيل المراد نفاد ما عند الناس من الطعام أو قلته فلا يجدون ما يحملونه يجلبونه إلى الأسواق . ووقع في رواية قتادة الآتية عن أنس " قحط المطر " أي قل ، وهو بفتح القاف والطاء وحكي بضم ثم كسر ، وزاد في رواية ثابت الآتية عن أنس " واحمرت الشجر " واحمرارها كناية عن يبس ورقها لعدم شربها الماء ، أو لانتثاره فتصير الشجر أعوادا بغير ورق . ووقع لأحمد في رواية قتادة " وأمحلت الأرض " وهذه الألفاظ يحتمل أن يكون الرجل قال كلها ، ويحتمل أن يكون بعض الرواة روى شيئا مما قاله بالمعنى لأنها متقاربة فلا تكون غلطا كما قال صاحب المطالع وغيره .

قوله : ( فادع الله يغيثنا )

أي فهو يغيثنا ، وهذه رواية الأكثر ، ولأبي ذر " أن يغيثنا " وفي رواية إسماعيل بن جعفر الآتية للكشميهني " يغثنا " بالجزم ، ويجوز الضم في يغيثنا على أنه من الإغاثة وبالفتح على أنه من الغيث ، ويرجح الأول قوله في رواية إسماعيل بن جعفر "

فقال اللهم أغثنا " ووقع في رواية قتادة " فادع الله أن يسقينا " وله في الأدب " فاستسق ربك " قال قاسم بن ثابت رواه لنا موسى بن هارون " اللهم أغثنا " وجائز أن يكون من الغوث أو من الغيث ، والمعروف في كلام العرب غثنا لأنه من الغوث ، وقال ابن القطاع : غاث الله عباده غيثا وغياثا سقاهم المطر ، وأغاثهم أجاب دعاءهم ، ويقال غاث وأغاث بمعنى ، والرباعي أعلى . وقال ابن دريد : الأصل غاثه الله يغوثه غوثا فأغيث ، واستعمل أغاثه ، ومن فتح أوله فمن الغيث ويحتمل أن يكون معنى أغثنا أعطنا غوثا وغيثا .

قوله : ( فرفع يديه ) )

زاد النسائي في رواية سعيد عن يحيى بن سعيد " ورفع الناس أيديهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون " وزاد في رواية شريك " حذاء وجهه " ولابن خزيمة من رواية حميد عن أنس " حتى رأيت بياض إبطيه " وتقدم في الجمعة بلفظ " فمد يديه ودعا " زاد في رواية قتادة في الأدب " فنظر إلى السماء " .

قوله : ( فقال : اللهم اسقنا )

أعاده ثلاثا في هذه الرواية ، ووقع في رواية ثابت الآتية عن أنس " اللهم اسقنا " مرتين ، والأخذ بالزيادة أولى ، ويرجحها ما تقدم في العلم أنه صلى الله عليه وسلم "كان إذا دعا دعا ثلاثا " .

قوله : ( ولا والله )

كذا للأكثر بالواو ، ولأبي ذر بالفاء ، وفي رواية ثابت المذكورة " وأيم الله " .

قوله : ( من سحاب )

أي مجتمع

( ولا قزعة )

بفتح القاف والزاي بعدها مهملة أي سحاب متفرق ، قال ابن سيده . القزع قطع من السحاب رقاق ، زاد أبو عبيد : وأكثر ما يجيء في الخريف .

قوله : ( ولا شيئا )

بالنصب عطفا على موضع الجار والمجرور أي ما نرى شيئا ، والمراد نفي علامات المطر من ريح وغيره .

قوله : ( وما بيننا وبين سلع )

بفتح المهملة وسكون اللام جبل معروف بالمدينة ، وقد حكي أنه بفتح اللام .

قوله : ( من بيت ولا دار )

أي يحجبنا عن رؤيته ، وأشار بذلك إلى أن السحاب كان مفقودا لا مستترا ببيت ولا غيره . ووقع في رواية ثابت في علامات النبوة قال " قال أنس : وإن السماء لفي مثل الزجاجة " أي لشدة صفائها ، وذلك مشعر بعدم السحاب أيضا .

قوله : ( فطلعت )

أي ظهرت )

( من ورائه )

أي سلع ، وكأنها نشأت من جهة البحر لأن وضع سلع يقتضي ذلك .

قوله : ( مثل الترس )

أي مستديرة ، ولم يرد أنها مثله في القدر لأن في رواية حفص بن عبيد الله عند أبي عوانة " فنشأت سحابة مثل رجل الطائر وأنا أنظر إليها " فهذا يشعر بأنها كانت صغيرة ، وفي رواية ثابت المذكورة " فهاجت ريح أنشأت سحابا ثم اجتمع " وفي رواية قتادة في الأدب " فنشأ السحاب بعضه إلى بعض " وفي رواية إسحاق الآتية " حتى ثار السحاب أمثال الجبال " أي لكثرته ، وفيه " ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته " وهذا يدل على أن السقف وكف لكونه كان من جريد النخل .

قوله : ( فلما توسطت السماء انتشرت )

هذا يشعر بأنها استمرت مستديرة حتى انتهت إلى الأفق فانبسطت حينئذ ، وكأن فائدته تعميم الأرض بالمطر .

قوله : ( ما رأينا الشمس سبتا )

كناية عن استمرار الغيم الماطر ، وهذا في الغالب ، وإلا فقد يستمر المطر والشمس بادية ، وقد تحجب الشمس بغير مطر . وأصرح من ذلك رواية إسحاق الآتية بلفظ " فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى " . وأما قوله " سبتا " فوقع للأكثر بلفظ السبت – يعني أحد الأيام – والمراد به الأسبوع ، وهو من تسمية الشيء باسم بعضه كما يقال جمعة قاله صاحب النهاية . قال : ويقال أراد قطعة من الزمان . وقال الزين بن المنير : قوله " سبتا " أي من السبت إلى السبت ، أي جمعة . وقال المحب الطبري مثله وزاد أن فيه تجوزا لأن السبت لم يكن مبدأ ولا الثاني منتهى ، وإنما عبر أنس بذلك لأنه كان من الأنصار وكانوا قد جاوروا اليهود فأخذوا بكثير من اصطلاحهم ، وإنما سموا الأسبوع سبتا لأنه أعظم الأيام عند اليهود ، كما أن الجمعة عند المسلمين كذلك . وحكى النووي تبعا لغيره كثابت في الدلائل أن المراد بقوله سبتا قطعة من الزمان ، ولفظ ثابت : الناس يقولون معناه من سبت إلى سبت وإنما السبت قطعة من الزمان . وأن الداودي رواه بلفظ " ستا " وهو تصحيف . وتعقب بأن الداودي لم ينفرد بذلك فقد وقع في رواية الحموي والمستملي هنا ستا ، وكذا رواه سعيد بن منصور عن الدراوردي عن شريك ، ووافقه أحمد من رواية ثابت عن أنس ، وكأن من ادعى أنه تصحيف استبعد اجتماع قوله ستا مع قوله في رواية إسماعيل بن جعفر الآتية سبعا ، وليس بمستبعد لأن من قال ستا أراد ستة أيام تامة ، ومن قال سبعا أضاف أيضا يوما ملفقا من الجمعتين . وقد وقع في رواية مالك عن شريك " فمطرنا من جمعة إلى جمعة " وفي رواية للنسفي " فدامت جمعة " وفي رواية عبدوس والقابسي فيما حكاه عياض " سبتنا " كما يقال جمعتنا ، ووهم من عزا هذه الرواية لأبي ذر ، وفي رواية قتادة الآتية " فمطرنا فما كدنا نصل إلى منازلنا " أي من كثرة المطر ، وقد تقدم للمصنف في الجمعة من وجه آخر بلفظ " فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا " ولمسلم في رواية ثابت " فأمطرنا حتى رأيت الرجل تهمه نفسه أن يأتي أهله " ولابن خزيمة في رواية حميد " حتى أهم الشاب القريب الدار الرجوع إلى أهله " وللمصنف في الأدب من طريق قتادة " حتى سالت مثاعب المدينة " ومثاعب جمع مثعب بالمثلثة وآخره موحدة مسيل الماء .

قوله : ( ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجملة المقبلة )

ظاهره أنه غير الأول ، لأن النكرة إذا تكررت دلت على التعدد ، وقد قال شريك في آخر هذا الحديث هنا " سألت أنسا : أهو الرجل الأول ؟ قال : لا أدري " وهذا يقتضي أنه لم يجزم بالتغاير ، فالظاهر أن القاعدة المذكورة محمولة على الغالب لأن أنسا من أهل اللسان وقد تعددت . وسيأتي في رواية إسحاق عن أنس " فقام ذلك الرجل أو غيره " وكذا لقتادة في الأدب ، وتقدم في الجمعة من وجه آخر كذلك ، وهذا يقتضي أنه كان يشك فيه ، وسيأتي من رواية يحيى بن سعيد فأتى الرجل فقال : يا رسول الله " . ومثله لأبي عوانة من طريق حفص عن أنس بلفظ " فما زلنا نمطر حتى جاء ذلك الأعرابي في الجمعة الأخرى " وأصله في مسلم ، وهذا يقتضي الجزم بكونه واحدا ، فلعل أنسا تذكره بعد أن نسيه ، أو نسيه بعد أن كان تذكره ، ويؤيد ذلك رواية البيهقي في " الدلائل " من طريق يزيد أن عبيدا السلمي قال " لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أتاه وفد بني فزارة وفيه خارجة بن حصن أخو عيينة قدموا على إبل عجاف فقالوا : يا رسول الله ادع لنا ربك أن يغيثنا " فذكر الحديث وفيه " فقال : اللهم اسق بلدك وبهيمك ، وانشر بركتك . اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء " وفيه " قال فلا والله ما نرى في السماء من قزعة ولا سحاب ، وما بين المسجد وسلع من بناء " فذكر نحو حديث أنس بتمامه وفيه " قال الرجل – يعني الذي سأله أن يستسقي لهم – هلكت الأموال " الحديث كذا في الأصل ، والظاهر أن السائل هو خارجة المذكور لكونه كان كبير الوفد ولذلك سمي من بينهم والله أعلم . وأفادت هذه الرواية صفة الدعاء المذكور ، والوقت الذي وقع فيه .

قوله : ( هلكت الأموال وانقطعت السبل )

أي بسبب غير السبب الأول ، والمراد أن كثرة الماء انقطع المرعى بسببها فهلكت المواشي من عدم الرعي ، أو لعدم ما يكنها من المطر ، ويدل على ذلك قوله في رواية سعيد عن شريك عند النسائي " من كثرة الماء " وأما انقطاع السبل فلتعذر سلوك الطرق من كثرة الماء . وفي رواية حميد عند ابن خزيمة " واحتبس الركبان " وفي رواية مالك عن شريك " تهدمت البيوت " وفي رواية إسحاق الآتية " هدم البناء وغرق المال " .

قوله : ( فادع الله يمسكها )

يجوز في يمسكها الضم والسكون ، وللكشميهني هنا " أن يمسكها " والضمير يعود على الأمطار أو على السحاب أو على السماء ، والعرب تطلق على المطر سماء ، ووقع في رواية سعيد عن شريك " أن يمسك عنا الماء " وفي رواية أحمد من طريق ثابت " أن يرفعها عنا " وفي رواية قتادة في الأدب " فادع ربك أن يحبسها عنا . فضحك " وفي رواية ثابت " فتبسم " زاد في رواية حميد " لسرعة ملال ابن آدم " .

قوله : ( فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ) )

تقدم الكلام عليه قريبا .

قوله : ( اللهم حوالينا )

بفتح اللام وفيه حذف تقديره اجعل أو أمطر ، والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور .

قوله : ( ولا علينا )

فيه بيان للمراد بقوله " حوالينا " لأنها تشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله " ولا علينا " . قال الطيبي : في إدخال الواو **هنا معنى لطيف** ، وذلك أنه لو أسقطها لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط ، ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر ، فليست الواو مخلصة للعطف ولكنها للتعليل ، وهو كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا عن الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك أنفا ا هـ .

قوله : ( اللهم على الآكام )

فيه بيان المراد بقوله " حوالينا " والإكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد : جمع أكمة بفتحات ، قال ابن البرقي : هو التراب المجتمع ، وقال الداودي : هي أكبر من الكدية . وقال القزاز : هي التي من حجر واحد وهو قول الخليل . وقال الخطابي : هي الهضبة الضخمة ، وقيل الجبل الصغير ، وقيل ما ارتفع من الأرض ، وقال الثعالبي : الأكمة أعلى من الرابية وقيل دونها .

قوله : ( والظراب )

بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن . وقال القزاز : هو الجبل المنبسط ليس بالعالي ، وقال الجوهري : الرابية الصغيرة .

قوله : ( والأودية )

في رواية مالك " بطون الأودية " والمراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع به ، قالوا : ولم تسمع أفعلة جمع فاعل إلا الأودية جمع واد وفيه نظر ، وزاد مالك في روايته ورءوس الجبال .

قوله : ( فانقطعت )

أي السماء أو السحابة الماطرة ، والمعنى أنها أمسكت عن المطر على المدينة ، وفي رواية مالك " فانجابت عن المدينة انجياب الثوب " أي خرجت عنها كما يخرج الثوب عن لابسه ، وفي رواية سعيد عن شريك " فما هو إلا أن تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك تمزق السحاب حتى ما نرى منه شيئا " والمراد بقوله " ما نرى منه شيئا " أي في المدينة ، ولمسلم في رواية حفص " فلقد رأيت السحاب يتمزق كأنه الملاء حين تطوى " والملاء بضم الميم والقصر وقد يمد جمع ملاءة وهو ثوب معروف ، وفي رواية قتادة عند المصنف " فلقد رأيت السحاب ينقطع يمينا وشمالا يمطرون - أي أهل النواحي - ولا يمطر أهل المدينة " وله في الأدب " فجعل السحاب يتصدع عن المدينة - وزاد فيه - يريهم الله كرامة نبيه وإجابة دعوته " وله في رواية ثابت عن أنس " فتكشطت - أي تكشفت - فجعلت تمطر حول المدينة ولا تمطر بالمدينة قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لمثل الإكليل " ولأحمد من هذا الوجه " فتقور ما فوق رءوسنا من السحاب حتى كأنا في إكليل " والإكليل بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شيء دار من جوانبه ، واشتهر لما يوضع على الرأس فيحيط به ، وهو من ملابس الملوك كالتاج ، وفي رواية إسحاق عن أنس " فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل

الجوبة " والجوبة بفتح الجيم ثم الموحدة وهي الحفرة المستديرة الواسعة ، والمراد بها هنا الفرجة في السحاب . وقال الخطابي : المراد بالجوبة هنا الترس ، وضبطها الزين بن المنير تبعا لغيره بنون بدل الموحدة ، ثم فسره بالشمس إذ ظهرت في خلال السحاب . لكن جزم عياض بأن من قاله بالنون فقد صحف . وفي رواية إسحاق من الزيادة أيضا " وسال الوادي – وادي قناة – شهرا ، وقناة بفتح القاف والنون الخفيفة علم على أرض ذات مزارع بناحية أحد ، وواديها أحد أودية المدينة المشهورة قاله الحازمي . وذكر محمد بن الحسن المخزومي في " أخبار المدينة " بإسناد له أن أول من سماه وادي قناة تبع اليماني لما قدم يثرب قبل الإسلام . وفي رواية له أن تبعا بعث رائدا ينظر إلى مزارع المدينة فقال : نظرت فإذا قناة حب ولا تبن ، والجرف حب وتبن ، والحرار – يعني جمع حرة بمهملتين – لا حب ولا تبن ا هـ . وتقدم في الجمعة من هذا الوجه " وسال الوادي قناة " وأعرب بالضم على البدل على أن قناة اسم الوادي ولعله من تسمية الشيء باسم ما جاوره . وقرأت بخط الرضي الشاطبي قال : الفقهاء تقوله بالنصب والتنوين يتوهمونه قناة من القنوات ، وليس كذلك ا هـ . وهذا الذي ذكره قد جزم به بعض الشراح وقال : هو على التشبيه . أي سال مثل القناة . وقوله في الرواية المذكورة " إلا حدث بالجود " هو بفتح الجيم المطر الغزير ، وهذا يدل على أن المطر استمر فيما سوى المدينة ، فقد يشكل بأنه يستلزم أن قول السائل " هلكت الأموال وانقطعت السبل " لم يرتفع الإهلاك ولا القطع وهو خلاف مطلوبه ، ويمكن الجواب بأن المراد أن المطر استمر حول المدينة من الإكام والظراب وبطون الأودية لا في الطرق المسلوكة ، ووقوع المطر في بقعة دون بقعة كثير ولو كانت تجاورها ، وإذا جاز ذلك جاز أن يوجد للماشية أماكن تكنها وترعى فيها بحيث لا يضرها المطر فيزول الإشكال .

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم جواز مكالمة الإمام في الخطبة للحاجة ، وفيه القيام في الخطبة وأنها لا تنقطع بالكلام ولا تنقطع بالمطر ، وفيه قيام الواحد بأمر الجماعة ، وإنما لم يباشر ذلك بعض أكابر الصحابة لأنهم كانوا يسلكون الأدب بالتسليم وترك الابتداء بالسؤال ، ومنه قول أنس ، "كان يعجبنا أن يجيء الرجل من البادية فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم " وسؤال الدعاء من أهل الخير ومن يرجى منه القبول وإجابتهم لذلك ، ومن أدبه بث الحال لهم قبل الطلب لتحصيل الرقة المقتضية لصحة التوجه فترجى الإجابة عنده ، وفيه تكرار الدعاء ثلاثا ، وإدخال دعاء الاستسقاء في خطبة الجمعة والدعاء به على المنبر ولا تحويل فيه ولا استقبال ، والاجتزاء بصلاة الجمعة عن صلاة الاستسقاء ، وليس في السياق ما يدل على أنه نواها مع الجمعة ، وفيه علم من أعلام النبوة في إجابة الله دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام عقبه أو معه ابتداء في الاستسقاء وانتهاء في الاستصحاء وامتثال السحاب أمره بمجرد الإشارة ، وفيه الأدب في الدعاء حيث لم يدع برفع المطر مطلقا لاحتمال الاحتياج إلى استمراره فاحترز فيه بما يقتضي رفع الضرر وبقاء النفع ، ويستنبط منه أن من أنعم الله عليه بنعمة لا ينبغي له أن يتسخطها لعارض يعرض فيها ، بل يسأل الله رفع ذلك العارض وإبقاء النعمة . وفيه أن الدعاء برفع الضرر لا ينافي التوكل وإن كان مقام الأفضل التفويض لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بما وقع لهم من الجدب ، وأخر السؤال في ذلك تفويضا لربه ، ثم أجابهم إلى الدعاء لما سألوه في ذلك بيانا للجواز وتقرير السنة في هذه العبادة الخاصة ، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة نفع الله به . وفيه جواز تبسم الخطيب على المنبر تعجبا من أحوال الناس ، وجواز الصياح في المسجد بسبب الحاجة المقتضية لذلك . وفيه اليمين لتأكيد الكلام ، ويحتمل أن يكون ذلك جرى على لسان أنس بغير قصد اليمين ، واستدل به على جواز الاستسقاء بغير صلاة مخصوصة ، وعلى أن الاستسقاء لا تشرع فيه

صلاة ، فأما الأول فقال به الشافعي وكرهه سفيان الثوري ، وأما الثاني فقال به أبو حنيفة كما تقدم ، وتعقب بأن الذي وقع في هذه القصة مجرد دعاء لا ينافي مشروعية الصلاة لها ، وقد بينت في واقعة أخرى كما تقدم ، واستدل به على الاكتفاء بدعاء الإمام في الاستسقاء قاله ابن بطال ، وتعقب بما سيأتي في رواية يحيى بن سعيد " ورفع الناس أيديهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون " وقد استدل به المصنف في الدعوات على رفع اليدين في كل دعاء . وفي الباب عدة أحاديث جمعها المنذري في جزء مفرد وأورد منها النووي في صفة الصلاة في شرح المهذب قدر ثلاثين حديثا ، وسنذكر وجه الجمع بينها وبين قول أنس "كان لا يرفع يديه إلا في الاستسقاء " بعد أربعة عشر بابا إن شاء الله تعالى . وفيه جواز الدعاء بالاستصحاء للحاجة ، وقد ترجم له البخاري بعد ذلك .." (١)

"٣٥٣٥ - قوله : ( عن إسماعيل )

هو ابن أبي خالد .

قوله : ( قلت لعبد الله بن أبي أوفى إلخ )

هذا مما حمله التابعي عن الصحابي عرضا ، وليس هذا من التلقين ؛ لأن التلقين لا استفهام فيه وإنما يقول الطالب للشيخ قل حدثنا فلان بكذا فيحدث به من غير أن يكون عارفا بحديثه ولا بعدالة الطالب فلا يؤمن أن لا يكون ذلك الطالب ضابطا لذلك القدر فيدل على تساهل الشيخ ، فلذلك عابوه على من فعله .

قوله : ( بشر النبي صلى الله عليه وسلم )

هو استفهام محذوف الأداة .

قوله : ( قال نعم )

في رواية مسلم " بشر خديجة ببيت من قصب ، قال نعم إلخ " ووقع في رواية جرير عن إسماعيل أنهم قالوا لعبد الله بن أبي أوفى " حدثنا ما قال لخديجة : قال : قال : بشروا خديجة " فذكر الحديث ، هكذا تقدم في أبواب العمرة من البخاري .

قوله : ( من قصب )

بفتح القاف والمهملة بعدها موحدة ، قال ابن التين : المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف . قلت : عند الطبراني في " الأوسط " من طريق أخرى عن ابن أبي أوفى " يعني قصب اللؤلؤ " ، وعنده في " الكبير " من حديث أبي هريرة " بيت من لؤلؤة مجوفة " وأصله في مسلم ، وعنده في الأوسط " من حديث فاطمة قالت : قلت يا رسول الله أين أمي خديجة ؟ قال : في بيت من قصب ، قلت أمن هذا القصب ؟ قال : لا من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت " قال السهيلي : النكتة في قوله : " من قصب " ولم يقل من لؤلؤ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ، ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع هذا الحديث انتهى . وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه ، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها ، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن ، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها . وأما قوله : " ببيت " فقال أبو بكر الإسكاف في " فوائد الأخبار " : المراد به بيت زائد على

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٤٨/٣

ما أعد الله لها من ثواب عملها ، ولهذا قال : " لا نصب فيه " أي لم تتعب بسببه . قال السهيلي : لذكر البيت معنى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به ، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي صلى الله عليه وسلم بيت إسلام إلا بيتها ، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها . قال : وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه ، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر انتهى . وفي ذكر البيت معنى آخر ؛ لأن مرجع أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إليها ، لما ثبت في تفسير قوله تعالى : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ) قالت أم سلمة " لما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي " الحديث أخرجه الترمذي وغيره ، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة ، لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها ، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها ، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها .

قوله : ( لا صخب فيه ولا نصب )

الصخب بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة : الصياح والمنازعة برفع الصوت ، والنصب بفتح النون والمهملة بعدها موحدة التعب . وأغرب الداودي فقال : الصخب العيب ، والنصب العوج ، وهو تفسير لا تساعد عليه اللغة . وقال السهيلي : مناسبة نفي هاتين الصفتين – أعني المنازعة والتعب – أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعا فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك ، بل أزالت عنه كل نصب ، وآنسته من كل وحشة ، وهونت عليه كل عسير ، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها .." (١)

"٥٧١٥ – قوله : ( ويقولون الكرم إنما الكرم قلب المؤمن )

هكذا وقع في هذه الرواية من طريق سفيان بن عيينة قال حدثنا الزهري عن سعيد ، ووقع في الباب الذي قبله من رواية معمر عن الزهري عن أبي سلمة بلفظ " لا تسموا العنب كرما " وهي رواية ابن سيرين عن أبي هريرة عند مسلم ، وعنده من طريق همام عن أبي هريرة " لا يقل أحدكم للعنب الكرم ، إنما الكرم الرجل المسلم " وله من حديث وائل بن حجر " لا تقولوا الكرم ، ولكن قولوا العنب والحبلة " قالوا وفي قوله في الباب " ويقولون " عاطفة على شيء حذف هنا وكأنه الحديث الذي قبله ، وقد أخرجه ابن أبي عمر في مسنده عن سفيان ومن طريقه الإسماعيلي فقال في أوله " يقولون " بغير واو أخرجه الحميدي في مسنده ومن طريقه أبو نعيم وذكره بالواو كما ذكره البخاري عن علي بن عبد الله ، وكذا أخرجه أحمد في مسنده عن سفيان ولكن قال فيه " عن أبي هريرة رفعه " وقال مرة " يبلغ به " وقال مرة " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " وأخرجه مسلم عن ابن أبي عمر وعمرو الناقد قالا حدثنا سفيان بهذا السند قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا كرم فإن الكرم قلب المؤمن " وقوله " ويقولون الكرم " هو مبتدأ وخبره محذوف أي يقولون الكرم شجر العنب . وقد أخرج الطبراني والبزار من حديث سمرة رفعه " إن اسم الرجل المؤمن في الكتب الكرم من أجل ما أكرمه الله على الخليقة ، وإنكم تدعون الحائط من العنب الكرم " الحديث قال الخطابي ما ملخصه : إن المراد بالنهي تأكيد تحريم

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٣٤/١١

الخمر بمحو اسمها ، ولأن في تبقية هذا الاسم لها تقريرا لما كانوا يتوهمونه من تكرم شاربها فنهى عن تسميتها كرما وقال : " إنما الكرم قلب المؤمن " لما فيه من نور الإيمان وهدى الإسلام ، وحكى ابن بطال عن ابن الأنباري أنهم سموا العنب كرما لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء وتأمر بمكارم الأخلاق حتى قال شاعرهم : والخمر مشتقة المعنى من الكرم وقال آخر : شققت من الصبى واشتق مني كما اشتقت من الكرم الكروم فلذلك نهى عن تسمية العنب بالكرم حتى لا يسموا أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم ، وجعل المؤمن الذي يتقي شربها ويرى الكرم في تركها أحق بهذا الاسم انتهى . وأما قول الأزهري : سمي العنب كرما لأنه ذلل لقاطفه وليس فيه سلاء يعقر جانيه ويحمل الأصل منه مثل ما تحمل النخلة فأكثر ، وكل شيء كثر فقد كرم ، فهو صحيح أيضا من حيث الاشتقاق لكن المعنى الأول أنسب للنهي . وقال النووي : النهي في هذا الحديث عن تسمية العنب كرما وعن تسمية شجرها أيضا للكراهية . وحكى القرطبي عن المازري أن السبب في النهي أنه لما حرمت عليهم الخمر وكانت طباعهم تحثهم على الكرم كره صلى الله عليه وسلم أن يسمى هذا المحرم باسم تهيج طباعهم إليه عند ذكره فيكون ذلك كالمحرك لهم ، وتعقبه بأن محل النهي إنما هو تسمية العنب كرما ، وليست العنبة محرمة ، والخمر لا تسمى عنبة بل العنب قد يسمى خمرا باسم ما يئول إليه . قلت : والذي قاله المازري موجه ؛ لأنه يحمل على إرادة حسم المادة بترك تسمية أصل الخمر بهذا الاسم الحسن ، ولذلك ورد النهي تارة عن العنب وتارة عن شجرة العنب فيكون التنفير بطريق الفحوى ؛ لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال في الحال بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة مما ينهى عنه فلأن ينهى عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أحرى . وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه : لما كان اشتقاق الكرم من الكرم ، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء لأن المؤمن خير الحيوان ، وخير ما فيه قلبه ؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله ، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان . قال : ويؤخذ منه أن كل خير – باللفظ أو المعنى أو بهما أو مشتقا منه أو مسمى به – إنما يضاف بالحقيقة الشرعية ؛ لأن الإيمان وأهله وإن أضيف إلى ما عدا ذلك فهو بطريق المجاز ، وفي تشبيه الكرم بقلب **المؤمن معنى لطيف** ؛ لأن أوصاف الشيطان تجري مع الكرمة كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم ، فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة ، كما أن من غفل عن عصير كرمه تخمر فتنجس . ويقوي التشبه أيضا أن الخمر يعود خلا من ساعته بنفسه أو بالتخليل فيعود طاهرا ، كذا المؤمن يعود من ساعته بالتوبة النصوح طاهرا من خبث الذنوب المتقدمة التي كان متنجسا باتصافه بها إما بباعث من غيره من موعظة ونحوها وهو كالتخليل ، أو بباعث من نفسه وهو كالتخلل . فينبغي للعاقل أن يتعرض لمعالجة قلبه لئلا يهلك وهو على الصفة المذمومة .

( تنبيه ) :

الحبلة المذكورة في حديث وائل عند مسلم بفتح المهملة وحكي ضمها وسكون الموحدة وبفتحها أيضا وهو أشهر : هي شجرة العنب ، وقيل أصل الشجرة ، وقيل القضيب منها . وقال في " المحكم " الحبل بفتحتين شجر العنب ، الواحدة حبلة ، وبالضم ثم السكون الكرم ، وقيل الأصل من أصوله ، وهو أيضا اسم ثمر السمر والعضاه .." (١)

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٨٢/١٧

"قال شهاب الدين – رحمه الله تعالى – : ليت شِعْري ، ولأي معنى خصَّ الزمخشري بهذا الاعتراض ، فإنه وَارِدٌ على أبي عَلِيّ أيضاً ؟ إذ لقائل أن يقول : التأنيثُ في " جَاءَتْ " لحمل على معنى " ما " وإنْ لها هي أيضاً لفظاً ومعنى مَثْل " مَنْ " ن على أنه يقال : للتأنيث عِلَّتانِ ، فذكر [إحداهما ، ورجَّح] أبو عُبيدة قراءة الأخويْ ن بقراءة أُبَيّ ، وابن مسعود : " وما كان فتنتهم إلاَّ أن قالوا " فلم يُلْحِق الفعل علامة تأنيثٍ ، ورجَّحها غيره بإجماعهم على نَصْبِ " حُجَّتهم " من قوله تبارك وتعالى : ﴿كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ﴾ [الجاثية : ٢٥].

وقرئ شاذاً " ثم لم يكن فتنتهم إلا أنه قالوا " بتذكير " يكنْ " ، ورفع " فتنتهم ".

ووجه شُذُوذِهَا سقوط علامةِ التأنيث ، والفاعل مؤنّث لَفْظاً ، وإن كان غير حَقيقيّ ، وجَعْلُ غير الأعْرَفِ اسماً ، والأعرف خبراً ، فهي خبراً ، فهي عَكْسُ القراءة الأولى ، من الطَّرَفَيْنِ ، و " أن قالوا " مما يجب تأخيره لِحصْرِهِ سواء أجُعِلَ اسماً أم خبراً.

فصل في معنى الفتنة في الآية معنى قوله : " فتنتهم " ، أي : قولهم وجوابهم.

وقال ابن عبَّاس ، وقتادة : معذرتهم ، والفِتْنَةُ التّجْرِبةُ ، فلمَّا كان سؤالهم تَجْرِبَةً لإظهار ما في قلوبهم قيل : فَتْنَة.

فصل في بيان لطيفة في الآية قال الزَّجَّاج – رحمه الله – " لم تَكُنْ فتنتهم " **معنى لَطِيفٌ** ، وذلك لأنَّ الله – تبارك وتعالى – بيَّن أنَّ المشركين مَفْتُونُونَ بِشِرْكِهِمْ متهالكين على حبّه ، فأعلم

٧٤

في هذه الآية الكريمة أنه لم يَكُنْ افتتانهم بشركهم ، وإقامتهم عليه إلاَّ أن تَبَرَّأوا عنه وتباعَدُوا ، فَحَلفُوا أنهم ما كانوا مشركين ، ومثاله أن ترى إنساناً ما يُحِبُّ طريقةً مذمومة ، فإذا وقع في فِتْنَةٍ بسببه تَبَرَّأَ منه ، فيقال له : " ما كانت محبتك لفلان إلاَّ أن فَرَرْتَ منه " ، فالمُرَادُ بالفتنة هنا افْتِتَانُهُمْ بالأوْثَانِ ، ويتأكد بما روى عَطَاءٌ عن ابن عباس أنه قال : " لم تكن فتنتهم " معناه : شركهم في الدنيا ، وهذا القولُ راجعٌ إلى حذف المضاف ؛ لأن المعنى ثُمَّ لم تكن عَاقِبَةُ أمرهم فتنتهم إلاَّ البَرَاءة.

قوله : " واللَّهِ رَبِّنَا " قرأ الأخوان : " ربَّنا " نَصْباً ، والباقون جراً.

ونصبه : إمَّا على النِّداء ، وإمَّا على النِّداء ، وإمَّا على المَدْح ، قاله ابن عطيَّة – رحمه الله – وإمَّا على إضْمَار " أعني " ، قاله أبو البقاء ، والتقدير : يا ربنا.

وعلى كُلِّ تقدير فالجملة مُعْتَرَضَةٌ بين القسم وجوابه ، وهو قوله ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وخفضه من ثلاثة أوجه : النعت ، والبدل ، وعطف البَيان.

وقرأ عكرمة ، وسلام بن مسكين : " واللَّهُ رَبُّنا " برفعهما على المبتدأ والخبر.

قال ابن عطية : " وهذا على تَقديمٍ وتأخيرٍ ، كأنهم قالوا : واللَّهِ ما كُنَّا مشركين واللَّهُ ربُّنا " يعني : أن ثَمَّ قَسَماً مُضْمَراً.

فصل في الكلام على الآية ظاهرُ الآية الكريمة يقتضي أنهم حَلَفُوا في القيامة أنهم كانوا مشركين ، وهذا يقتضي إقْدَامَهُمْ على الكذب يوم القيامة ، وللناس فيه قولان : الأول : وهو قول أبي عباس على الجبائي والقاضي – : أنه أهل القيامة لا يجوز إقدامهم على الكذب واحتج عليه بوجوه : الأول : أن أهل القيامة يعرفون الله بالاضطرار وأنهم لو عرفوه بالاستدلال

لصار موقف القيامة دَارَ تكْليفٍ ، وذلك باطلٌ ، وإذا كانوا عارفين بالله على سبيل الاضطرار

٧٥

" (١).

"قوله : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي سبحوا الله ، ومعناه صلوا عليه حين " تمسون " تدخلون في المساء ، وهو صلاة المغرب والعشاء " وحين تصبحون " أي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ قال ابن عباس : يَحْمَدُهُ أهل السماوات والأرض ويصلون " وَعَشيّاً " أي صلوا لله عشياً ؛ يعني صلاة العصر " وحِينَ تُظْهِرُونَ " أي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر ، قال نافع الأزرق لابن عباس ، هل تجد الصلوات الخمس في القرآن ؟ قال : نعم وقرأ هاتَيْنِ الآيتين ، وقال : جمعت الآية الصلوات الخمس ومواقيتها.

وروى أبو هريرة " أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال " مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْم مائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ " (وقال عليه السلامَ : " مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبحُ وَحِينَ يُمْسِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مائةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحِدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ ممّا جَاءَ بِهِ إلاَّ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ " ، وقالَ عليه السلام : " كَلمَتانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ عَلَى الرَّحمَن : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ الله العَظِيم " قوله : " تُمْسُونَ وتُصْبِحُونَ " تامَّاتٌ) أي تدخلون في المساء والصباح كقولهم : إذا سَمِعْتَ بِسُرَى القَيْنِ فاعلم بأنه (مُصْبِح) أي مقيم في الصباح.

والعامة على إضافة الظرف إلى الفعل بعده ، وقرأ عكرمة : " حِيناً " بالتنوين ، والجملة بعده صفة له ، والعائد حينئذ محذوف أي تُمْسُونَ فيه ، كقوله ﴿وَاخْشَوْاْ يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ [لقمان : ٣٣].

والناصب لهذا الظرف " سُبْحَانَ " لأنّه نائب عن عامله.

قوله : " وَعَشيّاً " عطف على " حين " وما بينهما اعتراض و " في السَّمَوَاتِ " يجوز أن يتعلق بنفس الحمد (أي أن الحمد) يكون في هذين الظرفين.

٣٩٤

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٩٤

قوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾.

قد تقدم اختلاف القراء في تخفيف الميت وتثقيله وكذلك قوله " تُخْرَجُونَ " في سورة الأعراف ، و "كَذَلِكَ " نعت مصدر محذوف أي ومثل ذلك الإخراج العجيب تُخْرَجُونَ.

واعلم أن وجه تعلق إخراج احي من الميت والميت من الحي بما قبله هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من سُنَّةِ النَّوْم وهو النوم إلى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشاء يخرج الإنسان من اليقظة إلى النوم.

واختلف المفسرون في قوله : ﴿يخرج الحي من الميت﴾ فقال أكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل. موافق للمطبوع، ص/٢٠١٢

وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان.

وقيل : يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ثم قال : ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وفي **هذا معنى لطيف وهو** أن الإنسان بالموت تبطل حواسه ، وأما نفسه الناطقة فتفارقه ، وتبقى بعده كما قال : ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً﴾ [آل عمران : ١٦٩] لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك ، ولا يُحس ، والأرض الميتة لا يكون فيها نماء ، (ثم) النائم بالانتباه يتحرك ويحس والأرض بعد موتها (ينمو) نباتها ، فكما أن تحريك ذلك الساكن وهذا الواقف سهل على الله ، كذلك إحياء الميت سهل على الله ، وإلى هذا أشار بقوله " وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ".

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٩٤

". (١)

"أحدهما : التكبر على الغير لكونه مكملاً له.

والثاني : التبختر في المشي لكونه كاملاً في نفسه فقال : ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ تكبراً ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ أي خُيَلاَءَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ في نفسه " فَخُورٍ " على الناس بنفسه.

قوله : " واقْصِدْ " (هذا قاصر) بمعنى اقْتَصِدْ واسلُك الطريقة الوسطى بين ذلك قَوَاماً أي ليكن مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعاً.

وقال عطاء : امشِ بالوَقَار والسكينة لقوله : ﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾ [الفرقان : ٦٣].

(وقُرِىءَ) " وأَقْصِدْ " بهمزة قطعٍ من أَقْصَدَ إذا سَدَّدَ سهمه للرَّمْيَةِ.

قوله : ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ من تَبْعيضيَّه ، وعند الأخفش يجوز أن تكون زائدة ، ويؤيده قوله ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ [الحجرات : ٣].

وقيل : " من صوتك " صفة لموصوف محذوف أي شيئاً من صوتك ، وكان الجاهلية يتمدحون برفع الصوت ، قال : [من المتقارب] : ٤٠٥٢ - جَهِيرَ الكَلاَمِ جَهِيرَ العُطَاسِ

جَهِيرَ الرُّوَاءِ جَهِيرَ النّعَمْ

والمعنى أَنْقِصْ من صوتك ، وقال مقاتل : اخفض من صوتك.

فإن قيل : لِمَ ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي ؟ .

فالجواب : أن رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصِّمَاخ بقوته ، وربما يخرقُ الغِشَاء الذي داخل الأذن ، وأما سرعة المشيء فلا تؤذي وإن أذت فلا يؤذي غير في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار ولأن اللمس يؤذي آلة اللمس والصوت

٤٥١

يؤذي آلة السمع ، وآل السمع على باب القلب فإن الكلامَ ينتقلُ من السمع إلى القلب ولا كذلك اللمس وأيضاً فلأن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٠٦٦

قبيحَ القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان تَرْجُمانُ القلب.

قوله : " إِنَّ أَنْكَرَ " قيل : أنكر مبنيٌّ من مبنيٍّ للمفعول نحو : " أشْغَلُ مشنْ ذَاتِ النِّبْيَيْنِ " ، وهو مختلف فيه ووحد " صوت " لأنه يراد به الجنس ولإضافته لجمع ، وقيل : يحتمل أن يكون " أنكر " من باب " أطوع له من بنانه " ومعناه أشدّ طاعةً.

فإن " أفْعَلَ " لا يجيء (في) " مُفْعَل ولا في " مفْعُول " ولا في باب العيوب إلا ما شَذَّ كقولهم " أَطْوَعُ مِنْ كَذَا " للتفضيل على مُطِيع و " أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النِّحْيَيْن و " أَحْمَقُ (مِنْ فُلانُ " ) من باب العيوب ، وعلى هذا فهو من باب " أفعل " كأَشْغَلَ في باب مَفْعُولٍ فيكون للتفضيل على المنكر.

أو نقول هو من باب " أَشْغَل " مأخوذ من نُكِرَ الشيءُ فهو مَنْكُورٌ ، وهذا أنْكَرُ مِنْه ، وعلى هذا **فله معنى لطيف وهو** أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثِقَل أو تعب كالبَعير أو لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهقُ بصوتٍ مُنْكَر (فيمكن) أن يقال : هو من نكير كأَحَدَّ من حَدِيدٍ.

فإن قيل : كيف يفهم كونه أنكر الأصوات مع أن حزَّ المِنْشَار بالمبرد ودق النحاس بالحديد أشد صوتاً ؟ !

٤٥٢

فالجواب من وجهين : الأول : أن المراد أنكر أصوات الحيوانات صوتاً الحميرُ فلا يَرِدُ السؤال.

الثاني : أن الآمر بمصلحة وعبادة لا ينكر صوته بخلاف صوت (الحمير).

فصل قال مقاتل : اخْفِضْ مِنْ صوتك ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ﴾ أقبح الأصوات ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أوله زَفيرٌ ، وآخره شهيقٌ وهما صوت (أهل النار) وقال موسى بن أعين سمعت سفيان الثوري يقول في قوله تعالى : ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ قال صياح كل شيء تسبيح لله تعالى إلا الحمار وقال جعفر الصادق في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ قال : هي العطسة القبيحة المنكرة ، قال وهب تكلم لقمان اثْنَيْ عشَرَ أَلْف كلمةٍ من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم ومن حكمه : قال خالد الربعي كان لقمان عبداً حبشياً فدفع (له) مولاه إليه شاة فقال اذبحها فأْتِنِي بأطيبِ مُضْغَتَيْنِ مِنْها فأتاه باللِّسان والقَلْب فسأله مولاه فقال : ليس شيء أطْيَبَ منهما إذا طابا ولا أخبثَ منهام إذا خَبُثَا.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٤٤٢

٤٥٣

". (١)

"قوله : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ لما قال تعالى : ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر : ٥] يمنع العاقل من الاغترار وقال : ﴿الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّا﴾ ولا تمسعوا قوله.

قوله : ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّا﴾ أي اعملوا ما يسوؤه وهو العمل الصالح.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٠٨٩

ثم قال : ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ﴾ أي أشياعه ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (و) في الآية أشارة **إلى معنى لطيف** **وهو** أن من يكون له عدو فإما أنْ يُعَادِيَه مجازاةً له وإما أن يُرْضيه فلما قال تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أمرهم بالعداوة وأَشَارَ إلى أن الطريق ليس إلا هذا.

وأما الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إنْ أَرْضَيْتمُوهُ واتَّبعتُمُوهُ فهو لا يؤدِّيكم إلا إلى السعير.

واعلم أن من علم أن له عدواً لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يق له ويصبر معه على

١٠٣

قتاله إلى يظفر به وكذلك الشيطان لا يقدر الإنسان (أن) يهرب منه فإنه يقف معه ولا يزال ثابتاً على الجادّة والاتِّكال على العبداة ثم بين تعالى ما حال حزبه وحال حزب الله وهو قوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يجوز رفعه ونصبه وجره فرفعه من وجهين : أظهرهما : أن يكون متبدأ والجملة بعده خبره.

والأحسن أن يكون " لهم " هو الخبر و " عَذَابٌ " فاعله.

الثاني : أنه بدل من واو " لِيَكُونُوا " ونصبه من أوجه : البدل من " حِزْبَهُ " أو النعت له أو إضمار فلع " أَذُمُّ " ونحوه ، وجره من وجهين : النعت أو البدلية من " أَصْحَابِ السَّعِيرِ " وأحسن الوجوه الأول المطابقة التقسيم واللام في " لِيَكُونُوا " إما للعلة على المجاز من إقامة السَّبَب مَقَم المُسَبب وإما الصَّيْرُورة ثم قال : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وهذا حال حزب الشيطان ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ فالإيمان في مقابلته المغفرة فلا يُؤَبَّد مؤمنٌ في النار والعمل الصالح في مقابلته " الأجر الكبير ".

قوله : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُواءَ عَمَلِه﴾ " مَنْ " موصول مبتدأ وما بعده صلته والخبر محذوف فقدره الكسائيُّ " تذهب نفسك عليهم حَسَرَاتٍ " لدلالة : " فَلاَ تَذْهَب " عليه وقدره الزجاج : " وأَضَلَّهُ اللَّهُ كَمَنْ هَدَاهُ " وقدره غيرهما كمن لم يُزَيَّنْ له. وهو

١٠٤

أحسن ، لموافقته لفظاً ومعنى ونظيره " أفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ (هُوَ أعْمَى) " ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ [الرعد : ١٩] والعامة على " زُيِّنَ " مبنياً للمفعول " سُوءُ " رفع وعُبَيْدُ بْنُ عَمَيْر زَيَّنَ مبنياً للفاعل وهو الله " سُوءَ " بالنصب به.

وعنه " أَسْوَأَ " بصيغة التفضيل منصوباً وطلحةُ " أَمَنْ " بغير فاء قال أبو الفضل : الهمزة للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز أن تكون بمعنى حرف النداء فحذف التَّمَامُ كما حذف من المشهور الجواب ، يعني أنه يجوز أن تكون بمعنى حرف النداء فحذف التَّمَامُ كما حذف من المشهور الجواب ، يعني أنه يجوز في هذه القراءة أن تكون الهمزة للنداء وحذف التّمام أي ما نُودي لأجله كأنه قيل : يَا مَنْ زينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ارْجِعء إلى الله وتب إليه ، وقوله : "كما حذِف الجواب " يعني به خبرَ المبتدأ الذي تَقدَّم تقريره.

فل قال ابن عباس : نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير : نزلت في أصحاب الأَهْوَاء والبِدَع فقال قتادة

: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبائر.

ومعنى زين له سوء عمله شبه له وموه عليه وحسن له سوء عمله أي قبح عمله فرآه حسناً زين له الشيطان ذلك بالوسواس.

وفي الآية حذف مجازه : أفمن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فرأى الباطل حَقًّا كَمَنْ هداه اله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً ؟ " فإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

١٠٥

". (١)

"حالاً فهو كقول القائل : مَرَرْتُ بِأَخِي زَيْدٍ (قَائِماً) ويريد كون زيدٍ قائما.

وذلك لا يجوز.

قلنا : من أكل لحمه فقط أكل فصار الأخ مأكولاً مفعولاً بخلاف المرور بأخِي زيدٍ.

فصل في هذا التشبيه إشارة إلى أن عِرْضَ الإنسان كَدمِهِ ولَحْمِهِ لأنَّ الإنسان يتألَّمُ قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم.

وهذا من باب القياس الظاهر ؟ لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه فلما لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى ، لأن ذلك آلَمُ.

وقوله : " لَحْمَ أَخِيهِ " آكد في المنع ؛ لأن العدو يحمله الغَضَبُ على مَضْغ لحم العدوِّ ، وفي قوله : " مَيْتاً " إشارةٌ إلى دفع وَهَمٍ وهو أن يقال : الشّتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال : آكل لحم الأخ وهو ميت أيضاً يؤلمه ومع هذا فهو في غاية القبح لِمَا أنَّه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه ، **وفيه معنى لطيفٌ وهو** أن الاغتياب بأكل لحم الآدمِيّ ميتاً ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة ، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدميّ فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعاً غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب.

قوله : " فَكَرِهْتُمُوهُ " قال الفراء : تقديره : فقَدْ كَرِهْتُمُوهُ فلا تفعلوه.

وقال ابن الخطيب : الفاء في تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال : أَيُحِبُّ للإنكار فكأنه قال : لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذَنْ.

وقال أبو البقاء : المعطوف عليه محذوف تقديره عُرِضَ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ فَكَرِهتُمُوهُ.

والمعنى يعرض عليكم فَتكرهُونَهُ.

وقيل : إن صح ذلك عندكم فأنتم (أي) تكرهونه قال ابن الخطيب : هو كمتعلق المسبّب بالسبب وتَرَقُّبِهِ عَلَيْه كقولك : جَاءَ فُلاَنٌ ماشياً فتَعِبَ ، فقيل : هو خبر بمعنى الأمر كقولهم : " اتَّقَى اللهَ امْرُؤٌ فَعَلَ خَيْراً يُثَبْ عَلَيْهِ ".

وقرأ أبو حيوة والجَحْدرِيّ : فكُرِّهْتُمُوهُ

٥٥١

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤١٩٣

. بضم الكاف وتشديد الراء . عدي بالتضعيف إلى ثانٍ بخلاف قوله أولاً : " كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ " فإنه وإن كان مضعّفاً لم يتعدّ لواحد لتضمنه معنى بَغَّضَ.

فصل قال ابن الخطيب : الضمير في قوله : فَكَرِهْتُمُوهُ " فيه وجوه : أظهرها : أن يعود إلى الآكل لأن قوله تعالى : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ معناه أيحب أحدكم الأكل لأن " أَنْ " مع الفعل للمصدر أي فَكَرِهْتُمُ الأَكْلَ.

وثانيها : أن يعود إلى اللحم أي فَكَرِهْتُمُ اللَّحْمَ.

وثالثها : أن يعود إلى الميّت في قوله : " ميتاً " تقديره : أيُحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً متغيراً فكرهتموه فكأنه صفة لقوله : " ميتاً " ويكون فيه زيادَةُ مبالغة في التحذير يعني الميتة أن أكلت في النُّدرة لسبب كان نادراً ولكن إذا أَنْتَنَ وأروح وتغير لا يؤكل أصلاً فكذلك ينبغي أنْ يكون الغيبة ، وذلك يحقّق الكارهة ويوجب النُّفْرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربقه بحيث يأكله ففيه إذَنْ كراهة شديدة فكذلك حال الغيبة.

فصل قال مجاهد : لما قيل لهم : أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْم أَخِيهِ مَيْتاً ؟ قالوا : لا ، قيل : " فكرهْتُمُوهُ " أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره باللسوء غائباً.

قال الزجاج : تأويله إن ذِكْرِضكَ مَنْ لم يَحْضُرك بسُوءٍ بمنزلةِ أكلِ لحمه وهو ميت لا يحسُّ بذلك.

قال . عليه الصلاة والسلام . " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقوم لَهُمْ أَظَافَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَلُحُومَهُمْ فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلاَءَ يا جِبْرِيلُ.

قال : هَؤُلاء الذين يأكلون لحُوم النَّاسِ ويَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ ".

٥٥٢

قوله : " وأَتَّقُوا اللهَ " عطف على ما تقدم من الأوَامِر و النواهي أي اجتنبوا واتقوا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال في الأولَى : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـائِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقال ههنا : ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله : ﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء في قوله : " اجْتَنِبُوا كَثِيراً " فذكر الإثبات الذي هو قريبٌ من الأمْر.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٥٤٥

". (١)

"فوربك لنسألنهم أجمعين أي لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع بأن يقال لم فعلتم وقوله تعالى : فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان﴾(الرحمن : ٣٩) أي : لا يسألون أي شيء فعلتم ليعلم ذلك من جهتهم لأن سؤال الاستعلام محال على الملك العلام ويجوز أن يكون السؤال مجازا عن المجازاة لأنه سببها.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٨٩

﴿عما كانوا يعملون﴾ من قول وفعل وترك.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٦١٧

وقال في بحر العلوم فإن قلت : قد ناقض هذا قوله : فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان﴾(الرحمن : ٣٩) قلت إن يوم القيامة يوم ويل مقدار خمسين ألف سنة ففيه أزمان وأحوال مختلفة في بعضها لا يسألون ولا يتكلمون كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : "تمكثون الف عام في الظلمة يوم القيامة لا تتكلمون" وفيها بعضها يسألون ويتساءلون قال الله تعالى : ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون﴾ (الطور : ٥) وفي بعضها يتخاصمون.

وقال كثير من العلماء : يسألهم عن لا إله إلا الله وهي كلمة النجاة وهي كلمة الله العليا لو وضعت في كفة والسموات والأرضون السبع في كفة لرجحت بهن من قالها مرة غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.

قال المغربي :

٤٨٩

اكره آيينه داري از براي رخش

ولى ه سودكه دارى هميشه آينه تار

بيا بصيقل توحيد زآينه بردار

غبار شرك كه تا ك كردد از نكار

وفي "التأويلات النجمية" : كان النبي عليه الصلاة والسلام مأمورا بإظهار مقامه وهو النبوة وبتعريف نفسه أنه نذير للكافرين كما أنه بشير للمؤمنين وأنه لما أمر بالرحمة والشفقة ولين الجانب للمؤمنين بقوله : ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ إظهارا للعطف أمر بالتهديد والوعيد والإنذار بالعذاب للكافرين إظهارا للقهر بقوله : وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين أي ننزل عليكم العذاب كما أنزلنا على المقتسمين وهم الذين اقتسموا قهر الله المنزل على أنفسهم بالأعمال الطبيعية غير الشرعية فإنها مظهر قهر الله وخزانته كما أن الأعمال الشرعية مظهر لطف الله وخزانته فمن قرع باب خزانة اللطف أكرم به وأنعم به عليه ومن دق باب خزانة القهر أهين به وعذب ، ثم أخبر عن أعمالهم التي اقتسموا قهر الله بها على أنفسهم بقوله : الذين جعلوا القرآن عضين أي جزؤوه أجزاء في الاستعمال فقوم قرأه وداموا على تلاوة ليقال لهم القراء وبه يأكلون ، وقوم حفظوه بالقرآت ليقال لهم الحافظ وبه يأكلون ، وقوم حصلوا تفسيره وتأويله طلبا للشهرة وإظهارا للفضل ليأكلوا به ، وقوم استخرجوا معانيه واستنبطوا فقهه وبه يأكلون وقوم شرعوا في قصصه وإخباره ومواعظه وحكمه وبه يأكلون وقوم أولوه على وفق مذاهبهم وفسروه بآرائهم فكفروا لذلك ، ثم قال فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون إنما عملوه بالله وفي الله ولله أو بالطبع في متابعة النفس للمنافع الدنيوية نظيره قوله ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾(الأحزاب : ٨) انتهى ما في "التأويلات".

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٨٩

قوله عن صدقهم أي عنده تعالى لا عندهم كذا فسره الجنيد قدس سره **وهو معنى لطيف عميق** فإن الصدق والإسلام عند الخلق سهل ولكن عند الحق صعب فنسأل الله تعالى أن يجعل إسلامنا وصدقا حقيقيا مقبولا لا اعتباريا مردودا.

وعن أبي القاسم الفقيه أنه قال : أجمع العلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض

، الإسلام الخالص عن الظلمة ، وطيب الغذاء ، والصدقفي الأعمال.
قال في "درياق الذنوب" : وكان عمر بن عبد العزيز يخاف مع العدل ولا يأمن العدول رؤي في المنام بعد موته باثنتي عشرة سنة فقال الآن تخلصت من حسابي فاعتبر من هذا يا من أكب على الأذى.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٨٩
فاصدع بما تؤمر ما موصولة والعائد محذوف أي فاجهر بما تؤمر به من الشرائع أي تكلم به جهارا وأظهره ، وبالفارسية (س آشكارا كن وبظاهر قيام نماى بآنه فرستاده اند ازاوامر ونواهي) يقال صدع بالحجة إذاتكلم بها جهارا من الصديع وهو الفجر أي الصبح ، أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل واكشف الحق وأبنه من غيره من الصدع في الزجاجة وهو الإبانة كما قال في القاموس الصدع الشق في شيء صلب ثم قال وقوله تعالى : فاصدع بما تؤمر أي شق جماعاتهم بالتوحيد.
وفي تفسير أبي الليث كان رسول الله عليه السلام قبل نزول هذه الآية مستخفيا لا يظهر شيئا مما نزل الله تعالى حتى نزل فاصدع بما تؤمر.
يقول الفقير : كان عليه الصلاة والسلام مأمورا بإظهار ما كان من قبيل الشرائع والأحكام لا ما كان من قبيل المعارف
٤٩٠
والحقائق فإنه كان مأمورا بإخفائه إلا لأهله من خواص الأمة وقد توارثه العلماء بالله إلى هذا الآن كا قال المولى الجامي :
رسيد جان بلب ودم نمى توانم زد
كه سر عشق همي ترسم آشكار شود
" (١).

"﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي : مستقيم على نهج إسناد حال سالكه إليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الطريق بدليل إضافة القصد إليه أي حق عليه سبحانه بموجب رحمته ووعده المحتوم لا واجب إذ لا يجب عليه شيء من بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة وإرسال وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه ﴿ومنها﴾ في محل الرفع على الابتداء إما باعتبار مضمونه وإما بتقدير الموصوف أي بعض السبيل أو بعض من السبيل فإنها تذكر وتؤنث.
قال ابن الكمال : الفرق بين الطريق والصراط والسبيل أنها متساوية في التذكير والتأنيث أما في المعنى فبينها فرق لطيف وهو أن الطريق كل ما يطرقه طارق معتادا كان أو غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه أي : لا إعوجاج بل يكون على سبيل القصد فهو أخص.
﴿جآئر﴾ أي : مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إليه وهو طريق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر كاليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر ملل الكفر وأهل الأهواء والبدع ومن هذا علم أن قصد السبيل هو دين الإسلام والسنة والجماعة جعلنا الله وإياكم على قصد السبيل وحسن الاعتقاد والعمل وحفظنا وإياكم من الجائر والزيغ

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٤/٣٢٦

والزلل.

قال مرجع طريقة الجلوتية بالجيم أعني حضرة الشيخ محمود هدايي الاسكداري قدس سره : رأيت صور أعلام أهل الأديان في مبشرتي ليلة الاثنين والعشرين من جماد الآخرة لسنة اثنتي عشرة وألف وهي هذه . . . . . هذا علم أهل الإيمان وصورة استمدادهم من الحق تعالى بالتوجه إلى العلو اقتداء بمن قال في حقه المولى الأعلى ما زاغ البصر وما طغى ٨٨ . . .. هذا علم النصارى وصورة انحرافهم عن الحق ٨٨ . . .. هذا علم اليهود وصورة انحرافهم عن الحق اكتفاء بالقلب انتهى

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٣

﴿ولو شآء لهداكم أجمعين﴾ أي : ولو شاء الله أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة إليه البتة مستلزمة لاهتدائكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما أن مدار التكليف والثواب والعقاب إنما هو ا لاختيار الجزئي الذي يترتب عليه الأعمال التي بها نيط الجزاء.

وقال أبو الليث في "تفسيره" : لو علم الله أن الخلق كلهم أهل للتوحيد لهداهم انتهى.

يقول الفقير : **هو معنى لطيف مبني** على أن العلم تابع للمعلوم فلا يظهر من الأحوال إلا ما أعطته الأعيان إلى العلم الإلهي كالإيمان والكفر والطاعة والعصيان والنقصان والكمال فمن كان مقتضى ذاته الإيمان والطاعة والكمال وكان أهلا لها في عالم عينه الثابتة أعطاها للعلم فشاء الله هدايته في هذه النشأة بحكمته ومن كان مقتضى استعداده خلاف لم يشأ الله هدايته حين النزول إلى مرتبة وجوده العنصري وإلا لزم التغير في علم الله تعالى وهو محال وفي الحديث "إنما أنا رسول وليس إلي شيء من الهداية ولو كانت الهداية إلي لآمن كل من الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء" كذا في "تلقيح الأذقان" قال الحافظ :

١٣

مكن بشم حقارت ملامت من مست

كه نيست معصيت وزهد بي مشيت او

وقال :

درين من نكنم سرزنش بخود رويي

نانكه رورشم مى دهند ومي رويم

وقال :

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاي

كه برمن وتو در اختيار نكشادست

فعليك بترك القيل والقال ورفض الاعتزال والجدال فإن الرضى والتسليم سبب القبول وخلافه يؤدي إلى غصب الحبيب المقبول.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٣

". (١)

"قال الجنيد قدس سره في الآية : ليسأل الصادقين عن صدقهم أي : عنده لا عندهم انتهى وهذا الذي فسره معنى لطيف فإن الصدق والإسلام عندالخلق سهل ولكن عند الحق صلب فنسأل الله أن يجعل صدقنا وإسلامنا حقيقيا ﴿وأعد﴾ (واماده كرد وساخت) ﴿للكافرين﴾ المكذبين للرسل ﴿عذابا أليما﴾ (عذابي دردناك ودردنماى) وهو عطف على ما ذكر من المضمر وعلى ما دل عليه ليسأل الخ كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١

وفي "التأويلات النجمية" : ﴿وإذ أخذنا من النبين ميثاقهم﴾ في الأزل وهم في كتم العدم مختفون ﴿ومنك﴾ يا محمد أولا بالحبيبية ﴿ومن نوح﴾ بالدعوة من ﴿إبراهيم﴾ بالخلة من ﴿موسى﴾ بالمكالمة من ﴿وعيسى ابن مريم﴾ بالعبدية ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ بالوفاء وبغلظة الميثاق يشير إلى أنا غلظنا ميثاقهم بالتأييد والتوفيق للوفاء به ﴿ليسال الصادقين﴾ في العهد والوفاء به ﴿عن صدقهم﴾

١٤٢

لما صدقوا إظهارا لصدقهم كما أثنى عليهم بقوله : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ (الأحزاب : ٢٣) فكان سؤال تشريف لا سؤال تعنيف وسؤال إيجاب لا سؤال عتاب.

والصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ولا في أعمالك عيب ولا في اعتقادك ريب.

ومن إمارات الصدق في المعاملة وجود الإخلاص من غير ملاحظة مخلوق.

وفي الأحوال تصفيتها من غير مداخلة إعجاب.

وفي القول السلامة من المعاريض.

وفيما بينك وبين الناس التباعد من التلبيس والتدليس.

وفيما بينك وبين الله إدامة التبري من الحول والقوة بل الخروج عن الوجود المجازي شوقا إلى الوجود الحقيقي وأعد للكافرين على هذه المقامات المعرضين عن هذه الكرامات عذابا أليما من الحسرات والغرامات انتهى.

قال البقلي : إن الله تعالى أراد بذلك السؤال أن يعرف الخلق شرف منازل الصادقين فرب قلب يذوب من الحسرة حيث ما عرفهم وما عرف قدرهم قال تعالى : ﴿ذالك يوم التغابن﴾ (التغابن : ٩) وصدقهم استقامة أسرارهم مع الحق في مقام المحبة والإخلاص.

قال سهل : يقول الله لهم : لمن عملتم وماذا أردتم فيقولون : لك عملنا وإياك أردنا فيقول صدقتم فوعزته لقوله لهم في المشاهدة صدقتم ألذ عندهم من نعيم الجنة :

لذت شيرينىء كفتار جانان لذتيست

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٠/٥

كز دماغ جان كى بيرون شود رحالتست

قال في "كشف الأسرار" : (مصطفى را عليه السلام رسيدند كه كمال دريست جواب داد كه كفتار بحق وكردار بصدق. وكفته اند صدق را دو درجه است يكى ظاهر ويكى باطن أما ظاهرسه يزاست دردين صلابت ودرخدمت سنت ودرمعاملت خشيت.

وآنه باطنست سه يزاست إنه كوبي كنى وبآنه نمايي دارى وآنه كه دارى دهى واشى).

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر : اسوداد الوجوه من الحق المكروه كالغيبة والنميمة وإفشاء السر فهو مذموم وإن كان صدقا فلذلك قال تعالى : ﴿ليسال الصادقين عن صدقهم﴾ أي : هل أذن لهم في إفشائه أولا فما كل صدق حق انتهى.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١

﴿ليسال الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما * يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ .

﴿الذين ءامنوا﴾ .

. روي . أن النبي عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني قريظة وبني النضير على أن لا يكونوا عليه بل معه فنقض بنوا النضير وهم حي من يهود خيبر عهودهم وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية يقال لها زهرة فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ومعه الخلفاء فجلس إلى جانب جدار من بيوتهم فطمعوا فيه حتى صعد بعضهم على البيت ليلقي عليه صخرة فيقتله فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام مسرعا إلى المدينة ولما نقضوا العهد أرسل إليهم رسول الله محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن اخرجوا من بلدي يعني : المدينة لأن قريتهم كانت من أعمالها فامتنعوا من الخروج بسبب عناد سيدهم حيي بن أخطب وكان حيي في اليهود يشبه بأبي جهل في قريش فخرج عليه السلام مع أصحابه لمحاربتهم فحاصرهم ست ليال وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم فمنهم من سار إلى خيبر ومنهم من سار إلى أذرعات من بلاد الشام ولما وقع إجلاؤهم من أماكنهم سار سيدهم حيي وجمع من كبرائهم إلى قريش في مكة يحرضونهم على حرب رسول الله ويقولون : إنا سنكون معكم جملة واحدة ونستأصله فوافقهم قريش لشدة عداوتهم لرسول الله ثم جاءوا

١٤٣

(١) ".

"( وبمعافاتك من عقوبتك ) وفي إضافتها كالسخط إليه دليل لأهل السنة على جواز إضافة الشر إليه تعالى كالخير واستعاذ بها بعد استعاذته برضاه لأنه يحتمل أن يرضى من جهة حقوقه ويعاقب على حقوق غيره ( وبك منك ) قال عياض ترق من الأفعال إلى منشيء الأفعال مشاهدة للحق وغيبة عن الخلق الذي هو محض المعرفة الذي لا يعبر عنه قول ولا يضبطه وصف فهو محض التوحيد وقطع الالتفات إلى غيره وإفراده بالاستعانة وغيرها قال الخطابي **وفيه معنى لطيف لأنه** استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضا والسخط ضدان كالمعافاة والعقوبة فلما ذكر ما

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٠٨/٧

لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من عبادته والثناء عليه ولذا قال ( لا أحصي ثناء عليك ) قال ابن الأثير أي لا أبلغ الواجب في الثناء عليك وقال الراغب أي لا أحصل ثناء لعجزي عنه إذ هو نعمة تستدعي شكرا وهكذا إلى غير نهاية وقيل معناه لا أعد كما في الصحاح لأن معنى الإحصاء العد بالحصى كما قال ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر وعليه فهو من نفي الملزوم المعبر عنه بالإحصاء المفسر بالعد وإرادة نفي اللازم وهو استيعاب المعدود فكأنه قيل لا أستوعب فالمراد نفي القدرة عن الإتيان بجميع الثناءات أو فرد منها يفي بنعمة من نعمه لا عدها إذ لا يمكن عد أفراد كثيرة من الثناء

وقال ابن عبد البر روينا عن مالك أن معناه وإن اجتهدت في الثناء عليك فلن أحصي نعمك ومننك وإحسانك

( أنت ) مبتدأ خبره (كما أثنيت ) أي الثناء عليك هو المماثل لثنائك ( على نفسك ) ولا قدرة لأحد عليه ويحتمل أن أنت تأكيد للكاف من عليك باستعارة الضمير المنفصل للمتصل والثناء بتقديم المثلثة والمد الوصف بالجميل على المشهور لغة واستعماله في الشر مجاز

وقال المجد وصف بمدح أو ذم أو خاص بالمدح

وقال ابن عبد البر فيه دليل على أنه لا يبلغ وصفه وأنه إنما يوصف بما وصف به نفسه انتهى

وقال النووي فيه اعتراف بالعجز عن الثناء عليه وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والتعيين فوكل ذلك إليه سبحانه المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثني عليه فكل شيء أثنى عليه به وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكثر وأكبر وفضله أوسع وأسبغ

( مالك عن زياد بن أبي زياد ) ميسرة المخزومي مولاهم المدني الثقة العابد قال مالك كان يلبس الصوف ويكون وحده ولا يجالس أحدا لمالك عنه مرفوعا هذا الحديث الواحد رواه هنا وفي الحج ونسبه فزاد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ( عن طلحة بن عبيد الله ) بضم العين ( ابن كريز ) بفتح الكاف وكسر الراء وإسكان التحتية وزاي منقوطة الخزاعي أبي المطرف

---

". (١)

"ومن الدلائل القوية التي اعتمد عليها فخر الدين الرازي في ضعف هذه الرواية قوله سبحانه عقيب ذكر الواقعة ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ فمن البعيد جدا أن يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دم أخيه المسلم بغير حق وبانتزاع زوجته منه ثم يقال : إنا فوضنا الخلافة إليه . وعندي أن ذلك عليه لا له لقوله تعالى ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ﴾ الخ فكأنه قيل له : إنا جعلناك تخلف من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله وفي سياسة المدن ، أو تخلفنا كما يقال « السلطان ظل الله في الأرض » فاللائق بهذا المنصب السعي لإصلاح حال المسلمين وحفظ فروجهم

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٥٢/٢

ودمائهم وأموالهم لا السعي في تحصيل هو النفس بأي وجه يمكن ، فإن صاحبه المصر عليه ضال معرض عن إعداد الزاد ليوم المعاد . يحكى عن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو الزهري : هل سمعت ما بلغنا؟ قال : وما هو؟ قال : بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية . فقال : يا أمير المؤمنين ، الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم تلا هذه الآية . وحين تم واقعة داود ونصحه وما فرض عليه في شأن الاستخلاف أشار إلى أن الأمور الدنيوية التابعة للحركات السماوية ليست واقعة على الجزاف ، وبمقتضى الطبائع ، ولكن لها غاية صحيحة فأجمل هذا المعنى أولا بقوله ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ﴾ الذي ذكر من خلق هذه الأشياء بلا غاية ﴿ ظن الذين كفروا ﴾ لأنهم بإنكارهم البعث جحدوا الجزاء الذي هو غاية التكليف ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ لأنهم بهذه العقيدة وقعوا في نار البعد والقطيعة فلم يستدلوا بالآفاق والأنفس على الصانع نظيره ما مر في آخر « آل عمران » ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [ الآية : ١٩١ ] ثم صرح بالغاية قائلا ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الآية . « وأم » منقطعة بمعنى بل والهمزة للإنكار والمراد أنه لم بطل الجزاء كما زعموا لاستوت حال الطائفتين المتقي المصلح للأرض بتهذيب الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية على وفق العقل والشرع ، والفاجر المفسد في الأرض بهدم النواميس وتتبع الشهوات وهتك الحرمات ، ومن سوى بينهم كان إلى السفه أقرب منه إلى الحكمة ، ولا ينافي هذا إمكان التسوية من حيث المالكية . وحين ذكر **هذه المعاني اللطيفة والقواعد** الشريفة من على رسوله بقوله ﴿ كتاب ﴾ اي هذا كتاب ﴿ أنزلناه إليك مبارك ﴾ كثير المنافع والفوائد ﴿ ليدبروا آياته ﴾ ليتأملوا فيها ويستنبطوا الأسرار والحقائق منها فمن حفظ حروفه وضيع حدوده كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير . قال الإمام فخر الدين الرازي C : يقال في وجه النظم إن العقلاء قالوا : من ابتلى بخصم جاهل مصر متعصب وجب عليه أن يقطع الكلام معه ويخوض في كلام آخر أجنبي حتى إذا اشتغل خاطره بالكلام الأجنبي أدرج في أثنائه مقدمة مناسبة للمطلوب الأول ، فإن ذلك المتعصب قد يسلم هذه المقدمة فإذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في إثبات المطلوب الأول فيصير الخصم ساكتا مفحما .." (١)

"ثم أخبر عن وعيد المخاصمين في أمر دين الله ﴿ من بعدما استجيب له ﴾ أي من بعدما استجاب له الناس وقبلوا دينه ، أو بعدما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر ﴿ حجتهم داحضة ﴾ أي باطلة زائلة ﴿ عند ربهم ﴾ وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون : كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فأنتم أولى باتباعنا . وأيضا أنتم تقولون الأخذ بالمتفق عليه أولى من الأخذ بالمختلف فيه ، ونبوة موسى وحقية التوراة متفق عليها ونبوة محمد A مختلف فيها . والجواب أن نبوة موسى إنما صحت بالمعجزة فإن كانت المعجزة في حقه مصححة للنبوة ففي حق محمد A كذلك وإلا فأنتم القادحون في نبوة نبيكم أيضا . ثم حث على سلوك طريقة العدل حذرا من عقاب يوم القيامة فقال ﴿ الله الذي أنزل الكتاب ﴾ أي جنسه متلبسا بالغرض الصحيح ﴿ والميزان ﴾ أي أنزل العدل والسوية في كتبه أو ألهم اتخاذ الميزان . وقيل : هو العقل . وقيل : الميزان نفسه وذلك في زمن نوح . وقيل : هو محمد A يقضي بينهم بالكتاب ﴿ وما يدريك ﴾ يا محمد أو أيها المكلف ﴿ لعل الساعة ﴾ أي مجيئها ﴿ قريب ﴾ أو ذكر بتأويل البعث أو الحشر ونحوه ، أو أراد شيء قريب . ومتى كان

---

(١) تفسير النيسابوري، ٣٧٥/٦

الأمر كذلك وجب على العاقل أن يجتهد في أداء ما عليه من التكاليف . ولا يتأنى في سلوك سبيل الإنصاف مع الخالق والخلق فإنه لا يعلم أن القيامة متى تفاجئه . ثم قبح طريقة منكري الساعة فقال ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ يقولون على سبيل السخرية : متى تقوم الساعة؟ وليتها قامت حتى تظهر لنا جلية الحال . ثم مدح المقربين بأنهم يخافون القيامة هيبة من الله وإجلالا له أو حذرا من تقصير وخلل وقع في العمل إلا أن خوفهم يجب أن يكون ممتزجا بالرجاء ، وقد مر تحقيقه مرارا . ثم هدد الشاكين المجادلين في أمر البعث بقوله ﴿ ألا إن الذين يمارون ﴾ وأصله من المرية الشك ﴿ لفي ضلال بعيد ﴾ عن الصواب لأن استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب على فضله أو في حكمه ، ولأن في إنكاره نسبة الله سبحانه إلى ضد العلم والقدرة . ثم إنه لا ريب في أن إنزال الكتاب والميزان لطف من الله على خلقه فلذلك قال ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ عمم البر ثم خصص بقوله ﴿ يرزق من يشاء ﴾ يعني الزائد على مقدار الضرورة ، فلكم من إنسان فاق أقرانه في المال أو الجاه أو الأولاد أو في العلم أو في سائر أسباب المزية إلا أن أحدا منهم لا يخلو من بره الذي يتعيش به كقوله ﴿ أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ [ طه : ٥٠ ] وقيل **: معنى لطيف يرزقهم** من حيث لا يعلمون ، أو يلطف بهم فلا يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا .." (١)

" – الحديث الأول أخرجه أبو داود متصلا ورواه مالك مرسلا ورجحه أبو حاتم . والحديث الثاني هو مرسل كما قال المصنف وأكثر ألفاظه في الصحيحين وقد تقدم ما في الباب من الأحاديث

قوله : ( على الظرب ) بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن قيل هو الجبل المنبسط الذي ليس بالعالي وقال الجوهري : الرابية الصغيرة

قوله : ( اللهم حوالينا ) بفتح اللام وفيه حذف تقديره جعل أو أمطر والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور

قوله : ( ولا علينا ) فيه بيان للمراد بقوله حوالينا لأنه يشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله ولا علينا .

قال الطيبي : في إدخال الواو **هنا معنى لطيف وذلك** لأنه لو أسقطها لكان مستسقيا للأكمام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو محصلة للعطف ولكنها للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون مانعا من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك أنفا انتهى

( والحديث الأول ) يدل على استحباب الدعاء بما اشتمل عليه عند الاستسقاء والحديث الثاني يدل على استحباب الدعاء بما فيه عند نزول المطر ." (٢)

" – الحديث الأول أخرجه أبو داود متصلا ورواه مالك مرسلا ورجحه أبو حاتم والحديث الثاني هو مرسل كما قال المصنف وأكثر ألفاظه في الصحيحين وقد تقدم ما في الباب من الأحاديث . قوله ( على الظرب ) بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن قيل هو الجبل المنبسط الذي ليس بالعالي وقال الجوهري الرابية الصغيرة : قوله (

(١) تفسير النيسابوري، ٤٦٤/٦

(٢) نيل الأوطار، ٣٧/٤

اللهم حوالينا ) بفتح اللام وفيه حذف تقديره جعل أو أمطر والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور . قوله ( ولا علينا ) فيه بيان للمراد بقوله حوالينا لأنه يشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله ولا علينا . قال الطيبي في إدخال الواو **هنا معنى لطيف وذلك** لأنه لو أسقطها لكان مستسقيا للأكمام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو محصلة للعطف ولكنها للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون مانعا من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك أنفا انتهى ( والحديث الأول ) يدل على استحباب الدعاء بما اشتمل عليه عند الاستسقاء والحديث الثاني يدل على استحباب الدعاء بما فيه عند نزول المطر ." (١)

" جبل معروف بالمدينة فطلعت سحابة مثل الترس قال ثابت وجه التشبيه في كثافتها واستدارتها ولم يرد في قدرها ما رأينا الشمس ستا في رواية سبتا أي أسبوعا وكانت اليهود تسمى الأسبوع السبت باسم أعظم أيامه عندهم فتبعهم الأنصار في هذا الاصطلاح ثم لما صار الجمعة أعظم أيامه عند المسلمين سموا الأسبوع جمعة وذكر النووي والقرطبي وغيرهما أن رواية ستا تصحيف اللهم حوالينا بفتح اللام وفيه حذف تقديره اجعل أو امطر والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور ولا علينا قال الطيبي في إدخال الواو **هنا معنى لطيف وذلك** أنه لو أسقطها كان مستسقيا للآكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو محصلة للعطف ولكنها للتعليل وهو كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا عن الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك والظراب بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بفتح أوله وكسر الراء ." (٢)

"ولا علينا وقال الطيبي في إدخال الواو **ههنا معنى لطيف وذلك** أنه لو أسقطها لكان مستسقيا للأكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو مخلصة للعطف ولكنها للتعليل وهو كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك قوله على الأكام فيه بيان للمراد بقوله حوالينا روي الإكام بكسر الهمزة وفتحها ممدودة وهو جمع أكمة بفتحات قال ابن البرقي هو التراب المجتمع وقال الداودي أكبر من الكدية وقال القزاز هي التي من حجر واحد وقال الخطابي هي الهضبة الضخمة وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الأرض قوله والظراب بكسر الظاء المعجمة وفي آخره باء موحدة جمع ظرب بسكون الراء قاله القزاز وقال هو جبل منبسط على الأرض وقيل بكسر الراء ويقال ظراب وظرب كما يقال كتاب وكتب ويقال ظرب بتسكين الراء قالوا أصل الظراب ما كان من الحجارة أصله ثابت في جبل أو أرض حزنة وكان أصله الثاني محدودا وإذا كانت خلقة الجبل كذلك سمي ظربا وفي ( المحكم ) الظرب كل ما كان نتأ من الحجارة وحد طرفه وقيل هو الجبل الصغير وفي ( المنتهى ) للبرمكي الظراب الروابي الصغار دون الجبل وفي ( الغريبين ) الأظراب جمع ظرب قوله والأودية جمع واد وفي رواية مالك بطون الأودية والمراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع

---

(١) نيل الأوطار، ٤/٤٠٠

(٢) شرح السيوطي لسنن النسائي، ٣/١٦٢

به قالوا ولم يسمع أفعلة جمع فاعل إلا أودية جمع واد وزاد مالك في روايته ورؤوس الجبال قوله ومنابت الشجر أراد بالشجر المرعى ومنابته التي تنبت الزرع والكلأ قوله فانقطعت أي السماء ويروى فأقلعت ويروى فانقلعت والكل بمعنى واحد وفي رواية مالك فانجابت عن المدينة انجياب الثوب أي خرجت عنها كما يخرج الثوب عن لابسه وفي رواية سعيد عن شريك فما هو إلا أن تكلم رسول الله بذلك تمزق السحاب حتى ما نرى منه شيئا والمراد بقوله ما نرى شيئا." (١)

" إنما قدم الدق على الجل لأن السائل يتصاعد في مسألته أي يترقى ولأن الكبائر تنشأ غالبا من الإصرار على الصغائر وعدم المبالاة بها فكأنها وسائل إلى الكبائر ومن حق الوسيلة أن تقدم إثباتا ورفعا ( وأوله واخره ) المقصود الإحاطة ( زاد بن السرح ) أي في روايته ( علانيته وسره ) أي عند غيره تعالى وإلا فهما سواء عنده تعالى يعلم السر وأخفى قال المنذري وأخرجه مسلم

[ ٨٧٩ ] ( عن محمد بن يحيى بن حبان ) بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة ( فقدت ) ضد صادفت أي طلبت فما وجدت ( فلمست المسجد ) أي مسست بيدي الموضع الذي كان يصلي فيه ( وقدماه منصوبتان ) أي قائمتان وفي صحيح مسلم فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهو المسجد وهما منصوبتان وقال في المرقاة المسجد بفتح الجيم أي في السجود فهو مصدر ميمي أو في الموضع الذي كان يصلي فيه في حجرته وفي نسخة بكسر الجيم وهو يحتمل مسجد البيت بمعنى معبده والمسجد النبوي

انتهى ( أعوذ برضاك من سخطك ) أي من فعل يوجب سخطك علي أو على أمتي ( وبمعافاتك ) أي بعفوك وأتى بالمغالبة للمبالغة أي بعفوك الكثير ( من عقوبتك ) وهي أثر من اثار السخط وإنما استعاذ بصفات الرحمة لسبقها وظهورها من صفات الغضب ( وأعوذ بك منك ) إذ لا يملك أحد معك شيئا فلا يعيذه منك إلا أنت ( لا أحصي ثناء عليك ) قال الطيبي الأصل في الإحصاء العد بالحصى أي لا أطيق أن أثني عليك كما تستحقه ( أنت كما أثنيت ) ما موصولة أو موصوفة والكاف بمعنى مثل

قال الطيبي ( على نفسك ) أي على ذاتك

سئل الشيخ عز الدين بن عبدالسلام كيف شبه ذاته بثنائه وهما في غاية التباين فأجاب بأن في الكلام حذفا تقديره ثناؤك المستحق كثنائك على نفسك فحذف المضاف من المبتدأ فصار الضمير المجرور مرفوعا

قال الخطابي في هذا **الكلام معنى لطيف وهو** أنه قد استعاذ بالله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ومعنى ذلك الاستغفار من التقصير من بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه

وقوله لا أحصي ثناء ." (٢)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤٤٦/١٠

(٢) عون المعبود، ٩٣/٣

" الخيل ( الشاء ) جمع شاة ( لمثل الزجاجة ) أي كناية عن صفائها ( عزاليها ) بالعين المهملة ثم الزاي جمع عزلاء وزن حمراء فم المزادة الأسفل والجمع العزالي بفتح اللام وكسرها وقوله أرسلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادات كذا في المصباح قلت عزلاء هو فم المزادة الأسفل فشبه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من المزادة ( ثم قال حوالينا ) بفتح اللام والحوال والحول بمعنى الجانب ففي رواية مسلم حولنا وعند البخاري وأبي داود حوالينا تثنية حوال وكلاهما صحيح وهو ظرف يتعلق بمحذوف تقديره اللهم أنزل وأمطر حوالينا ولا تنزل علينا والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور ( ولا علينا ) فيه بيان للمراد بقوله حوالينا لأنه يشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله ولا علينا

قال الطيبي في إدخال الواو **هنا معنى لطيف وذلك** لأنه لو أسقطها لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو محصلة للعطف ولكنها للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون مانعا من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك آنفا

انتهى ( يتصدع ) أي ينقطع ويتفرق ( كأنه إكليل ) بكسر الهمزة يريد أن الغيم تقشع واستدار في آفاقها لأن الإكليل يجعل كالحلقة ويوضع على الرأس وهو شبه عصابة مزينة بالجوهر كذا في النهاية قال المنذري وأخرجه البخاري مختصرا

[ ١١٧٥ ] ( عن أنس أنه سمعه يقول ) قال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والنسائي ." (١)

"٢٦٦- قال أبو داود : حدثنا محمد بن سليمان الأنباري حدثنا عبدة عن عبيد الله عن محمد بن يحي بن حبان عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلمست المسجد فإذا هو ساجد وقدمه منصوبتان ويقول أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

قلت في هذا **الكلام معنى لطيف وهوأنه** قد استعاذ بالله وسأله أن يجيزه برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضاء والسخط ضدان متقابلان ، وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه استعاذ به منه لا غير ، ومعنى ذلك الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه ، وقوله لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا أبلغه وفيه إضافة الخير والشر معا إليه سبحانه.." (٢)

"الحديث على أنه قد كان بين إحرامه وبين تطييبها إياه غسل لأنه لا يطوف عليهن إلا اغتسل . فكأنها إنما أرادت بهذه الأحاديث الاحتجاج على من كره أن يوجد من المحرم بعد إحرامه ريح الطيب كما كره ذلك ابن عمر رضي الله عنهما فأما بقاء نفس الطيب على بدن المحرم بعدما أحرم وإن كان إنما تطيب به قبل الإحرام فلا نتفهم هذا الحديث فإن **معناه**

---

(١) عون المعبود، ٤/ ٢٨

(٢) معالم السنن للخطابي ٢٨٨، ١/ ٢١٤

**معنى لطيف** . فقد بينا وجوه هذه الآثار فاحتجنا بعد ذلك أن نعلم كيف وجه ما نحن فيه من الاختلاف من طريق النظر . فاعتبرنا ذلك فرأينا الإحرام يمنع من لبس القميص والسراويلات والخفاف والعمائم ويمنع من الطيب وقتل الصيد وإمساكه . ثم رأينا الرجل إذا لبس قميصا أو سراويلا قبل أن يحرم ثم أحرم وهو عليه أنه يؤمر بنزعه وإن لم ينزعه وتركه عليه كان كمن لبسه بعد الإحرام لبسا مستقبلا فيجب عليه في ذلك ما يجب عليه فيه لو استأنف لبسه بعد إحرامه . كذلك لو صاد صيدا في الحل وهو حلال فأمسكه في يده ثم أحرم وهو في يده أمر بتخليته وإن لم يخله كان إمساكه إياه بعد إحرامه بصيد كان منه بعد إحرامه المتقدم كإمساكه إياه بعد إحرامه بصيد كان منه بعد إحرامه . فلما كان ما." (١)

"ضعفه لجهالة راويه ولكن تقدم أنه صح من طرق أخرى فلا يضر وقال الترمذي هذا حديث غريب أي إسنادا كما ذكر والله أعلم

$الفصل الثالث

عن أبي هريرة قال قال رسول الله أتاكم أي جاءكم رمضان أي زمانه أو أيامه شهر مبارك بدل أو بيان والتقدير هو شهر مبارك وظاهره الأخبار أي كثر خيره الحسي والمعنوي كما هو مشاهد فيه ويحتمل أن يكون دعاء أي جعله الله مباركا علينا وعليكم وهو أصل في التهنئة المتعارفة في أول الشهور بالمباركة ويؤيد الأول قوله اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان إذ فيه إيماء إلى أن رمضان من أصله مبارك فلا يحتاج إلى الدعاء فإنه تحصيل الحاصل لكن قد يقال لا مانع من قبول زيادة البركة فرض الله عليكم صيامه أي بالكتاب والسنة وإجماع الأمة تفتح فيه أبواب السماء استئناف بيان ويحتمل أن يكون حالا وهو بصيغة المجهول وبالتأنيث في الأفعال الثلاثة ويجوز تذكيرها وبتخفيف الفعلين الأولين ويشددان وتعلق فيه أبواب الجحيم وفي نسخة الحميم وهو تصحيف وتغل بتشديد اللام من الإغلال فيه مردة الشياطين يفهم من هذا الحديث أن المقيدين هم المردة فقط **وهو معنى لطيف يزول** به الإشكال السابق فيكون عطف المردة على الشياطين في الحديث المتقدم عطف تفسير وبيان ويحتمل أن يكون تقييد عامة الشياطين بغير الإغلال والله أعلم بالأحوال لله فيه أي في ليالي رمضان على حذف مضاف أو في العشر الأخير منه يعني غالبا وإلا فهي مبهمة في جميع رمضان أو في جميع السنة كما هو مذهبنا ولذا لو قال أحد لامرأته أنت طالق في ليلة القدر لا تطلق حتى يمضي عليها السنة كلها ليلة خير من ألف شهر أي العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ومن حرم بصيغة المجهول خيرها بالنصب قال الطيبي يقال حرمه الشيء يحرمه حرمانا وأحرمه أيضا أي منعه إياه اه وفي القاموس أحرمه لغية أي من منع خيرها بأن لم يوفق لإحيائها ولو بالطاعة في طرفيها لما ورد أن من صلى العشاء." (٢)

"واللام للعهد إشارة إلى قوله تعالى سأرهقه صعودا المدثر أي سأغشيه عقبة صعبة المسلك جبل ففي القاموس الصعود بالفتح ضد الهبوط وجبل في جهنم والعقبة الشاقة والمعنى أنه جبل عظيم من نار يتصعد فيه بصيغة المجهول أي

(١) معاني الآثار، ٤/٢٤٠

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦/٢٥٥

يكلف الكافر ارتقاه وفي نسخة بفتح أوله أي يطلع في ذلك الجبل سبعين خريفا أي مدة سبعين عاما ويهوى به بصيغة المفعول أي يكاب ذلك الكافر بسقوطه فيه وفي نسخة بفتح الياء وكسر الواو أي ينزل بذلك الكافر من هوى كرمى سقط فالباء للتعدية كذلك أي سبعين خريفا فيه أي في ذلك الجبل أبدا قيد للفعلين أي يكون دائما في الصعود والسقوط ومنه **يتبين معنى لطيف فيما** اشتهر عنه أن السفر قطعة من سقر مع ما فيه من الإيماء إلى اللطافة النقطية والمحاسبة الأبجدية وبهذا يندفع ما نقل عن علي كرم الله وجهه أنه لو لم يقل النبي هكذا لعكست وقلت إن سقر قطعة من السفر لكن لا يخفى أحسنية ما في كلامه من عدم المغالبة الزائدة ولما فيه من المطابقة للواقعة الجادة مع الإشارة إلى تفسير الآية وما تضمنه مما ذكرناه من إفادة اللطافة والظرافة هذا وقد ذكر صاحب خلاصة الطيبي رحمه الله ظنا أن ضمير به راجع إلى الجبل وأن الباء بمعنى في أن تكريره على طريقة قولك فيك زيد راغب فيك يعني أن الإعادة للتأكيد والمبالغة ولا شك أن ما قررناه أحسن في مقام الإفادة رواه الترمذي ولفظ الجامع ثم يهوي فيه كذلك أبدا رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عنه وعنه أي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي قال في قوله كالمهل أي في تفسير قوله تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه الكهف أي كعكر الزيت بفتح العين والكاف أي درديه وقال الطيبي رحمه الله أي الدرن منه والدنس وأغرب شارح وفسر المهل بالصديد مع ظهور النص السديد فإذا قرب بضم فتشديد راء أي المهل إلى وجهه أي وجه العاصي سقطت فروة وجهه أي جلدته وبشرته فيه أي في المهل وفي النهاية فروة وجهه أي جلدته والأصل." (١)

"بعده فمطرنا بصيغة المفعول أي جاءنا المطر

يومنا أي بقية يومنا ذلك وهو يوم الجمعة ومن الغد ومن بعد الغد يحتمل أن تكون من تبعيضية والأظهر أنها ابتدائية لقوله حتى أي إلى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي حال أي وقد قام ذلك الأعرابي بعينه أو غيره من الأعراب أو من غيرهم قال الحافظ العسقلاني وفي رواية ثم دخل رجل في الجمعة المقبلة وهذا ظاهر ه أنه غير الأول وفي رواية حتى جاء ذلك الأعرابي في الجمعة الأخرى وهذا يقتضي الجمع بكونه واحدا فلعل أنسا ذكره بعد أن نسيه أو نسيه بعد أن ذكر ه قلت ويحتمل أنه تردد في كون القائم الثاني هو الأول لكن غلب على ظنه تارة أنه هو فعبر عنه بالجزم وتارة أنه غيره فعبر عنه بالتنكير وتارة أتى بصيغة الشك لإستواء الأمرين عنده فالشك منه لا من غيره والله تعالى أعلم فقال أي القائم يا رسول الله تهدم بتشديد الدال أي خرب البناء وغرق المال بكسر الراء أي صار غريقا فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا أي أمطر حوالينا بفتح اللام أي في مواضع المنافع الحاصلة لنا ثم أكده بقوله ولا علينا أي لا تمطر في مواضع المضرة الواقعة علينا قال العسقلاني أي أنزل الغيث في موضع النبات لا على الأبنية يقال قعد حوله وحواله وحوليه وحواليه بفتح اللام ولا يقال حواليه بكسر اللام قاله الجوهري وغيره ثم قال وفي قوله ولا علينا بيان للمراد بقوله حوالينا ثم في إدخال الواو **ههنا معنى لطيف وذلك** لأنه يقتضي أن طلب المطر على حوالينا ليس مقصودا لعينه بل ليكون وقاية عن أذى المطر قلت الواو خالصة للعطف لكنها للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فإن الجوع ليس مقصودا بعينه لكن لكونه مانعا من

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٦/٢٩٤

الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك اه وقال بعض المحققين أوثر حوالينا لمراعاة الازدواج مع قوله علينا نحو قوله تعالى من سبأ بنبأ يقين النمل وقال الطيبي قوله ولا علينا عطف على جملة حوالينا ولو لم تكن الواو لكان حالا أي أمطر." (١)

"" " صفحة رقم ٧٤ " "

قال أبو حيان : وكلام الزمخشري ملفق من كلام أبي علي ، وأما " من كانت أمك " فإنه حمل اسم " كان " على معنى " من " ن فإن لها لفظا مفردا مذكرا ، ولها معنى بحسب ما تريد من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث ، وليس الحمل على المعنى لمرعاة الخبر ، ألا ترى أنه يجيء حيث لا خبر ، كقوله : ( ومنهم من يستمعون إليك ( [ يونس : ٤٢ ] .

وقوله : [ الطويل ]

٢١٢٦

- . . . . . . . . . . . . . . .

تكن مثل من يا ذئب يصطحبان

قال شهاب الدين رحمه الله تعالى - : ليت شعري ، ولأي معنى خص الزمخشري بهذا الاعتراض ، فإنه وارد على أبي علي أيضا ؟ إذ لقائل أن يقول : التأنيث في " جاءت " لحمل على معنى " ما " وإن لها هي أيضا لفظا ومعنى مثل " من " ن على أنه يقال : للتأنيث علتان ، فذكر [ إحداهما ، ورجح ] أبو عبيدة قراءة الأخوي ن بقراءة أبي ، وابن مسعود : " وما كان فتنتهم إلا أن قالوا " فلم يلحق الفعل علامة تأنيث ، ورجحها غيره بإجماعهم على نصب " حجتهم " من قوله تبارك وتعالى : (كان حجتهم إلا أن قالوا ( [ الجاثية : ٢٥ ] .

وقرئ شاذا " ثم لم يكن فتنتهم إلا أنه قالوا " بتذكير " يكن " ، ورفع " فتنتهم " .

ووجه شذوذها سقوط علامة التأنيث ، والفاعل مؤنث لفظا ، وإن كان غير حقيقي ، وجعل غير الأعرف اسما ، والأعرف خبرا ، فهي خبرا ، فهي عكس القراءة الأولى ، من الطرفين ، و " أن قالوا " مما يجب تأخيره لحصره سواء أجعل اسما أم خبرا .

فصل في معنى الفتنة في الآية

معنى قوله : " فتنتهم " ، أي : قولهم وجوابهم .

وقال ابن عباس ، وقتادة : معذرتهم ، والفتنة التجربة ، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل : فتنة .

فصل في بيان لطيفة في الآية

قال الزجاج رحمه الله - " لم تكن فتنتهم " **معنى لطيف** ، وذلك لأن الله تبارك وتعالى بين أن المشركين مفتونون بشركهم متهالكين على حبه ، فأعلم." (٢)

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٦٣/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٧٤/٨

"" " صفحة رقم ٣٩٥ " "

( يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (

قوله : ( يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ) . قد تقدم اختلاف القراء في تخفيف الميت وتثقيله وكذلك قوله " تخرجون " في سورة الأعراف ، و " كذلك " نعت مصدر محذوف أي ومثل ذلك الإخراج العجيب تخرجون .

واعلم أن وجه تعلق إخراج احي من الميت والميت من الحي بما قبله هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من سنة النوم وهو النوم إلى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشاء يخرج الإنسان من اليقظة إلى النوم . واختلف المفسرون في قوله : ( يخرج الحي من الميت ( فقال أكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان . وقيل : يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ثم قال : ( ويحي لأرض بعد موتها ( وفي **هذا معنى لطيف وهو** أن الإنسان بالموت تبطل حواسه ، وأما نفسه الناطقة فتفارقه ، وتبقى بعده كما قال : ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ( [ آل عمران : ١٦٩ ] لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك ، ولا يحس ، والأرض الميتة لا يكون فيها نماء ، ( ثم ) النائم بالانتباه يتحرك ويحس والأرض بعد موتها ( ينمو ) نباتها ، فكما أن تحريك ذلك الساكن وهذا الواقف سهل على الله ، كذلك إحياء الميت سهل على الله ، وإلى هذا أشار بقوله " وكذلك تخرجون " .

( س / ٤ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذآ أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغآؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم." (١)

"" " صفحة رقم ٤٥٢ " "

يؤذي آلة السمع ، وآل السمع على باب القلب فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب ولا كذلك اللمس وأيضا فلأن قبيح القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب . قوله : " إن أنكر " قيل : أنكر مبني من مبني للمفعول نحو : " أشغل مشن ذات النيين " ، وهو مختلف فيه ووحد " صوت " لأنه يراد به الجنس ولإضافته لجمع ، وقيل : يحتمل أن يكون " أنكر " من باب " أطوع له من بنانه " ومعناه أشد طاعة . فإن " أفعل " لا يجيء ( في ) " مفعل ولا في " مفعول " ولا في باب العيوب إلا ما شذ كقولهم " أطوع من كذا " للتفضيل على مطيع و " أشغل من ذات النحيين و " أحمق ( من فلان " ) من باب العيوب ، وعلى هذا فهو من باب " أفعل " كأشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر . أو نقول هو من باب " أشغل " مأخوذ من نكر الشيء فهو منكور ، وهذا أنكر منه ، وعلى هذا **فله معنى لطيف وهو** أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت منكر ( فيمكن ) أن يقال : هو

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣٩٥/١٥

من نكير كأحد من حديد .

فإن قيل : كيف يفهم كونه أنكر الأصوات مع أن حز المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد أشد صوتا ؟." (١)

"" " صفحة رقم ١٠٣ " "

من السماء والأرض أي من السماء المطر ومن الأرض النبات " لا إله إلا هو " مستأنف " فانى تؤفكون " أي فأنى تصرفون عن هذا الظاهر فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت ؟ ثم لما بين الأصل الأول وهو التوحيد ذلك الأصل الثاني وهو الرسالة فقال : ( وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ( يسلي نبيه - ( صلى الله عليه وسلم ) - ثم بين من حيث الإجمال أن المكذب في العذاب ( و ) غير المكذب له الثواب بقوله : ( وإلى لله ترجع الأمور ( ثم بين الأصل الثالث وهو الحشر فقال : ( ى أيها الناس إن وعد الله حق ( يعني وعد القيامة ) فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم ب الله الغرور ( أي الشيطان وقرأ العامة بفتح " الغرور " وهو صفة مبالغة كالصبور والشكور . وأبو السمال وأبو حيوة بضمها ؛ إماغ جمع غار كقاعد وقعود وإما مصدر كالجلوس .

( إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشآء ويهدي من يشآء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور (

قوله : ( إن الشيطان لكم عدو ( لما قال تعالى : ( ولا يغرنكم ب الله الغرور ( [ فاطر : ٥ ] يمنع العاقل من الاغترار وقال : ( الشيطان لكم عدو ف اتخذوه عدوا ( ولا تمسعوا قوله . قوله : ( ف اتخذوه عدوا ( أي اعملوا ما يسوؤه وهو العمل الصالح . ثم قال : ( إنما يدعو حزبه ليكونوا ( أي أشياعه ) ليكونوا من أصحاب السعير ( ( و ) في الآية أشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن من يكون له عدو فإما أن يعاديه مجازاة له وإما أن يرضيه فلما قال تعالى : ( إن الشيطان لكم عدو ( أمرهم بالعداوة وأشار إلى أن الطريق ليس إلا هذا . وأما الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إن أرضيتموه واتبعتموه فهو لا يؤديكم إلا إلى السعير .

واعلم أن من علم أن له عدوا لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يق له ويصير معه على." (٢)

"" " صفحة رقم ٥٥١ " "

حالا فهو كقول القائل : مررت بأخي زيد ( قائما ) ويريد كون زيد قائما . وذلك لا يجوز .

قلنا : من أكل لحمه فقط أكل فصار الأخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد .

فصل

في هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٤٥٢/١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ١٠٣/١٦

اللحم . وهذا من باب القياس الظاهر ؟ لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه فلما لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى ، لأن ذلك آلم .

وقوله : " لحم أخيه " آكد في المنع ؛ لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو ، وفي قوله : " ميتا " إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال : الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال : آكل لحم الأخ وهو ميت أيضا يؤلمه ومع هذا فهو في غاية القبح لما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه ، **وفيه معنى لطيف وهو** أن الاغتياب بأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة ، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب .

قوله : " فكرهتموه " قال الفراء : تقديره : فقد كرهتموه فلا تفعلوه . وقال ابن الخطيب : الفاء في تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال : أيحب للإنكار فكأنه قال : لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذن . وقال أبو البقاء : المعطوف عليه محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه . والمعنى يعرض عليكم فتكرهونه .

وقيل : إن صح ذلك عندكم فأنتم ( أي ) تكرهونه قال ابن الخطيب : هو كمتعلق المسبب بالسبب وترقبه عليه كقولك : جاء فلان ماشيا فتعب ، فقيل : هو خبر بمعنى الأمر كقولهم : " اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه " . وقرأ أبو حيوة والجحدري : فكرهتموه." (١)

" أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ) قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى في **هذا معنى لطيف وذلك** أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضاء والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا أحصى ثناء عليك أي لا أطيقه ولا آتي عليه وقيل لا أحيط به وقال مالك رحمه الله تعالى معناه لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك وقوله ( أنت كما أثنيت على نفسك ) اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والاحصار والتعيين فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه وكل ثناء أثني به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة في جواز إضافة الشر إلى الله تعالى كما يضاف إليه الخير لقوله اعوذ بك من سخطك ومن عقوبتك والله أعلم قوله ( عن مطرف بن عبد الله بن الشخير ) هو بكسر الشين والخاء المعجمتين قوله ( سبوح قدوس ) هما بضم السين والقاف وبفتحهما والضم أفصح وأكثر قال الجوهري في فصل ذرح كان سيبويه يقولهما بالفتح وقال الجوهري في فصل سبح سبوح من صفات الله تعالى قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٧/٥٥١

السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وكذلك الذروح وهي دويبة حمراء منقطة بسواد تطير وهي من ذوات السموم وقال بن فارس والزبيدي وغيرهما سبوح هوالله عز و جل فالمراد بالسبوح القدوس المسبح ." [١]

"جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٦٩

وقرأ ابن أبي عبلة وزيد بن علي ﴿ألا تكلم﴾ برفع الميم جعلها أن المخففة من الثقيلة التقدير أنه لا يكلم. وقرأ الجمهور بنصبها جعلوا أن الناصبة للمضارع ﴿فخرج على قومها من المحراب﴾ أي وهو بتلك الصفة من كونه لا يستطيع أن يكلم الناس ، ومحرابه موضع مصلاة ، والمحراب تقدم الكلام عليه في آل عمران ﴿فأوحى إليهم﴾ أي أشار. قال قتادة وابن منبه والكلبي والقرطبي أوحي إليهم أشار ، وذكره الزمخشري عن مجاهد قال : ويشهد له إلا رمزا. وعن ابن عباس كتب لهم على الأرض. وقال ابن عطية : وقال مجاهد : بل كتب لهم في التراب وكلا الوجهين وحي انتهى. وقال عكرمة : كتب في ورقة والوحي في كلام العرب الكتابة. ومنه قول ذي الرمة :

سوى الأربع الدهم اللواتي كأنهابقية وحي في بطون الصحائف

وقال عنترة

كوحي صحائف من عهد كسرىفأهداها لأعجم طمطمي

وقال جرير

كأن أخا اليهود يخط وحيابكاف في منازلها ولام

والجمهور على أن المعنى ﴿أن سبحوا ﴾ صلوا. وقيل أمرهم بذكر الله والتسبيح. قال المفسرون كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة إشارة. قال صاحب التحرير والتحبير وعندي في **هذا معنى لطيف وهو** أنه إنما خص بالتسبيح بالذكر لأن العادة جارية أن كل من رأى أمرا عجب منه أو رأى فيه بديع صنعة أو غريب حكمة يقول : سبحان الله سبحان الخالق ، فلما رأى حصول الولد من شيخ وعاقر عجب من ذلك فسبح وأمر بالتسبيح انتهى. وقال الزمخشري وابن عطية و﴿ءان﴾ مفسرة. وقال الحوفي ﴿أن سبحوا ﴾ ﴿ءان﴾ نصب بأوحى. وقال أبو البقاء : يجوز أن تكون مصدرية ، وأن تكون بمعنى أي انتهى. وقرأ طلحة أن سبحوه بهاء الضمير عائدة على الله تعالى. وروي ابن عزوان عن طلحة أن سجن بنون مشددة من غيروا وألحق فعل الأمر نون التوكيد الشديد.

﴿وعشيا * يايحي خذ الكتاب بقوة﴾ في الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحي وكبر وبلغ السن الذي يؤمر فيه قال الله له على لسان الملك وأبعد التبريزي في قوله إن المنادي له أبوه حين ترعرع ونشأ ، والصحيح ما سبق لقوله ﴿وءاتيناه الحكم صبيا﴾ و﴿الكتاب﴾ هو التوراة. قال ابن عطية بلا خلاف لأنه ولد قبل عيسى ولم يكن الإنجيل موجودا انتهى. وليس كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص كثير من الأنبياء بمثل ذلك. وقيل : ﴿الكتاب﴾ هنا اسم جنس أي اتل كتب الله. وقيل : ﴿الكتاب﴾ صحف إبراهيم. وقال الحسن وعلمه التوراة والإنجيل وأرسله إلى بني إسرائيل ، وكان يصوم ويصلي في حال طفوليته ويدعو إلى الله

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٢٠٤/٤

بقوة بجد واستظهار وعمل بما فيه والحكم النبوة أو حكم الكتاب أو الحكمة أو العلم بالأحكام أو اللب وهو العقل ، أو آداب الخدمة أو الفراسة الصادقة أقوال ﴿صبيا﴾ أي شابا لم يبلغ سن الكهولة. وقيل : ابن سنتين. وقيل : ابن ثلاث. وعن ابن عباس في حديث مرفوع : "ابن سبع سنين" ﴿وحنانا﴾ معطوف على الحكم والحنان الرحمة قاله ابن عباس في رواية والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك وأبو عبيدة والفراء وأنشد أبو عبيدة :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٦٩

تحنن على هداك المليكفإن لكل مقام مقالا

قال : وأكثر ما تستعمل مثنى كما قال :

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقال ابن الأنباري : المعنى وجعلناه لأهل زمانه. وقال مجاهد وتعطفا من ربه عليه. وعن ابن جبير : لينا. وعن عكرمة وابن زيد : محبة ، وعن عطاء تعظيما.

وقوله ﴿لدنا وزكواة﴾ عن الضحاك وقتادة عملا صالحا. وعن ابن السائب : صدقة تصدق بها على أبويه. وعن الزجاج تطهيرا. وعن ابن الأنباري زيادة في الخبر. وقيل ثناء كما يزكي الشهود. ﴿وكان تقيا﴾ . قال قتادة : لم يهم قط بكبيرة ولا صغيرة ولا هم بامرأة. وقال ابن عباس : جعله متقيا له لا يعدل به غيره. وقال مجاهد : كان طعامه العشب المباح وكان للدمع في خديه مجار بائنة ﴿وبرا بوالديه﴾ أي كثير البر والإكرام والتبجيل. وقرأ الحسن وأبو جعفر في رواية وأبو نهيك وأبو مجلز ﴿وبرا ﴾ في الموضعين بكسر الباء أي وذا بر ﴿ولم يكن جبارا﴾ أي متكبرا ﴿عصيا﴾ أي عاصيا كثير العصيان ، وأصله عصوى فعول للمبالغة ، ويحتمل أن يكون فعيلا وهي من صيغ المبالغة.

﴿وسلام عليه﴾ . قال الطبري : أي أمان. قال ابن عطية : والأظهر أنها التحية المتعارفة وإنما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر إلى الله ، وذكر الطبري عن الحسن أن عيسى ويحيى عليهما السلام التقيا وهما ابنا الخالة ، فقال يحيى لعيسى : ادع لي فأنت خير مني ، فقال له عيسى : بل أنت ادعى لي فأنت خير مني سلم الله عليك وأنا سلمت على نفسي.

" (١).

"ثم قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك هذه درجة أخرى بعد ما تقدم على الترتيب وذلك لأن المجادل إذا ذكر مسألة مختلفا فيها كقول القائل الزكاة تجب في مال الصغير فإذا قيل له لم فيقول كما تجب النفقة في ماله ولا يذكر أولا الجامع بينهما فإن قنع الطالب بمجرد التشبيه وأدرك من نفسه الجامع فذاك وإن لم يدرك أو لم يقنع يبدي الجامع فيقول كلاهما مال فضل عن الحاجة فيجب فكذلك ههنا ذكر أولا التمثيل بقوله وكذلك أنزلنا إليك ( العنكبوت ٤٧ ) ثم ذكر الجامع وهو المعجزة فقال ما علم كون تلك الكتب منزلة إلا بالمعجزة وهذا القرآن ممن لم يكتب ولم يقرأ عين

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٦/١٣٠

المعجزة فيعرف كونه منزلا وقوله تعالى إذا لارتاب المبطلون **فيه معنى لطيف وهو** أن النبي إذا كان قارئا كاتبا ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه فإن جميع كتبة الأرض وقرائها لا يقدرون عليه لكن على ذلك التقدير يكون للمبطل وجه ارتياب وعلى ما هو عليه لا وجه لارتيابه فهو أدخل في الإبطال وهذا كقوله تعالى وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ( البقرة ٢٣ ) أي من مثل محمد عليه السلام وكقوله الم ذالك الكتاب لا ريب فيه ( البقرة ١ ٢ )

ثم قال تعالى بل هو ءايات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم قوله في صدور الذين أوتوا العلم إشارة إلى أنه ليس من مخترعات الآدميين لأن من يكون له كلام مخترع يقول هذا من قلبي وخاطري وإذا حفظه من غيره يقول إنه في قلبي وصدري فإذا قال فى صدور الذين أوتوا العلم لا يكون من صدر أحد منهم والجاهل يستحيل منه ذلك ظهور له من الصدور ويلتحقون عنده هذه الأمة بالمشركين فظهوره من الله

ثم قال تعالى وما يجحد بئاياتنا إلا الظالمون قال ههنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون مع أن الكافر ظالم ولا تنافي بين الكلامين وفيه فائدة وهي أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم إن لكم المزايا فلا تبطلوها بإنكار محمد فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك كان بليغا يمنعهم من ذلك لاستنكافهم عن الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم إن جحدتم هذه الآية لزمكم إنكار إرسال الرسل فتلتحقون في أول الأمر بالمشركين حكما وتلتحقون عند هذه الآية بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين أي مشركين كما بينا أن الشرك ظلم عظيم فهذا اللفظ ههنا أبلغ وذلك اللفظ هناك أبلغ

وقالوا لولا أنزل عليه ءايات من ربه قل إنما الا يات عند الله وإنمآ أنا نذير مبين." (١)

"فيقول الحمد لله فإذا رأى الشمس فيها بازغة فيعلم أنها نعمة وكرامة فيقول الحمد لله وكذلك القمر وكل كوكب والأرض وكل نبات وكل حيوان يقول الحمد لله لكن الإنسان لو حمد الله على كل شيء على حدة لا يفي عمره به فإذا استحضر في ذهنه النعم التي لا تعد كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ( إبراهيم ٣٤ ) ويقول الحمد لله على ذلك فهذا الحمد على وجه الإجمال يقوم منه مقام الحمد على سبيل التفصيل ويقول عبدي استغرق عمره في حمدي وأنا وعدت الشاكر بالزيادة فله علي حسنة التسبيح الحسنى وله على حمده الزيادة ثم إن الإنسان إذا استغرق في صفات الله قد يدعوه عقله إلى التفكر في الله تعالى بعد التفكر في آلاء الله فكل ما يقع في عقله من حقيقته فينبغي أن يقول الله أكبر مما أدركه لأن المدركات وجهات الإدراكات لا نهاية لها فإن أراد أن يقول على سبيل التفصيل الله أكبر من هذا الذي أدركته من هذا الوجه وأكبر مما أدركته من ذلك الوجه وأكبر مما أدركته من وجه آخر يفني عمره ولا يفي بإدراك جميع الوجوه التي يظن الظان أنه مدرك لله بذلك الوجه فإذا قال مع نفسه الله أكبر أي من كل ما أتصوره بقوة عقلي وطاقة إدراكي يكون متوغلا في العرفان وإليه الإشارة بقوله

العجز عن درك الإدراك إدراك

فقول القائل المستيقظ ( سبحان الله والحمد لله والله أكبر ) مفيد لهذه الفوائد لكن شرطه أن يكون كلاما معتبرا وهو الذي يكون من صميم القلب لا الذي يكون من طرف اللسان

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٦٨/٢٥

المسألة الرابعة قوله وعشيا عطف على حين أي سبحوه حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وقوله وله الحمد فى السماوات والارض كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه لطيفة وهو أن الله تعالى لما أمر العباد بالتسبيح كأنه بين لهم أن تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفع يعود على الله فعليهم أن يحمدوا الله إذا سبحوه وهذا كما في قوله تعالى يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ( الحجرات ١٧ )

المسألة الخامسة قدم الإمساء على الإصباح ههنا وأخره في قوله وسبحوه بكرة وأصيلا ( الأحزاب ٤٢ ) وذلك لأن ههنا أول الكلام ذكر الحشر والإعادة من قوله الله يبدأ الخلق ثم يعيده ( الروم ١١ ) إلى قوله فأولئك فى العذاب محضرون ( الروم ١٦ ) وآخر هذه الآية أيضا ذكر الحشر والإعادة بقوله وكذلك تخرجون والإمساء آخر فذكر الآخر ليذكر الآخرة

المسألة السادسة في تعلق إخراج الحي من الميت والميت من الحي بما تقدم عليه هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من شبه الموت وهو النوم إلى شبه الوجود وهو اليقظة وعند العشاء يخرج الإنسان من اليقظة إلى النوم واختلف المفسرون في قوله يخرج الحى من الميت فقال أكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان وقال بعضهم المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويمكن أن يقال المراد يخرج الحى من الميت أي اليقظان من النائم والنائم من اليقظان وهذا يكون قد ذكره للتمثيل أي إحياء الميت عنده وإماتة الحي كتنبيه النائم وتنويم المنتبه

ثم قال تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت وفي **هذا معنى لطيف وهو** أن الإنسان بالموت تبطل حيوانيته وأما نفسه الناطقة فتفارقه وتبقى بعده كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا." (١)

"فما الاستفهام الذي قبله فنقول تقديره إذا ظهرت هذه الحجج على عنادهم فماذا نقول أهم يتبعون الأهواء من غير علم أم لهم دليل على ما يقولون وليس الثاني فيتعين الأول

المسألة الثانية قوله تعالى فهو يتكلم مجاز كما يقال إن كتابه لينطق بكذا **وفيه معنى لطيف وهو** أن المتكلم من غير دليل كأنه لا كلام له لأن الكلام هو المسموع وما لا يقبل فكأنه لم يسمع فكأن المتكلم لم يتكلم به وما لا دليل عليه لا يقبل فإذا جاز سلب الكلام عن المتكلم عند عدم الدليل وحسن جاز إثبات التكلم للدليل وحسن

وإذآ أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشآء ويقدر إن فى ذلك لأيات لقوم يؤمنون

قوله تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها لما بين حال المشرك الظاهر شركه بين حال المشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته الله للدنيا فإذا آتاه رضي وإذا منعه سخط وقنط ولا ينبغي أن يكون العبد كذلك بل ينبغي أن يعبد الله في الشدة والرخاء فمن الناس من يعبد الله في الشدة كما قال تعالى وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم ( الروم ٣٣ ) ومن الناس من يعبده إذا آتاه نعمة كما قال تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها والأول كالذي يخدم مكرها مخافة العذاب والثاني كالذي يخدم أجيرا لتوقع الأجر وكلاهما لا يكون من الثبتين في ديوان المرتبين في الجرائد الذين يأخذون رزقهم سواء كان هناك شغل أو لم يكن فكذلك القسمان لا يكونان من المؤمنين الذين لهم رزق عند ربهم وفيه مسألة وهي أن قوله تعالى فرحوا بها إشارة

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٩٤/٢٥

إلى دنو همتهم وقصور نظرهم فإن فرحهم يكون بما وصل إليهم لا بما وصل منه إليهم فإن قال قائل الفرح بالرحمة مأمور به في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك ( يونس ٥٨ ) وههنا ذمهم على الفرح بالرحمة فكيف ذلك فنقول هناك قال فرحوا برحمة الله من حيث إنها مضافة إلى الله تعالى وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم بما إذا كان من الله وهو كما أن الملك لو حط عند أمير رغيفا على السماط أو أمر الغلمان بأن يحطوا عنده زبدية طعام يفرح ذلك الأمير به ولو أعطى الملك فقيرا غير ملتفت إليه رغيفا أو زبدية طعام أيضا يفرح لكن فرح الأمير بكون ذلك من الملك وفرح الفقير بكون ذلك رغيفا وزبدية

ثم قال تعالى بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم لم يذكر عند النعمة سببا لها لتفضله بها وذكر عند العذاب سببا لأن الأول يزيد في الإحسان والثاني يحقق العدل قوله إذا هم يقنطون إذا للمفاجأة أي لا يصبرون على ذلك قليلا لعل الله يفرج عنهم وإنه يذكرهم به

ثم قال تعالى أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لايات لقوم يؤمنون أي لم يعلموا أن الكل من الله فالمحقق ينبغي أن لا يكون نظره على ما يوجد بل إلى من يوجد وهو الله فلا يكون." (١)

"الإنسان على تحصيلها بالمشي فإن عجز عن إدراك مقصوده ينادي مطلوبه فيقف له أو يأتيه مشيا إليه فإن عجز عن إبلاغ كلامه إليه وبعض الحيوانات يشارك الإنسان في تحصيل المطلوب بالصوت كما أن الغنم تطلب السخلة والبقرة العجل والناقة الفصيل بالثغاء والخوار والرغاء ولكن لا تتعدى إلى غيرها والإنسان يميز البعض عن البعض فإذا كان المشي والصوت مفضيين إلى مقصود واحد لما أرشده إلى أحدهما أرشده إلى الآخر الثاني هو أن الإنسان له ثلاثة أشياء عمل بالجوارح يشاركه فيه الحيوانات فإنه حركة وسكون وقول باللسان ولا يشاركه فيه غيره وعزم بالقلب وهو لا اطلاع عليه إلا لله وقد أشار إليه بقوله إنها إن تك مثقال حبة من خردل أي أصلح ضميرك فإن الله خبير بقي الأمران فقال واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إشارة إلى التوسط في الأفعال والأقوال الثالث هو أن لقمان أراد إرشاد ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والأوصاف التي هي للملك الذي هو أعلى مرتبة منه والأوصاف التي للحيوان الذي هو أدنى مرتبة منه فقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر إشارة إلى المكارم المختصة بالإنسان فإن الملك لا يأمر ملكا آخر بشيء ولا ينهاه عن شيء وقوله ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا الذي هو إشارة إلى عدم التكبر والتبختر إشارة إلى المكارم التي هي صفة الملائكة فإن عدم التكبر والتبختر صفتهم وقوله واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إشارة إلى المكارم التي هي صفة الحيوان ثم قال تعالى إلى أنكر الاصوات لصوت الحمير وفيه مسائل

المسألة الأولى لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي نقول أما على قولنا إن المشي والصوت كلاهما موصلان إلى شخص مطلوب إن أدركه بالمشي إليه فذاك وإلا فيوقفه بالنداء فنقول رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن وأما السرعة في المشي فلا تؤذي أو إن كانت تؤذي فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين واليسار ولأن المشي يؤذي آلة المشي والصوت يؤذي آلة السمع وآلة السمع على

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٠٨/٢٥

باب القلب فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب ولا كذلك المشي وأما على قولنا الإشارة بالشيء والصوت إلى الأفعال والأقوال فلأن القول قبيحه أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب والاعتبار يصحح الدعوى
المسألة الثانية كيف يفهم كونه أنكر مع أن مس المنشار بالمبرد وحت النحاس بالحديد أشد تنفيرا نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما أن المراد أن أنكر أصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد ما ذكرتم وما ذكرتم في أكثر الأمر لمصلحة وعمارة فلا ينكر بخلاف صوت الحمير وهذا وهو الجواب الثاني
المسألة الثالثة أنكر هو أفعل التفضيل فمن أي باب هو نقول يحتمل أن يكون من باب أطوع له من بنانه بمعنى أشدها طاعة فإن أفعل لا يجيء في مفعل ولا في مفعول ولا في باب العيوب إلا ما شذ كقولهم أطوع من كذا للتفضيل على المطيع وأشغل من ذات النحيين للتفضيل على المشغول وأحمق من فلان من باب العيوب وعلى هذا فهو في باب أفعل كأشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر أو نقول هو من باب أشغل مأخوذا من نكر الشيء فهو منكر وهذا أنكر منه وعلى هذا **فله معنى لطيف وهو** أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو غير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق فصوته منكور ويمكن أن يقال هو من نكير كأجدر من جدير." (١)

"ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون
الآية متعلقة بما قبلها من وجهين أحدهما أنه تعالى لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين أنهم معترفون بذلك غير منكرين له وهذا يقتضي أن يكون الحمد كله لله لأن خالق السموات والأرض يحتاج إليه كل ما في السموات والأرض وكون الحمد كله لله يقتضي أن لا يعبد غيره لكنهم لا يعلمون هذا والثاني أن الله تعالى لما سلى قلب النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بقوله فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم أي لا تحزن على تكذيبهم فإن صدقك وكذبهم يتبين عن قريب عند رجوعهم إلينا قال وليس لا يتبين إلا ذلك اليوم بل هو يتبين قبل يوم القيامة لأنهم معترفون بأن خلق السموات والأرض من الله وهذا يصدقك في دعوى الوحدانية ويبين كذبهم في الإشراك فقل الحمد لله على ظهور صدقك وكذب مكذبيك بل أكثرهم لا يعلمون أي ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وعلى هذا يكون لا يعلمون استعمالا للفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقول القائل فلأن يعطي ويمنع ولا يكون في ضميره من يعطي بل يريد أن له عطاء ومنعا فكذلك ههنا قال لا يعلمون أي ليس لهم علم وعلى الأول يكون لا يعلمون له مفعول مفهوم وهو أنهم لا يعلمون أن الحمد كله لله والثاني أبلغ لأن قول القائل فلان لا علم له بكذا دون قوله فلان لا علم له وكذا قوله فلان لا ينفع زيدا ولا يضره دون قوله فلان لا يضر ولا ينفع
لله ما فى السماوات والأرض إن الله هو الغنى الحميد
ذكر بما يلزم منه وهو أنه يكون له ما فيهما والأمر كذلك عقلا وشرعا أما عقلا فلأن ما في السموات المخلوقة مخلوق وإضافة خلقه إلى من منه خلق السموات والأرض لازم عقلا لأنها ممكنة والممكن لا يقع ولا يوجد إلا بواجب من غير

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١٣٢/٢٥

واسطة كما هو مذهب أهل السنة أو بواسطة كما يقوله غيرهم وكيفما فرض فكله من الله لأن سبب السبب سبب وأما شرعا فلأن من يملك أرضا وحصل منها شيء ما يكون ذلك لمالك الأرض فكذلك كل ما في السموات والأرض حاصل فيهما ومنهما فهو لمالك السموات والأرض وإذا كان الأمر كذلك تحقق أن الحمد كله لله ثم قوله تعالى إن الله هو الغنى الحميد **فيه معان لطيفة أحدها** أن الكل لله وهو غير محتاج إليه غير منتفع به وفيها منافع فهي لكم خلقها فهو غني لعدم حاجته حميد مشكور لدفعه حوائجكم بها وثانيها أن بعد ذكر الدلائل على أن الحمد كله لله ولا تصلح العبادة إلا لله افترق المكلفون فريقين مؤمن وكافر والكافر لم يحمد الله والمؤمن حمده فقال إنه غني عن حمد الحامدين فلا يلحقه نقص بسبب كفر الكافرين وحميد في نفسه فيتبين به إصابة المؤمنين وتكمل بحمده الحامدون وثالثها هو أن السموات وما فيها والأرض وما فيها إذا كانت لله ومخلوقة له فالكل محتاجون فلا غني إلا الله فهو الغني المطلق وكل محتاج فهو حامد لاحتياجه إلى من يدفع حاجته فلا يكون الحميد المطلق إلا الغني." (١)

"يكن لأحد أن يقول في ذلك شيئا فلم يكن خوفك من الناس له وجه كيف ولو كان أمرا مخوفا ما كان يجوز أن تخاف غير الله أو ليس لك قلبان وقلبك مشغول بتقوى الله فما كان ينبغي أن تخاف أحدا

ثم قال تعالى ذلكم قولكم بأفواهكم فيه لطيفة وهو أن الكلام المعتبر على قسمين أحدهما كلام يكون عن شيء كان فيقال والثاني كلام يقال فيكون كما قيل والأول كلام الصادقين الذين يقولون ما يكون والآخر كلام الصديقين الذين إذا قالوا شيئا جعله الله كما قالوه وكلاهما صادر عن قلب والكلام الذي يكون بالفم فحسب هو مثل نهيق الحمار أو نباح الكلب لأن الكلام المعتبر هو الذي يعتمد عليه والذي لا يكون عن قلب وروية لا اعتماد عليه والله تعالى ما كرم ابن آدم وفضله على سائر الحيوانات ينبغي أن يحترز من التخلق بأخلاقها فقول القائل هذا ابن فلان مع أنه ليس ابنه ليس كلاما فإن الكلام في الفؤاد وهذا في الفم لا غير واللطيفة هي أن الله تعالى ههنا قال ذلكم قولكم بأفواهكم وقال في قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذالك قولهم بأفواههم ( التوبة ٣٠ ) يعني نسبة الشخص إلى غير الأب قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل أيضا في قلب فهو قول بالفم مثل أصوات البهائم

ثم قال تعالى والله يقول الحق إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن العاقل ينبغي أن يكون قوله إما عن عقل أو عن شرع فإذا قال فلان ابن فلان ينبغي أن يكون عن حقيقة أو يكون عن شرع بأن يكون ابنه شرعا وإن لم يعلم الحقيقة كمن تزوج بامرأة فولدت لستة أشهر ولدا وكانت الزوجة من قبل زوجة شخص آخر يحتمل أن يكون الولد منه فإنا نلحقه بالزوج الثاني فلقيام الفراش ونقول إنه ابنه وفي الدعي لم توجد الحقيقة ولا ورد الشرع به لأنه لا يقول إلا الحق وهذا خلاف الحق لأن أباه مشهور ظاهر ووجه آخر فيه وهو أنهم قالوا هذه زوجة الابن فتحرم وقال الله تعالى هي لك حلال وقولهم لا اعتبار به فإنه بأفواههم كأصوات البهائم وقول الله حق فيجب اتباعه وقوله وهو يهدى السبيل يؤكد قوله والله يقول الحق يعني يجب اتباعه لكونه حقا ولكونه هاديا وقوله تعالى ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق فيه لطيفة وهو أن الكلام الذي بالفم فحسب يشبه صوت البهائم الذي يوجد لا عن قلب ثم إن الكلام الذي بالقلب قد يكون حقا وقد يكون باطلا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١٣٦/٢٥

لأن من يقول شيئا عن اعتقاد قد يكون مطابقا فيكون حقا وقد لا يكون فيكون باطلا فالقول الذي بالقلب وهو المعتبر من أقوالكم قد يكون حقا وقد يكون باطلا لأنه يتبع الوجود وقول الله حق لأنه يتبعه الوجود فإنه يقول عما كان أو يقول فيكون فإذن قول الله خير من أقوالكم التي عن قلوبكم فكيف تكون نسبته إلى أقوالكم التي بأفواهكم فإذن لا يجوز أن تأخذوا بقولكم الكاذب اللاغي وتتركوا قول الله الحق فمن يقول بأن تزوج النبي عليه الصلاة والسلام بزينب لم يكن حسنا يكون قد ترك قول الله الحق وأخذ بقول خرج عن الفم

ثم قال تعالى وهو يهدى السبيل إشارة إلى أن اتباع ما أنزل الله خير من الأخذ بقول الغير

ادعوهم لابآئهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا ءاباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيمآ أخطأتم به ولاكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما." (١)

"الأجر ذكر المؤتي وهو الله وعند العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف إشارة إلى كمال الرحمة والكرم كما أن الكريم الحي عند النفع يظهر نفسه وفعله وعند الضر لا يذكر نفسه وقوله تعالى وأعتدنا لها رزقا كريما وصف رزق الآخرة بكونه كريما مع أن الكريم لا يكون إلا وصفا للرزاق إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن الرزق في الدنيا مقدر على أيدي الناس التاجر يسترزق من السوقة والمعاملين والصناع من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق في الدنيا لا يأتي بنفسه وإنما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله إلى الأغيار وأما في الآخرة فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر فهو الذي يأتي بنفسه فلأجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم إلا الرزاق وفي الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق

يانسآء النبى لستن كأحد من النسآء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا

ثم قال تعالى كريما يانساء النبى لستن كأحد من النساء لما ذكر أن عذابهن ضعف عذاب غيرهن وأجرهن مثلا أجر غيرهن صرن كالحرائر بالنسبة إلى الإماء فقال لستن كأحد ومعنى قول القائل ليس فلان كآحاد الناس يعني ليس فيه مجرد كونه إنسانا بل وصف أخص موجود فيه وهو كونه عالما أو عاملا أو نسيبا أو حسيبا فإن الوصف الأخص إذا وجد لا يبقى التعريف بالأعم فإن من عرف رجلا ولم يعرف منه غير كونه رجلا يقول رأيت رجلا فإن عرف علمه يقول رأيت زيدا أو عمرا فكذلك قوله تعالى لستن كأحد من النساء يعني فيكن غير ذلك أمر لا يوجد في غيركن وهو كونكن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين وكما أن محمدا عليه السلام ليس كأحد من الرجال كما قال عليه السلام ( لست كأحدكم ) كذلك قرائبه اللاتي يشرفن به وبين الزوجين نوع من الكفاءة

ثم قوله تعالى إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول يحتمل وجهين أحدهما أن يكون متعلقا بما قبله على معنى لستن كأحد إن اتقيتن فإن الأكرم عند الله هو الأتقى وثانيهما أن يكون متعلقا بما بعده على معنى إن اتقيتن فلا تخضعن والله تعالى لما منعهن من الفاحشة وهي الفعل القبيح منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال والانقياد في الكلام للفاسق ثم قوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض أي فسق وقوله تعالى وقلن قولا معروفا أي ذكر الله وما تحتجن إليه من الكلام والله تعالى لما قال فلا تخضعن بالقول ذكر بعده وقلن إشارة إلى أن ذلك ليس أمرا بالإيذاء والمنكر بل القول المعروف وعند الحاجة هو المأمور به

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٦٧/٢٥

لا غيره

وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الا ولى وأقمن الصلواة وءاتين الزكواة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا." (١)

"التشفي بتعذيب المضلين ويقولون ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا أي بسبب ضلالهم وإضلالهم وفي قوله تعالى ضعفين والعنهم لعنا **كثيرا معنى لطيف وهو** أن الدعاء لا يكون إلا عند عدم حصول الأمر المدعو به والعذاب كان حاصلا لهم واللعن كذلك فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب بقولهم ضعفين وزيادة اللعن بقولهم لعنا كبيرا

يأيها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين ءاذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها

لما بين الله تعالى أن من يؤذي الله ورسوله يلعن ويعذب وكان ذلك إشارة إلى إيذاء هو كفر أرشد المؤمنين إلى الامتناع من إيذاء هو دونه وهو لا يورث كفرا وذلك مثل من لم يرض بقسمة النبي عليه السلام وبحكمه بالفيء لبعض وغير ذلك فقال كبيرا يأيها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين ءاذوا موسى وحديث إيذاء موسى مختلف فيه قال بعضهم هو إيذاؤهم إياه بنسبته إلى عيب في بدنه وقال بعضنم ( إن ) قارون قرر مع امرأة فاحشة حتى تقول عند بني إسرائيل إن موسى زنى بي فلما جمع قارون القوم والمرأة حاضرة ألقى الله في قلبها أنها صدقت ولم تقل ما لقنت وبالجملة الإيذاء المذكور في القرآن كاف وهو أنهم قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا ( المائدة ٢٤ ) وقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ( البقرة ٥٥ ) وقولهم لن نصبر على طعام واحد ( البقرة ٦١ ) إلى غير ذلك فقال للمؤمنين لا تكونوا أمثالهم إذا طلبكم الرسول إلى القتال أي لا تقولوا اذهب أنت وربك فقاتلا ولا تسألوا ما لم يؤذن لكم فيه ( وإذا أمركم الرسول بشيء فأتوا منه ما استطعتم ) وقوله فبرأه الله مما قالوا على الأول ظاهر لأنه أبرز جسمه لقومه فرأوه وعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المرأة بالحق وأمر الملائكة حتى عبروا بهرون عليهم فرأوه غير مجروح فعلموا براءة موسى عليه السلام عن قتله الذي رموه به وعلى ما ذكرنا فبرأه الله مما قالوا أي أخرجه عن عهدة ما طلبوا بإعطائه البعض إياهم وإظهاره عدم جواز البعض وبالجملة قطع الله حجتهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم وقوله وكان عند الله وجيها أي ذا وجاهة ومعرفة والوجيه هو الرجل الذي يكون له وجه أي يكون معروفا بالخير وكل أحد وإن كان عند الله معروفا لكن المعرفة المجردة لا تكفي في الوجاهة فإن من عرف غيره لكونه خادما له وأجيرا عنده لا يقال هو وجيه عند فلان وإنما الوجيه من يكون له خصال حميدة تجعل من شأنه أن يعرف ولا ينكر وكان كذلك

يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما." (٢)

"في أشياء في الإطلاق على العبد حقيقة وعلى الله مجازا كالاستواء والنزول والمعية ويد الله وجنب الله

ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهاؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٨٠/٢٥

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢٠١/٢٥

الجن أكثرهم بهم مؤمنون

ثم قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون لما بين أن حال النبي ( صلى الله عليه وسلم ) كحال من تقدمه من الأنبياء وحال قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة أموالهم وأولادهم بين ما يكون من عاقبة حالهم فقال ويوم يحشرهم جميعا يعني المكذبين بك وبمن تقدمك ثم نقول لمن يدعون أنهم يعبدونهم وهم الملائكة فإن غاية ما ترتقي إليه منزلتهم أنهم يقولون نحن نعبد الملائكة والكواكب فيسأل الملائكة أهم كانوا يعبدونكما إهانة لهم فيقول كل منهم سبحانك ننزهك عن أن يكون غيرك معبودا وأنت معبودنا ومعبود كل خلق وقولهم أنت ولينا من دونهم إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن مذاهب الناس مختلفة بعضهم لا يسكن المواضع المعمورة التي يكون فيها سواد عظيم لأنه لا يترأس هناك فيرضى لضياع والبلاد الصغيرة وبعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم اجتماعه فيها بالناس وقلة وصوله فيها إلى الأكياس ثم إن الفريقين جميعا إذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الأرذال الذين لا التفات إليهم أصلا يختار العاقل خدمة السلطان على استخدام من لا يؤبه به ولو أن رجلا سكن جبلا ووضع بين يديه شيئا من القاذورات واجتمع عليه الذباب والديدان وهو يقول هؤلاء أتباعي وأشياعي ولا أدخل المدينة مخافة أن أحتاج إلى خدمة السلطان العظيم والتردد إليه ينسب إلى الجنون فكذلك من رضي بأن يترك خدمة الله وعبادته ورضي باستتباع الهمج الذين هم أضل من البهائم وأقل من الهوام يكون مجنونا فقالوا أنت ولينا من دونهم يعني كونك ولينا بالمعبودية أولى وأحب إلينا من كونهم أولياءنا بالعبادة لنا وقالوا بل كانوا يعبدون الجن أي كانوا ينقادون لأمر الجن فهم في الحقيقة كانوا يعبدون الجن ونحن كنا كالقبلة لهم لأن العبادة هي الطاعة وقوله تعالى أكثرهم بهم مؤمنون لو قال قائل جميعهم كانوا تابعين للشياطين فما وجه قوله أكثرهم بهم مؤمنون فإنه ينبيء أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطع لهم نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما أن الملائكة احترزوا عن دعوى الإحاطة بهم فقالوا أكثرهم لأن الذين رأوهم واطلعوا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملائكة عليه من الكفار الثاني هو أن العبادة عمل ظاهر والإيمان عمل باطن فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون عند عمل القلب لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فإن القلب لا اطلاع عليه إلا لله كما قال تعالى إنه عليم بذات الصدور ( الأنفال ٤٣ )

فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون." [١]

"( الأنبياء ١٨ ) وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها أيضا ظاهر وذلك من حيث إن براهين التوحيد لما ظهرت ودحضت شبههم قال قل إن ربي يقذف بالحق أي على باطلكم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه **له معنى لطيف وهو** أن البرهان الباهر المعقول الظاهر لم يقم إلا على التوحيد والرسالة وأما الحشر فعلى وقوعه لا برهان غير إخبار الله تعالى عنه وعن أحواله وأهواله ولولا بيان الله بالقول لما بان لأحد بخلاف التوحيد والرسالة فلما قال يقذف بالحق أي على الباطل إشارة إلى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة قال علام الغيوب أي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة وأحوالها فهو لا خلف

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢٢٩/٢٥

فيه فإن الله علام الغيوب والآية تحتمل تفسيرا آخر وهو أن يقال ربى يقذف بالحق أي ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل والباء على الوجهين الأولين متعلق بالمفعول به أي الحق مقذوف وعلى هذا الباء فيه كالباء في قوله وقضى بينهم بالحق ( الزمر ٦٩ ) وفي قوله فاحكم بين الناس بالحق ( ص ٢٦ ) والمعنى على هذا الوجه هو أن الله تعالى قذف ما قذف في قلب الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم

قل جآء الحق وما يبدى ء الباطل وما يعيد

لما ذكر الله أنه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال ذكر أن ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه أحدها أنه القرآن الثاني أنه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي ( صلى الله عليه وسلم ) الثالث المعجزات الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويحتمل أن يكون المراد من جاء الحق ظهر الحق لأن كل ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف الحق وقد بينا أن الحق هو الموجود ولما كان ما جاء به النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر كان حقا لا ينتفي ولما كان ما يأتون به من الإشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت وهذا المعنى يفهم من قوله وما يبدىء الباطل أي الباطل لا يفيد شيئا في الأولى ولا في الآخرة فلا إمكان لوجوده أصلا والحق المأتي به لا عدم له أصلا وقيل المراد لا يبدىء الشيطان ولا يعيد **وفيه معنى لطيف وهو** أن قوله تعالى قل إن ربى يقذف بالحق لما كان فيه معنى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه كان يقع لمتوهم أن الباطل كان فورد عليه الحق فأبطله ودمغه فقال ههنا ليس للباطل تحقق أولا وآخرا وإنما المراد من قوله فيدمغه أي فيظهر بطلانه الذي لم يزل كذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى في موضع آخر وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ( الإسراء ٨١ ) يعني ليس أمرا متجددا زهوق الباطل فقوله وما يبدىء الباطل أي لا يثبت في الأول شيئا خلاف الحق ولا يعيد أي لا يعيد في الآخرة شيئا خلاف الحق

قل إن ضللت فإنمآ أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب." (١)

"ما يمنع العاقل من الاغترار وقال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا أي اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح

ثم قال تعالى إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن من يكون له عدو فله في أمره طريقان أحدهما أن يعاديه مجازاة له على معاداته والثاني أن يذهب عداوته بإرضائه فلما قال الله تعالى إن الشيطان لكم عدوا أمرهم بالعداوة وأشار إلى أن الطريق ليس إلا هذا وأما الطريق الآخر وهو الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إذا راضيتموه واتبعتموه فهو لا يؤديكم إلا إلى السعير

واعلم أن من علم أن له عدو لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يقف عنده يصبر على قتاله والصبر معه الظفر فكذلك الشيطان لا يقدر الإنسان أن يهرب منه فإنه معه ولا يزال يتبعه إلا أن يقف له ويهزمه فهزيمة الشيطان بعزيمة الإنسان فالطريق الثبات على الجادة والاتكال على العبادة

ثم بين الله تعالى حال حزبه وحال حزب الله فقال

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢٣٤/٢٥

الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير

الذين كفروا لهم عذاب شديد فالمعادي للشيطان وإن كان في الحال في عذاب ظاهر وليس بشديد والإنسان إذا كان عاقلا يختار العذاب المنقطع اليسير دفعا للعذاب الشديد المؤبد ألا ترى أن الإنسان إذ عرض في طريقه شوك ونار ولا يكون له بد من أحدهما يتخطى الشوزك ولا يدخل النار ونسبة النار التي في الدنيا إلى النار التي في الآخرة دون نسبة الشوك إلى النار العاجلة

وقال تعالى والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير قد ذكر تفسيره مرارا وبين فيه أن الإيمان في مقابلته المغفرة فلا يؤيده مؤمن في النار والعمل الصالح في مقابلته الأجر الكبير

أفمن زين له سو ء عمله فرءاه حسنا فإن الله يضل من يشآء ويهدى من يشآء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون

ثم قال تعالى من زين له سوء عمله فرءاه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات يعني ليس من عمل سيئا كالذي عمل صالحا كما قال بعد هذا بآيات وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وله تعلق بما قبله وذلك من حيث إنه تعالى لما بين حال المسيء الكافر والمحسن المؤمن وما من أحد يعترف بأنه يعمل سيئا إلا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد هو الذي يتبع الشيطان وهو محمد وقومه الذين استهوتهم الجن افتبعوها والذي له الأجر العظيم نحن الذين دمنا على ما كان عليه آباؤنا فقال الله تعالى لستم أنتم بذلك فإن المحسن غير ومن زين له العمل السيء فرآه حسنا غير بل الذين زين لهم السيء دون من أساء وعلم أنه مسيء فإن الجاهل الذي يعلم جهله والمسيء الذي يعمل سوء عمله يرجع ويتوب والذي لا يعلم يصر على الذنوب والمسيء العالم له صفة ذم بالإساءة وصفة مدح بالعلم والمسيء الذي يرى الإساءة إحسانا له صفتا ذم الإساءة والجهل ثم بين أن الكل بمشيئة الله وقال فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وذلك لأن الناس أشخاصهم متساوية في الحقيقة والإساءة." (١)

"النبي ( صلى الله عليه وسلم ) يصيبه من آلهتهم عذاب وهي الكواكب فكان النبي ( صلى الله عليه وسلم ) يحلف بأمر الله وإنزال كلامه عليه و بأشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم أرفع شأنا وأمنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد أنه ليس بكاذب الثاني هو أن المتناظرين إذا وقع بينهما كلام وغلب أحدهما الآخر بتمشية دليله وأسكته يقول المطلوب إنك قررت هذا بقوة جدالك وأنت خبير في نفسك بضعف مقالك وتعلم أن الأمر ليس كما تقول وإن أقمت عليه صورة دليل وعجزت أنا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر لأن الساكت المنقطع يقول في الدليل الآخر ما قاله في الأول فلا يجد أمرا إلا اليمين فيقول والله إني لست مكابرا وإن الأمر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت إليه فههنا يتعين اليمين فكذلك النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لما أقام البراهين وقالت الكفرة ما هاذا إلا رجل يريد أن يصدكم وقالوا للحق لما جاءهم إن هاذا إلا سحر مبين تعين التمسك بالأيمان لعدم فائدة الدليل الثالث هو أن هذا ليس مجرد الحلف وإنما هو دليل خرج في صورة اليمين لأن القرآن معجزة ودليل كونه مرسلا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٦/٢٦

هو المعجزة والقرآن كذلك فإن قيل فلم لم يذكر في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين قلنا الدليل أن ذكره في صورة اليمين قد لا يقبل عليه سامع فلا يقبله فؤاده فإذا ابتدىء به على صورة اليمين واليمين لا يقع لا سيما من العظيم الأعلى أمر عظيم والأمر العظيم تتوفر الدواعي على الإصغاء إليه فلصورة اليمين تشرئب إليه الأجسام ولكونه دليلا شافيا يتشربه الفؤاد فيقع في السمع وينفع في القلب

المسألة الثانية كون القرآن حكيما عندهم لكون محمد رسولا فلهم أن يقولوا إن هذا ليس بقسم نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما أن كون القرآن معجزة بين إن أنكروه قيل لهم فأتوا بسورة من مثله والثاني أن العاقل لا يثق بيمين غيره إلا إذا حلف بما يعتقد عظمته فالكافر إن حلف بمحمد لا نصدقه كما نصدقه لو حلف بالصليب والصنم ولو حلف بديننا الحق لا يوثق بمثل ما يوثق به لو حلف بدينه الباطل وكان من المعلوم أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) وأصحابه يعظمون القرآن فحلفه به هو الذي يوجب ثقتهم به

على صراط مستقيم

وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر بعد خبر أي إنك على صراط مستقيم والمستقيم أقرب الطرق الموصلة إلى المقصد والدين كذلك فإنه توجه إلى الله تعالى وتولى عن غيره والمقصد هو الله والمتوجه إلى المقصد أقرب إليه من المولى عنه والمتحرف منه ولا يذهب فهم أحد إلى أن قوله إنك منهم على صراط مستقيم مميز له عن غيره كما يقال إن محمدا من الناس مجتبى لأن جميع المرسلين على صراط مستقيم وإنما المقصود بيان كون النبي ( صلى الله عليه وسلم ) على الصراط المستقيم الذي يكون عليه المرسلون وقوله على صراط مستقيم **فيه معنى لطيف يعلم** منه فساد قول المباحية الذين يقولون المكلف يصير واصلا إلى الحق فلا يبقى عليه تكليف وذلك من حيث إن الله بين أن المرسلين ما داموا في الدنيا فهم سالكون سائحون مهتدون منتهجون إلى السبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل العاجز." (١)

"والمدينة هي أنطاكية وهي كانت كبيرة شاسعة وهي الآن دون ذلك ومع هذا فهي كبيرة وقوله تعالى قال ياءادم قوم اتبعوا المرسلين **فيه معان لطيفة الأول** في قوله عليه قوم فإنه ينبيء عن إشفاق عليهم وشفقة فإن إضافتهم إلى نفسه بقوله عليه قوم يفيد أنه لا يريد بهم إلا خيرا وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون ءامن ياقوم اتبعون ( غافر ٣٨ ) فإن قيل قال هذا الرجل اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعون فما الفرق نقول هذا الرجل جاءهم وفي أول مجيئه نصحهم وما رأوا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل وأما مؤمن آل فرعون فكان فيهم واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الإيمان بموسى وهارون عليهما السلام واعلموا أنه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وأنتم تعلمون أني اخترته ولم يكن للرجل الذي جاء من أقصى المدينة أن يقول أنتم تعلمون اتباعي لهم الثاني جمع بين إظهار النصحية وإظهار إيمانه فقوله اتبعوا نصحية وقوله المرسلين إظهار أنه آمن الثالث قدم إظهار النصيحة على إظهار الإيمان لأنه كان ساعيا في النصح وأما الإيمان فكان قد آمن من قبل وقوله رجل يسعى يدل على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته أنه كان يقتل وهو يقول ( اللهم اهد قومي ) ثم قال تعالى

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ٣٧/٢٦

اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون

وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث إنه لما قال اتبعوا المرسلين كأنهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لا شك أن الخلق في الدنيا سالكون طريقة وطالبون للاستقامة والطريق إذا حصل فيه دليل يدل يجب اتباعه والامتناع من الاتباع لا يحسن إلا عند أحد أمرين إما مغالاة الدليل في طلب الأجرة وإما عند عدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفته الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون أجرة وهم مهتدون عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة إلى الحق فهب أنهم ليسوا بمرسلين هادين أليسوا بمهتدين فاتبعوهم

وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون

ثم قال تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني لماق ال وما لي لا أعبد الذي فطرني لماق ال لماق ال وهم مهتدون ( يس ٢١ ) بين ظهور اهتدائهم بأنهم يدعون من عبادة الجماد إلى عبادة الحي القويم ومن عبادة ما لا ينفع إلى عبادة من منه كل نفع وفيه لطائف الأولى قوله مالي أي مالي مانع من جانبي إشارة إلى أن الأمر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه فمن يمتنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم عبدته وفي العدول عن مخاطبة القوم إلى حال نفسه حكمة أخرى ولطيفة ثانية وهي أنه لو قال مالكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله ومالي لأنه لما قال ومالي وأحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل أحد أنه لا يطلب العلة وبيانها من أحد لأنه أعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع وأما لو قال ( مالكم ) جاز أن يفهم منه أنه يطلب بيان العلة لكون غيره أعلم بحال نفسه فإن قيل قال الله مالكم لا ترجون لله وقارا ( نوح ١٣ ) نقول القائل هناك غير مدعو وإنما هو داع وههنا الرجل مدعو إلى الإيمان فقال ومالي لا أعبد وقد طلب مني ذلك الثانية قوله الذى فطرنى إشارة إلى وجود المقتضى فإن قوله ومالي إشارة إلى عدم المانع." (١)

"وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضى فقوله على الذى فطرنى ينبيء عن الاقتضاء فإن الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك إكرامه وتعظيمه ومنعم بالإيجاد والمنعم يجب على المنعم شكر نعمته الثالثة قدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضى مع أن المستحسن نتقديم المقتضى حيث وجد المقتضى ولا مانع فيوجد لأن المقتضى لظهوره كان مستغنيا عن البيان رأسا فلا أقل من تقديم ما هو أولى بالبيان لوجود الحاجة إليه الرابعة اختار من الآيات فطرة نفسه لأنه لما قال لى لا أعبد بإسناد العبادة إلى نفسه اختار ما هو أقرب إلى إيجاب العبادة على نفسه وبيان ذلك هو أن خالف عمرو يجب على زيد عبادته لأنه من خلق عمرا لا يكون إلا كامل القدرة شامل العلم واجب الوجود وهو مستحق للعبادة بالنسبة إلى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد أظهر إيجابا

واعلم أن المشهور في قوله فطرنى خلقني اختراعا وابتداعا والغريب فيه أن يقال فطرني أي جعلني على الفطرة كما قال الله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها ( الروم ٣٠ ) وعلى هذا فقوله لى لا أعبد أي لم يوجد في مانع فأنا باق على فطرة ربي الفطرة كافية في الشهادة والعبادة فإن قيل فعلى هذا يختلف معنى الفطر في قوله فاطر السماوات ( الأنعام ١٤ ) فنقول قد قيل بأن فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالمحذور لازم أو نقول المعنى فيهما واحد كأنه قال فطر المكلف على

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٤٩/٢٦

فطرته وفطر السموات على فطرتها والأول من التفسير أظهر

وقوله تعالى وإليه ترجعون إشارة إلى الخوف والرجاء كما قال وادعوه خوفا وطمعا ( الأعراف ٥٦ ) وذلك لأن من يكون إليه المرجع يخاف منه ويرجى وفيه **أيضا معنى لطيف وهو** أن العابد على أقسام ثلاثة ذكرناها مرارا فالأول عابد يعبد الله لكونه إلها مالكا سواء أنعم بعد ذلك أو لم ينعم كالعبد الذي يجب عليه خدمة سيده سواء أحسن إليه أو أساء والثاني عابد يعبد الله للنعمة الواصلة إليه والثالث عابد يعبد الله خوفا مثال الأول من يخدم الجواد ومثال الثاني من يخدم الغاشم فجعل القائل نفسه من القسم الأعلى وقال لى  لا أعبد الذى فطرنى أي هو مالكي أعبده لأنظر إلى ما سيعطيني ولأنظر إلى أن لا يعذبني وجعلهم دون ذلك فقال وإليه ترجعون أي خوفكم منه ورجاؤكم فيه فكيف لا تعبدونه ولهذا لم يقل وإليه أرجع كما قال فطرني لأنه صار عابدا من القسم الأول فرجوعه إلى الله لا يكن إلا للإكرام وليس سبب عبادته ذلك بل غيره أءتخذ من دونه ءالهة  إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون

ثم قال تعالى أءتخذ من دونه ءالهة  ليتم التوحيد فإن التوحيد بين التعطيل والإشراك فقال ومالي لا أعبد إشارة إلى وجود الإله وقال من دونه ءالهة  إشارة إلى نفي غيره فيتحقق معنى لا إله إلا الله وفي الآية أيضا لطائف الأولى ذكره على طريق الاستفهام فيه معنى وضوح الأمر وذلك أن من أخبر من شيء فقال مثلا لا أتخذ يصح من السامع أن يقول له لم لا تتخذ فيسأله عن السبب فإذا قال أأتخذ يكون كلامه أنه مستغن عن بيان السبب الذي يطالب به عند الإخبار كأنه يقول استشرتك فدلني والمتشار يتفكر فكأنه يقول تفكر في الأمر تفهم من غير إخبار مني الثانية قوله من دونه وهي لطيفة عجيبة وبيانها هو أنه لما بين أنه يعبد الله بقوله الذى فطرنى ( يس ٢٢ ) بين أن من دونه لا تجوز عبادته فإن عبد غير الله وجب عبادة كل شيء." (١)

"عن إحياء الموتى وفيه مسائل

المسألة الأولى قوله كلها يدل على أن أفعال العباد مخلوقة لله لأن الزوج هو الصنف وأفعال العباد أصناف ولها أشباه واقعة تحت أجناس الأعراض فتكون من الكل الذي قال الله فيها إنه خلق الأزواج كلها لا يقال مما تنبت الأرض يخرج الكلام عن العموم لأن من قال أعطيت زيدا كل ما كان لي يكون للعموم إن اقتصر عليه فإذا قال بعده من الثياب لا يبقى الكلام على عمومه لأنا نقول ذلك إذا كانت من لبيان التخصيص أما إذا كانت لتأكيد العموم فلا بدليل أن من قال أعطيته كل شيء من الدواب والثياب والعبيد والجواري يفهم منه أنه يعدد الأصناف لتأكيد العموم ويؤيد هذا قوله تعالى في حم الذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ( الزخرف ١٢ ) من غير تقييد

المسألة الثانية ذكر الله تعالى أمورا ثلاثة ينحصر فيها المخلوقات فقوله مما تنبت الارض يدخل فيها ما في الأرض من الأمور الظاهرة كالنبات والثمار وقوله ومن أنفسهم يدخل فيها الدلائل النفسية وقوله ومما لا يعلمون يدخل ما في أقطار السموات وتخوم الأرضين وهذا دليل على أنه لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل أن الأنعام مما خلقها الله والمعادن لم يذكرها وإنما ذكر الأشياء لتأكيد معنى العموم كما ذكرنا في المثال

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ٥٠/٢٦

المسألة الثالثة قوله ومما لا يعلمون **فيه معنى لطيف وهو** أنه تعالى إنما ذكر كون الكل مخلوقا لينزه الله عن الشريك فإن المخلوق لا يصلح شريكا للخلق لكن التوحيد الحقيقي لا يحصل إلا بالاعتراف بأن لا إله إلا الله فقال تعالى اعلموا أن المانع من التشريك فيما تعلمون وما لا تعلمون لأن الخلق عام والمانع من الشركة الخلق فلا تشركوا بالله شيئا مما تعلمون فإنكم تعلمون أنه مخلوق ومما لا تعلمون فإنه عند الله كله مخلوق لكون كله ممكنا ثم قال تعالى

وءاية لهم اليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون

لما استدل الله بأحوال الأرض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فإن درلة المكان والزمان مناسبة لأن المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الأعراض لأن كل عرض فهو في زمان ومثله مذكور في قوله تعالى ومن ءاياته اليل كلا والقمر ( فصلت ٣٧ ) ثم قال بعده ومن ءاياته أنك ترى الارض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ( فصلت ٣٩ ) حيث استدل بالزمان والمكان هناك أيضا لكن المقصود أولا هناك إثبات الوحدانية بدليل قوله تعالى لا تسجدوا للشمس ( فصلت ٣٧ ) ثم الحشر بدليل قوله تعالى إن الذى أحياها فانظر إلى ( فصلت ٣٩ ) وههنا المقصود أولا إثبات الحشر لأن السورة فيها ذكر الحشر أكثر يدل عليه النظر في السورة وهناك ذكر التوحيد أكثر بدليل قوله تعالى فيه قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ( فصلت ٩ ) إلى غيره وآخر السورتين يبين الأمر وفيه مسائل." [(١)]

"شيء يل يكون معناه هم في عمل ثم بين عملهم بأنه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب وثالثها في شغل عما توثعوه فإنهم تصوروا في الدنيا أمورا وقالوا نحن إذا دخلنا الجنة لا نطلب إلا كذا وكذا فرأوا ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به وفيه وجوه غير هذه ضعيفة أحدها قيل افتضاض الأبكار وهذا ما ذكرناه في الوجه الثالث أن الإنسان قد يترجح في نظره الآن مداعبة الكواعب فيقول في الجنة ألتذ بها ثم إن الله ربما يأتيه ما يشغله عنها وثانيها قيل في ضرب الأوتار وهو من قبيل ما ذكرناه توهم وثالثها في التزاور ورابعها في ضيافة الله وهو قريب مما قلنا لأن ضيافة الله تكون بألذ مما يمكن وحينئذ تشغله تلك عما توهمه في دنياه وقوله فاكهون خبر إن و فى شغل بيان ما فكاهتهم فيه يقال زيد على عمله مقبل وفي بيته جالس فلا يكون الجار والمجرور خبرا ولو نصبت جالسا لكان الجار والمحرور خبرا وكذلك لو قال في شغل فاكهين لكان معناه أصحاب الجنة مشغولون فاكهين على الحال وقرىء بالنصب والفاكه الملتذ المتنعم به ومنه الفاكهة لأنها لا تكون في السعة إلا للذة فلا تؤكل لدفع ألم الجوع **وفيه معنى لطيف وهو** أنه أشار بقوله فى شغل عن عدمهم الألم فلا ألم عندهم ثم بين بقوله فاكهون عن وجدانهم اللذة وعادم الألم قد لا يكون واجدا للذة فبين أنهم على أتم حال ثم بين الكمال بقوله هم وأزواجهم وذلك لأن من يكون في لذة قد تتنغص عليه بسبب تفكره في حال من يهمه أمره فقال هم وأزواجهم أيضا فلا يبقى لهم تعلق قلب وأما من في النار من أقاربهم وإخوانهم فيكونون هم عنهم في شغل ولا يكون منهم عندهم ألم ولا يشتهون حضورهم والأزواج يحتلم وجهين أحدهما أشكالهم في الإحسان وأمثالهم في الإيمان كما قال تعالى من شكله أزواج ( ص ٥٨ ) وثانيهما الأزواج هم المفهومون من زوج المرأة وزوجة الرجل كما في قوله تعالى إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ( المعارج ٣٠ ) وقوله تعالى ويذرون أزواجا ( البقرة ٢٣٤ ) فإن المراد ليس هو الإشكال وقوله فى ظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة والمراد به

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٦١/٢٦

الوقاية عن مكان الألم فإن الجالس تحت كن لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعدا لدفع الألم فكذلك لهم من ظل الله ما يقيهم الأسواء كما قال تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ( فاطر ٣٥ ) وقال لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ( الإنسان ١٣ ) إشارة إلى عدم الآلام وفيه لطيفة أيضا وهي أن حال المكلف إما أن يكون اختلالها بسبب ما فيه من الشغل وإن كان في مكان عال كالقاعد في حر الشمس في البستان المتنزه أو يكون بسبب المكان وإن كان الشغل مطلوبا كملاعبة الكواعب في المكان المكشوف وإما أن يكون بسبب المأكل كالمتفرج في البستان إذا أعوزه الطعام وإما بسبب فقد الحبيب وإلى هذا يشير أهل القلب في شرائط السماع بقولهم الزمان والمكان والإخوان قال تعالى فى شغل فاكهون إشارة إلى أنهم ليسوا في تعب وقال هم وأزواجهم إشارة إلى عدم الوحدة الموحشة وقال فى ظلال على الارائك متكئون إشارة إلى المكان وقال لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون إشارة إلى دفع جميع حوائجهم وقوله متكئون إشارة إلى أدل وضع على القوة والفراغة فإن القائم قد يقوم لشغل والقاعد قد يقعد لهم وأما المتكىء فلا يتكىء إلا عند الفراغ والقدرة لأن المريض لا يقدر على الإتكاء وإنما يكون مضطجعا أو مستلقيا والأرائك جمع أريكة وهي السرير الذي عليه الفرش وهو تحت الحجلات فيكون مرئيا هو وما فوقه وقوله لهم فيها فاكهة إشارة إلى أن لا جوع هناك وليس الأكل لدفع." (١)

"ثم قال تعالى أفلا يشكرون هذه النعم التي توجب العبادة شكرا ولو شكرتم لزادكم من فضله ولو كفرتم لسلبها منكم فما قولكم أفلا تشكرون استدامة لها واستزادة فيها ثم قال تعالى

ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون

ثم بين تعالى غير الركوب والأكل من الفوائد بقوله تعالى ولهم فيها منافع ومشارب وذلك لأن من الحيوانات ما لا يركب كالغنم فقال منافع لتعمها والمشارب كذلك عامة إن قلنا بأن المراد جمع مشرب وهو الآنية فإن من الجلود ما يتخذ أواني للشرب والأدوات من القرب وغيرها وإن قلنا إن المراد المشروب وهو الألبان والأسمان فهي مختصة بالإناث ولكن بسبب الذكور فإن ذلك متوقف على الحمل وهو بالذكور والإناث

ثم قال تعالى أفلا يشكرون هذه النعم التي توجب العبادة شكرا ولو شكرتم لزادكم من فضله ولو كفرتم لسلبها منكم فما قولكم أفلا تشكرون استدامة لها واستزادة فيها ثم قال تعالى

واتخذوا من دون الله ءالهة لعلهم ينصرون

إشارة إلى بيان زيادة ضلالهم ونهايتها فإنهم كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لأنعمه فتركوها وأقبلوا على عبادة من لا يضر ولا ينفع وتوقعوا منه النصرة مع أنهم هم الناصرون لهم كما قال عنهم حرقوه وانصروا ءالهتكم ( الأنبياء ٦٨ ) وفي الحقيقة لا هي ناصرة ولا منصورة وقوله تعالى

لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند م حضرون

إشارة إلى الحشر بعد تقرير التوحيد وهذا كقوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ( الأنبياء ٩٨ ) وقوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ( الصافات ٢٢ ٢٣

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٨١/٢٦

) وقوله أولئك فى العذاب ( سبأ ٣٨ ) وهو يحتمل معنيين أحدهما أن يكون العابدون جندا لما اتخذوه آلهة كما ذكرنا الثاني أن يكون الأصنام جندا للعابدين وعلى هذا **ففيه معنى لطيف وهو** أنه تعالى لما قال لا يستطيعون نصرهم أكدها بأنهم لا يستطيعون نصرهم حال ما يكونون جندا لهم ومحضرون لنصرتهم فإن ذلك دال على عدم الاستطاعة فإن من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف م نلم يكن متأهبا ولم يجمع أنصاره

فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم م بين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأهآ أول مرة وهو بكل خلق عليم

وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم إشارة إلى الرسالة لأن الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه دليل اجتبائه واختياره إياه

وقوله تعالى إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون من النفاق وما يعلنون من الشرك والثاني ما يسرون من العلم بك وما يعلنون من الكفر بك الثالث ما يسرون من العقائد الفاسدة وما يعلنون من الأفعال القبيحة

ثم إنه تعالى لما ذكر دليلا من الآفاق على وجوب عبادته بقوله أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما ( يس ٧١ ) ذكر دليلا من الأنفس فقال أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة قيل إن المراد بالإنسان أبي بن خلف فإن الآية وردت فيه حيث أخذ عظما باليا وأتى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) وقال إنك تقول إن إلهك يحيي هذه العظام فقال رسو الله ( صلى الله عليه وسلم ) نعم ويدخلك جهنم وقد ثبت في أصول الفقه أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ألا ترى أن قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك فى زوجها ( المجادلة ١ ) عمومها فنقول فيها لطائف." (١)

"وقوله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل

يحتمل وجوها أحدها هو ما قال الله إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية وعاهد بها لا غير وهو الأشهر عند المفسرين والأظهر نظرا إلى قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل ثانيها يريدون أن يبدلوا كلام الله وهو قوله وغضب الله عليهم ( الفتح ٦ ) وذلك لأنهم لو اتبعوكم لكانوا في حكم بيعة أهل الرضوان الموعودين بالغنيمة فيكونون من الذين رضي الله عنهم كما قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ( الفتح ١٨ ) فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله ثالثها هو أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لما تخلف القوم أطلعه الله على باطنهم وأظهر له نفاقهم وأنه يريد أن يعاقبهم وقال للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا ( التوبة ٨٣ ) فأرادوا أن يبدلوا ذلك الكلام بالخروج معه لا يقال فالآية التي ذكرتم واردة في غزوة تبوك لا في هذه الواقعة لأنا نقول قد وجد ههنا بقوله لن تتبعونا على صيغة النفي بدلا عن قوله لا تتبعونا على صيغة **النهي معنى لطيف وهو** أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بنى على إخبار الله تعالى عنهم النفي لوثوقه وقطعه بصدقه فجزم وقال لن تتبعونا يعني لو أذنتكم ولو أردتم واخترتم لا يتم لكم ذلك لما أخبر الله تعالى

ثم قال تعالى فسيقولون بل تحسدوننا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٩٤/٢٦

ردا على قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل كأنهم قالوا ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدوننا وبل للاضراب والمضروب عنه محذوف في الموضعين أما ههنا فهو بتقدير ما قال الله وكذلك فإن قيل بماذا كان الحسد في اعتقادهم نقول كأنهم قالوا نحن كنا مصيبين في عدم الخروج حيث رجعوا من الحديبية من غير حاصل ونحن استرحنا فإن خرجنا معهم ويكون فيه غنيمة يقولون هم غنموا معنا ولم يتعبوا معنا

ثم قال تعالى ردا عليهم كما ردوا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا أي لم يفقهوا من قولك لا تخرجوا إلا ظاهر النهي ولم يفهموا من حكمه إلا قليلا فحملوه على ما أرادوه وعللوه بالحسد

قل للمخلفين من الا عراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما

لما قال النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قل لن تتبعونا ( الفتح ١٥ ) وقال فقل لن تخرجوا معى أبدا ( التوبة ٨٣ ) فكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة دعت الحاجة إلى بيان قبول توبتهم فإنهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من حسن حاله وصلح باله فجعل لقبول توبتهم علامة وهو أنهم يدعون إلى قتال قوم أولي بأس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من أداء الزكاة ثم أتى بها ولم يقبل منه النبي ( صلى الله عليه وسلم ) واستمر عليه الحال ولم يقبل منه أحد من الصحابة كذلك كان يستمر حال هؤلاء لولا أنه تعالى بين أنهم يدعون فإن كانوا يطيعون يؤتون الأجرا الحسن وما كان أحد من الصحابة يتركهم يتبعونه والفرق بين حال ثعلبة وبين حال هؤلاء من وجهين أحدهما أن ثعلبة جاز أن يقال حاله لم يكن يتغير في علم الله فلم يبين لتوبته علامة والأعراب تغيرت فإن بعد النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لم يبق من المنافقين على النفاق أحد على مذهب أهل السنة وثانيهما أن الحاجة إلى بيان حال الجمع الكثير والجم الغفير أمس لأنه لولا البيان لكان." (١)

"والانتقال في مواضع القتال أو في العضو الذي تتم به فائدة الحصول في المعركة والوصول والأول هو الرجل والثاني هو العين لأن بالرجل يحصل الانتقال وبالعين يحصل الانتفاع في الطلب والهرب وأما الأذن والأنف واللسان وغيرها من الأعضاء فلا مدخل لها في شيء من الأمرين بقيت اليد فإن المقطوع اليدين لا يقدر على شيء وهو عذر واضح ولم يذكره نقول لأن فائدة الرجل وهي الانتقال تبطل بالخلل في إحداهما وفائدة اليد وهي الضراب والبطش لا تبطل إلا ببطلان اليدين جميعا ومقطوع اليدين لا يوجد إلا نادرا ولعل في جماعة النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لم يكن أحد مقطوع اليدين فلم يذكره أو لأن المقطوع ينتفع به في الجهاد فإنه ينظر ولولاه لاستقل به مقاتل فيمكن أن يقاتل وهو غير معذور في التخلف لأن المجاهدين ينتفعون به بخلاف الأعمى فإن قيل كما أن مقطوع اليد الواحدة لا تبطل منفعة بطشه كذلك الأعور لا تبطل منفعة رؤيته وقد ذكر الأعمى وما ذكر الأشل وأقطع اليدين قلنا لما بينا أن مقطوع اليدين نادر الوجود والآفة النازلة بإحدى اليدين لا تعمهما والآفة النازلة بالعين الواحدة تعم العينين لأن منبع النور واحد وهما متجاذبان والوجود يفرق بينهما فإن الأعمى كثير الوجود ومقطوع اليدين نادر

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٧٩/٢٨

المسألة الثالثة قدم الآفة في الآلة على الآفة في القوة لأن الآفة في القوة تزول وتطرأ والآفة في الآلة إذ طرأت لا تزول فإن الأعمى لا يعود بصيرا فالعذر في محل الآلة أتم

المسألة الرابعة قدم الأعمى على الأعرج لأن عذر الأعمى يستمر ولو حضر القتال والأعرج إن حضر راكبا أو بطريق آخر يقدر على القتال بالرمي وغيره

لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما

اعلم أن طاعة كل واحد منهما طاعة الآخر فجمع بينهما بيانا لطاعة الله فإن الله تعالى لو قال ومن يطع الله كان لبعض الناس أن يقول نحن لا نرى الله ولا نسمع كلامه فمن أين نعلم أمره حتى نطيعه فقال طاعته في طاعة رسوله وكلامه يسمع من رسوله

ثم قال ومن يتول أي بقلبه ثم لما بين حال المخلفين بعد قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ( الفتح ١٠ ) عاد إلى بيان حالهم وقال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم من الصدق كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض فأنزل السكينة عليهم حتى بايعوا على الموت **وفيه معنى لطيف وهو** أن الله تعالى قال قبل هذه الآية ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات ( الفتح ١٧ ) فجعل طاعة الله والرسول علامة لإدخال الله الجنة في تلك الآية وفي هذه الآية بين أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين وأما طاعة الرسول فبقوله إذ يبايعونك تحت الشجرة بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة كما قال تعالى ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ( المجادلة ٢٢ )

ثم قال تعالى فعلم ما فى قلوبهم والفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لأنه علم ما في قلوبهم من." (١)

"الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم نقول قوله فعلم ما فى قلوبهم متعلق بقوله إذا يبايعونك تحت الشجرة كما يقول القائل فرحت أمس إذ كلمت زيدا فقام إلي أو إذ دخلت عليه فأكرمني فيكون الفرح بعد الإكرام ترتيبا كذلك ههنا قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم من الصدق إشارة إلى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فأنزل السكينة عليهم للتعقيب الذي ذكرته فإنه تعالى رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم وفي علم بيان وصف المبايعة بكونها معقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم وهذا توفيق لا يتأتى إلا لمن هداه الله تعالى إلى معاني كتابه الكريم وقوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر ومغانم كثيرة يأخذونها مغانمها وقيل مغانم هجر وكان الله عزيزا كامل القدرة غنيا عن إعانتكم إياه حكيما حيث جعل هلاك أعدائه على أيديكم ليثيبكم عليه أو لأن في ذلك إعزاز قوم وإذلال آخرين فإنه يذل من يشاء بعزته ويعز من يشاء بحكمته

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٨٢/٢٨

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هاذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون ءاية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما

إشارة إلى أن ما أتاهم من الفتح والمغانم ليس هو كل الثواب بل الجزاء قدامهم وإنما هي لعاجلة عجل بها وفي المغانم الموعود بها أقوال أصحها أنه وعدهم مغانم كثيرة من غير تعيين وكل ما غنموه كان منها والله كان عالما بها وهذا كما يقول الملك الجواد لمن يخدمه يكون لك مني على ما فعلته الجزاء إن شاء الله ولا يريد شيئا بعينه ثم كل ما يأتي به ويؤتيه يكون داخلا تحت ذلك الوعد غير أن الملك لا يعلم تفاصيل ما يصل إليه وقت الوعد والله عالم بها وقوله تعالى وكف أيدى الناس عنكم لإتمام المنة كأنه قال رزقتكم غنيمة باردة من غير مس حر القتال ولو تعبتم فيه لقلتم هذا جزاء تعبنا وقوله تعالى ولتكون ءاية للمؤمنين عطف على مفهوم لأنه لما قال الله تعالى فعجل لكم هاذه واللام ينبيء عن النفع كما أن علي ينبيء عن الضر القائل لا علي ولا ليا بمعنى لا ما أتضرر به ولا ما أنتفع به ولا أضر به ولا أنفع فكذلك قوله فعجل لكم هاذه لتنفعكم ولتكون ءاية للمؤمنين **وفيه معنى لطيف وهو** أن المغانم الموعود بها كل ما يأخذه المسلمون فقوله ولتكون ءاية للمؤمنين يعني لينفعكم بها وليجعلها لمن بعدكم آية تدلهم على أن ما وعدهم الله يصل إليهم كما وصل إليكم أو نقول معناه لتنفعكم في الظاهر وتنفعكم في الباطن حيث يزداد يقينكم إذا رأيتم صدق الرسول في إخباره عن الغيوب فتجمل أخباركم ويكمل اعتقادكم وقوله ويهديكم صراطا مستقيما وهو التوكل عليه والتفويض إليه والاعتزاز به

وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شى ء قديرا." (١)

"انهزام لأن أحد العدوين إذا اشتد غضبه فالعدو الآخر إن كان مثله في القوة يغضب أيضا وهذا يثير الفتن وإن كان أضعف منه ينهزم أو ينقاد له فالله تعالى أنزل في مقابلة حمية الكافرين على المؤمنين سكينته حتى لم يغضبوا ولم ينهزموا بل يصبروا وهو بعيد في العادة فهو من فضل الله تعالى قوله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين فإنه هو الذي أجاب الكافرين إلى الصلح وكان في نفس المؤمنين أن لا يرجعوا إلا بأحد الثلاثة بالنحر في المنحر وأبوا أن لا يكتبوا محمدا رسول الله وبسم الله فلما سكن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) سكن المؤمنون وقوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى فيه وجوه أظهرها أنه قول لا إلاه إلا الله فإن بها يقع الاتقاء عن الشرك وقيل هو بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله فإن الكافرين أبوا ذلك والمؤمنون التزموه وقيل هي الوفاء بالعهد إلى غير ذلك ونحن نوضح فيه ما يترجح بالدليل فنقول وألزمهم يحتمل أن يكون عائدا إلى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) والمؤمنين جميعا يعني ألزم النبي والمؤمنين كلمة التقوى ويحتمل أن يكون عائدا إلى المؤمنين فحسب فإن قلنا إنه عائد إليهما جميعا نقول هو الأمر بالتقوى فإن الله تعالى قال للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين ( الأحزاب ١ ) وقال للمؤمنين مستقيم يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ( آل عمران ١٠٢ ) والأمر بتقوى الله حتى تذهله تقواه عن الالتفات إلى ما سوى الله كما قال في حق النبي ( صلى الله عليه وسلم ) اتق الله ولا تطع الكافرين وقال تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ( الأحزاب ٧٧ ) ثم بين له حال من صدقه بقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ( الأحزاب ٣٩ ) أما في حق المؤمنين فقال مستقيم

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٨٣/٢٨

يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته وقال فلا تخشوهم واخشوني ( البقرة ١٥٠ ) وإن قلنا بأنه راجع إلى المؤمنين فهو قوله تعالى وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ( الحشر ٧ ) ألا ترى إلى قوله واتقوا الله ( الحجرات ١ ) وهو قوله تعالى عظيما يأيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وفي معنى قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى على **هذا معنى لطيف وهو** أنه تعالى إذا قال ( اتقوا ) يكون الأمر واردا ثم إن من الناس من يقبله بتوفيق الله ويلتزمه ومنهم من لا يلتزمه ومن التزمه فقد التزمه بإلزام الله إياه فكأنه قال تعالى وألزمهم كلمة التقوى وفي هذا المعنى رجحان من حيث إن التقوى وإن كان كاملا ولكنه أقرب إلى الكلمة وعلى هذا فقوله وكانوا أحق بها وأهلها معناه أنهم كانوا عند الله أكرم الناس فألزموا تقواه وذلك لأن قوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ( الحجرات ١٣ ) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون معناه أن من يكون تقواه أكثر يكرمه الله أكثر والثاني أن يكون معناه أن من سيكون أكرم عند الله وأقرب إليه كان أتقى كما في قوله ( والمخلصون على خطر عظيم ) وقوله تعالى هم من خشية ربهم مشفقون ( المؤمنون ٥٧ ) وعلى الوجه الثاني يكون معنى قوله وكانوا أحق بها لأنهم كانوا أعلم بالله لقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء ( فاطر ٢٨ ) وقوله وأهلها يحتمل وجهين أحدهما أنه يفهم من معنى الأحق أنه يثبت رجحانا على الكافرين إن لم يثبت الأهلية كما لو اختار الملك اثنين لشغل وكل واحد منهما غير صالح له ولكن أحدهما أبعد عن الاستحقاق فقال في الأقرب إلى الاستحقاق إذا كان ولا بد فهذا أحق كما يقال الحبس أهون من القتل مع أنه لاهين هناك فقال وأهلها دفعا لذلك الثاني وهو أقوى وهو أن يقال قوله تعالى وأهلها فيه وجوه نبينها بعد ما نبين معنى الأحق فنقول هو يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الأحق بمعنى الحق لا للتفضيل كما في قوله تعالى خير مقاما وأحسن نديا." [١]

"ثم قال تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا

تأكيدا لبيان صدق الله في رسوله الرؤيا وذلك لأنه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريد ما لا يكون مهديا للناس فيظهر خلافه فيقع ذلك سببا للضلال ويحتمل وجوها أقوى من ذلك وهو أن الرؤيا بحيث توافق الواقع تقع لغير الرسل لكن رؤية الأشياء قبل وقوعها في اليقظة لا تقع لكل أحد فقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في اليقظة ولا يبعد من أن يريه في المنام ما يقع فلا استبعاد في صدق رؤياه وفيها أيضا بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين كله أي من يقويه على الأديان لا يستبعد منه فتح مكة له و ( الهدى ) يحتمل أن يكون هو القرآن كما قال تعالى أنزل فيه القرآن هدى للناس ( البقرة ١٨٥ ) وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الأصول والفروع ويحتمل أن يكون الهدى هو المعجزة أي أرسله بالحق أي مع الحق إشارة إلى ما شرع ويحتمل أن يكون الهدى هو الأصول و دين الحق هو الأحكام وذلك لأن من الرسل من لم يكن له أحكام بل بين الأصول فحسب والألف واللام في الهدى يحتمل أن تكون للاستغراق أي كل ما هو هدى ويحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى ذالك هدى الله يهدى به من يشاء ( الزمر ٢٣ ) وهو إما القرآن لقوله تعالى كتابا متشابها مثاني تقشعر إلى أن قال ذالك هدى الله يهدى به من يشاء ( الزمر ٢٣ ) وإما

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٨٩/٢٨

ما اتفق عليه الرسل لقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ( الأنعام ٩٠ ) والكل من باب واحد لأن ما في القرآن موافق لما اتفق عليه الأنبياء وقوله تعالى ودين الحق يحتمل وجوها أحدها أن يكون الحق اسم الله تعالى فيكون كأنه قال بالهدى ودين الله وثانيها أن يكون الحق نقيض الباطل فيكون كأنه قال ودين الأمر الحق وثالثها أن يكون المراد به الانقياد إلى الحق والتزامه ليظهره أي أرسله بالهدى وهو المعجز على أحد الوجوه ليظهره على الدين كله أي جنس الدين فينسخ الأديان دون دينه وأكثر المفسرين على أن الهاء في قوله ليظهره راجعة إلى الرسول والأظهر أنه راجع إلى دين الحق أي أرسل الرسول بالدين الحق ليظهره أي ليظهر الدين الحق على الأديان وعلى هذا فيحتمل أن يكون الفاعل للاظهار هو الله ويحتمل أن يكون هو النبي أي ليظهر النبي دين الحق وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا أي في أنه رسول الله وهذا مما يسلي قلب المؤمنين فإنهم تأذوا من رد الكفار عليهم العهد المكتوب وقالوا لا نعلم أنه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله فقال تعالى وكفى بالله شهيدا في أنه رسول الله **وفيه معنى لطيف وهو** أن قول الله مع أنه كاف في كل شيء لكنه في الرسالة أظهر كفاية لأن." [(١)]

"الرسول لا يكون إلا بقول المرسل فإذا قال ملك هذا رسولي لو أنكر كل من في الدنيا أنه رسول فلا يفيد إنكارهم فقال تعالى أي خلل في رسالته بإنكارهم مع تصديقي إياه بأنه رسولي وقوله محمد رسول الله فيه وجوه أحدها خبر مبتدأ محذوف تقديره هو محمد الذي سبق ذكره بقوله أرسل رسوله ورسول الله عطف بيان وثانيها أن محمدا مبتدأ خبره رسول الله وهذا تأكيد لما تقدم لأنه لما قال هو الذي أرسل رسوله ولا تتوقف رسالته إلا على شهادته وقد شهد له بها محمد رسول اللهمن غير نكير وثالثها وهو مستنبط وهو أن يقال محمد مبتدأ و رسول الله عطف بيان سيق للمدح لا للتمييز والذين معه عطف على محمد وقوله أشداء خبره كأنه تعالى قال والذين معه جميعهم أشداء على الكفار رحماء بينهم لأن وصف الشدة والرحمة وجد في جميعهم أما في المؤمنين فكما في قوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ( المائدة ٥٤ ) وأما في حق النبي ( صلى الله عليه وسلم ) فكما في قوله واغلظ عليهم ( التوبة ٧٣ ) وقال في حقه بالمؤمنين رءوف رحيم ( التوبة ١٢٨ ) وعلى هذا قوله تراهم لا يكون خطابا مع النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بل يكون عاما أخرج مخرج الخطاب تقديره أيها السامع كائنا من كان كما قلنا إن الواعظ يقول انتبه قبل أن يقع الانتباه ولا يريد به واحدا بعينه وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وركوع المرائي وسجوده فإنه لا يبتغي به ذلك وفيه إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن الله تعالى قال الراكعون والساجدون ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ( فاطر ٣٠ ) وقال الراكع يبتغي الفضل ولم يذكر الأجر لأن الله تعالى إذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضلا وإشارة إلى أن عملكم جاء على ما طلب الله منكم لأن الأجرة لا تستحق إلا على العمل الموافق للطلب من المالك والمؤمن إذا قال أنا أبتغي فضلك يكون منه اعترافا بالتقصير فقال يبتغون فضلا من الله ولم يقل أجرا

وقوله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود فيه وجهان أحدهما أن ذلك يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه ( آل عمران ١٠٦ ) وقال تعالى نورهم يسعى ( التحريم ٨ ) وعلى هذا فنقول نورهم في وجوههم بسبب توجههم نحو الحق

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٩٢/٢٨

كما قال إبراهيم عليه السلام إني وجهت العالمون خلق الله السماوات والارض ( الأنعام ٧٩ ) ومن يحاذي الشمس يقع شعاعها على وجهه فيتبين على وجهه النور منبسطا مع أن الشمس لها نور عارضي يقبل الزوال والله نور السماوات والأرض فمن يتوجه إلى وجهه يظهر في وجهه نور يبهر الأنوار وثانيهما أن ذلك في الدنيا وفيه وجهان أحدهما أن المراد ما يظهر في الجباه بسبب كثرة السجود والثاني ما يظهره الله تعالى في وجوه الساجدين ليلا من الحسن نهارا وهذا محقق لمن يعقل فإن رجلين يسهران بالليل أحدهما قد اشتغل بالشراب واللعب والآخر قد اشتغل بالصلاة والقراءة واستفادة العلم فكل أحد في اليوم الثاني يفرق بين الساهر في الشرب واللعب وبين الساهر في الذكر والشكر

وقوله تعالى ذلك مثلهم فى التوراة فيه ثلاثة أوجه مذكورة أحدها أن يكون ذالك مبتدأ و مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل خبرا له وقوله تعالى كزرع أخرج شطأه خبرا مبتدأ محذوف تقديره ومثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع وثانيها أن يكون خبر ذلك هو قوله مثلهم فى التوراة وقوله ومثلهم فى الإنجيل مبتدأ وخبره كزرع وثالثها أن يكون ذلك إشارة غير معينة أوضحت." (١)

"خطابا مع النبي ( صلى الله عليه وسلم ) **وفيه معنى لطيف وهو** أن الله تعالى في أول الأمر قال واعلموا أن فيكم رسول الله أي هو مرشد لكم فخطاب المؤمنين للتنبيه على شفقته بالمؤمنين فقال في الأول كفى النبي مرشدا لكم ما تسترشدونه فأشفق عليهم وأرشدهم وعلى هذا قوله الرشدون أي الموافقون للرشد يأخذون ما يأتيهم وينتهون عما ينهاهم فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم

فيه مسائل

المسألة الأولى نصب فضلا لأجل أمور إما لكونه مفعولا له وفيه وجهان أحدهما أن العامل فيه هو الفعل الذي في قوله الرشدون فإن قيل كيف يجوز أن يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة إلى الرشد الذي هو فعل العبد نقول لما كان الرشد توفيقا من الله كان كأنه فعل الله فكأنه تعالى أرشدهم فضلا أي يكون متفضلا عليهم منعما في حقهم والوجه الثاني هو أن العامل فيه هو قوله حبب إليكم الايمان وكره إليكم الكفر ( الحجرات ٧ ) فضلا وقوله أولئك هم الرشدون ( الحجرات ٧ ) جملة اعترضت بين الكلامين أو يكون العامل فعلا مقدرا فكأنه قال تعالى جرى ذلك فضلا من الله وإما لكونه مصدرا وفيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرا من غير اللفظ ولأن الرشد فضل فكأنه قال أولئك هم الراشدون رشدا وثانيهما هو أن يكون مصدرا لفعل مضمر كأنه قال حبب إليكم الإيمان وكره إليكم الكفر فأفضل فضلا وأنعم نعمة والقول بكونه منصوبا على أنه مفعول مطلق وهو المصدر أو مفعول له قول الزمخشري وإما أن يكون فضلا مفعولا به والفعل مضمرا دل عليه قوله تعالى أولئك هم الرشدون أي يبتغون فضلا من الله ونعمة

المسألة الثانية ما الفرق بين الفضل والنعمة في الآية نقول فضل الله إشارة إلى ما عنده من الخير وهو مستغن عنه والنعمة إشارة إلى ما يصل إلى العبد وهو محتاج إليه لأن الفضل في الأصل ينبيء عن الزيادة وعنده خزائن من الرحمة لا لحاجة إليها ويرسل منها على عباده ما لا يبقون معه في ورطة الحاجة بوجه من الوجوه والنعمة تنبيء عن الرأفة والرحمة وهو من جانب

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٩٣/٢٨

العبد **وفيه معنى لطيف وهو** تأكيد الإعطاء وذلك لأن المحتاج يقول للغني أعطني ما فضل عنك وعندك وذلك غير ملتفت إليه وأنابه قيامي وبقائي فإذن قوله فضلا من الله إشارة إلى ما هو من جانب الله الغني والنعمة إشارة إلى ما هو من جانب العبد من اندفاع الحاجة وهذا مما يؤكد قولنا فضلا منصوب بفعل مضمر وهو الابتغاء والطلب

المسألة الثالثة ختم الآية بقوله والله عليم حكيم فيه مناسبات عدة منها أنه تعالى لما ذكر نبأ الفاسق قال إن يشتبه على المؤمن كذب الفاسق فلا تعتمدوا على ترويجه عليكم الزور فإن الله عليم ولا تقولوا كما كان عادة المنافق لولا يعذبنا الله بما نقول فإن الله حكيم لا يفعل إلا على وفق حكمته وثانيها لما قال الله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم ( الحجرات ٧ ) بمعنى لا يطيعكم بل يتبع الوحي قال فإن الله من كونه عليما يعلمه ومن كونه حكيما يأمره بما تقتضيه الحكمة فاتبعوه ثالثها المناسبة التي بين قوله تعالى عليم حكيم وبين قوله حبب إليكم الايمان أي حبب بعلمه الإيمان لأهل الإيمان واختار له من يشاء بحكمته رابعها وهو الأقرب وهو أنه سبحانه وتعالى قال فضلا من الله ونعمة ولما كان الفضل هو ما عند الله من الخير المستغني عنه قال تعالى هو عليم بما في خزائن رحمته من الخير وكانت النعمة." (١)

"من الإصغاء إلى كلامه وهو كونه فاسقا نقول المجيء بالنبأ الكاذب يورث كون الإنسان فاسقا أو يزداد بسببه فسقه فالمجيء به سبب الفسق فقدمه وأما الاقتتال فلا يقع سببا للإيمان أو الزيادة فقال إن جاءكم فاسق أي سواء كان فاسقا أو لا أو جاءكم بالنبأ فصار فاسقا به ولو قال وإن أحد من الفساق جاءكم كان لا يتناول إلا مشهور الفسق قبل المجيء إذا جاءهم بالنبأ

المسألة الخامسة قال تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا لأن صيغة الاستقبال تنبيء عن الدوام والاستمرار فيفهم منه أن طائفتين من المؤمنين إن تمادى الاقتتال بينهما فأصلحوا وهذا لأن صيغة المستقبل تنبيء عن ذلك يقال فلان يتهجد ويصوم

المسألة السادسة قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا وقال فأصلحوا بينهما ولم يقل بينهم ذلك لأن عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة وكل أحد برأسه يكون فاعلا فعلا فقال اقتتلوا وعند العود إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة وإلا لم يكن يتحقق الصلح فقال بينهما لكون الطائفتين حينئذ كنفسين

ثم قال تعالى فإن بغت أحدهما إشارة إلى نادرة أخرى وهي البغي لأنه غير متوقع فإن قيل كيف يصح في هذا الموضع كلمة ءان مع أنها تستعمل في الشرط الذي لا يتوقع وقوعه وبغي أحدهما عند الاقتتال لا بد منه إذ كل واحد منهما لا يكون محسنا فقوله ءان تكون من قبيل قول القائل إن طلعت الشمس نقول **فيه معنى لطيف وهو** أن الله تعالى يقول الاقتتال بين طائفتين لا يكون إلا نادر الوقوع وهو كما تظن كل طائفة أن الأخرى فيها الكفر والفساد فالقتال واجب كما سبق في الليالي المظلمة أو يقع لكل واحد أن القتال جائز بالاجتهاد وهو خطأ فقال تعالى الاقتتال لا يقع إلا كذا فإن بان لهما أو لأحدهما الخطأ واستمر عليه فهو نادر وعند ذلك يكون قد بغى فقال فإن بغت إحداهما على الاخرى يعني بعد استبانة الأمر وحينئذ فقوله فإن بغت في غاية الحسن لأنه يفيد الندرة وقلة الوقوع وفيه أيضا مباحث الأول قال فإن بغت ولم يقل فإن تبغ لما ذكرنا في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا الثاني قال حتى تفيء إشارة إلى أن القتال ليس جزاء للباغي كحد

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١٠٨/٢٨

الشرب الذي يقام وإن ترك الشرب بل القتال إلى حد الفيئة فإن فاءت الفئة الباغية حرم قتالهم الثالث هذا القتال لدفع الصائل فيندرج فيه وذلك لأنه لما كانت الفيئة من إحداهما فإن حصلت من الأخرى لا يوجد البغي الذي لأجله حل القتال الرابع هذا دليل على أن المؤمن بالكبيرة لا يخرج عن كونه مؤمنا لأن الباغي جعله من إحدى الطائفتين وسماهما مؤمنين الخامس قوله تعالى إلى أمر الله يحتمل وجوها أحدها إلى طاعة الرسول وأولي الأمر لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ( النساء ٥٩ ) وثانيها إلى أمر الله أي إلى الصلح فإنه مأمور به يدل عليه قوله تعالى وأصلحوا ذات بينكم ثالثها إلى أمر الله بالتقوى فإن من خاف الله حق الخوف لا يبقى له عداوة إلا مع الشيطان كما قال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ( فاطر ٦ ) السادس لو قال قائل قد ذكرتم ما يدل على كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بأن القتال والبغي من المؤمن نادر فإذن تكون الفئة متوقعة فكيف قال فإن فاءت نقول قول القائل لعبده إن مت فأنت حر مع أن الموت لا بد من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعتق بأن يكون باقيا في ملكه حيا يعيش بعد وفاته غير معلوم فكذلك ههنا لما كان الواقع فيئتهم من تلقاء أنفسهم." (١)

"فلما لم يقع دل على تأكيد الأخذ بينهم فقال تعالى فإن فاءت بقتالكم إياهم بعد اشتداد الأمر والتحام الحرب فأصلحوا **وفيه معنى لطيف وهو** أنه تعالى أشار إلى أن من لم يخف الله وبغى لا يكون رجوعه بقتالكم إلا جبرا السابع قال ههنا فأصلحوا بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا نقول لأن الإصلاح هناك بإزالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة أو التهديد والزجر والتعذيب والإصلاح ههنا بإزالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال بالعدل فكأنه قال واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق وأصلحوا بالعدل مما يكون بينهما لئلا يؤدي إلى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى الثامن إذا قال فأصلحوا بينهما بالعدل فأية فائدة في قوله وأقسطوا نقول قوله فأصلحوا بينهما بالعدل كان فيه تخصيص بحال دون حال فعمم الأمر بقوله وأقسطوا أي في كل أمر مفض إلى أشرف درجة وأرفع منزلة وهي محبة الله والإقساط إزالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر والتركيب دال على كون الأمر غير مرضي من القسط والقاسط في القلب وهو أيضا غير مرضي ولا معتد به فكذلك القسط

إنما المؤمنون إخوة  فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

ثم قال تعالى إنما المؤمنون إخوة  فأصلحوا بين أخويكم تتميما للإرشاد وذلك لأنه لما قال وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ( الحجرات ٩ ) كان لظان أن يظن أو لمتوهم أن يتوهم أن ذلك عند اختلاف قوم فأما إذا كان الاقتتال بين اثنين فلا تعم المفسدة فلا يؤمر بالإصلاح وكذلك الأمر بالإصلاح هناك عند الاقتتال وأما إذا كان دون الاقتتال كالتشاتم والتسافه فلا يجب الإصلاح فقال بين أخويكم وإن لم تكن الفتنة عامة وإن لم يكن الأمر عظيما كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف فاسعوا في الإصلاح

وقوله واتقوا الله لعلكم ترحمون فيه مسائل

المسألة الأولى قوله تعالى إنما المؤمنون إخوة  قال بعض أهل اللغة الأخوة جمع الأخ من النسب والإخوان جمع الأخ من

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١١٠/٢٨

الصداقة فالله تعالى قال إنما المؤمنون إخوة تأكيدا للأمر وإشارة إلى أن ما بينهم ما بين الأخوة من النسب والإسلام كالأب قال قائلهم أبي الإسلام لا أب ( لي ) سواه

إذا افتخروا بقيس أو تميم

المسألة الثانية عند إصلاح الفريقين والطائفتين لم يقل اتقوا وقال ههنا اتقوا مع أن ذلك أهم نقول الفائدة هو أن الاقتتال بين طائفتين يفضي إلى أن تعم المفسدة ويلحق كل مؤمن منها شيء وكل يسعى في الإصلاح لأمر نفسه فلم يؤكد بالأمر بالتقوى وأما عند تخاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك وربما يزيد بعضهم تأكد الخصام بين الخصوم لغرض فاسد فقال فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله أو نقول قوله فأصلحوا إشارة إلى الصلح وقوله واتقوا الله إشارة إلى ما يصونهم عن التشاجر لأن من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره ولهذا قال النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ( المسلم من سلم الناس من لسانه و ( يده ) ) لأن المسلم يكون منقادا لأمر الله مقبلا على عباد الله فيشغله عيبه عن عيوب الناس ويمنعه أن يرهب الأخ المؤمن وإليه أشار النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ( المؤمن من يأمن جاره بوائقه ) يعني اتق الله فلا تتفرغ لغيره

المسألة الثالثة إنما للحصر أي لا أخوة إلا بين المؤمنين وأما بين المؤمن والكافر فلا لأن الإسلام هو الجامع ولهذا إذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين ولا يكون لأخيه الكافر وأما الكافر." (١)

"التفات إذا علمت هذا فيهما ففي الشرع كذلك إذا جاء الشرف الديني الإلاهي لا يبقى الأمر هناك اعتبار لا لنسب ولا لنشب ألا ترى أن الكافر وإن كان من أعلى الناس نسبا والمؤمن وإن كان من أدونهم نسبا لا يقاس أحدهما بالآخر وكذلك ما هو من الدين مع غيره ولهذا يصلح للمناصب الدينية كالقضاء والشهادة كل شريف ووضيع إذا كان دينا عالما صالحا ولا يصلح لشيء منها فاسق وإن كان قرشي النسب وقاروني النشب ولكن إذا اجتمع في اثنين الدين المتين وأحدهما نسيب ترجح بالنسب عند الناس لا عند الله لأن الله تعالى يقول وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ( النجم ٣٩ ) وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل بسعي

البحث الثاني ما الحكمة في اختيار النسب من جملة أسباب التفاخر ولم يذكر المال نقول الأمور التي يفتخر بها في الدنيا وإن كانت كثيرة لكن النسب أعلاها لأن المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به والحسن والسن وغير ذلك غير ثابت دائم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له فاختاره الله للذكر وأبطل اعتباره بالنسبة إلى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بالطريق الأولى

البحث الثالث إذا كان ورود الآية لبيان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فهل لقوله تعالى إنا خلقناكم فائدة نقول نعم وذلك لأن كل شيء يترجح على غيره فإما أن يترجح بأمر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده وإما أن يترجح عليه بأمر هو قبله والذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الأوصاف المطلوبة من ذلك الشيء والذي قبله فإما راجع إلى الأصل الذي منه وجد أو إلى الفاعل الذي هو له أوجدكم يقال في إناءين هذا من النحاس وهذا من الفضة ويقال هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح فيما خلقتم منه لأنكم كلكم من ذكر وأنثى ولا بالنظر إلى جاعلين لأنكم كلكم خلقكم

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١١١/٢٨

الله فإن كان بينكم تفاوت يكون بأمور تلحقكم وتحصل بعد وجودكم وأشرفها التقوى والقرب من الله تعالى
ثم قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل وفيه وجهان أحدهما جعلناكم شعوبا متفرقة لا يدري من يجمعكم كالعجم وقبائل يجمعكم واحد معلوم كالعرب وبني إسرائيل وثانيهما جعلناكم شعوبا داخلين في قبائل فإن القبيلة تحتها الشعوب وتحت الشعوب البطون وتحت البطون الأفخاذ وتحت الأفخاذ الفصائل وتحت الفضائل الأقارب وذكر الأعم لأنه أذهب للافتخار لأن لأمر الأعم منها يدخله فقراء وأغنياء كثيرة غير محصورة وضعفاء وأقوياء كثيرة غير معدودة ثم بين فائدة ذلك وهي التعارف وفيه وجهان أحدهما أن فائدة ذلك التناصر لا التفاخر وثانيهما أن فائدته التعارف لا التناكر واللمز والسخرية والغيبة تفضي إلى التناكر لا إلى التعارف **وفيه معان لطيفة الأولى** قال تعالى إنا خلقناكم وقال وجعلناكم لأن الخلق أصل تفرع عليه الجعل شعوبا فإن الأول هو الخلق والإيجاد ثم الاتصاف بما اتصفوا به لكن الجعل شعوبا للتعارف والخلق للعبادة كما قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ( الذاريات ٥٦ ) واعتبار الأصل متقدم على اعتبار الفرع فاعلم أن النسب يعتبر بعد اعتبار العبادة كما أن الجعل شعوبا يتحقق بعد ما يتحقق الخلق فإن كان فيكم عبادة تعتبر فيكم أنسابكم وإلا فلا الثانية قوله تعالى خلقناكم وجعلناكم إشارة إلى عدم جواز الافتخاز لأن ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك فكيف تفتخرون بما لا مدخل لكم فيه فإن قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى إنا هديناه السبيل ( الإنسان ٣ ) نهدى به من نشاء ( الشورى ٥٢ ) فنقول أثبت الله لنا فيه كسبا." (١)

"فكأن القائل قال استعملوا لفظ المفعول للمعنى الفلاني واستعملوا لفظ الفعيل مكان لفظ المفعول فصار فعيل كالموضوع للمفعول والمفعول كالموضوع للمعنى ولما كان تغير اللفظ تابعا لتغير المعنى تغير المفعول لكونه بإزاء المعنى ولم يتغير الفعيل لكونه بإزاء اللفظ في أول الأمر فإن قيل فما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله وءاية لهم الارض الميتة أحييناها ( ي س ٣٣ ) حيث أثبت التاء هناك نقول الأرض أراد بها الوصف فقال الارض الميتة لأن معنى الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الأصل فيها الحياة لأن الأرض إذا صارت حية صارت آهلة وأقام بها الناس وعمروها فصارت بلدة فأسقط التاء لأن معنى الفاعلية ثبت فيها والذي بمعنى الفاعل لا يثبت فيه التاء وتحقيق هذا قوله بلدة طيبة ( سبأ ١٥ ) حيث أثبت التاء حيث ظهر بمعنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر وهذا بحث عزيز

قوله تعالى كذالك الخروج أي كالإحياء الخروج فإن قيل الإحياء يشبه به الإخراج لا الخروج فنقول تقديره وأحيينا به بلدة ميتا فتشققت وخرج منها النبات كذلك تشقق ويخرج منها الأموات وهذا يؤكد قولنا الرجع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجع بعيد ( ق ٣ ) لأنه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلو استبعدوا الرجع الذي هو من المتعدي لناسب أن يقول كذلك الإخراج ولما قال كذالك الخروج فهم أنهم أنكروا الرجوع فقال كذالك الخروج نقول **فيه معنى لطيف على** القول الآخر وذلك لأنهم استبعدوا الرجع الذي هو من المتعدي بمعنى الإخراج والله تعالى أثبت الخروج وفيهما مبالغة تنبيها على بلاغة القرآن مع أنها مستغنية عن البيان ووجهها هو أن الرجع والإخراج كالسبب للرجوع والخروج والسبب إذا انتفى ينتفي المسبب جزما وإذا وجد قد يتخلف عنه المسبب لمانع تقول كسرته فلم ينكسر وإن كان مجازا والمسبب إذا وجد فقد وجد سببه وإذا انتفى لا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ٢٨/١١٨

ينتفي السبب لما تقدم إذا علم هذا فهم أنكروا وجود السبب ونفوه وينتفي المسبب عند انتفائه جزما فبالغوا وأنكروا الأمر جميعا لأن نفي السبب نفي المسبب فأثبت الله الأمرين بالخروج كما نفوا الأمرين جميعا بنفي الإخراج

كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الا يكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد

ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم ووبالهم وأنذرهم بإهلاكهم واستئصالهم وتفسيره ظاهر وفيه تسلية للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وتنبيه بأن حاله كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فأهلك الله مكذبيهم ونصرهم وأصحاب الرس فيهم وجوه من المفسرين من قال هم قوم شعيب ومنهم من قال هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وهم قوم عيسى عليه السلام ومنهم من قال هم أصحاب الأخدود والرس موضع نسبوا إليه أو فعل وهو حفر البئر يقال رس إذا حفر بئرا وقد تقدم في سورة الفرقان ذلك وقال ههنا إخوان لوط وقال قوم نوح لأن لوطا كان مرسلا إلى طائفة من قوم إبراهيم عليه السلام معارف لوط." (١)

"إلى نقل معلوم عدمه لا ينفى وأما كونه معقولا فهم كانوا يدعون أنه معقول وأما كونهم طاغين فهو حق فخص الله تعالى بالذكر ما قالوا به وقال الله به فهم قالوا نحن نتبع العقل والله تعالى قال هم طاغون فذكر الأمرين اللذين وقع فيهما الخلاف

المسألة الثانية قوله تأمرهم أحلامهم إشارة إلى أن كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغي أن يقال وإنما ينبغي أن يقال ما يجب قوله عقلا فهل صار ( كل ) واجب عقلا مأمورا به

المسألة الثالثة ما الأحلام نقول جمع حلم وهو العقل وهما من باب واحد من حيث المعنى لأن العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه والحلم من الحلم وهو أيضا سبب وقار المرء وثباته وكذلك يقال للعقول النهى من النهي وهو المنع **وفيه معنى لطيف وهو** أن الحلم في أصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزمه الغسل وهو سبب البلوغ وعنده يصير الإنسان مكلفا وكأن الله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة كمل العقل فأشار إلى العقل بالإشارة إلى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم أنه نذير كمال العقل لا العقل الذي به يحترز الإنسان تخطىء الشرك ودخول النار وعلى هذا ففيه تأكيد لما ذكرنا أن الإنسان لا ينبغي أن يقول كل معقول بل لا يقول إلا ما يأمر به العقل الرزين الذي يصحح التكليف

المسألة الرابعة هذا إشارة إلى ماذا نقول فيه وجوه الأول أن يكون هذا إشارة مهمة أي بهذا الذي يظهر منهم قولا وفعلا حيث يعبدون الأصنام والأوثان ويقولون الهذيان من الكلام الثاني هذا إشارة إلى قولهم هو كاهن هو شاعر هو مجنون الثالث هذا إشارة إلى التربص فإنهم لما قالوا نتربص قال الله تعالى أعقولهم تأمرهم بتربص هلاكهم فإن أحدا لم يتوقع هلاك نبيه إلا وهلك

المسألة الخامسة هل يصح أن تكون أم في هذا الموضع بمعنى بل نقول نعم تقديره يقولون إنه شاعر قولا بل يعتقدونه عقلا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٣٨/٢٨

ويدخل في عقولهم ذلك أي ليس ذلك قولا منهم من غير عقل بل يعتقدون كونه كاهنا ومجنونا ويدل عليه قراءة من قرأ بل هم قوم طاغون لكن بل ههنا واضح وفي قوله بل تأمرهم أحلامهم خفي

أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون

وهو متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر نتربص به ( الطور ٣٠ ) وتقديره على ما ذكرنا أتقولون كاهن أم تقولون شاعر أم تقوله

فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين

ثم قال لبطلان جميع الأقسام فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين أي إن كان هو شاعرا ففيكم الشعراء البلغاء والكهنة الأذكياء ومن يرتجل الخطب والقصائر ويقص القصص ولا يختلف الناقص والزائد فليأتوا بمثل ما أتى به والتقول يراد به الكذب وفيه إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن التفعل للتكلف وإراءة الشيء وهو ليس على ما يرى يقال تمرض فلان أي لم يكون مريضا وأرى من نفسه المرض وحينئذ كأنهم كانوا يقولون كذب وليس بقول إنما هو تقول صورة القول وليس في الحقيقة به ليعلم أن المكذب هو الصادق وقوله تعالى بل لا يؤمنون بيان هذا أنهم كانوا في زمان نزول الوحي وحصول المعجزة كانوا." (١)

"الأرض فتثنى أسماء الأجناس على تأويل صنف تجمع أيضا يقال عندي تمران وتمور وأتمار على تأويل نوعين وأنواع منه والصحيح المشهور فالتقى الماء **وله معنى لطيف وذلك** أنه تعالى لما قال ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ( القمر ١١ ) ذكر الماء وذكر الانهمار وهو النزول بقوة فلما قال وفجرنا الارض عيونا كان من الحسن البديع أن يقول ما يفيد أن الماء نبع منها بقوة فقال فالتقى الماء أي من العين فار الماء بقوة حتى ارتفع والتقى بماء السماء ولو جرى جريا ضعيفا لما كان هو يلتقي مع ماء السماء بل كان ماء السماء يرد عليه ويتصل به ولعل المراد من قوله وفار التنور ( هود ٤٠ ) مثل هذا وقوله تعالى على أمر قد قدر فيه وجوه الأول على حال قد قدرها الله تعالى كما شاء الثاني على حال قدر أحد الماءين بقدر الآخر الثالث على سائر المقادير وذلك لأن الناس اختلفوا فمنهم من قال ماء السماء كان أكثر ومنهم من قال ماء الأرض ومنهم من قال كانا متساويين فقال على أي مقدار كان والأول إشارة إلى عظمة أمر الطوفان فإن تنكير الأمر يفيد ذلك يقول القائل جرى على فلان شيء لا يمكن أن يقال إشارة إلى عظمته وفيه احتمال آخر وهو أن يقال التقى الماء أي اجتمع على أمر هلاكهم وهو كان مقدورا مقدرا وفيه رد على المنجمين الذين يقولون إن الطوفان كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة حول برج مائي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وإنما ذلك أمر لزم من الطوفان الواجب وقوعه فقال لم يكن ذلك إلا لأمر قد قدر ويدل عليه أن الله تعالى أوحى إلى نوح بأنهم من المغرقين

وحملناه على ذات ألواح ودسر

أي سفينة حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه إشارة إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدثر وكان انفكاكها في غاية السهولة ولم يقع فهو بفضل الله والدسر المسامير

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢٨/٢٢١

تجرى بأعيننا جزآء لمن كان كفر

وقوله تعالى تجرى أي سفينة ذات ألواح جارية وقوله تعالى بأعيننا أي بمرأى منا أو بحفظنا لأن العين آلة ذلك فتستعمل فيه وقوله تعالى

وقوله تعالى جزاء لمن كان كفر يحتمل وجوها أحدها أن يكون نصبه بقوله حملناه أي حملناه جزاء أي ليكون ذلك الحمل جزاء الصبر على كفرانهم وثانيها أن يكون بقوله ودسر تجرى بأعيننا لأن فيه معنى حفظنا أي ما تركناه عن أعيننا وعوننا جزاء له ثالثها أن يكون بفعل حاصل من مجموع ما ذكره كأنه قال فتحنا أبواب السماء وفجرنا الأرض عيونا وحملناه وكل ذلك فعلناه جزاء له وإنما ذكرنا هذا لأن الجزاء ما كان يحصل إلا بحفظه وإنجائه لهم فوجب أن يكون جزاء منصوبا بكونه مفعولا له بهذه الأفعال ولنذكر ما فيه من اللطائف في مسائل

المسألة الأولى قال في السماء ففتحنا أبواب السماء ( القمر ١١ ) لأن السماء ذات الرجع وما لها فطور ولم يقل وشققنا السماء وقال في الأرض وفجرنا الارض ( القمر ١٢ ) لأنها ذات الصدع." (١)

"المسألة الثانية جميع فيه فائدتان إحداهما الكثرة والأخرى الاتفاق كأنه قال نحن كثير متفقون فلنا الانتصار ولا يقوم غير هذه اللفظة مقامها من الألفاظ المفردة إنما قلنا إن فيه فائدتين لأن الجمع يدل على الجماعة بحروفه الأصلية من ج م ع وبوزنه وهو فعيل بمعنى مفعول على أنهم جمعوا جمعيتهم العصبية ويحتمل أن يقال معناه نحن الكل لا خارج عنا إشارة إلى أن من اتبع النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لا اعتداد به قال تعالى في نوح أنؤمن لك واتبعك الارذلون ( الشعراء ١١١ ) إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ( هود ٢٧ ) وعلى هذا جميع يكون التنوين فيه لقطع الإضافة كأنهم قالوا نحن جمع الناس المسألة الثالثة ما وجه إفراد المنتصر مع أن نحن ضمير الجمع نقول على الوجه الأول ظاهر لأنه وصف الجزء الآخر الواقع خبرا فهو كقول القائل أنتم جنس منتصر وهم عسكر غالب والجميع كالجنس لفظه لفظ واحد ومعناه جمع فيه الكثرة وأما على الوجه الثاني فالجواب عنه من وجهين أحدهما أن المعنى وإن كان جميع الناس لا خارج عنهم إلا من لا يعتد به لكن لما قطع ونون صار كالمنكر في الأصل فجاز وصفه بالمنكر نظرا إلى اللفظ فعاد إلى الوجه الأول وثانيهما أنه خبر بعد خبر ويجوز أن يكون أحد الخبرين معرفة والآخرين نكرة قال تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ( البروج ١٤ ١٦ ) وعلى هذا فقوله نحن جميع منتصر أفرده لمجاورته جميع ويحتمل أن يقال معنى نحن جميع منتصر أن جميعا بمعنى كل واحد كأنه قال نحن كل واحد منا منتصر كما تقول هم جميعهم أقوياء بمعنى أن كل واحد منهم قوي وهم كلهم علماء أي كل واحد عالم فترك الجمع واختار الإفراد لعود الخبر إلى كل واحد فإنهم كانوا يقولون كل واحد منا يغلب محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) كما قال أبي بن خلف الجمحي وهذا **فيه معنى لطيف وهو** أنهم ادعوا أن كل واحد غالب والله رد عليهم بأجمعهم بقوله

سيهزم الجمع ويولون الدبر

وهو أنهم ادعوا القوة العامة بحيث يغلب كل واحد منهم محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) والله تعالى بين ضعفهم الظاهر

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ٣٥/٢٩

الذي يعمهم جميعهم بقوله ويولون الدبر وحينئذ يظهر سؤال وهو أنه قال يولون الدبر ولم يقل يولون الأدبار وقال في موضع آخر يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ( آل عمران ١١١ ) وقال ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ( الأحزاب ١٥ ) وقال في موضع آخر فلا تولوهم الادبار فكيف تصحيح الإفراد وما الفرق بين المواضع نقول أما التصحيح فظاهر لأن قول القائل فعلوا كقوله فعل هذا وفعل ذاك وفعل الآخر قالوا وفي الجمع تنوب مناب الواوات التي في العطف وقوله يولون بمثابة يول هذا الدبر ويول ذاك ويول الآخر أي كل واحد يولي دبره وأما الفرق فنقول اقتضاء أواخر الآيات حسن الإفراد فقوله يولون الدبر إفراده إشارة إلى أنهم في التولية كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الجمع ولا يثبت أحد للزحف فهم كانوا في التولية كدبر واحد وأما في قوله فلا تولوهم الادبار أي كل واحد يوجد به ينبغي أن يثبت ولا يولي دبره فليس المنهي هناك توليتهم بأجمعهم بل المنهي أن يولي واحد منهم دبره فكل أحد منهي عن تولية دبره فجعل كل واحد برأسه في الخطاب ثم جمع الفعل بقوله فلا تولوهم ولا يتم إلا بقوله الادبار وكذلك في قوله ولقد كانوا عاهدوا الله ( لأحزاب ١٥ ) أي كل واحد قال أنا أثبت ولا أولي دبري وأما في قوله ليولن الادبار ( الحشر ١٢ )." (١)

"بقوله تعالى فبأى ءالاء ربكما تكذبان ثلاث مرات مع أنه في ذكر العذاب ما فصل بين كلامين بها حيث قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ( الرحمن ٣٥ ) مع أن إرسال نحاس غير إرسال شواظ وقال يطوفون بينها وبين حميم ءان ( الرحمن ٤٤ ) مع أن الحميم غير الجحيم وكذا قال تعالى هاذه جهنم التى يكذب بها المجرمون ( الرحمن ٤٣ ) وهو كلام تام وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ءان ( الرحمن ٤٤ ) كلام آخر ولم يفصل بينهما بالآية المذكورة نقول فيه تغليب جانب الرحمة فإن آيات العذاب سردها سردا وذكرها جملة ليقصر ذكرها والثواب ذكره شيئا فشيئا لأن ذكره يطيب للسامع فقال بالفصل وتكرار عود الضمير إلى الجنس بقوله فيهما عينان فيهما من كل فاكهة لأن إعادة ذكر المحبوب محبوب والتطويل بذكر اللذات مستحسن

المسألة الثانية قوله تعالى فيهما عينان تجريان أي في كل واحدة عين واحدة كما مر وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان معناه كل واحدة منهما زوج أو معناه في كل واحدة منهما من الفواكه زوجان ويحتمل أن يكون المراد مثل ذلك أي في كل واحدة من الجنتين زوج من كل فاكهة ففيهما جميعا زوجان من كل فاكهة وهذا إذا جعلنا الكنايتين فيهما للزوجين أو نقول من كل فاكهة لبيان حال الزوجين ومثاله إذا دخلت من على ما لا يمكن أن يكون كائنا في شيء كقولك في الدار من الشرق رجل أي فيها رجل من الشرق ويحتمل أن يكون المراد في كل واحدة منها زوجان وعلى هذا يكون كالصفة بما يدل عليه من كل فاكهة كأنه قال فيهما من كل فاكهة أي كائن فيهما شيء من كل فاكهة وذلك الكائن زوجان وهذا بين فيما تكون من داخله على ما لا يمكن أن يكون هناك كائن في الشيء غيره كقولك في الدار من كل ساكن فإذا قلنا فيهما من كل فاكهة زوجان الثالث عند ذكر الأفنان لو قال فيهما من كل فاكهة زوجان كان متناسبا لأن الأغصان عليها الفواكه فما الفائدة في ذكر العينين بين الأمرين المتصل أحدهما بالآخر نقول جرى ذكر الجنة على عادة المتنعمين فإنهم إذا دخلوا البستان لا يبادرون إلى أكل الثمار بل يقدمون التفرج على الأكل مع أن الإنسان في بستان الدنيا لا يأكل حتى يجوع

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٦٠/٢٩

ويشتهي شهوة مؤلمة فكيف في الجنة فذكر ما يتم به النزهة وهو خضرة الأشجار وجريان الأنهار ثم ذكر ما يكون بعد النزهة وهو أكل الثمار فسبحان من يأتي بالآي بأحسن المعاني في أبين المباني

ثم قال تعالى

متكئين على فرش بطآئنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأى ءالا ء ربكما تكذبان

وفيه مسائل نحوية ولغوية ومعنوية

المسألة الأولى من النحوية هو أن المشهور أن ( متكئين ) حال وذو الحال من في قوله ولمن خاف مقام ربه ( الرحمن ٤٦ ) والعامل ما يدل عليه اللام الجارة تقديره لهم في حال الاتكاء جنتان وقال صاحب الكشاف يحتمل أن يكون نصبا على المدح وإنما حمله على هذا إشكال في قول من قال إنه حال وذلك لأن الجنة ليست لهم حال الإتكاء بل هي لهم في كل حال فهي قبل الدخول لهم ويحتمل أن يقال هو حال وذو الحال ما تدل عليه الفاكهة لأن قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان ( الرحمن ٥٢ ) يدل على متفكهين بها كأنه قال يتفكه المتفكهون بها متكئين وهذا **فيه معنى لطيف وذلك** لأن الأكل إن كان ذليلا كالخول والخدم والعبيد." (١)

" صفحة رقم ١١٧

وفي رواية عنه أن آخر آية في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس : افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وختمه بالحمد فقال تعالى : ( وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ( " وفي قوله : الحمد لله ، تعليم لعباده كيف يحمدونه أي : قولوا الحمد لله.

وقال أهل المعاني لفظه خبر ومعناه الأمر أي احمدوا الله وإنما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر لأنه أبلغ من البيان من حيث إنه جمع الأمرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الأمرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والأرض أي احمدوا الله خلق السموات والأرض وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لأن السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والأرض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع ) وجعل الظلمات والنور ( الجعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور.

قال السدي : يريد بالظلمات ، ظلمات الليل والنهار ، وبالنور ، نور النهار.

وقال الحسن : يعني بالظلمات الكفر وبالنور الإيمان.

وقيل : يعني بالظلمات الجهل وبالنور العلم.

وقيل : الجنة والنار.

وقال قتادة : خلق الله السموات قبل الأرض وخلق الظلمات قبل النور وخلق الجنة قبل النار.

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أنه قال : ( إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه ضل ) ذكره البغوي بغير سند ) ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢٩/١١٠

( يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون وأصل العدل ، مساواة الشيء بالشي.
والمعنى : أنهم يعدلون بالله غي الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع إقرارهم بأن الله خلق السموات والأرض.
وقال النضر بن شميل : الباء في قوله بربهم بمعنى عن أي عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقبل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل **على معنى لطيف وهو** أنه تعالى دل به على إنكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك : أن تقول لرجل أكرمتك وأحسنت إليك وأنت تنكرني وتجحد إحساني إليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله.
(
الأنعام : ( ٢ - ٣ ) هو الذي خلقكم...
" هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون " ( ) هو الذي خلقكم من طين ( يعني أنه تعالى خلق آدم من طين وإنما خاطب ذريته بذلك لأنه أصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم أعلمهم بهذه الآية أنه خلقهم من طين وهو القادر على إعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت.
". (١)

" صفحة رقم ١٢٥
الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك إيجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبرؤ من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتي بالشهادتين ويبرأ من كل دين خالف الإسلام لقوله تعالى : ( وإنني بريء مما تشركون (.
قوله عز وجل : ( الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ( المراد بالذين أوتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وذلك أن كفار مكة لما قالوا للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) إنا سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر وأنكروا معرفته بين الله عز وجل أن شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الآية أنهم يعرفونه وأنهم كذبوا في قولهم إنهم لا يعرفونه.
وروي أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب : إن الله عز وجل أنزل على نبيه محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) بمكة ( الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ( فكيف هذه المعرفة ؟ فقال عبد الله بن سلام : يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد ( صلى الله عليه وسلم ) مني بابني فقال عمر وكيف ذاك ؟ قال أشهد أنه رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) حقا ولا أدري ما يصنع النساء.

---
(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع، ٢/١١٧

وقوله تعالى : ( الذين خسروا أنفسهم ( يعني : أهلكوا أنفسهم وغبنوها وأوبقوها في نار جهنم بإنكارهم نبوة محمد ( صلى الله عليه وسلم ) .

وفي الذينه خسروا أنفسهم قولان : أحدهما : أنه صفة الذين الأولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) ويجحدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين ) فهم لا يؤمنون ( يعني به.

والقول الثاني : إنه كلام مبتدأ ولا تعلق له بالأول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد ( صلى الله عليه وسلم ) وذكروا في معنى الخسار وجهين : أحدهما : أنه الهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وإنكارهم نبوة محمد ( صلى الله عليه وسلم ) .

والوجه الثاني : أنه جعل لكل واحد من بني آدم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسران.

(

الأنعام : ( ٢١ - ٢٤ ) ومن أظلم ممن...

" ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون " ( قوله تعالى : ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ( يعني ومن أشد عنادا وأخطأ فعلا وأعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم أن له شريكا من خلقه وإلها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الأصنام ، أو ادعى أن له صاحبه وولدا كما قلت النصارى ) أو كذب بآياته ( يعني كذب بحجته وأعلام أدلته التي أعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الأنبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزله على محمد ( صلى الله عليه وسلم ) ) إنه لا يفلح الظالمون ( يعني أنه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل ) ويوم نحشرهم جميعا ( أي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة ) ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ( يعني أنها تشفع لكم عند ربكم.

قوله عز وجل : ( ثم لم تكن فتنتهم ( يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة ، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن **فتنتهم معنى لطيف وذلك** أن الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته إلا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤوا منها.

يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للأصنام إلا أن تبرؤوا منها." [1]

"العيد في شرح العمدة (ج١ ص١٧٠) : في تقديم السنن على الفرائض وتأخيرها **عنها معنى لطيف مناسب** ، أما في تقديم فلأن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها ، فتتكيف النفس في ذلك بحالة بعيدة عن حضور القلب في العبادة

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع، ٢/١٢٥

والخشوع فيها الذي هو روحها ، فإذا قدمت السنن على الفريضة تأنست النفس بالعبادة وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع ، فيدخل في الفرائض على حاله حسنة لم يكن يحصل له لو لم تقدم السنة فإن النفس مجبولة على التكيف بما هي فيه ، لا سيما إذا كثر أو طال وورود الحالة المنافية لما قبلها قد تمحو أثر الحالة السابقة أو تضعفه. وأما السنن المتأخرة فلما ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض ، فإذا وقع الفرض مناسب أن يكون بعده ما يجبر خللا فيه إن وقع- انتهى. قلت : يشير بقوله ما ورد إلى ما أخرجه أحمد وأبوداود وابن ماجه والحاكم من حديث تمتم الداري مرفوعا : أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، فإن كان أتمها كتبت له تامة وإن لم يكن أتمها قال الله لملائكته : أنظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملون بها فريضته ثم الزكاة كذلك تؤخذ الأعمال على حسب ذلك- انتهى. وأخرجه الترمذي وأبوداود أيضا من حديث أبي هريرة

"الفصل الأول "

١١٦٦- (١) عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : ((من صلى في يوم وليلة." [١]

"٧٥١ - قوله : ( محمد بن يحيى بن حبان )

بفتح الحاء وبالباء الموحدة .

قولها : ( فوقعت يدي على بطن قدمه وهو في المسجد وهما منصوبتان )

استدل به من يقول لمس المرأة لا ينقض الوضوء ، وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وآخرين ، وقال مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى والأكثرون : ينقض واختلفوا في تفصيل ذلك ، وأجيب عن هذا الحديث بأن الملموس لا ينتقض على قول الشافعي رحمه الله تعالى وغيره ، وعلى قول من قال ينتقض وهو الراجح عند أصحابنا يحمل هذا اللمس على أنه كان فوق حائل فلا يضر . وقولها : ( وهما منصوبتان ) فيه أن السنة نصبهما في السجود .

وقولها : ( وهو يقول : اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك . وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك )

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى في **هذا معنى لطيف** ؛ وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، والرضاء والسخط ضدان متقابلان . وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه . وقوله : لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا آتي عليه ، وقيل : لا أحيط به ، وقال مالك رحمه الله تعالى : معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك . وقوله : ( أنت كما أثنيت على نفسك ) اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء ، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين ، فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا ، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه ، وكل ثناء أثني به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم ، وسلطانه أعز ، وصفاته أكبر

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٢٥٤/٤

وأكثر ، وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ .
وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة في جواز إضافة الشر إلى الله تعالى كما يضاف إليه الخير لقوله : أعوذ بك من سخطك ومن عقوبتك والله أعلم .." (١)

"٢٦٢٣ ٣٣٧٤ - وفي الحديث الثالث فقدت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو يقول أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك قال أبو سليمان الخطابي في هذا **الكلام معنى لطيف وهو** أن الرضا ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة فسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له استعاذ به منه لا غير قلت وهذا كلام وعظي يعجب العوام ولا صحة له لأنه لا يجوز أن يستعاذ من الذات القديمة وهذا لا يجوز أن يعتقد أن الرسول عليه السلام قصده ولكنه لما أراد أن يستعيذ من الأشياء بأضدادها مثل أن يقول وبحلمك من تعجيل عذابك وبكذا من كذا فلما كان التعداد يطول قال أعوذ بك منك أي بما يصدر منك من عفو ولطف مما يصدر منك من عقوبة ونقمة وقال ابن عقيل معنى الكلام أعوذ بك من الصادر منك من الأفعال التي هي العذاب والبطشة وقوله سبوح قدوس قال الخطابي لم يأت من الأسماء على فعول بضم الفاء إلا قدوس وسبوح وقد يفتحان وهو القياس في الأسماء كسفود وكلوب والقدوس الطاهر من العيوب قال أبو الحسن الهنائي اللغوي
ومعنى سبوح قدوس أنه يسبح ويقدس أي تعظم فأما الملائكة فجمع ملك واسمه مشتق من المألكة وهي الرسالة فسموا بذلك لأنهم رسل الله عز وجل إلى أنبيائه والروح مختلف فيه والأظهر أنه جبريل عليه السلام وقد سبق ما بعد هذا
٢٦٢٤ ٣٣٧٧ - وفي الحديث السادس ناوليني الخمرة وهي كالسجادة الصغيرة
٢٦٢٥ ٣٣٧٨ - وفي الحديث السابع إن في عجوة العالية شفاء إنها ترياق أول البكرة الترياق ما يستعمل لدفع السم وهو رومي معرب ويقال درياق وطرياق قال الراجز
ريقي ودرياقي شفاء السم
وهذا أمر يختص بالمدينة لعظم بركتها لا أن في التمر تلك الخصيصة وقد ذكرنا هذا في مسند سعد بن أبي وقاص وبينا هنالك العجوة
والعالية
." (٢)

"يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله" ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك. وقيل لابن مسعود : هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال : إنا نهينا عن التجسس وإن

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٢/٢٣٦

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/١٢٥١

يظهر لنا شيئا نأخذه به.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٣

تنبيه : قرأ ولا تنابزوا ولا تجسسوا ولتعارفوا البزي في الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد

ولما كانت الغيبة أعم من التجسس قال : ﴿ولا يغتب﴾ أي : ولا يتعمد أن يذكر ﴿بعضكم بعضا﴾ أي : في غيبته بما يكره. قال القشيري : وليس تحصل الغيبة للخلق إلا من الغيبة عن الحق وقال أبو حيان : قال ابن عباس : الغيبة إدام كلاب الناس.

وعن أبي هريرة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته" وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا لا نأكل حتى يطعم ولا نرحل حتى يرحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم "اغتبتموه فقالوا : إنما حدثنا بما فيه قال : حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه" وفي هذا إشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن فإن تمزيق عرض الإنسان كتمزيق أديمه ولحمه كما قال تعالى : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه﴾ وقرأ ﴿ميتا﴾ نافع بتشديد الياء والباقون بالسكون.

ولما كان الجواب قطعا لا يحب أحد ذلك أشار إليه بما سببه من قوله تعالى : ﴿فكرهتموه﴾ أي : بسبب ما ذكر طبعا فأولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا لأن داعي العقل بصير عالم وداعي الطبع أعمى جاهل.

تنبيه : في هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه ، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى ، لأن ذلك أشد ألما وقوله تعالى لحم أخيه آكد في المنع لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله تعالى : ﴿ميتا﴾ إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال : إن الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم ، فيقال لحم الأخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح كما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه **وفيه معنى لطيف وهو** أن الاغتياب أكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إذا وجد

٥٧

لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب. قال مجاهد : لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا : لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. قال الزجاج : تأويله أن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٣

قال الرازي : وفي ضمير فكرهتموه وجوه : أظهرها : أن يعود إلى الأكل. وثانيها : أن يعود إلى اللحم أي : فكرهتم اللحم.

وثالثها : أن يعود إلى الميت في قوله تعالى ميتا تقديره أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة إن أكلت في الندرة تستطاب نادرا ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا. فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكله ففيه إذا كراهية شديدة. وكذلك حال الغيبة.

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظافير من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم" وقال ميمون بن سنان : بينما أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال إنك اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكن سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحد ولا يدع أحدا يغتاب عنده.

وقوله تعالى : ﴿واتقوا الله﴾ أي : اجعلوا بينكم وبين الملك الأعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الأوامر والنواهي أي اجتنبوا واتقوا الله ﴿إن الله﴾ أي : الملك الأعظم ﴿تواب﴾ أي : مكرر للتوبة وهي الرجوع عن المعصية إلى ما كان قبلها من معاملة التائب وإن كرر الذنب فلا ييأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت ﴿رحيم﴾ يزيده على ذلك بأن يكرمه غاية الإكرام.." (١)

"سورة الإخلاص

مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة ، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ، وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا.

﴿بسم الله﴾ الذي له جميع الكمال ذي الجلال والجمال ﴿الرحمن﴾ الذي أفاض على جميع خلقه عموم الأفضال ﴿الرحيم﴾ الذي خص أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والأكمال.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٧١٢

واختلف في سبب نزول سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ فروى أبو العالية عن أبي بن كعب : أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر : إلى من تدعنا يا محمد ؟

فقال : إلى الله تعالى ، قال : صفه لنا ، أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت ، واهلك الله تعالى أربد بالصاعقة وعامر من الطفيل بالطاعون. وقال الضحاك وقتادة ومقاتل : جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك ، فإن الله تعالى أنزل صفته في التوراة فأخبرنا من أي : شيء هو ، وهل يأكل ويشرب ، ومن ورث ومن يرثه فنزلت.

تنبيه : هو ضمير الشأن وهو مبتدأ وخبره الله ، وأحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله تعالى

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، ٤/٤١

على جميع صفات الكمال ؛ إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسيمة والتحيز والمشاركة في الحقيقة ، وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقضية للألوهية. فائدة : جاء في الواحد عن العرب لغات كثيرة ، يقال : واحد وأحد ووحد ووحيد ووحاد وأحاد وموحد وأوحد ، وهذا كله راجع إلى معنى الواحد ، وإن كان في **ذلك معان لطيفة ولم** يجيء في صفات الله تعالى إلا الواحد والأحد.

وقوله تعالى : ﴿الله﴾ ، أي : الذي ثبتت إلهيته وأحديته لا غيره مبتدأ خبره ﴿الصمد﴾ وأخلى هذه الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى ، أو الدليل عليها. والصمد : السيد المصمود إليه في الحوائج ، والمعنى : هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم ، وهو واحد متوحد بالإلوهية ولا يشارك فيها وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه ، وهو الغني عنهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الصمد هو الذي لا جوف له ، وقال الشعبي : هو الذي لا يأكل ولا يشرب ، وقال الربيع : هو الذي لا تعتريه الآفات ، وقال مقاتل بن حبان : هو الذي لاعيب

٧١٣

فيه ، وقال قتادة : هو الباقي بعد فناء خلقه ، وقال سعيد بن جبير : هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، وقال السدي : هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب. تقول العرب : صمدت فلانا أصمده صمدا بسكون الميم إذا قصدته.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٧١٣

وعن أبي بن كعب : هو الذي ﴿لم يلد﴾ لأن من يلد سيموت ، ومن يرث يورث عنه ففسر الصمد بما بعده. وينبغي أن تجعل هذه التفاسير كلها تفسيرا واحدا فإنه متصف بجميعها فكونه لم يلد لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى من يعينه ، أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه لدوامه في أبديته ، والاقتصار على الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله ، أو العزيز أو المسيح أو غيره.

ولما بين أنه لا فصل له ظهر أنه لا جنس له فدل عليه بقوله تعالى :

﴿ولم يولد﴾ لأنه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول ، فهو قديم لا أول له ، بل هو الأول الذي لم يسبقه عدم لأن الولادة تتكون ولا تتشخص إلا بواسطة المادة وعلاقتها وكل ما كان ماديا أو كان له علاقة بالمادة كان متولدا عن غيره ، والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع ذلك.

﴿ولم يكن﴾ ، أي : لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير من التقادير ﴿له﴾ ، أي : خاصة ﴿كفوا﴾ ، أي : مثلا ومساويا ﴿أحد﴾ على الإطلاق ، أي : لا يساويه في قوة الوجود لأنه لو ساواه في ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل ، فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس الذي يكون كالأم ، والفصل الذي يكون كالأب ، وقد ثبت أنه لا يصح بوجه من الوجوه أن يكون في شيء من الولادة ، لأن وجوب وجوده لذاته فانتفى أن يساويه شيء. وكان الأصل أن يؤخر الظرف ؛ لأنه صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للأهم ، ويجوز أن

يكون حالا من المتمكن في كفؤا ، أو خبرا ، أو يكون كفؤا حالا من أحد وعطف هاتين الجملتين على الجملة التي قبلهما ، لأن الثلاث شرح الصمدية النافية لأقسام الأمثال فهي كالجملة الواحدة.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يقول الله تعالى : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي يقول : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفؤا أحد". وقرأ حمزة بسكون الفاء والباقون بضمها ، وقرأ حفص كفوا بالواو وقفا ووصلا ، وإذا وقف حمزة وقف بالواو.." (١)

"قال ابن دقيق العيد : وفي تقديم السنن على الفرائض وتأخيرها **عنها معنى لطيف مناسب** : أما في التقديم ؛ فلأن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها ، فتتكيف النفس في ذلك بحال عديدة عن حضور القلب في العبادة والخشوع فيها الذي هو روحها ، فإذا قدمت السنن على الفريضة تأنست النفس بالعبادة ، وتكيفت بحالة القرب من الخشوع ، فيدخل في الفرائض على حالة حسنة . وأما السنن المتأخرة ، فلما ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض .

[١٠٩٩] وعن عبد الله بن مغفل – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة » . قال في الثالثة : « لمن شاء » . متفق عليه .

المراد بالأذانين : الأذان والإقامة .

في هذا الحديث : استحباب الصلاة بين الأذان والإقامة ، وهذا عام مخصوص ، فإن الوقت الذي بعد طلوع الفجر لا يصلى فيه إلا راتبة الفجر أو تحية المسجد .

١٩٦ – باب تأكيد ركعتي سنة الصبح

[١١٠٠] عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان لا يدع أربعا قبل الظهر ، وركعتين قبل الغداة . رواه البخاري .

قال الداودي : وقع في حديث ابن عمر أن قبل الظهر ركعتين ، وفي حديث عائشة أربعا ، وهو محمول على أن كل واحد منهما وصف ما رأى .

وقال الحافظ : كان تارة يصلي ركعتين ، وتارة يصلي أربعا .

وقال الطبري : الأربع كانت في كثير من أحواله ، والركعتان في قليلها .

[١١٠١] وعنها قالت : لم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم – على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر . متفق عليه .." (٢)

"اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك إلى آخره قال الخطابي **فيه معنى لطيف وذلك** أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، ٤٤٦/٤

(٢) تطريز رياض الصالحين، ١١٩/٢

ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا آتي به وقيل لا أحيط به وقال مالك معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه (ق ٨٣ / ٢) : لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء فوكل ذلك إلى الله سبحانه المحيط بكل شئ جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه وكلما أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم مع أنه متعال عن القدر وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ." (١)

"قلت نهيه عن القراءة راكعا أو ساجدا يشد قول إسحاق ومذهبه في إيجاب الذكر في الركوع والسجود وذلك أنه إنما أخلي موضعهما من القراءة ليكون محلا للذكر والدعاء ، وقوله قمن بمعنى جدير وحري أن يستجاب لكم .

قال أبو داود :

٢٦٥- حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن قلت قولها يتأول القرآن تريد قوله فسبح بحمد ربك إنه كان توابا .

قال أبو داود :

٢٦٦- حدثنا محمد بن سليمان الأنباري حدثنا عبدة عن عبيد الله عن محمد بن يحيي بن حبان عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلمست المسجد فإذا هو ساجد وقدمه منصوبتان ويقول أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

قلت في هذا **الكلام معنى لطيف وهوأنه** قد استعاذ بالله وسأله أن يجيزه برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضاء والسخط ضدان متقابلان ، وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه استعاذ به منه لا غير ، ومعنى ذلك الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه ، وقوله لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا أبلغه وفيه إضافة الخير والشر معا إليه سبحانه .

٨٢/١٥٠-١٥١م ومن باب أعضاء السجود

قال أبو داود :

٢٦٧- حدثنا النفيلي حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن التميمي الذي يحدث التفسير عن ابن عباس قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه فرأيت بياض إبطيه وهو مجخ قد فرج يديه .

---

(١) الديباج على مسلم، ١٧٨/٢

قوله مجخ يريد أنه قد رفع مؤخره ومال قليلا هكذا يفسر .

قال أبو داود :." (١)

"وأبيه أن صدق لما جاءه أعرابي يسأل عن الإسلام فأخبره بشرائع الإسلام وقال الأعرابي والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه فإنه كان مباحا وانتسخ بالنهي ويؤيده ما روى أن حبرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد نعم القوم أنتم لو لا أنكم تشركون فقال سبحان الله قال إنكم تقولون إذا حلفتم والكعبة قال فأمهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال إنه قد قال فمن حلف فليحلف برب الكعبة ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله من حلف بغير الله فقد أشرك يعني جعل ما حلف به محلوفا به كما أن الله تعالى محلوف به وذلك ذنب ولكن لا يريد به الشرك الذي يكون به خارجا عنالإسلام نظير ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل في أن المراد به أن شيئا تولى الله فعله قيل فيه إن سبب فعله كذا وكذا مما يتطير به فمثل ذلك الشرك المذكور في الحلف بغير الله إلا الشرك الذي يوجب الكفر ومنه ما روى عن سعد بن أبي وقاص أنه قال حلفت باللات والعزى وكان العهد حديثا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت إني حلفت باللات والعزى وكان العهد حديثا قال قلت هجرا أتفل عن يسارك ثلاثا وقل لا إله إلا الله وحده واستغفر الله ولا تعد فيه ما يدل على أن سعدا لم يخلف الأعلى ما اعتاده لسانه ساهيا عن تحريم الله ذلك عليه بإسلامه وذلك من اللغو وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تعد معناه والله أعلم أن يتحفظ من نفسه والأخذ بالحزم لئلا يقع في مثله وأمره بالاستغفرا مخافة أن يكون قد قصر في التحفظ ومنه ما روى عن ا لنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف بملة سوى ملة الإسلام كاذبا فهو كما قال **فيه معنى لطيف من** الفقه وهو أن من حلف فقال هو يهودي إن كان." (٢)

"وسلم فقالوا القود يا رسول الله فقال

النبي صلى الله عليه وسلم لكم كذا وكذا فلم يرضوا فقال لكم كذا وكذا فرضوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني خاطب العشية على الناس ومخبرهم برضاكم قال أرضيتم قالوا لا قال فهم بهم المهاجرون فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفوا عنهم ثم دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم فزادهم فقال أرضيتم قالوا نعم قال فإني خاطب على لاناس ومخبرهم برضاكم قالوا نعم فخطب الناس فقال أرضيتم قالوا نعم **فيه معنى لطيف من** الفقه يجب أن يوقف عليه ويوقف به على أن الزيادة في هذا المعنى بخلاف الزيادة في المعنيين اللذين ذكرناهما في الحديث الذي قبل هذا وذلك إن الزيادة فيهما زيادة فيما يجوز نقصه واستئناف العقد فيه فجازت الزيادة في ذلك وكان الصلح على أبي جهم مما لا يجوز أن يتناقضه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين صالحهم عنه لأن رجلا لو شج رجلا شجة أو جنى عليه جناية فصالحه منها على شيء أو صولح منها عنه على شيء ثم أرادعا قدا ذلك الصلح أن يتناقضاه بينهما ليمكن لهما ذلك وما هذا سبيله فالزيادة فيه غير لاحقة بأصله ومختلف فيها فبعضهم قال أنها باطلة وأنها راجعة إلى الذي زادها وهو أبو حنيفة وأبو يوسف وبعضهم قال أنها هبة من

---

(١) تفسير سنن أبي داود (معالم السنن) لأبي سليمان الخطابي، ١/١٨٨

(٢) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ١/٢٥٥

الذي زادها فإن قبضها جاز وأن منعه منها لم يجبر على تسليمها إليه وهو زفر ومحمد وقول عن مالك ونحن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدفع إلى أولئك القوم ما لا يحل لهم أخذه لان شريعته تحريم الربا وإطعامه فدل ذلك على طيبه وأنه صار هبة منه كما قال من قاله وفعله صلى الله عليه وسلم الحجة على الناس جميعا وقيل يجبر على التسليم عند مالك كما هو مذهبه في الهبة في اختلاف المتبايعين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان إذا اختلفا وليس بينهما شاهد فالقول ما قال البائع أو يترددان قال الطحاوي ذكرت هذا لأحمد بن شعيب وقلت هل عندك فيه شيء يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

" شرط العمل بالحديث الضعيف

هذا الحديث : يتعلق بالسنن الرواتب التي قبل الفرائض وبعدها ويدل على هذا العدد منها وفي تقديم السنن على الفرائض وتأخيرها عنها : **معنى لطيف مناسب** أما في التقديم : فلأن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها فتتكيف النفس من ذلك بحالة بعيدة عن حضور القلب في العبادة والخشوع فيها الذي هو روحها فإذا قدمت السنن على الفريضة تأنست النفس بالعبادة وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع فيدخل في الفرائض على حالة حسنة لم تكن تحصل له لو لم تقدم السنة فإن النفس مجبولة على التكيف بما هي فيه لا سيما إذا كثر أو طال وورود الحالة المنافية لما قبلها قد يمحو أثر الحالة السابقة أو يضعفه وأما السنن المتأخرة : فلما ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض فإذا وقع الفرض ناسب أن يكون بعده ما يجبر خللا فيه إن وقع

وقد اختلفت الأحاديث في أعداد ركعات الرواتب فعلا وقولا واختلفت مذاهب الفقهاء في الاختيار لتلك الأعداد والرواتب والمروي عن مالك : أنه لا توقيت في ذلك قال ابن القاسم صاحبه : وإنما يوقت في هذا أهل العراق

والحق – والله أعلم – في هذا الباب – أعني ما ورد في أحاديث بالنسبة إلى التطوعات والنوافل المرسلة – أن كل حديث صحيح دل على استحباب عدد من هذه الأعداد أو هيئة من الهيئات أو نافلة من النوافل : يعمل به في استحبابه ثم تختلف مراتب ذلك المستحب فما كان الدليل دالا على تأكده – إما بملازمته فعلا أو بكثرة فعله وإما بقوة دلالة اللفظ على تأكد حكمه وإما بمعاضدة حديث آخر له أو أحاديث فيه – تعلو مرتبته في الاستحباب وما يقصر عن ذلك كان بعده في المرتبة وما ورد فيه حديث لا ينتهي إلى الصحة فإن كان حسنا عمل به عن لم يعارضه صحيح أقوى منه وكانت مرتبته ناقصة عن هذه المرتبة الثانية أعني الصحيح الذي لم يدم عليه أو لم يؤكد اللفظ في طلبه وما كان ضعيفا لا يدخل في حيز الموضوع فإن أحدث شعارا في الدين : منع منه وإن لم يحدث فهو محل نظر يحتمل أن يقال : إنه مستحب لدخوله تحت العمومات المقتضية لفعل الخير واستحباب الصلاة ويحتمل أن يقال : إن هذه الخصوصيات بالوقت أو بالحال والهيئة والفعل المخصوص : يحتاج إلى دليل خاص يقتضي استحبابه بخصوصه وهذا أقرب والله أعلم وههنا تنبيهات

الأولى : أنا حيث قلنا في الحديث الضعيف : إنه يحتمل أن يعمل به لدخوله تحت العمومات فشرطه : أن لا يقوم دليل على المنع منه أخص من تلك العمومات مثاله : الصلاة المذكورة في أول ليلة جمعة من رجب : لم يصح في الحديث

---

(١) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ٣٥١/١

ولا حسن فمن أراد فعلها – إدراجا لها تحت العمومات الدالة على فضل الصلاة والتسبيحات – لم يستقم لأنه قد صح أن النبي صلى الله عليه و سلم [ نهى أن تخص ليلة الجمعة بقيام ] وهذا أخص من العموميات الدالة على فضيلة مطلق الصلاة

الثاني : أن هذا الاحتمال الذي قلناه – من جواز إدراجه تحت العمومات – نريد به في الفعل لا في الحكم باستحباب ذلك الشيء المخصوص بهيئته الخاصة لأن الحكم باستحبابه على تلك الهيئة الخاصة : يحتاج دليلا شرعيا عليه ولا بد بخلاف ما إذا فعل بناء على أنه من جملة الخيرات التي لا تختص بذلك الوقت ولا بتلك الهيئة فهذا هو الذي قلنا باحتماله

الثالث : قد منعنا إحداث ما هو شعار في الدين ومثاله : ما أحدثته الروافض من عيد ثالث سموه عيد الغدير وكذلك الاجتماع وإقامة شعاره في وقت مخصوص على شيء مخصوص لم يثبت شرعا وقريب من ذلك : أن تكون العبادة من جهة الشرع مرتبة على وجه مخصوص فيريد بعض الناس : أن يحدث فيها أمرا آخر لم يرد به الشرع زاعما أنه يدرجه تحت عموم فهذا لا يستقيم لأن الغالب على العبادات العبد ومأخذها التوقيف وهذه الصورة : حيث لا يدل دليل على كراهة ذلك المحدث أو منعه فأما إذا دل فهو أقوى في المنع وأظهر من الأول ولعل مثال ذلك ما ورد في رفع اليدين في القنوت فإنه قد صح رفع اليد في الدعاء مطلقا فقال بعض الفقهاء : يرفع اليد في القنوت لأنه دعاء فيندرج تحت الدليل المقتضي لاستحباب رفع اليد في الدعاء وقال غيره : يكره لأن الغالب على هيئة العبادة التعبد والتوقيف والصلاة تصان عن زيادة عمل غير مشروع فيها فإذا لم يثبت الحديث في رفع اليد في القنوت : كان الدليل الدال على صيانة الصلاة عن العمل الذي لم يشرع : أخص من الدليل الدال على رفع اليد في الدعاء

الرابع : ما ذكرناه من المنع : فتارة يكون منع تحريم وتارة منع كراهة ولعل ذلك يختلف بحسب ما يفهم من نفس الشرع من التشديد في الابتداع بالنسبة إلى ذلك الجنس أو التخفيف ألا ترى أنا إذا نظرنا إلى البدع المتعلقة بأمور الدنيا : لم تساو البدع المتعلقة بأمور الأحكام الفرعية ولعلها – أعني البدع المتعلقة بأمور الدنيا – لا تكره أصلا بل كثير منها يجزم فيه بعدم الكراهة وإذا نظرنا إلى البدع المتعلقة بالأحكام الفرعية : لم تكن مساوية للبدع المتعلقة بأصول العقائد ." (١)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٠١

كثير «١» ، وعلى هذا قوله : وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ

[العاديات / ٨] ، أي : المال الكثير وقال بعض العلماء : إنما سمّي المال هاهنا خيرا تنبيها **على معنى لطيف** ، وهو أنّ الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعا من المال من وجه محمود ، وعلى هذا قوله : قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ [البقرة / ٢١٥] ، وقال : وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة / ٢٧٣] ، وقوله : فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً [النور / ٣٣] ، قيل : عنى به مالا من جهتهم «٢» ، وقيل : إن علمتم أنّ عتقهم يعود عليكم وعليهم بنفع ، أي : ثواب «٣».

والخير والشرّ يقالان على وجهين :

---

(١) إحكام الأحكام، ص/١٩٩

أحدهما : أن يكونا اسمين كما تقدّم ، وهو قوله : وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ [آل عمران / ١٠٤].
والثاني : أن يكونا وصفين ، وتقديرهما تقدير (أفعل منه) ، نحو : هذا خير من ذاك وأفضل ، وقوله : نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها [البقرة / ١٠٦] ، وقوله : وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ [البقرة / ١٨٤] ، فخير هاهنا يصحّ أن يكون اسما ، وأن يكون بمعنى أفعل ، ومنه قوله : وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى [البقرة / ١٩٧] ، تقديره تقدير أفعل منه. فالخير يقابل به الشرّ مرة ، والضرّ مرة ، نحو قوله تعالى : وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنعام / ١٧] ، وقوله : فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ
[الرحمن / ٧٠] ، قيل : أصله خَيِّرَات ، فخفّف ، فالخيرات من النساء الخيّرات ، يقال : رجل خَيْرٌ «٤» وامرأة خَيْرَةٌ ، وهذا خير الرجال ، وهذه خيرة النساء ، والمراد بذلك المختارات ، أي : فيهنّ مختارات لا رذل فيهنّ. والخير : الفاضل المختصّ بالخير ، يقال : ناقة خِيَار ، وجمل خيار ، واستخار اللهَ العبدُ فَخَارَ له ، أي : طلب منه الخير فأولاه ، وخَايَرْتُ فلانا كذا فَخِرْتُهُ ، والخِيَرَة : الحالة التي تحصل للمستخير والمختار ، نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس. والاختيارُ : طلب ما هو خير وفعله ، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرا ، وإن لم يكن خيرا ، وقوله : وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ
[الدخان / ٣٢] ، يصحّ أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيرا ، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم. والمختار في عرف المتكلّمين يقال لكلّ

(١) الخبر ذكره البيهقي في سننه ٦ / ٢٧٠ وعبد الرزاق ٩ / ٦٢ والحاكم ٢ / ٢٧٣ ، وفيه انقطاع.
(٢) وهذا قول ابن عباس وعطاء. راجع : الدر المنثور ٥ / ١٩٠.
(٣) أخرج عبد الرزاق وغيره عن أنس بن مالك قال : سألني سيرين المكاتبة ، فأبيت عليه ، فأتى عمر بن الخطاب ، فأقبل عليّ بالدّرة ، وقال : كاتبه ، وتلا : فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً فكاتبته. راجع : الدر المنثور ٥ / ١٩٠.
(٤) يقال : رجل خير وخيّر ، كميت وميّت. راجع : البصائر ٢ / ٧٤.." (١)
" صفحة رقم ٥٨٤

مع شيء ، فيكون ذاك الشيء ثانيا معه بل هو الواحد منشئ والأشياء كلها له ، وهو المتحد بذاته ممتنع من أن يكون له شيء ثانيا بوجه من الوجوه والخلق كله له ، وإن كان يسمى بالواحد ، أو كانت هذه الصفة قد لزمت جميع الأشياء في وجه فإنها تزول عنها في وجه .
كما قيل : إنسان واحد وفرس واحد وبعير واحد ، وكذلك يقال لسائر الأشياء ، وهذه صفة تلزمها في اللفظ ، والمسمى لا يخلو من معان كثيرة مجتمعة فيه كالجسم والعرض ، وهو واحد مجموع من أشياء متفرقة ، وكل شيء لا يخلو من ازدواد وتضاد وتشاكل وحد وعد ، وهذه الصفات كلها تنفي عنه معنى الأحدية والواحدية ، وفي الواحد عن العرب لغات كثيرة

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ص/٣٠١

، يقال : واحد وأحد ووحد ووحيد وحاد وأحاد وموحد وأوحد – وهذا كله راجع إلى معنى الواحد ، وإن كان في **ذلك** **معان لطيفة ولم** يجئ في صفة الله عز وجل إلا الواحد والأحد ، قلت : والوحيد على بعض الإعرابات في المدثر ، قال : وكلها مشتقة من الواحد ، وكأن ذلك مأخوذ من الحد .

كأن الأشياء كلها إليه انتهاؤها وهي محدودة كلها غيره عز وجل وهو محدود ، بل هو غاية المحدودين وغاية الغايات لا غاية له ، والأحد يجئ في الكلام بمعنى الأول وبمعنى الواحد ، فإذا جاء بمعنى الأول وبمعنى الواحد جاز أن يتكلم به في الخبر كقولك : هذا واحد أحد ، والعرب كانت تسمى يوم الأحد في الجاهلية أولا ، وقولك ( يوم الأحد ) دليل على أنه اليوم الأول من الأسبوع ، والثنين دليل على أنه اليوم الثاني ، وفي التوراة أن الله عز وجل أول ما خلق من الأيام ( يوم الأحد ) قلت : يمكن أن يكون معنى يوم الأحد يوم الله ، أضيف إليه لكونه أول مخلوقاته من الأيام ، فلما أوجد الثاني سمي يوم الاثنين ، لأنه ثاني يوم الأحد ، قال : وضد الواحد اثنان ، وضد الأحد الآخر ، قال الله تعالى :

٧٧ ( ) قال أحدهما أراني أعصر خمرا ( ) ٧

[ يوسف : ٣٦ ] ثم قال في ضده ( وقال الآخر ) فهذا دليل على أن معنى قولهم ( يوم الأحد ) اليوم الأول : لأنهم قالوا لما بعده اثنان ، ولم يقولوا : الآخر ، لأن الأحد إذا لم يكن بمعنى الأول فضده الآخر ، وإذا كان الأحد بمعنى الأول جاز الخبر والجحد ، وإذا لم يكون بمعنى الأول وكان بمعنى الواحد جاز في الخبر في الجحد ، قال الله تعالى :

٧٧ ( ) فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ( ) ٧

[ الكهف : ١٩ ] فهذه من الخبر ، فإذا لم يكن أحد بمعنى الأول وبمعنى الواحد لم يجز أن يتكلم به إلا في الجحد ، تقول : ما جاءني أحد ، ولا يجوز : جاءني أحد ، وكلمني أحد ، قال الله تعالى في معنى الجحد

٧٧ ( ) أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ( ) ٧

[ البلد : ٥ ] وأحد يستوي فيه المذكر والمؤنث ، قال الله تعالى :

٧٧ ( ) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ( ) ٧

[ الأحزاب : ٣٢ ] وواحد لا يستوي فيه المذكر والمؤنث حتى يدخل فيه الهاء فيقال ( واحدة ) لا يجوز." [(١)]

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ﴾ [ ١٨٠ ]

.

﴿كتب عليكم ﴾ أي : فرض ، كما استفاض في الشرع : ﴿ إذا حضر أحدكم الموت ﴾ أي : أمارته وهو المرض المخوف : ﴿ إن ترك خيرا ﴾ أي : مالا ينبغي أن يوصي فيه . وقد أطلق في القرآن : ﴿ الخير ﴾ وأريد به المال في آيات كثيرة ، منها هذه ، ومنها قوله : ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ [ البقرة : ٢٧٣ ] ومنها : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ [ العاديات : ٨ ] . ومنها : ﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ [ القصص : ٢٤ ] إلى غيرها . وإنما سمى المال خيرا ؛ تنبيها **على**

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٨٤/٨

**معنى لطيف** : وهو أن المال الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعا من وجه محمود . . ! كما أن في التسمية إشارة إلى كثرته ، كما قال بعضهم : لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا ، ومن مكان طيب . . ! . وقد روى ابن أبي حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه : أن عليا رضي الله عنه دخل على رجل من قومه يعوده ، فقال له : أوصي ؟ فقال له علي : إنما قال الله : ﴿ إن ترك خيرا الوصية ﴾ . إنما تركت شيئا يسيرا فاتركه لولدك . . ! وروى الحاكم عن ابن عباس : من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا ! . وقال طاوس : لم يترك خيرا من لم يترك ثمانين دينارا . وقال قتادة : كان يقال : ألفا فما فوقها .

ومنه يعلم أن لا تحديد للكثرة المفهومة ، وأن مردها للعرف لاختلاف أحوال الزمان والمكان .

ثم ذكر نائب فاعل كتب بعد أن اشتد التشوف إليه ، فقال : ﴿ الوصية ﴾ وتذكير الفعل الرافع لها : إما لأنه أريد بالوصية الإيصاء ، ولذلك ذكر الضمير في قوله : ﴿ فمن بدله بعدما سمعه ﴾ وإما للفصل بين الفعل ونائبه ، لأن الكلام لما طال ، كان الفاصل بين المؤنث والفعل كالعوض من تاء التأنيث . وقوله : ﴿ للوالدين ﴾ بدأ بهما لشرفهما وعظم حقهما : ﴿ والأقربين ﴾ من عداهما من جميع القرابات : ﴿ بالمعروف ﴾ وهو ما تتقبله الأنفس ولا تجد منه تكرها .

وفي الصحيحين : أن سعدا قال : يا رسول الله ، إن لي مالا ولا يرثني إلا ابنة لي : أفأوصي بثلثي مالي ؟ قال : [1]. . قال : فبالشطر ؟ قال : [2]. . ! قال : فالثلث ؟ قال : [3]! . وفي صحيح البخاري أن ابن عباس قال : لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [4]. . ! .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد مولى بني هاشم عن زياد بن عتبة بن حنظلة : سمعت حنظلة بن جذيم بن حنيفة أن جده أوصى ليتيم في حجره بمائة من الإبل ، فشق ذلك على بنيه ، فارتفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حنيفة : إني أوصيت ليتيم لي بمائة من الإبل كنا نسميها : المطيبة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : [5]! وذكر الحديث بطوله .

ثم أكد تعالى الوجوب بقوله : ﴿ حقا ﴾ – وكذا قوله – : ﴿ على المتقين ﴾ فهو إلهاب وتهييج وتذكير بما أمامه من القدوم على من يسأله عن النقير والقطمير .." [6]

"(١) سورة النصر .

(٢) فى المخطى طة : إفا ، وما ذكرناه هو الأليق بالسياق .

(٣) سقط من ع .

---

(١) لا

(٢) لا

(٣) الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس

(٤) الثلث والثلث كثير

(٥) لا لا لا . . ! الصدقة خمس ، وإلا فعشر ، وإلا فخمس عشرة ، وإلا فعشرون ، وإلا فخمس وعشرون ، وإلا فثلاثون ، وإلا فخمس وثلاثون ، فإن كثرت فأربعون

(٦) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

(٤) لفظ المطبوعة .

من .

(٥) الذى فى المطبوعة .

فوقعت ، وهو أدق .

يلا) فى ع : بعض .

(٧) من الحديث وع .

يا) ساقطة من ع .

(١٠) الناء : ٤٣ - (١١) سقط من ع .

(٩) من ع .

(١٢) فى ع : وتعلقا .

كتاب الصلاة / باب مايقال فى الركوع والسجود ٤٠١ فقدت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ليلة من الفراش ، ف التمسته ، فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول : " اللهم ، أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك " .
أن لا وضوء عليه هذا الحديث] (١) ، وقال مالك وأبو حنيثمة : لا ي!نقضه إلا مقيدا ، واختلف هؤلاء - أيضا - فى التقيجد ما هو ؟ فقال مالك : حصول اللذة ، وسواء عنده اللامس والملموس ، وقال ابو حنيفة : حصول الانتشار ، ورد هؤلاء على الشافعى بحديث عائشة أهذا] (٢) ولم يذكر فيه ائه قطع صلاته لالماض وضوئه بمسها وينفصل عنه الشافعى (٣) بأنه يقول : يحتمل أن تكون مسخه من فوق حائل ؛ ولهذا لم يقطع صلاته - عليه السلام .
قال القاصى : وقولها : (على باطن قدميه وهما منصوبتان) بين فى هيئة الرجليئ فى السجود أن تكونا منصوبتن ، ويبعد انفصال الشافعى بما قاله من وقوع يدها عليهما فوق ثوب مع هذا اللفظ ، وظاهره يخالفه .
وقولها : (وهو يقول أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ
بك منك) : قال الخطابى : فى هذا معنى لطيف ، وذلك انه استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، والرضى والسخط ضدان متقابلان ، وكذلك المعافاة والمؤاخذة ، بالعقوبة ، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له - وهو الله سبحانه - استعاذ به منه لا غير (٤) ومعنى ذلك : الاستغفار من التقصير فى بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء علليه .
وقوله : ا لا أحلى ثنا عليك) : اكما لا أطيقه ولا أبلغه ولا ائتهى غايته ، وقيل :
لا أجط بذلك : وفيه إضافة الخير والشر إلى الله تعالى .
وقال مالك : أى لا أحلى نعمتك وإحسانك أ على ، () والثناء بها عليك وإن اجتهدت فى الثنا عليك .

قال القاصى - رضى الله عنه - : (أو سخطه ومعافاته وعقوبته) ، من صفات أفعاله ، فاستعاذ من المكروه منها إلى المحبوب ، ومن الشر إلى الخير .
وقوله : " أنت كما أثنيت على نفسك لما : اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء ، وأنه
كما قال لا يحصيه ورد ثنائه إلى الجملة دون تفصيل أ وإحصاء ، (٦) وتعين ، فوكل ذلك إلى المحيط بكل شىء جملة وتفصيلا (٧) ، وكما أنه تعالى لا نهاية لسلطانه وعظمته ومجده
(١) !حقط من ع .
(٢) من ع .
(٣) فى ع : وينفصل ان فعى عن هذا .
(٤) كل هذا أثبته الووى بغير عزو إلى الثتاضى .
(٥) من ت .
(٦) من ت .
(٧) نقله الووى بتمامه ثون عزو .
انظر : ٢ / ١٢٤ .

٩٦ / ب
٤٠٢ كتاب الصلاة / باب ما يقال فى الركوع والسجود ٢٢٣ - (٤٨٧) حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا محمد بن بشر العبدى ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن مطرف بن عبد الله بيؤ الشخير ؛ أن عائشة نباته ؛ أن رس!ول الله ( صلى الله عليه وسلم ) كان يقول فى ركوعه وسجوده : (سبوح قدوس ، ردث الملائكة و ا لر وخ) .
٢٢٤ - ( ... ) حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو داود ، حد ، شا شعبة ، أخبرنى قتادة ، قال : سمعت مطرف بن عبد الله بن الثمئخير ؛ قال أبو داود : وحدثنى هشام عن قت الة ، عن مطرث ، عن عائشة ، عن النبى ( صلى الله عليه وسلم ) ، بهنا الحديث .
وعزته وجليل أوصافه فكذلك لا نهاية للثناء عليه ، إذا الثناء تابع للمثنى عليه ، فكل ثناء أثنى عليه به دان كثر وطال وبولغ فيه ، فقدره تعالى أعظم ، وسلطانه أعز ، وأوصافه أكبر ، وكثر ، وفضله داحسانه أوسع ، وأسبغ .
وقوله : (سثوح قدوس) بضم السين والقاف فيهما وفتحهما أيضا (١) ، فسبوح من البراءة من النقائص والشريك : وما لا يليق بالإلهية والتنزيه عن ذلك ، وقدوس من التطهير عما لا يليق به ، ومنه الا"رض المقدسة ، وهو بمعنى سبوح .
قال الهروكما : وجاء فى التفسير : القدوس : المبارك ، وقد قيل فيه : سبوحا قدوسا ، نصب على إضمار / فعل ، أكما أسبح سبوحا أو أذكر أو أعبد أو أعظم .

(١) والضم أفصح .

٤٠٣

(٤٣) باب فضل السجود والحث عليه." [١]

"قال القاضى : قال ابن السكيت : العاتق فيما بين أن تدرك إلى أن ثعنس ما لم تتزوج ، وقال ابن دريد : عتقت الجارية صارت عاتقا إذا أوشكت البلوغ .

والخدور : البيوت ، وقيل : الخدر السرير الذى عليه قبة ، وقيل : ستر يكون فى ناحية البيت ، وهو بمعنى قوله : (المخبأة) .

وقد اختلف السلف فى خروج النساء للعيدين فرأى ذلك جماعة حقا عليهن ، منهم أبو بكر وعلى وابن عمر وغيرهم ، ومنهم من منعهن ذلك جملة ، منهم عروة والقاسم ، ومنع فلك بعضهم فى الشابة دون غيرها ، واجازه للمتجالة ، منهم عروة ، والقاسم ، ويحمى بيق سعيد ، وهو مذهب مالك وأبى يوسف ، واختلف قول أبى حنيفة فى ذلك ، فأجازه مرة فى العيدين ، ومنعه أخرى .

قال الطحاوى : كان الأمر بخروجهن أوّل الإسلام لتكثير المسلمن فى أعن العدو (٤) ، وقال غيره : هذا يحتاج إلى تاريخ ، وأيضا فليس النساء مما يرهب بهن العدو .

وقوله : (والحيض يكن خلف الناس) : تنزيها لموضع الصلاة منهن كما منعهن المساجد وقد تقدم هذا ، وخشية ظهور الخلاف على الأئمة من أن يكون النساء مجتمعات ، منهن من يصلى ومنهن من لا يصلى ٥١) ، ففيه حجة لمنع هذا الباب .

وقوله : (يكثرن مع الناس) : فيه جواز الذكر لله للحائض ، وقد تقدم .

هذا يحتمل أنه فى وقت خروجهن عند تكبير الإمام فى خطبته وصلاته .

(١) من ع .

(٢ ، ٣) سقط من ع .

(٤) شرح معانى الآثار ٣٨٧ / ١ ، ومن تمام كلامه الذى يتضح به مراده قوله بعدها : فلما كان الحيض يخرجن لا للصلاة ، ولكن لأن يصبنهن دعوة المسلمين احتمل أن يكون النبى ( صلى الله عليه وسلم ) أمر الناس بالخروج من غير العيد لأن يجتمعوا فيدعون ، فيصيبهم دعوتهم لا للصلاة .

(٥) قيدها الأبى هكذا : وختية ظهور لفلت على الإمام بأن يكون يصلى ولا يصلين ٣٧ / ٢ .

كتاب صلاة العيدين / باب ذكر اباحة خروج النسا فى العيدين ...

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ٢٢٤/٢

إلخ – ٢٩٩ ١١ – ( ... ) حدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا أبو خيثمة ، عن ع الم الأحول ، عن حفصة بنت سيرين ، عن ائم عطية ، قالت : كئا نؤمر بالخروج فى العيدين ، والمخبماة والبكر – قالت : الحيض يخرجن فيكن خلف الناس ، يكبرن مع الناس .

قال الإمام : اختلف الناس فى التكبير فى العيدين ، فعند مالك سبع فى الأولى ، وعند الشافعى ثمان ، وعند ابى حنيفة أربع ، واتفقوا على أن ذلك قبل القرا ة ، [ وأما الثانية فست عندنا بتكبيرة القيام قبل القراءة ] (١) ، وقال ابو حنيفة : أربع بعد القرا ة (٢) .

وقد قال بعض اصحابنا : [ فيه] (**٣) معنى لطيف لأنه** عليه السلام أراد أن يثبت فى هاتن الركعتين تكبير أربع ركعات ، إذ (٤) فى كل ركعثين سوى[ ركعتى العيد] (٥) من [ التكبير] (٦) هذا القدر المزيد فى صلاة العيدين ، كما[ فعل] (٧) فى صلاة الكسوف ،

(١) ساقطة من س .

وقد اخرج مالك والثافعى وعبد الرزاق والبيهقى عن نافع – مولى ابن عمر – ئنه قال : شهدت

الأضحى والفطر – مع أبى هريرة ، فكبر فى الركعة الأولى بسغ تكبيرات قبل القراءات ، وفى الآخرة خمسا قبل القردمات ، الموطأ ١ / ١٨٠ ، الأم ١ / ٢٣٦ ، والمصنف .

ملأه ، والتمهيد ٦ ١ / ٣٧ والبيهقى

فى الكبرى ٣ / مه ٢ ، والمعرفة ٥ / ٧٤ ملأ .

قال ابو عمر : معلوثم أن هذا وما كان مثله لا يكون رايا ؛ لأنه لا فرق من جهة الراى والاجتهاد بين سبع فى هذا وأربع ، ولا يكون إلا تونيفا ممن يجب التسليم له .

قال : وقد روى عن النبى ( صلى الله عليه وسلم ) أثه كئر فى صلاة العيدين سبغا فى الركعة الأولى وخمئا فى الثانية من طرق كثيرة حثان .

وبعد أت ساق الكثير منها قال : وبهذا قال مالك والثافعى وأصحابهما والليث بن سعد ، إلا ئن مالكا

قال : سبغا فى الأولى بتكبيرة الأحرلم على ظاهر الحديث السبعا فى الأولى) ، ولو لم يكق تكبيرة الافتتاح فى السبع لقيل : كبر ثمانئا وستا .

وقال الثافعى : سوى تكبيرة الإحرام ، جعل القصد فى الحديث إلى تكبير العيد دون شى من التكبير المعهود فى الصلاة ؛ لأن تكبير الصلاة معلوئم أنه لم يقصد إليه فى هذا الحديث .

قال : واتفقا على ان الخمس تكبيراب فى الركعة الثانية غير تكبيرة القيام .

وقال أحمد بن حنبل وأبو

ثور كقول مالك : سبع بتكبيرة الأحرام فى الأولى وخمس فى الثانية سوى تكبيرة القيام ، إلا أن أحمد لا يوالى بين التكبير ، ويجعل بين كل تكبيرتين ثناء على الخ وصلاة على افي ( صلى الله عليه وسلم ) .

ال الزكار ٧ /كوراه .

(٢) وهو ثابت عن ابن مسعود ، فقد روى أنه كان يعلمهم – الكوفن – التكبير فى العيدين تسع تكبيراب ، خمس فى الأولى وئربع فى الثانية ، ويوالي بين القراعتين .

المصنف لعبد الرزاق ٣ / ٢٩٤ .

وقد أخرج أبو داود واحمد عن حذيفة وئبى موسى مثله .

ابو داود ، كالصلاة ، بالتكبير فى

العيدين ١ / ٢٩٩ ، ونحمد فى المسند ٤ / ٤١٦ .

". (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠٩ """""""

**معناه معنى لطيف** . فإن قيل : قد قالت عائشة : (كنت أرى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله بعدما أحرم ) ، والوبيص عند العرب : البريق ، قيل : يجوز أن يكون ذلك وقد غسله ، وهكذا الطيب ربما غسله الرجل عن وجهه فيذهب ويبقى وبيصه . وأما الطيب للحل بعد رمى جمرة العقبة ، فرخص فيه ابن عباس ، وابن الزبير ، وعائشة ، والنخعى ، وخارجة ابن زيد ، وهو قول الكوفيين ، والشافعى ، وأحمد ، وأبى ثور على ظاهر حديث عائشة ، وكرهه سالم ، وهو قول مالك . قيل لابن القاسم : فإن فعل أفترى عليه الفدية ؟ قال : لا أرى عليه شيئا لما جاء فى ذلك ، رواها أبو ثابت عنه . وقال ابن المنذر : أجمع عوام العلماء أن للمحرم أن يأكل الزيت والسمن والشيرج ، وأن له أن يستعمل ذلك فى جميع بدنه سوى رأسه ولحيته ، فإن استعمله فى رأسه ولحيته افتدى . وأجمعوا أن الطيب لا يجوز له استعماله فى بدنه ، ففرقوا بين الطيب والزيت فى هذا الوجه ، فقياس هذا أن يكون المحرم ممنوعا من استعمال الطيب فى رأسه كما منع فى بدنه ، وأن يجب له استعمال السمن والزيت فى رأسه كما أبيح له فى بدنه ، وكلهم أوجب فى دهن البنفسج الفدية إلا الشافعى فإنه قال : ليس بطيب ، وإنما يستعمل للمنفعة . وأجمع عوام العلماء على أن للمحرم أن يعقد الهيمان على وسطه ، روى ذلك عن ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والقاسم ، وعطاء ،." (٢)

"يصوم عدة أيام المرض وأيام السفر من أيام أخر، ومن نصب شهر رمضان

نصبه على وجهين، أحدهما أن يكون بدلا من أيام معدودات.

والوجه الثاني على الأمر، كأنه قال عليكم شهر رمضان. على الإغراء.

* * *

وقوله عز وجل: (يريد الله بكم اليسر).

أي أن ييسر عليكم بوضعه عنكم الصوم في السفر والمرض.

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ٣/١٦٤

(٢) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ٤/٢٠٩

* * *

وقوله عز وجل: (ولتكملوا العدة) (قرئ) بالتشديد، ولتكملوا بالتخفيف.

من كمل يكمل، وأكمل يكمل.

ومعنى اللام والعطف **ههنا معنى لطيف هذا** الكلام معطوف محمول على المعنى. (المعنى) فعل الله ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة.

قال الشاعر:

بادت وغير آيهن مع البلي. . . إلا رواكد جمرهن هباء

ومشجج أما سواء قذا له. . . فبدا وغيره ساره المعزاء

فعطف مشجج على معنى بها رواكد ومشجج، لأنه إذ قال بادت إلا رواكد علم أن المعنى بقيت رواكد ومشجج.

وقوله عز وجل: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون (١٨٦)

المعنى إذا قال قائل: اين الله. فالله عز وجل قريب لا يخلو منه مكان -

كما قال: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)

وكما قال: (وهو معكم أين ما كنتم).." (١)

"ساجدا، فأما الركوع فعظموا الرب فيه، وأما السجود فاجتهدوا بالدعاء فقمن أن يستجاب لكم.

قلت نهيه عن القراءة راكعا أو ساجدا يشد قول إسحاق ومذهبه في إيجاب الذكر في الركوع والسجود وذلك أنه إنما أخلي موضعهما من القراءة ليكون محلا للذكر والدعاء، وقوله قمن بمعنى جدير وحري أن يستجاب لكم.

قال أبو داود: حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور، عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن.

قلت قولها يتأول القرآن تريد قوله فسبح بحمد ربك إنه كان توابا.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن سليمان الأنباري حدثنا عبدة عن عبيد الله عن محمد بن يحيي بن حبان عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلمست المسجد فإذا هو ساجد وقدمه منصوبتان ويقول أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٢٥٤/١

قلت في هذا **الكلام معنى لطيف وهوأنه** قد استعاذ بالله وسأله أن يجيزه برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه استعاذ به منه لا غير، ومعنى ذلك الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه، وقوله لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا أبلغه وفيه إضافة الخير والشر معا إليه سبحانه.." (١)

"معناه معنى لطيف. فإن قيل: قد قالت عائشة: (كنت أرى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله بعدما أحرم) ، والوبيص عند العرب: البريق، قيل: يجوز أن يكون ذلك وقد غسله، وهكذا الطيب ربما غسله الرجل عن وجهه فيذهب ويبقى وبيصه. وأما الطيب للحل بعد رمى جمرة العقبة، فرخص فيه ابن عباس، وابن الزبير، وعائشة، والنخعى، وخارجة ابن زيد، وهو قول الكوفيين، والشافعى، وأحمد، وأبى ثور على ظاهر حديث عائشة، وكرهه سالم، وهو قول مالك. قيل لابن القاسم: فإن فعل أفترى عليه الفدية؟ قال: لا أرى عليه شيئا لما جاء فى ذلك، رواها أبو ثابت عنه. وقال ابن المنذر: أجمع عوام العلماء أن للمحرم أن يأكل الزيت والسمن والشيرج، وأن له أن يستعمل ذلك فى جميع بدنه سوى رأسه ولحيته، فإن استعمله فى رأسه ولحيته افتدى. وأجمعوا أن الطيب لا يجوز له استعماله فى بدنه، ففرقوا بين الطيب والزيت فى هذا الوجه، فقياس هذا أن يكون المحرم ممنوعا من استعمال الطيب فى رأسه كما منع فى بدنه، وأن يجب له استعمال السمن والزيت فى رأسه كما أبيح له فى بدنه، وكلهم أوجب فى دهن البنفسج الفدية إلا الشافعى فإنه قال: ليس بطيب، وإنما يستعمل للمنفعة. وأجمع عوام العلماء على أن للمحرم أن يعقد الهيمان على وسطه، روى ذلك عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والقاسم، وعطاء،." (٢)

"غيره، قاله (١) مجاهد. وقال الأحمر (٢): (عدل الكافر بربه عدلا وعدولا إذا سوى به غيره فعبده) (٣).

وقال الكسائي (٤): (عدلت الشيء أعدله عدولا إذا ساويته [به] (٥)، وعدل الحاكم في الحكم عدلا) (٦). والآية توجب أنه لا تجوز العبادة إلا لمن له القدرة على خلق السموات والأرض، وهو الله وحده لا شريك له (٧).

وقال صاحب النظم (٨): (دخول ثم في قوله: ﴿ثم الذين كفروا﴾ دليل على معنى لطيف، وهو أنه عز وجل دل به على إنكاره على الكفار العدل به وعلى تعجب المؤمنين من ذلك، مثال (٩) أن تقول: أكرمتك وأحسنت إليك

---

(١) "تفسير مجاهد" ص ٢١١، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٧/ ١٤٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٠ من طرق جيدة.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٣٦٠ (عدل).

(٤) الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، تقدمت ترجمته.

(٥) لفظ: (به) ساقط من (ش).

---

(١) معالم السنن الخطابي ١/٢١٤

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٤/٢٠٩

(٦) "معاني النحاس" ٢/ ٣٩٨، و"تهذيب اللغة" ٣/ ٢٣٦٠ (عدل).

(٧) قال الشنقيطي في "تفسيره" ٢/ ١٨٠: (في قوله تعالى: ﴿يعدلون﴾ وجهان للعلماء، أحدهما: أنه من العدول عن الشيء بمعنى الانحراف والميل عنه، وعلى هذا فقوله: ﴿بربهم﴾ متعلق بقوله: ﴿كفروا﴾ ...

والثاني: أن الباء متعلقة بـ"يعدلون" والمعنى يجعلون له نظيرا في العبادة، وهذا الوجه هو الذي يدل عليه القرآن). وهذا اختيار ابن القيم كما في "بدائع التفسير" ٢/ ١٣٩.

(٨) صاحب النظم هو: الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني، أبو علي، له كتاب "نظم القرآن" مفقود.

(٩) في (ش): (مثل).." [1]

"إبراهيم (١) في قوله: ﴿والباقيات الصالحات﴾ قال: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" (٢). أبو هريرة عنه -عليه السلام-: "لإن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس" وقال: "هن الباقيات الصالحات" (٣). ابن عمر: أن النبي -عليه السلام- خرج على قومه فقال: "خذوا جنتكم" فقالوا: يا رسول الله من عدو حضر؟ قال: "بل من النار" قالوا: وما جنتنا من النار؟ قال: "سبحان الله والحمد لله (٤) ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن يأتين يوم القيامة (٥) مقدمات ومجنبات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات" (٦) وقيل: الباقيات الصالحات الصلوات الخمس (٧) ﴿أملا﴾ طمعا.

﴿ويوم﴾ واو العطف على قوله ﴿واضرب﴾ والتقدير: واذكر يوم كذا ﴿نسير الجبال﴾ وتسييرها قوله: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة (٨)﴾ [النمل: ٨٨] الآية، والمعنى فيه فسخ نظام الدنيا وتسطيح العرصات وتحويل الأمر وما شاء الله **من المعاني اللطيفة الخفية** (٩). عمرو بن دينار: لتسبيحة (١٠)

---

(١) الذي ورد عن إبراهيم النخعي في "الباقيات الصالحات" أنهن الصلوات الخمس. أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٥)، وهكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٨٨).

(٢) وردت عدة روايات في تفسير "الباقيات الصالحات" بهذه الكلمات منها ما رواه أحمد (٣/ ٧٥) عن أبي سعيد الخدري، والحديث حسن. ومنه ما رواه أحمد (٤/ ٢٦٧) عن النعمان بن بشير وهو حديث صحيح. وهناك روايات أخرى عن ابن عباس وأبو هريرة وعلي - رضي الله عنهم -.

(٣) أصل الحديث في مسلم (٢٦٩٥) وليس فيه "هن الباقيات" لكنها وردت في رواية أخرى عند النسائي في الكبرى (١٠٦٨٤)، وابن جرير (٥/ ٢٧٨).

(٤) في "ب": (والحمد لله وسبحان الله).

(٥) في الأصل: (القيامات).

(٦) الحديث عن أبي هريرة رواه النسائي (١٠٦٨٤)، وابن جرير (٥/ ٢٧٨)، والحاكم (١/ ٥٤١)، والبيهقي في الشعب

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/١٠

(٦٠٦).

(٧) روي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي. أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٢).

(٨) (جامدة) من "ب".

(٩) في الأصل: (الخفيفة).

(١٠) في الأصل: (التسبيحة)، وفي "ي": (للتسبيحة).." [١]

"﴿أملا:﴾ طمعا.

٤٧ - ﴿ويوم:﴾ واو العطف على قوله: ﴿واضرب﴾ [الكهف:٤٥]، والتقدير: واذكر يوم كذا.

﴿نسير الجبال:﴾ وتسييرها قوله: ﴿وترى الجبال. . .﴾ الآية [النمل:٨٨]، والمعنى فيه فسخ نظام الدنيا، وتسطيح العرصات، وتهويل الأمر، وما شاء الله **من المعاني اللطيفة الخفية**.

عمرو بن دينار: لتسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن يوم القيامة خير له من جبال الدنيا ذهبا. (١)

﴿فلم نغادر:﴾ أي: لم نترك، ولم نخلف.

٤٨ - ﴿صفا:﴾ مصدر كالاصطفاف. وقيل: اسم (٢)، وهو ترتب بعض الأشياء بجنب بعض، والتشبيه بحيرتهم واشتغالهم بأنفسهم.

٤٩ - ﴿ووضع الكتاب:﴾ في أيديهم، أو في موازينهم.

﴿مشفقين:﴾ خائفين: (٢٠١ ظ)

﴿مال هذا الكتاب:﴾ تعجب.

والاستثناء منقطع (٣).

٥١ - ﴿ما أشهدتهم:﴾ عائد إلى إبليس وذريته، وإلى كل معبود عبد من دون الله.

﴿عضدا:﴾ معينا.

٥٢ - ﴿موبقا:﴾ مهلكا، يقال: أوبقه، أي: أهلكه الله، والمراد به: الوصلة التي كانت بين المشركين وآلهتهم في الدنيا، أو النار يوم القيامة فيما بينهم يتهافتون فيها.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١١٥٠/٣

٥٣ - ﴿مواقعوها:﴾ النار والبحر اقتحامها.

﴿للناس:﴾ اسم جنس.

٥٤ - ﴿جدلا:﴾ فالجدل طبيعة (٤) الإنس وإن تفاوتوا في ذلك، وقد وصف الله تعالى

---

(١) ينظر: الزهد لابن المبارك (٩٣١ و ١١٢٣)، وحلية الأولياء ٣/ ٢٧٢، وشعب الإيمان (٦٩٢) عن عمرو ابن دينار عن عبيد بن عمير.

(٢) أ: أهم.

(٣) في قوله تعالى: لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

(٤) أ: لطبيعة.." (١)

"قوله - تعالى -: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ الآية.

فقوله: ﴿الحمد لله﴾ معناه: احمدوا الله، ذكر الخبر بمعنى الأمر، وفائدته: الأمر بالحمد وتعليم الحمد؛ فإنه لو قال: احمدوا الله؛ دعت الحاجة إلى بيان كيفية الحمد، وقوله: ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ إنما خصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد؛ ولأن فيهما العبر والمنافع للعباد.

﴿وجعل الظلمات والنور﴾ والجعل: بمعنى الخلق، ثم اختلفوا، قال بعضهم: الظلمات: الليل، والنور: النهار، وقال بعضهم: أراد بالظلمات: الكفر، وبالنور: الإيمان، ويدخل في الظلمات جميع الظلمات، حتى ظلمة القلب، وظلمة الشك، ونحو ذلك.

ويدخل في النور جميع الأنوار، حتى نور القلب، ونور اليقين، ونحو ذلك، وقيل: أراد بالظلمات: الجهل، وبالنور: العلم، وقيل: أراد بالظلمات: المعصية، وبالنور: الطاعة.

وروى عن قتادة أنه قال: إن الله - تعالى - خلق السماء قبل الأرض، والليل قبل النهار، والجنة قبل النار، وقد قال غيره: خلق الأرض قبل السماء، وسيأتي.

﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ قال الكسائي: عدل الشيء بالشيء: إذا ساواه به، ومنه العدل. ومعناه: يعدلون بالله غير الله، وقال مجاهد: معناه: ثم الذين كفروا بربهم يشركون، والمعنيان متقاربان؛ لأن من ساوى غير الله بالله؛ فقد أشرك. وقيل: قوله: ﴿ثم الذين كفروا﴾ معنى لطيف، وهو مثل قول القائل: أنعمت عليك كذا، وتفضلت عليك بكذا ثم لا تشكرني، ثم تكفر بنعمتي.." (٢)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٢٤٩

(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٢/٨٦

"قوله – تعالى –: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ قال قتادة: معناه: ثم لم تكن معذرتهم – وقال غيره: ثم لم يكن كلامهم – إلا أن قالوا.

قال الزجاج: في قوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ معنى لطيف، وذلك مثل الرجل يفتن (بمحبوب) ثم تصيبه في ذلك محنة؛ فيتبرأ من محبوبه؛ فيقال: لم تكن فتنته إلا هذا، كذلك الكفار لما فتنوا بمحبة الأصنام، ثم إذا رأوا العذاب يتبرءون منها.

يقول الله – تعالى –: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين." (١)

"قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ روي عن عمرو بن ميمون الأودي أنه قال: فعل رسول الله شيئين بغير إذن من الله: فداء أسارى بدر، وأذن للمتخلفين في غزوة تبوك، فعاتبه الله تعالى فيهما جميعا. وفي تقديم قوله تعالى: ﴿عفا الله **عنك﴾ معنى لطيف في** حفظ قلب النبي.

قوله: ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ ظاهر المعنى.." (٢)

"استبعاده ذلك من حيث الطبيعة]، فإنما هو استبعاد للإحياء والنشور، ولذلك موضع لا يختص بالتفسير، ومن كان ذلك طريقته، فلا خوض معه في تفسير القرآن، وأما الحكمة فيه فظاهرة، إذ هو من المعجزات المحسوسات الباهرة للعقول، وتخصيص البقرة، فإن كثيرا من حكمة الله تعالى لا يمكن للبشر الوقوف عليه، ولو لم يكن في تخصيص بقرة على وصف مخصوص إلا توفر المأمور

بذلك على طلبها واستيجاب الثواب في بذل ثمنها وجلب نفع إلى صاحبها لكان في ذلك حكمة عظيمة، وفي الآية تنبيه على أن الجماعة التي حكمهم واحد، يجوز أن ينسب الفعل إليهم وإن كان واقعا من بعضهم، ولا يكون ذلك كذبا، كما أن الجملة المركبة من شخص واحد يصح أن ينسب إليها ما وقع من عضو منها، وذكر بعض الصوفية أن الله تعالى قصد بما ذكره لبني إسرائيل وإشارة إلى معنى لطيف، فإن في الأمر بذبح البقرة أمرا بتذليل.

القوة الشهرية، ولما لم ينتبهوا لمراد هـ، قالوا أتتخذنا هزوا.

وبين قوله ﴿لا فارض ولا بكر﴾ أن حق الإنسان أن يتحرى في إماتة شهوته وقت ما يزول عنه شره صباه، فلا يكون كبكر، ولم يلحقه حسوا لكبر، فيكون كفارض، ثم نبه بما ذكره من اللون أنه لا يحب أن يمنع النفس من إماتة شهوته كونها رائقة المنظر، بل يجب أن يميتها أعجب ما تكون إليه، ثم نبه بقوله: ﴿لا ذلول تثير الأرض﴾ أن النفس التي تحمل على تذليلها في العبادة هي النفس التي لم تستعبدها الدنيا ولم تتأثر بدنسها، ولم تتوسم بمقابحها، وظاهر الآية لا يقتضي ذلك، لكن مثله إذا حكى، فتصحيحه مفوض إلى فكرة قارئه ومتأملة، والله أعلم ..." (٣)

"الوجه، وقال ابن عباس [رضي الله تعالى] عنهما: (إذا عمل معصية، فمن أنكرها فقد برئ منها، ومن رضيها كان كمن فعلها)، فلما رضوا فدل آبائهم فكأنهم هم فعلوه، فلذلك خاطبهم بذلك،

---

(١) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٩٤/٢

(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٣١٣/٢

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٢٣١/١

إن قيل: كيف قال: (تقتلون من قبل) ولا يجور في الكلام تخرج أمس، قيل: في ذلك وجهان.
أحدهما: أن عادة العرب إذا أرادوا أن يخبروا عن تعاطي فعلى مداوم عليه قرنوا لفظ الماضي بالمستقبل تنبيها على المداومة عليه نحو قول الشاعر:
ولقد أمر على اللئيم يسبني ...
فمضيت ثمة قلت لا يعنيني
وعلى ذلك يقال: فعلت كذا قبل وبعد، وافعل كذا قبل وبعد، فيجئ تارة بلفظ الماضي وتارة بلفظ المستقبل، والثاني إن قوله (من قبل) يتعلق بمقتضى قوله " فلم " الذي هو بحث عن علة الشيء، فكأنه قليل: أخبرني قبل عن سبب قتلكم، ومعنى لم تقتلون لم ترومون قتلهم، وهذا أوضح، وقوله: ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ قيل معناه بما أنزل الله بعده من الإنجيل والقرآن، وقيل: معناه بما تنطوي عليه التوراة، وذاك أن انتساب المعنى إلى اللفظ انتساب المتأخر إلى المتقدم والباطن إلى الظاهر، ولهذا يقال: وراء هذا الكلام معنى لطيف، وفي ضمنه شيء حسن، وقد بين الله تعالي أنهم يدعون." (١)
"نبينا- عليه السلام- إنا لم نعلم كونه دينه- عليه السلام- على التأييد من قوله فقط، بل علمنا ذلك قول من قوله ببرهان، وهو أن دينه بالاعتبار العقلي وسحل كما وصفه تعالى بقوله: ﴿جعلناكم أمة وسطا﴾ وأنه مصون عن الإفراط والتفريط والوسط الذي هذا صفته هو الحق الذي قال تعالى فيه: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾، ولشرح دلك موضع غير هذا وبالله التوفيق، وأما معنى الآية، فعلى قول من يجعل الإنشاء مقابلا للنسخ قال: لما أنكرت اليهود تحليل الله الشيء في وقت [وتحريمه في وقت] بين الله تعالى أن جميع ما في التوراة، والكتب المتقدمة ضربان إما حكم قد نسخ فأتى بما هو خير أي أنفع لكم، أو يترك فلم ينسخ وأتى في القرآن بمثله، أي جمعناه في لفظ آخر، فيكون بقوله: (بخير منها) راجعا إلى النسخ وبمثلها إلى الإنسان،
فإن قيل: إن الذي ترك ولم ينسخ ليس هو مثله بل هو هو، فكيف قال بمثلها؟ قيل: الحكم الذي أنزل في القرآن وكان ثابتا في الشرع الذي
قلنا يصح أن يقال هو هو إذا اعتبر بنفسه ولم يعتبر بكسوته التي هي اللفظ، ويصح أن يقال: هو مثله إذا لم يعتبر بنفسه فقط، بل اعتبر باللفظ، ونحو ذلك أن يقال ماء البئر هو ماء النهر إذا اعتبر جنس الماء، وتارة يقال: مثل ماء النهر إذا اعتبر قرار الماء، وعلى قول من جعل الإنسان ترك اللفظ حتى تنسى قال: معناه: إدا أزيل حكم آية أو أنسى لفظها نأت بما هو أوفق لكم وأقرب إلى أن يبلغوا به إلى ما أريد منكم، ثم قال: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ أي لا تحسبن أن تغييري الحكم حالا فحالا وإن لم آت بالثاني في الابتداء هو العجز، فإن من علم قدرته على كل شي لا يظن ذلك، وإنما يعتبر ذلك لا يرجع إلى مصلحة العباد، وبدأ الأليق بهم في الوقت المتقدم الحكم المتقدم وفى الوقت المتأخر الحكم

(١) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ١/٢٦٠

المتأخر، وقال بعض المحققة أن الآية مع هذا الظاهر تنبئ عن معنى لطيف، وهو أن الله تعالى خلق الإنسان خلقة تدرجه من حال إلى حال إلى أنما يصير كاملا موصوفا بعام." (١)

"فإنه كان يدعو إلى أن يبخل وبخله يدعوه إلى منع الزكاة وترك المواساة، وذلك يؤدي به إلى حرص على تناول المال من كل وجه كالسرقة، والخيانة والغصب وعلى هذا قال جعفر بن محمد: " إنما حرم الله الربا ليتقارض الناس " وروي عن أبي أمامة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " مكتوب على باب الجنة: القرض بثمانية عشر، والصدقة بعشر أمثالها ".

قال جعفر:

" لأن المستقرض لا يأتيك إلا وهو محتاج، والصدقة ربما وقعت في يد الغني "

إن قيل: لما قال: ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ ولم يقل: كل كافر وهو تعالى لا يحبهما جميعا؟

قيل هو تنبيها على معنى لطيف، وهو أن الربا يدعو الإنسان إلى ترك الصدقة والزكاة وترك مواساة الناس والى أن يأخذ مال الغير بالباطل، كما أن فعل الصدقة يدعو إلي الاستكثار من الخير، ولهذا قيل: عودا مرا ما اعتاد، ومتى تعود الإنسان فعل الشرور يصير ذلك مانعا له عن الخيرات ومن الصدقة التي تطهر النفس فنبه الله بقوله: ﴿لا يحب كل كفار أثيم﴾ أن المرابي يؤدي به رباه إلى أن يصير كفارا أثيما وهما بناءان للمبالغة فإذا صار كذلك، فإنه لا يكاد يتوب، وإذا لم يتب لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التوابين في قوله: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ فلهذا وجه تخصيص بناء المبالغة في ذلك.." (٢)

"إن قيل كيف قال: (كتب الله لكم) ثم قال: (فإنها محرمة عليهم)

قيل: قال بعضهم: وهب الله ذلك لهم ثم حرمها عليهم لما تلقوا نعمته بالرد والكفران.

وقيل: كتب لهم أنهم إن دخلوها فهي لهم.

وقيل: معنى (كتب الله لكم) أي أوجبها عليكم.

إن قيل: فقد كان يجب أن يقول كتب الله عليكم على هذا؟

قيل: إنما ذكر **لكم معنى لطيف وهو** أنه نبه أنه أوجب عليهم وجوبا يستحقون به ثوابا يحصل لهم.

وذلك كقولك لمن يرى تأذيا بشيء أوجب فيقال: هذا لك لا عليك، تنبيها على الغاية التي هي الثواب. وإذا قيل كتب عليه فليس اللفظ يقتضي على الغاية التي هي الثواب بل يقتضي مجرد الإيجاب فذكر أنهم امتنعوا من دخولها لكون قوم جبارين فيها، واشترطوا أن لا يدخلوها إلا أن يخلوا

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٢٨٦/١

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٥٨٢/١

لهم.
وقولهم (وإنا لن ندخلها) فقد قال بعضهم: إن ذلك ليس." [1]
"[سورة الأنعام (٦) : آية ١]
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (١)
الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، قال كعب الأحبار: هذه الآية أول آية في التوراة، وآخر آية في التوراة، قوله: وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا [الإسراء: ١١١] الآية. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وختمه بالحمد فقال:
وقضي بينهم بالحق، أي: بين الخلائق، وقيل الحمد لله رب العالمين [الزمر: ٧٥] ، قوله: الحمد لله، حمد الله نفسه تعليما لعباده، أي: احمدوا الله الذي خلق السموات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع للعباد، وجعل الظلمات والنور، والجعل بمعنى الخلق، وقال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان، إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار، وقال الحسن: وجعل الظلمات والنور، يعني: [الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل والنور العلم، وقال قتادة: يعني الجنة والنار، وقيل: معناه خلق الله السموات والأرض، وقد جعل الظلمات والنور، لأنه خلق السموات والنور قبل السموات والأرض، قال قتادة] [١] : خلق الله السموات قبل الأرض، وخلق الظلمة قبل النور، والجنة قبل النار.
«٨٥٨» وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى خلق الخلق [٢] في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل» . ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من [٣] مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته به، [و] [٤] قال النضر بن شميل: الباء بمعنى عن، أي: عن ربهم يعدلون، أي يميلون وينحرفون من العدول [٥] ، قال الله تعالى: عينا يشرب بها عباد الله [الإنسان: ٦] ، أي: منها، وقيل تحت قوله: ثم الذين كفروا بربهم يعدلون: معنى لطيف: وهو مثل قول القائل: أنعمت عليكم بكذا وتفضلت عليكم بكذا، ثم تكفرون بنعمتي.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٢ الى ٣]
هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢) وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (٣)

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٣١٤/٤

٨٥٨- حسن. أخرجه الترمذي ٢٦٤٢ وأحمد (٢/ ١٧٦ و١٩٧) وابن أبي عاصم في «السنة» ٢٤٣ و٢٤٤ وابن حبان ٦١٦٩ و٦١٧٠ والحاكم (١/ ٣٠) واللالكائي ١٠٧٧ و١٠٧٩ والآجري في «الشريعة» ص ١٧٥ من طرق عن عبد الله بن الديلمي عن عبد الله بن عمرو به.

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن اهـ.

وله شواهد كثيرة تعضده. [.....]

(١) ما بين الحاصرتين سقط من ب.

(٢) في ب، «خلقه» .

(٣) في المطبوع «خلق» .

(٤) زيادة عن المخطوط.

(٥) في المطبوع «العدل» .." (١)

"[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٢١ الى ٢٤]

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون (٢١) ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (٢٢) ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٣) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤)

قوله تعالى: ومن أظلم، أكفر، ممن افترى، اختلق، على الله كذبا، فأشرك به غيره، أو كذب بآياته، يعني: القرآن، إنه لا يفلح الظالمون، الكافرون.

ويوم نحشرهم جميعا، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب يحشرهم هاهنا [١] ، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون. ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون، أنها تشفع لكم عند ربكم.

ثم لم تكن فتنتهم، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب «يكن» بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكيره، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم فتنتهم بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم قوله: أن قالوا، وفتنتهم الخبر، ومعنى [قوله] [٢] : فتنتهم، أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة، قال الزجاج: في قوله: ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف، وذلك مثل الرجل يفتتن لمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنته [٣] إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام، ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله عز وجل: ثم لم تكن فتنتهم، [في] [٤] محبتهم للأصنام، إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين، قرأ حمزة والكسائي «ربنا» بالنصب على النداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد، [قال بعضهم لبعض] [٥] : تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد، فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ١٠٨/٢

بالكفر.
فقال عز وجل: انظر كيف كذبوا على أنفسهم، باعتذارهم الباطل وتبريهم عن الشرك، وضل عنهم ما كانوا يفترون، أي: زال وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الأصنام، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فبطل كله في ذلك اليوم.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٢٥ الى ٢٦]
ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين (٢٥) وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون (٢٦)
قوله عز وجل: ومنهم من يستمع إليك الآية، قال الكلبي: اجتمع أبو سفيان بن حرب وأبو جهل بن هشام [و] [٦] الوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف والحارث بن عامر يستمعون القرآن، فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: ما أدري ما يقول إلا

---

(١) في المطبوع «هنا» .
(٢) زيادة عن المخطوط وط.
(٣) في المطبوع «فتنتهم» .
(٤) زيادة عن ط.
(٥) العبارة في المطبوع «قالوا لبعضهم البعض» .
(٦) سقط من المطبوع.." (١)

"قوله: "الحمد لله" حمد الله نفسه تعليما لعباده، أي: احمدوا الله الذي خلق السموات والأرض، خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وفيهما العبر والمنافع للعباد، ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ والجعل بمعنى الخلق، قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان، إلا في هذه الآية فإنه يريد بهما الليل والنهار.
وقال الحسن: وجعل الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان، وقيل: أراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم.
وقال قتادة: يعني الجنة والنار.
وقيل: معناه خلق الله السموات والأرض، وقد جعل الظلمات والنور، لأنه خلق الظلمة والنور قبل السموات والأرض.
قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، والظلمة قبل النور، والجنة قبل النار، وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل" (١) .

---

(١) تفسير البغوي – إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ١١٧/٢

﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ أي: ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون، أي: يشركون، وأصله من مساواة الشيء بالشيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته، وبه قال النضر بن شميل، الباء بمعنى عن، أي: عن ربهم يعدلون، أي يميلون وينحرفون من العدول، قال الله تعالى (عينا يشرب بها عباد الله) أي: منها.
وقيل: تحت قوله "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" معنى لطيف، وهو مثل قول القائل: أنعمت عليكم بكذا وتفضلت عليكم بكذا، ثم تكفرون بنعمتي.
﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢) وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (٣) ﴾
قوله عز وجل: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني آدم عليه السلام، خاطبهم به إذ كانوا من

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب افتراق هذه الأمة: ٧ / ٤٠١، وقال: هذا حديث حسن. وصححه ابن حبان ص (٤٤٩) والحاكم: ١ / ٣٠،٣١. وأخرجه الإمام أحمد: ٢ / ١٧٦، ١٩٧. قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين، والبزار والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات. مجمع الزوائد: ٧ / ١٩٤. وذكره الخطيب في مشكاة المصابيح: ١ / ٣٧ وصححه الألباني.." (١)

"قوله عز وجل: ﴿ومن أظلم﴾ ، أكفر، ﴿ممن افترى﴾ ، اختلق، ﴿على الله كذبا﴾ ، فأشرك به غيره، ﴿أو كذب بآياته﴾ ، يعني: القرآن، ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ ، الكافرون.
﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (٢٢) ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٣) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤) ﴾
﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ ، أي: العابدين والمعبودين، يعني: يوم القيامة، قرأ يعقوب " يحشرهم " هاهنا، وفي سبأ بالياء، ووافق حفص في سبأ، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ ، أنها تشفع لكم عند ربكم.
﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ ، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب "يكن" بالياء لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكيره، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم "فتنتهم" بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، فجعلوا الاسم قوله "أن قالوا" وفتنتهم الخبر، ومعنى قوله "فتنتهم" أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس وقتادة: معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل فتنة.
قال الزجاج في قوله: ﴿ثم لم تكن **فتنتهم﴾ معنى لطيف وذلك** مثل الرجل يفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه [محنة] (١) فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنت إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول الله عز وجل: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ في محبتهم الأصنام، ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ، قرأ حمزة والكسائي " ربنا "

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣/١٢٦

بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله، وقيل: ١١٧\أنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد، فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر.

فقال عز وجل: ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ ، باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك، ﴿وضل عنهم﴾ زال وذهب عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الأصنام، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فبطل كله في ذلك اليوم.

---

(١) في "ب": (فتنة) .." [١]

"فيه. فمنعه أبو حنيفة وكرهه الشافعي ومالك. وحكى أصحاب الشافعي عن مالك أن مذهبه الإجازة من غير كراهية.

وقد اختلف الناس في التكبير في العيدين، فعند مالك سبع في الأولى، وعند الشافعي ثمان، وعند أبي حنيفة أربع. واتفقوا على أن ذلك قبل القراءة. وأما الثانية فست عندنا، بتكبيرة القيام قبل القراءة، وقال أبو حنيفة. أربع بعد القراءة، وقد قال بعض أصحابنا: في ذلك معنى لطيف، وذلك أنه – صلى الله عليه وسلم – أراد أن يثبت في هاتين الركعتين تكبير أربع ركعات لأن في كل ركعتين سوى صلاة العيدين من التكبير هذا القدر المزيد في صلاة العيدين كما فعل في صلاة الكسوف جعل في الركعتين ركوع أربع يشير إلى تضعيف الأجر. وقد يستلوح منه أن هذا القدر المزيد يغني عما أخذ منه وكأن المصلي فعل بركعتيه أربع ركعات.

٣٤٢ – قوله: "أمرنا أن نخرج العواتق (٦٠٥).

قال الشيخ –وفقه الله–: العاتق الجارية حين تدرك، وعتقت، أي أدركت. قالت صبية لأبيها: اشتر لي لوطا أغطي به فرعلي فإني عتقت. اللوط الإزار، والفرعل الشعر. وعتقت: أدركت، وقوله: جلباب الجلباب هو الإزار وجمعه جلابيب ومنه قوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (٢٤٦).

٣٤٣ – قوله: "فجعلت المرأة تلقي سخابها" (ص ٦٠٦).

السخاب: خيط ينظم فيه خرز، وجمعه سخب مثل كتاب وكتب.

٣٤٤ – قوله في الاستسقاء: "خرج إلى المصلى واستقبل القبلة وقلب رداءه وصلى ركعتين" (ص ٦١١).

---

(٢٤٦) (٥٩) الأحزاب.." [٢]

"الياء والألف لالتقاء الساكنين، لأن الراء بعدهما ساكنة إلا من رحم إلا الراحم وهو الله تعالى «١» ، أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله. أى إلا مكان من رحم الله من المؤمنين، وكان لهم غفورا رحيما في قوله إن ربي لغفور

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٣٥/٣

(٢) المعلم بفوائد مسلم المازري ٤٨٠/١

رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة. وقيل لا عاصم، بمعنى: لا ذا عصمة إلا من رحمه الله، كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل: إلا من رحم استثناء منقطع، كأنه قيل: ولكن من رحمه الله فهو المعصوم، كقوله ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وقرئ إلا من رحم على البناء للمفعول.

[سورة هود (١١) : آية ٤٤]

وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين (٤٤)

نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز «٢» على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض، ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك وأقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته

---

(١) . قال محمود: «المراد إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم ... الخ» قال أحمد: والاحتمالات الممكنة أربعة: لا عاصم إلا راحم، ولا معصوم إلا مرحوم، ولا عاصم إلا مرحوم، ولا معصوم إلا راحم. فالأولان استثناء من الجنس، والآخران من غير الجنس. وزاد الزمخشري خامسا، وهو لا عاصم إلا مرحوم، على أنه من الجنس بتأويل حذف المضاف، تقديره: لا مكان عاصم إلا مكان مرحوم. والمارد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل، وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز، وبعضها أقرب من بعض، والله أعلم. [.....]

(٢) . قال محمود: «نداء الأرض والسماء بما ينادى به العاقل ... الخ» قال أحمد: ومن هذا النمط في السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء بصفاته لانفراده بها السكوت عن ذكر الأوصاف أحيانا، اكتفاء بذكر الموصوف لتبينه بها وتوحده فيها، وأنه متى ذكر مكانها قد ذكرت بذكره في مثل قوله وهو الله في السماوات وفي الأرض الآية.

والمراد: وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها في العالمين. ومنه:

أنا أبو النجم وشعري شعري

ولقد تحيل الشعراء على التعلق بأذيال هذه المعاني اللطيفة، فقال أبو الطيب يمدح عضد الدولة:

لا تحمدنها واحمدن هماما ... إذ لم يسم حامد سواكا

يعنى لا تمنح نفسك فإنك المنفرد بالمدائح، حتى إذا ذكرت ولم يسم المعنى بها لم يسبق إلى ذهن أحد غيرك لتفردك بها.." (١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٣٩٧

"ولكنه مظنون بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين، وإذا ظن موسى عليه السلام كاذبا في إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا، فقد ظن أن في الوجود إلها غيره، ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين، بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم، ولما تعب في بنائه ما تعب، لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى عليه السلام، وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته، حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان، وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته، وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض. ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم: من أنهم راموا نيل أسباب السماوات بصرح يبنونه، وليت شعري، أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك سن عقولهم، حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك؟ أم كان في نفسه بتلك الصفة؟ وإن صح ما حكى من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم، فنهكم به بالفعل، كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة. ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين، كقوله:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج «١»

ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين، وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم.

أو لم تخف عليهم، ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه، وإنما قال فأوقد لي يا هامان

---

(١).

وكل تباريح المحب لقيتها ... سوى أنني لم ألق حتفي بمرصدى

نصحت لعارض وأصحاب عارض ... ورهط بنى السوداء والقوم شهدى

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارس المسرد

لدريد بن الصمة، ينذر قومه بهجوم العدو. ودريد: هو معاوية بن الحرث بن بكر بن علقمة الجثمي: قتل مشركا يوم حنين، أى: كل الشدائد التي يلقاها المحب من محبوبه لقيتها. والحتف: الهلاك. والمرصد، والمرصاد: الطريق، وفي إضافته لنفسه معنى لطيف، أى: لم أسلك طريقا فيه حتف لي، بل أسلك غيره فطر بقي لا ضرر فيه. ونصحه ونصح له: خلص وصفا. والشهد- بالتشديد: جمع شاهد. ودججه تدجيجا: غطاه تغطية. والدجة- بالتشديد-: الظلمة. والدج: المشي بتؤدة. والمدجج: التام السلاح. وقيل: هو بالفتح: الفرس، وبالكسر: الفارس. والسراة: السادة الأشراف بفتح السين، وهي في الأصل: أعلى ظهر الحيوان، فاستعيرت لهم، وقد تضم، فوزنها «فعلة» جمع سرى وزن فعيل على غير قياس، إذ قياسه أفعلاء، وهو في الأصل: النهر الصغير: استعير للخير الرئيس، والفارس: الدروع المعمولة بفارس. والسرد والتسريد: متابعة النسج، يقول: أيقنوا بهجوم جيش عظيم.

والألفان: كناية عن الكثرة، أى: جيش كثير مغطى بالسلاح، أشرافه في الدروع الفارسية المتتابعة النسج. والظرفية دالة على سبوغ الدروع لهم. ويروى المسود بالواو وليس بذاك.." [١]

"حديث عائشة، رضي الله عنها: (أعوذ برضاك من سخطك) (١)، الرضا: هو تعلق الإرادة بالثواب، والسخط هو تعلق الإرادة بالعقاب، والمعافاة تعلق الإرادة بالسلامة، والعقوبة تعلق الإراده بالعذاب والمحن (٢).

---

(١) الموطأ ١/ ٢١٤. مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عائشة أم المؤمنين قالت: كنت نائمة إلى جنب رسول الله، - صلى الله عليه وسلم - ..

قال ابن عبد البر: لم يختلف عن مالك في إرساله، وهو يسند من حديث الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة من طرق صحاح ثابتة. التقصي ص ٢٢٤.

الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ١/ ٣٥٢ من طريق الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة. وأبو داود ١/ ٥٤٦ مثل رواية مسلم، والترمذي من طريق مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي أن عائشة .. سنن الترمذي ٥/ ٥٢٤ وقال: حديث حسن قد روي من غير وجه عن عائشة، والنسائي ٢/ ٢١٠ مثل رواية مسلم أيضا.

(٢) قال الخطابي: في هذا معنى لطيف؛ وذلك أنه استعاذ بالله تعالى، وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته والرضا والسخط خبران متقابلان، وكذلك المعافاة والعقولة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له، وهو الله سبحانه وتعالى، استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه، وقوله: (لا أحصي ثناء عليك) أي لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل لا أحيط به. نقلا عن شرح النووي على مسلم ٤/ ٢٠٤.

قلت: لقد ذهب الشارح هنا إلى التأويل، وهذه عادته رحمه الله وغفر لنا وله، والحق أنه يجب الإيمان بكل ما أخبر به الله عن نفسه، أو أخبر به عنه رسوله من غير تحريف ولا تبديل، ولا تكييف ولا تمثيل، لأنه لا يصف الله أعلم من الله قال تعالى: ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾ وهذا هو مذهب السلف.

قال شارح الطحاوية: ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا والعداوة والولاية والحب والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام، وسائر الصفات، قال: ولا يقال إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام فإن هذا نفي للصفة. العقيدة الطحاوية نقلا عن الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ١٣١.

وقال الآجري: أهل الحق يصفون الله، عز وجل، بما وصف به نفسه، عز وجل، وبما وصفه به رسول الله، - صلى الله عليه وسلم -، وعن صحابته، رضي الله عنهم، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع ولا يقال فيه كيف؟ بل التسليم له والإيمان إن الله، عز وجل، يضحك كذا روي عن النبي، - صلى الله عليه وسلم -، وعن صحابته، رضي الله عنهم، فلا ينكر هذا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤١٤

إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق.

الشريعة للآجري ص ٢٧٧، وانظر الفتاصى ٦/ ١١٩، وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقديي ص ٩٠ تحقيق جميل عبيد عبد المحسن القراري، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى قسم العقيدة.." (١)

"فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: " اللهم، أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك ".

---

أن لا وضوء عليه هذا الحديث] (١)، وقال مالك وأبو حنيفة: لا ينقضه إلا مقيدا، واختلف هؤلاء - أيضا - فى التقييد ما هو؟ فقال مالك: حصول اللذة، وسواء عنده اللامس والملموس، وقال أبو حنيفة: حصول الانتشار، ورد هؤلاء على الشافعى بحديث عائشة [هذا] (٢) ولم يذكر فيه أنه قطع صلاته لانتقاض وضوئه بمسها وينفصل عنه الشافعى (٣) بأنه يقول: يحتمل أن تكون مسته من فوق حائل؛ ولهذا لم يقطع صلاته - عليه السلام.

قال القاضى: وقولها: " على باطن قدميه وهما منصوبتان " بين فى هيئة الرجلين فى السجود أن تكونا منصوبتين، ويبعد انفصال الشافعى بما قاله من وقوع يدها عليهما فوق ثوب مع هذا اللفظ، وظاهره يخالفه.

وقولها: " وهو يقول أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك ": قال الخطابى: فى هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضى والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والمؤاخذة، بالعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له - وهو الله سبحانه - أستعاذ به منه لا غير (٤) ومعنى ذلك: الاستغفار من التقصير فى بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه.

وقوله: " لا أحصى ثناء عليك ": أى لا أطيقه ولا أبلغه ولا أنتهى غايته، وقيل: لا أحيط بذلك: وفيه إضافة الخير والشر إلى الله تعالى. وقال مالك: أى لا أحصى نعمتك وإحسانك [على] (٥) والثناء بها عليك وإن اجتهدت فى الثناء عليك.

قال القاضى - رضى الله عنه -: " أو سخطه ومعافاته وعقوبته "، من صفات أفعاله، فاستعاذ من المكروه منها إلى المحبوب، ومن الشر إلى الخير.

وقوله: " أنت كما أثنيت على نفسك ": اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه كما قال لا يحصيه ورد ثنائه إلى الجملة دون تفصيل [وإحصاء] (٦) وتعيين، فوكل ذلك إلى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا (٧)، وكما أنه تعالى لا نهاية لسلطانه وعظمته ومجده

---

(١) سقط من ع.

(٢) من ع.

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/٤١٤

(٣) فى ع: وينفصل الشافعى عن هذا.

(٤) كل هذا أثبته النووى بغير عزو إلى القاضى.

(٥) من ت.

(٦) من ت.

(٧) نقله النووى بتمامه دون عزو. انظر: ٢/ ١٢٤.." [١]

"١١ - (...) حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خيثمة، عن عاصم الأحول، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية، قالت: كنا نؤمر بالخروج فى العيدين، والمخبأة والبكر. قالت: الحيض يخرجن فيكن خلف الناس، يكبرن مع الناس.

---

قال الإمام: اختلف الناس فى التكبير فى العيدين، فعند مالك سبع فى الأولى، وعند الشافعى ثمان، وعند أبى حنيفة أربع، واتفقوا على أن ذلك قبل القراءة، [وأما الثانية فست عندنا بتكبيرة القيام قبل القراءة] (١)، وقال أبو حنيفة: أربع بعد القراءة (٢). وقد قال بعض أصحابنا: [فيه] (**٣) معنى لطيف لأنه** عليه السلام أراد أن يثبت فى هاتين الركعتين تكبير أربع ركعات، إذ (٤) فى كل ركعتين سوى [ركعتى العيد] (٥) من [التكبير] (٦) هذا القدر المزيد فى صلاة العيدين، كما [فعل] (٧) فى صلاة الكسوف،

---

(١) ساقطة من س.

وقد أخرج مالك والشافعى وعبد الرزاق والبيهقى عن نافع - مولى ابن عمر - أنه قال: شهدت الأضحى والفطر - مع أبى هريرة، فكبر فى الركعة الأولى بسبع تكبيرات قبل القراءات، وفى الآخرة خمسا قبل القراءات، الموطأ ١/ ١٨٠، الأم ١/ ٢٣٦، والمصنف ٥٦٨٠، والتمهيد ١٦/ ٣٧ والبيهقى فى الكبرى ٣/ ٢٨٨، والمعرفة ٥/ ٦٨٧٤.

قال أبو عمر: معلوم أن هذا وما كان مثله لا يكون رأيا؛ لأنه لا فرق من جهة الرأى والاجتهاد بين سبع فى هذا وأربع، ولا يكون إلا توفيقا ممن يجب التسليم له. قال: وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كبر فى صلاة العيدين سبعا فى الركعة الأولى وخمسا فى الثانية من طرق كثيرة حسان.

وبعد أن ساق الكثير منها قال: وبهذا قال مالك والشافعى وأصحابهما والليث بن سعد، إلا أن مالكا قال: سبعا فى الأولى بتكبيرة الإحرام على ظاهر الحديث " سبعا فى الأولى "، ولو لم يكن تكبيرة الافتتاح فى السبع لقيل: كبر ثمانيا وستا. وقال الشافعى: سوى تكبيرة الإحرام، جعل القصد فى الحديث إلى تكبير العيد دون شيء من التكبير المعهود فى الصلاة؛ لأن تكبير الصلاة معلوم أنه لم يقصد إليه فى هذا الحديث.

قال: واتفقا على أن الخمس تكبيرات فى الركعة الثانية غير تكبيرة القيام. وقال أحمد بن حنبل وأبو ثور كقول مالك: سبع بتكبيرة الإحرام فى الأولى وخمس فى الثانية سوى تكبيرة القيام، إلا أن أحمد لا يوالى بين التكبير، ويجعل بين كل تكبيرتين

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٢/٤٠١

ثناء على الله وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم. الاستذكار ٧/ ٤٨ - ٥١.
(٢) وهو ثابت عن ابن مسعود، فقد روى أنه كان يعلمهم - الكوفيين - التكبير فى العيدين تسع تكبيرات، خمس فى الأولى وأربع فى الثانية، ويوالى بين القراءتين. المصنف لعبد الرزاق ٣/ ٢٩٤.
وقد أخرج أبو داود وأحمد عن حذيفة وأبى موسى مثله. أبو داود، ك الصلاة، ب التكبير فى العيدين ١/ ٢٩٩، وأحمد فى المسند ٤/ ٤١٦.
كما أخرج عبد الرزاق والشافعى فى الأم عن على أنه كبر فى الفطر إحدى عشرة، ستا فى الأولى وخمسا فى الآخرة. المصنف ٣/ ٨٥، ٢٩٢، والأم ١/ ٢٣٦.
(٣) فى ع: فى ذلك.
(٤) فى ع: لأن.
(٥) فى ع: صلاة العيدين.
(٦) من ع.
(٧) ساقطة من ع.." (١)

"٢٦٢٣ - / ٣٣٧٤ - وفي الحديث الثالث: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفراش فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو يقول: " أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك ".
قال أبو سليمان الخطابي: في هذا الكلام معنى لطيف، وهو أن الرضا ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة، فسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له استعاذ به منه لا غير.
قلت: وهذا كلام وعظي يعجب العوام، ولا صحة له؛ لأنه لا يجوز أن يستعاذ من الذات القديمة، وهذا لا يجوز أن يعتقد أن الرسول عليه السلام قصده، ولكنه لما أراد أن يستعيذ من الأشياء بأضدادها، مثل أن يقول: وبحلمك من تعجيل عذابك، وبكذا من كذا، فلما كان التعداد يطول قال: " أعوذ بك منك " أي بما يصدر منك من عفو ولطف مما يصدر منك من عقوبة ونقمة. وقال ابن عقيل: معنى الكلام: أعوذ بك من الصادر منك من الأفعال التي هي العذاب والبطشة.
وقوله: " سبوح قدوس " قال الخطابي: لم يأت من الأسماء على " فعول " بضم الفاء إلا قدوس وسبوح، وقد يفتحان وهو القياس في الأسماء كسفود وكلوب.
والقدوس: الطاهر من العيوب. قال أبو الحسن الهنائي اللغوي:." (٢)

"الجزم، وقد تقدم بيان مثل هذا فيما سبق، وإن صحت الرواية ولم يكن تحريفا من النساخ؛ فتكون "لا" نافية وقد أعطاها معنى النهي لأنه إذا نفى أن يوجد هذا البيع فكأنه قد استمر عدمه، والمراد من النهي عن الفعل إنما هو طلب إعدامه أو استبقاء عدمه فكان النفي الوارد من الواجب صرفه يفيد ما يراد من النهي، وهذا معنى لطيف، وإنما حملنا عليه

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ٢٩٩/٣
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ابن الجوزي ٣٩٨/٤

القصد إلى تصحيح ما اتفقت عليه كتب العلماء ورواياتهم والله أعلم.

ورأيت الإمام أبا نصر بن الصباغ قد ذكر في "الشامل" لما أورد هذه المسألة وهذا الحديث قال: والمراد به النهي وإن كان لفظة لفظ الخبر، وهذا يعضد ما قلناه من ورود الروايات بلفظ النفي لا النهي.

وفي قوله: "على بيع أخيه" زيادة تقبيح لمخالفة النهي وتحريض على الوقوف عنده واتباعه، والمراد بالأخوة ها هنا أخوة الإسلام لا أخوة النسب.

ولمعنى هذا النهي تأويلان:

أحدهما: أن يشتري الرجل السلعة، ويتم البيع ولم يفترق المتبايعان عن مقامها ذلك، فنهى النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يعرض رجل آخر سلعة أخرى على ذلك المشتري [تشبه] (١) السلعة التي اشتراها ليبتاعها منه، لما في ذلك من الإفساد على البائع الأول؛ إذ لعله يرد المشتري السلعة التي اشتراها أولا ويميل إلى هذه، وهو وإن كان لهما الخيار ما لم يفترقا فهو نوع من الإفساد.

والقول الثاني: أن يكون المتبايعان [يتساومان] (٢) في السلعة ويتقارب العقد بينهما ويقع التراضي، ولم يبق إلا اشتراط النقد أو نحوه، فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ويخرجها من يد المشتري الأول، وذلك ممنوع عند المقاربة؛ لما فيه من الإفساد ومباح أول العرض والمساومة.

---

(١) في "الأصل": "لشبه"، وهو تحريف.

(٢) في "الأصل": يتساويان، وهو تحريف أيضا.." [1]

"الأنبياء والأئمة قريب من الخلاف في فضيلة الرؤساء والملوك، فإذا اختلف حزبان في فضيلة ملكين أو رئيسين، وأدى الاختلاف إلى الاقتتال يكون أقوى كلام يصلح بينهم أن يقال لهم هذان الملكان متوافقان متصادقان، فلا معنى لنزاعكم فكذلك هاهنا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحن آمنا بالأنبياء وهم آمنوا بي فلا معنى لتعصبكم لهم وكذلك أكابركم وعلماؤكم آمنوا، ثم قال تعالى: وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون تنفيرا لهم عما هم عليه، يعني أنكم آمنتم بكل شيء، وامتزتم عن المشركين بكل فضيلة، إلا هذه المسألة الواحدة، وبإنكارها تلحقون بهم وتبطلون مزاياكم، فإن الجاحد بآية يكون كافرا.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٨ الى ٤٩]

وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩)

ثم قال تعالى: وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك هذه درجة أخرى بعد ما تقدم على الترتيب، وذلك لأن

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي ابن الأثير، أبو السعادات ٤/٦١

المجادل إذا ذكر مسألة مختلفا فيها كقول القائل: الزكاة تجب في مال الصغير، فإذا قيل له لم؟ فيقول كما تجب النفقة في ماله، ولا يذكر أولا الجامع بينهما، فإن قنع الطالب بمجرد التشبيه وأدرك من نفسه الجامع فذاك، وإن لم يدرك أو لم يقنع يبدي الجامع، فيقول كلاهما مال فضل عن الحاجة فيجب فكذلك هاهنا ذكر أولا التمثيل بقوله: وكذلك أنزلنا إليك [العنكبوت: ٤٧] ثم ذكر الجامع وهو المعجزة، فقال ما علم كون تلك الكتب منزلة إلا بالمعجزة، وهذا القرآن ممن لم يكتب ولم يقرأ عين المعجزة، فيعرف كونه منزلا، وقوله تعالى: إذا لارتاب المبطلون فيه معنى لطيف، وهو أن النبي إذا كان قارئا كاتبا ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه، فإن جميع كتبة الأرض وقرائها لا يقدرون عليه، لكن على ذلك التقدير يكون للمبطل وجه ارتياب، وعلى ما هو عليه لا وجه لارتيابه فهو أدخل في الإبطال وهذا كقوله تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله [البقرة: ٢٣] أي من مثل محمد عليه السلام وكقوله: الم ذلك الكتاب لا ريب فيه [البقرة: ١، ٢] .

ثم قال تعالى: بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم قوله في صدور الذين أوتوا العلم إشارة إلى أنه ليس من مخترعات الآدميين، لأن من يكون له كلام مخترع يقول هذا من قلبي وخاطري، وإذا حفظه من غيره يقول إنه في قلبي وصدري، فإذا قال: في صدور الذين أوتوا العلم لا يكون من صدر أحد منهم، والجاهل يستحيل منه ذلك ظهور له من الصدور ويلتحقون عنده هذه الأمة بالمشركين، فظهوره من الله.

ثم قال تعالى: وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون قال هاهنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون [العنكبوت: ٤٧] مع أن الكافر ظالم ولا تنافي بين الكلامين وفيه فائدة، وهي أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم إن لكم المزايا فلا تبطلوها بإنكار محمد فتكونوا كافرين، فلفظ الكافر هناك كان بليغا يمنعهم من ذلك لاستنكافهم عن الكفر، ثم بعد بيان المعجزة قال لهم إن جحدتم هذه الآية لزمكم إنكار إرسال الرسل فتلتحقون في أول الأمر بالمشركين حكما، وتلتحقون عند هذه الآية بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين، أي مشركين، كما بينا أن الشرك ظلم عظيم، فهذا اللفظ هاهنا أبلغ وذلك اللفظ هناك أبلغ. ثم قال تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٥٠]

وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠)." (١)

"المسألة الخامسة: قدم الإمساء على الإصباح هاهنا وأخره في قوله: وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب: ٤٢] وذلك لأن هاهنا أول الكلام ذكر الحشر والإعادة من قوله: الله يبدؤا الخلق ثم يعيده إلى قوله: فأولئك في العذاب محضرون [الروم: ١١- ١٦] وآخر هذه الآية أيضا ذكر الحشر والإعادة بقوله: وكذلك تخرجون والإمساء آخر فذكر الآخر ليذكر الآخرة.

المسألة السادسة: في تعلق إخراج الحي من الميت والميت من الحي بما تقدم عليه هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من شبه الموت وهو النوم إلى شبه الوجود وهو اليقظة، وعند العشاء يخرج الإنسان من اليقظة إلى النوم، واختلف المفسرون في قوله:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٤/٢٥

يخرج الحي من الميت فقال أكثرهم: يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وكذلك الحيوان من النطفة من الحيوان، وقال بعضهم المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، ويمكن أن يقال المراد: يخرج الحي من الميت أي اليقظان من النائم والنائم من اليقظان، وهذا يكون قد ذكره للتمثيل أي إحياء الميت عنده وإماتة الحي كتنبيه النائم وتنويم المنتبه.
ثم قال تعالى: ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون وفي **هذا معنى لطيف وهو** أن الإنسان بالموت تبطل حيوانيته وأما نفسه الناطقة فتفارقه وتبقى بعده كما قال تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا [آل عمران: ١٦٩] لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك ولا يحس والأرض الميتة لا يكون فيها نماء، ثم إن النائم بالانتباه يتحرك ويحس والأرض الميتة بعد موتها تنمو بنباتها فكما أن تحريك ذلك الساكن وإنماء هذا الواقف سهل على الله تعالى كذلك إحياء الميت سهل عليه وإلى هذا أشار بقوله: وكذلك تخرجون. ثم قال تعالى:

[سورة الروم (٣٠) : آية ٢٠]
ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (٢٠)
لما أمر الله تعالى بالتسبيح عن الأسواء وذكر أن الحمد له على خلق جميع الأشياء وبين قدرته على الإماتة والإحياء بقوله: فسبحان الله إلى قوله: وكذلك تخرجون [الروم: ١٦- ٢٠] ذكر ما هو حجة ظاهرة وآية/ باهرة على ذلك ومن جملتها خلق الإنسان من تراب وتقريره هو أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء، وذلك من حيث كيفيته فإنه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة، ومن حيث لونه فإنه كدر والروح نير، ومن حيث فعله فإنه ثقيل والأرواح التي بها الحياة خفيفة، ومن حيث السكون فإنه بعيد عن الحركة والحيوان يتحرك يمنة ويسرة وإلى خلف وإلى قدام وإلى فوق وإلى أسفل، وفي الجملة فالتراب أبعد من قبول الحياة عن سائر الأجسام لأن العناصر أبعد من المركبات لأن المركب بالتركيب أقرب درجة من الحيوان والعناصر أبعدها التراب لأن الماء فيه الصفاء والرطوبة والحركة وكلها على طبع الأرواح والنار أقرب لأنها كالحرارة الغريزية منضجة جامعة مفرقة ثم المركبات وأول مراتبها المعدن فإنه ممتزج، وله مراتب أعلاها الذهب وهو قريب من أدنى مراتب النبات وهي مرتبة النبات الذي ينبت في الأرض ولا يبرز ولا يرتفع، ثم النباتات وأعلى مراتبها وهي مرتبة الأشجار التي تقبل التعظيم، ويكون لثمرها حب يؤخذ منه مثل تلك الشجرة كالبيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة قريبة من أدنى مراتب الحيوانات وهي مرتبة الحشرات التي ليس لها دم سائل ولا هي إلى المنافع الجليلة وسائل كالنباتات، ثم الحيوان وأعلى مراتبها قريبة من مرتبة الإنسان فإن الأنعام ولا سيما الفرس." (١)
"في الأفعال والأقوال الثالث: هو أن لقمان أراد إرشاد ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والأوصاف التي هي للملك الذي هو أعلى مرتبة منه، والأوصاف التي للحيوان الذي هو أدنى مرتبة منه. فقوله: وأمر بالمعروف وانه عن المنكر إشارة إلى المكارم المختصة بالإنسان فإن الملك لا يأمر ملكا آخر بشيء ولا ينهاه عن شيء.
وقوله: ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا الذي هو إشارة إلى عدم التكبر والتبختر إشارة إلى المكارم التي هي

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٩/٢٥

صفة الملائكة فإن عدم التكبر والتبختر صفتهم. وقوله: واقصد في مشيك واغضض من صوتك إشارة إلى المكارم التي هي صفة الحيوان ثم قال تعالى: إن أنكر الأصوات لصوت الحمير وفيه مسائل:

المسألة الأولى: لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي، نقول أما على قولنا إن المشي والصوت كلاهما موصلان إلى شخص مطلوب إن أدركه بالمشي إليه فذاك، وإلا فيوقفه بالنداء، فنقول رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن وأما السرعة في المشي فلا تؤذي أو إن كانت تؤذي فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين واليسار، ولأن المشي يؤذي آلة المشي والصوت يؤذي آلة السمع وآلة السمع على باب القلب، فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب ولا كذلك المشي، وأما على قولنا الإشارة بالشيء والصوت إلى الأفعال والأقوال فلأن القول قبيحه أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب والاعتبار يصحح الدعوى.

المسألة الثانية: كيف يفهم كونه أنكر مع أن مس المنشار بالمبرد وحت النحاس بالحديد أشد تنفيرا؟

نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما: أن المراد أن أنكر أصوات الحيوانات صوت الحمير فلا يرد ما ذكرتم وما ذكرتم في أكثر الأمر لمصلحة وعمارة فلا ينكر، بخلاف صوت الحمير وهذا وهو الجواب الثاني.

المسألة الثالثة: أنكر هو أفعل التفضيل فمن أي باب هو؟ نقول يحتمل أن يكون من باب أطوع له من بنانه، بمعنى أشدها طاعة فإن أفعل لا يجيء في مفعل ولا في مفعول ولا في باب العيوب إلا ما شذ، كقولهم أطوع من كذا للتفضيل على المطيع، وأشغل من ذات النحيين للتفضيل على المشغول، وأحمق من فلان من باب العيوب، وعلى هذا فهو في باب أفعل كأشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر، أو نقول هو من باب أشغل مأخوذا من نكر الشيء فهو منكر، وهذا أنكر منه، وعلى هذا فله معنى لطيف، وهو أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو غير ذلك، والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح، وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق فصوته منكور، ويمكن أن يقال هو من نكير كأجدر من جدير. ثم قال تعالى:

[سورة لقمان (٣١) : آية ٢٠]

ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٢٠)

لما استدل بقوله تعالى: خلق السماوات بغير عمد على الوحدانية، وبين بحكاية لقمان أن/ معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة بل ذلك موافق للحكمة، وما جاء به النبي عليه السلام من التوحيد والصلاة ومكارم." (١)

"[سورة لقمان (٣١) : آية ٢٦]

لله ما في السماوات والأرض إن الله هو الغني الحميد (٢٦)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢٣/٢٥

ذكر بما يلزم منه، وهو أنه يكون له ما فيهما والأمر كذلك عقلا وشرعا، أما عقلا فلأن ما في السموات المخلوقة مخلوق وإضافة خلقه إلى من منه خلق السموات والأرض لازم عقلا لأنها ممكنة، والممكن لا يقع ولا يوجد إلا بواجب من غير واسطة كما هو مذهب أهل السنة أو بواسطة كما يقوله غيرهم، وكيفما فرض فكله من الله لأن سبب السبب سبب، وأما شرعا فلأن من يملك أرضا وحصل منها شيء ما يكون ذلك لمالك الأرض فكذلك كل ما في السموات والأرض حاصل فيهما ومنهما فهو لمالك السموات والأرض وإذا كان الأمر كذلك تحقق أن الحمد كله لله. ثم قوله تعالى: إن الله هو الغني الحميد **فيه معان لطيفة أحدها**: أن الكل لله وهو غير محتاج إليه غير منتفع به وفيها منافع فهي لكم خلقها فهو غني لعدم حاجته حميد مشكور لدفعه حوائجكم بها وثانيها: أن بعد ذكر الدلائل على أن الحمد كله لله ولا تصلح العبادة إلا لله افترق المكلفون فريقين مؤمن وكافر، والكافر لم يحمد الله والمؤمن حمده فقال إنه غني عن حمد الحامدين فلا يلحقه نقص بسبب كفر الكافرين، وحميد في نفسه فيتبين به إصابة المؤمنين وتكمل بحمده الحامدون وثالثها: هو أن السموات وما فيها والأرض وما فيها إذا كانت لله ومخلوقة له فالكل محتاجون فلا غني إلا الله فهو الغني المطلق وكل محتاج فهو حامد، لاحتياجه إلى من يدفع حاجته فلا يكون الحميد المطلق إلا الغني المطلق فهو الحميد، وعلى هذا [يكون] الحميد بمعنى المحمود، والله إذا قيل له الحميد لا يكون معناه إلا الواصف، أي وصف نفسه أو عباده بأوصاف حميدة، والعبد إذا قيل له حامد يحتمل ذلك المعنى، ويحتمل كونه عابدا شاكرا له. ثم قال تعالى:

[سورة لقمان (٣١) : الآيات ٢٧ الى ٢٨]

ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم (٢٧) ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (٢٨)

لما قال تعالى: لله ما في السماوات والأرض وكان ذلك موهما لتناهي ملكه لانحصار ما في السموات وما في الأرض فيهما، وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين أن في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها فقال: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ويكتب بها والأبحر مداد لا تفنى عجائب صنع الله، وعلى هذا فالكلمة مفسرة بالعجيبة، ووجهها أن العجائب بقوله كن وكن كلمة وإطلاق اسم السبب على المسبب جائز. يقول الشجاع لمن يبارزه أنا موتك، ويقال للدواء في حق المريض/ هذا شفاؤك، ودليل صحة هذا هو أن الله تعالى سمى المسيح كلمة لأنه كان أمرا عجيبا وصنعا غريبا لوجوده من غير أب، فإن قال قائل الآية واردة في اليهود حيث قالوا الله ذكر كل شيء في التوراة ولم يبق شيء لم يذكره، فقال الذي في التوراة بالنسبة إلى كلام الله تعالى ليس إلا قطرة من بحار وأنزل هذه الآية، وقيل أيضا إنها نزلت في واحد قال للنبي عليه السلام إنك تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا [الإسراء: ٨٥] وتقول: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا [البقرة: ٢٦٩] فنزلت الآية دالة على أنه خير كثير بالنسبة إلى العباد، وبالنسبة إلى الله وعلومه قليل، وقيل أيضا إنها نزلت ردا على الكفار حيث

قالوا بأن ما يورده محمد سينفد، فقال إنه كلام الله وهو لا ينفد. وما ذكر من أسباب النزول ينافي ما ذكرتم من التفسير، لأنها تدل على أن المراد الكلام، فنقول ما ذكرتم من اختلاف." (١)

"وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يعني اتق الله وإن توهمت من أحد فتوكل على الله فإنه كفى به دافعا ينفع ولا يضر معه شيء وإن ضر لا ينفع معه شيء.

ثم قال تعالى: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال بعض المفسرين الآية نزلت في أبي معمر كان يقول لي قلبان أعلم وأفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فرد الله عليه بقوله: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وقال الزمخشري قوله: وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم أي ما جعل لرجل قلبين كما لم يجعل لرجل أمين ولا لابن أبوين، وكلاهما ضعيف بل الحق أن يقال إن الله تعالى لما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالاتقاء بقوله: يا أيها النبي اتق الله فكان ذلك أمرا له بتقوى لا يكون فوقها تقوى ومن يتقي ويخاف شيئا خوفا شديدا لا يدخل في قلبه شيء آخر ألا ترى أن الخائف الشديد الخوف ينسى مهماته حالة الخوف فكأن الله تعالى قال يا أيها النبي اتق الله حق تقاته، ومن حقها أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله فإن المرء ليس له قلبان حي يتقي بأحدهما الله وبالآخرة غيره فإن اتقى غيره فلا يكون ذلك إلا بصرف القلب عن جهة الله إلى غيره وذلك لا يليق بالمتقي الذي يدعي أنه يتق الله حق تقاته، ثم ذكر للنبي عليه الصلاة والسلام أنه لا ينبغي أن يتقي أحدا ولا مثل ما اتقيت في حكاية زينب زوجة زيد حيث قال الله تعالى: وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه [الأحزاب: ٣٧] يعني مثل تلك التقوى لا ينبغي أن تدخل في/ قلبك ثم لما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام بتلك الحالة ذكر ما يدفع عنه السوء. فقال: وما جعل أدعياءكم أبناءكم أي وما جعل الله دعي المرء ابنه ثم قدم عليه ما هو دليل قوي على اندفاع القبح وهو قوله: وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم أي إنكم إذا قلتم لأزواجكم أنت علي كظهر أمي فلا تصير هي أما بإجماع الكل، أما في الإسلام فلأنه ظهار لا يحرم الوطء، وأما في الجاهلية فلأنه كان طلاقا حتى كان يجوز للزوج أن يتزوج بها من جديد، فإذا كان قول القائل لزوجته أنت أمي أو كظهر أمي لا يوجب صيرورة الزوجة أما كذلك قول القائل للدعي أنت ابني لا يوجب كونه ابنا فلا تصير زوجته زوجة الابن فلم يكن لأحد أن يقول في ذلك شيئا فلم يكن خوفك من الناس له وجه كيف ولو كان أمرا مخوفا ما كان يجوز أن تخاف غير الله أو ليس لك قلبان وقلبك مشغول بتقوى الله فما كان ينبغي أن تخاف أحدا.

ثم قال تعالى: ذلكم قولكم بأفواهكم فيه لطيفة وهو أن الكلام المعتبر على قسمين أحدهما: كلام يكون عن شيء كان فيقال: والثاني: كلام يقال فيكون كما قيل والأول كلام الصادقين الذين يقولون ما يكون والآخر كلام الصديقين الذين إذا قالوا شيئا جعله الله كما قالوه وكلاهما صادر عن قلب والكلام الذي يكون بالفم فحسب هو مثل نهيق الحمار أو نباح الكلب، لأن الكلام المعتبر هو الذي يعتمد عليه والذي لا يكون عن قلب وروية لا اعتماد عليه، والله تعالى ما كرم ابن آدم وفضله على سائر الحيوانات ينبغي أن يحترز من التخلق بأخلاقها، فقول القائل: هذا ابن فلان مع أنه ليس ابنه ليس كلاما فإن الكلام في الفؤاد وهذا في الفم لا غير، واللطيفة هي أن الله تعالى هاهنا قال: ذلكم قولكم بأفواهكم وقال في

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢٧/٢٥

قوله: وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم [التوبة: ٣٠] يعني نسبة الشخص إلى غير الأب قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل أيضا في قلب فهو قول بالفم مثل أصوات البهائم.

ثم قال تعالى: والله يقول الحق إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن العاقل ينبغي أن يكون قوله إما عن." (١)

"كريما

وصف رزق الآخرة بكونه كريما، مع أن الكريم لا يكون إلا وصفا للرزاق إشارة إلى معنى لطيف، وهو أن الرزق في الدنيا مقدر على أيدي الناس، التاجر يسترزق من السوقة، والمعاملين والصناع من المستعملين، والملوك من الرعية والرعية منهم، فالرزق في الدنيا لا يأتي بنفسه، وإنما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله إلى الأغيار. وأما في الآخرة فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر فهو الذي يأتي بنفسه، فلأجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم إلا الرزاق، وفي الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٢]

يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (٣٢)

ثم قال تعالى: يا نساء النبي لستن كأحد من النساء لما ذكر أن عذابهن ضعف عذاب غيرهن وأجرهن مثلا أجر غيرهن صرن كالحرائر بالنسبة إلى الإماء، فقال: لستن كأحد ومعنى قول القائل ليس فلان كآحاد الناس، يعني ليس فيه مجرد كونه إنسانا، بل وصف أخص موجود فيه، وهو كونه عالما أو عاملا أو نسيبا أو حسيبا، فإن الوصف الأخص إذا وجد لا يبقى التعريف بالأعم، فإن من عرف رجلا ولم يعرف منه غير كونه رجلا يقول رأيت رجلا فإن عرف علمه يقول رأيت زيدا أو عمرا، فكذلك قوله تعالى: لستن كأحد من النساء يعني فيكن غير ذلك أمر لا يوجد في غيركن وهو كونكن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين، وكما أن محمدا عليه السلام ليس كأحد من الرجال، كما

قال عليه السلام: «لست كأحدكم»

كذلك قرائبه اللاتي يشرفن به وبين الزوجين نوع من الكفاءة.

ثم قوله تعالى: إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون متعلقا بما قبله على معنى لستن كأحد إن اتقيتن فإن الأكرم عند الله هو الأتقى وثانيهما: أن يكون متعلقا بما بعده على معنى إن اتقيتن فلا تخضعن والله تعالى لما منعهن من الفاحشة وهي الفعل القبيح منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال والانقياد في الكلام للفاسق. ثم قوله تعالى: فيطمع الذي في قلبه مرض أي فسق وقوله تعالى:

وقلن قولا معروفا أي ذكر الله، وما تحتجن إليه/ من الكلام والله تعالى لما قال: فلا تخضعن بالقول ذكر بعده وقلن إشارة إلى أن ذلك ليس أمرا بالإيذاء والمنكر بل القول المعروف وعند الحاجة هو المأمور به لا غيره. ثم قال تعالى:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥/١٥٥

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٣]
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٣٣)
قوله تعالى: وقرن في بيوتكن من القرار وإسقاط أحد حرفي التضعيف كما قال تعالى: فظلتم تفكهون [الواقعة: ٦٥] وقيل بأنه من الوقار كما يقال وعد يعد عد وقول: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قيل معناه لا تتكسرن ولا تتغنجن، ويحتمل أن يكون المراد لا تظهرن زينتكن وقوله تعالى: الجاهلية الأولى فيه وجهان أحدهما: أن المراد من كان في زمن نوح والجاهلية الأخرى من كان بعده وثانيهما: أن هذه ليست أولى تقتضي أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة كقول القائل: أين الأكاسرة الجبابرة الأولى.." (١)

"لما بين حالهم في الدنيا أنهم يلعنون ويهانون ويقتلون أراد أن يبين حالهم في الآخرة فذكرهم بالقيامة وذكر ما يكون لهم فيها فقال: يسئلك الناس عن الساعة أي عن وقت القيامة قل إنما علمها عند الله لا يتبين لكم، فإن الله أخفاها لحكمة هي امتناع المكلف عن الاجتراء وخوفهم منها في كل وقت.
ثم قال تعالى: وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا إشارة إلى التخويف، وذلك لأن قول القائل الله يعلم متى يكون الأمر الفلاني ينبئ عن إبطاء الأمر، ألا ترى أن من يطالب مديونا بحقه فإن استمهله شهرا أو شهرين ربما يصبر ذلك، وإن قال له اصبر إلى أن يقدم فلان من سفره يقول الله يعلم متى يجيء فلان، ويمكن أن يكون مجيء فلان قبل انقضاء تلك المدة فقال هاهنا: وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا يعني هي في علم الله فلا تستبطئوها فربما تقع عن قريب والقريب فعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، قال تعالى: إن رحمت الله قريب من المحسنين [الأعراف: ٥٦] ولهذا لم يقل لعل الساعة تكون قريبة.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٤ الى ٦٥]
إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤) خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥)
ثم قال تعالى: إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا يعني كما أنهم ملعونون في الدنيا عندكم فكذلك ملعونون عند الله وأعد لهم سعيرا كما قال تعالى: لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا [الأحزاب: ٥٧] خالدين فيها أبدا مطيلين المكث فيها مستمرين لا أمد لخروجهم.
وقوله: لا يجدون وليا ولا نصيرا. لما ذكر خلودهم بين تحقيقه وذلك لأن المعذب لا يخلصه من العذاب إلا صديق يشفع له أو ناصر يدفع عنه، ولا ولي لهم يشفع ولا نصير يدفع. ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٦ الى ٦٨]

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٧/٢٥

يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨)

لما بين أنه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب بين أن بعض أعضائهم أيضا لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده فإن من يقصد رأسه ووجهه تجده يجعل يده جنة أو يطأطئ رأسه كي لا يصيب وجهه، وفي الآخرة تقلب وجوههم في النار فما ظنك بسائر أعضائهم التي تجعل جنة للوجه ووقاية له يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فيتحسرون ويندمون حيث لا تغنيهم الندامة والحسرة، لحصول علمهم بأن الخلاص ليس إلا للمطيع. ثم يقولون: إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعني بدل طاعة الله تعالى أطعنا السادة وبدل طاعة الرسول أطعنا الكبراء وتركنا طاعة سيد السادات وأكبر الأكابر/ فبدلنا الخير بالشر، فلا جرم فاتنا خير الجنان وأوتينا شر النيران، ثم إنهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب المضلين ويقولون: ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا أي بسبب ضلالهم وإضلالهم وفي قوله تعالى: ضعفين (من العذاب) والعنهم لعنا كبيرا معنى لطيف وهو أن الدعاء لا يكون إلا عند عدم حصول الأمر." (١)

"من العجب أن التاجر إذا علم أن مالا من أمواله في معرض الهلاك يبيعه نسيئة، وإن كان من الفقراء ويقول بأن ذلك أولى من الإمهال «١» إلى الهلاك، فإن لم يبع حتى يهلك ينسب إلى الخطأ، ثم إن حصل به كفيل مليء ولا يبيع ينسب إلى قلة العقل، فإن حصل به رهن وكتب به وثيقة ولا يبيعه ينسب إلى الجنون، ثم إن كل أحد يفعل هذا ولا يعلم أن ذلك قريب من الجنون، فإن أموالنا كلها في معرض الزوال المحقق، والإنفاق على الأهل والولد إقراض، وقد حصل الضامن المليء وهو الله العلي وقال تعالى: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ثم رهن عند كل واحد إما أرضا أو بستانا أو طاحونة أو حماما أو منفعة، فإن الإنسان لا بد من أن يكون له صنعة أو جهة يحصل له منها مال وكل ذلك ملك الله وفي يد الإنسان بحكم العارية فكأنه مرهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام، ومع هذا لا ينفق ويترك ماله ليتلف لا مأجورا ولا مشكورا.

المسألة الثالثة: قوله: خير الرازقين ينبئ عن كثرة في الرازقين ولا رازق إلا الله، فما الجواب عنه؟ فنقول عنه جوابان أحدهما: أن يقال الله خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين وكذلك في قوله تعالى:

أحسن الخالقين [الصافات: ١٢٥] وثانيهما: هو أن الصفات منها ما حصل لله وللعبد حقيقة، ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة وللعبد بطريق المجاز، ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة ولا يقال للعبد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعبد لا حقيقة ولا صورة، مثال الأول العلم، فإن الله يعلم أنه واحد والعبد يعلم أنه واحد بطريق الحقيقة، وكذلك العلم بكون النار حارة، غاية ما في الباب أن علمه قديم وعلمنا حادث، مثال الثاني الرازق والخالق، فإن العبد إذا أعطى غيره شيئا فإن الله هو المعطي، ولكن لأجل صورة العطاء منه سمي معطيا، كما يقال للصورة المنقوشة على الحائط فرس وإنسان، مثال الثالث الأزلي والله وغيرهما، وقد يقال في أشياء في الإطلاق على العبد حقيقة وعلى الله مجازا كالاستواء والنزول والمعية

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨٥/٢٥

ويد الله وجنب الله.

ثم قال تعالى:

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٤٠ الى ٤١]

ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون (٤٠) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (٤١)

لما بين أن حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كحال من تقدمه من الأنبياء، وحال قومه كحال من تقدم من الكفار، وبين بطلان استدلالهم بكثرة أموالهم وأولادهم، بين ما يكون من عاقبة حالهم فقال: ويوم يحشرهم جميعا يعني المكذبين بك وبمن تقدمك، ثم نقول لمن يدعون أنهم يعبدونهم وهم الملائكة، فإن غاية ما ترتقي إليه منزلتهم أنهم يقولون نحن نعبد الملائكة والكواكب، فيسأل الملائكة أهم كانوا يعبدونكم! إهانة لهم، فيقول كل منهم سبحانك ننزهك عن أن يكون غيرك معبودا وأنت معبودنا ومعبود كل خلق، وقولهم: أنت ولينا من دونهم إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن مذاهب الناس مختلفة، بعضهم لا يسكن المواضع المعمورة التي يكون فيها سواد عظيم، لأنه لا يترأس هناك فيرضى الضياع والبلاد الصغيرة، وبعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم اجتماعه فيها بالناس وقلة وصوله فيها إلى الأكياس، ثم إن الفريقين جميعا إذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الأرذال الذين لا التفات إليهم أصلا يختار العاقل خدمة السلطان على استخدام من لا يؤبه به، ولو أن

---

(١) في النسخة الأميرية إلى «الإهمال» ولكن ما كتبناه أولى وأنسب لسياق الكلام.." (١)

"وفيه وجهان أحدهما: يقذف بالحق في قلوب المحقين، وعلى هذا الوجه للآية بما قبلها تعلق، وذلك من حيث إن الله تعالى لما بين رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: إن هو إلا نذير لكم وأكده بقوله: قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص واحد من بينهم بإنزال الذكر عليه، كما قال تعالى عنهم:

أأنزل عليه الذكر من بيننا [ص: ٨] ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال: قل إن ربي يقذف بالحق أي في القلوب إشارة إلى أن الأمر بيده يفعل ما يريد ويعطي ما يشاء لمن يشاء.

ثم قال تعالى: علام الغيوب إشارة إلى جواب سؤال فاسد يذكر عليه وهو أن من يفعل شيئا/ كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشيء لا يوجد في غيره لا يكون عالما وإنما فعل ذلك اتفاقا، كما إذا أصاب السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال: يقذف بالحق كيف يشاء وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب ما يفعله فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله الهاجم الغافل عن العواقب إذ هو علام الغيوب الوجه الثاني: أن المراد منه هو أنه يقذف بالحق على الباطل كما قال في سورة الأنبياء: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه [الأنبياء: ١٨] وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها أيضا ظاهر وذلك من

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١١/٢٥

حيث إن براهين التوحيد لما ظهرت ودحضت شبههم قال: قل إن ربي يقذف بالحق أي على باطلكم، وقوله: علام الغيوب على هذا الوجه **له معنى لطيف وهو** أن البرهان الباهر المعقول الظاهر لم يقم إلا على التوحيد والرسالة، وأما الحشر فعلى وقوعه لا برهان غير إخبار الله تعالى عنه، وعن أحواله وأهواله، ولولا بيان الله بالقول لما بان لأحد بخلاف التوحيد والرسالة، فلما قال: يقذف بالحق أي على الباطل، إشارة إلى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة قال: علام الغيوب أي ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة وأحوالها فهو لا خلف فيه فإن الله علام الغيوب، والآية تحتمل تفسيرا آخر وهو أن يقال: ربي يقذف بالحق أي ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل والباء على الوجهين الأولين متعلق بالمفعول به أي الحق مقذوف وعلى هذا الباء فيه كالباء في قوله: وقضي بينهم بالحق [الزمر: ٦٩] وفي قوله: فاحكم بين الناس بالحق [ص: ٢٦] والمعنى على هذا الوجه هو أن الله تعالى قذف ما قذف في قلب الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم. ثم قال تعالى:

[سورة سبإ (٣٤) : آية ٤٩]

قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد (٤٩)

لما ذكر الله أنه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال، ذكر أن ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه أحدها:

أنه القرآن الثاني: أنه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثالث: المعجزات الدالة على نبوة محمد عليه السلام، ويحتمل أن يكون المراد من جاء الحق ظهر الحق لأن كل ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف الحق، وقد بينا أن الحق هو الموجود، ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر، كان حقا لا ينتفي، ولما كان ما يأتون به من الإشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت، وهذا المعنى يفهم من قوله: وما يبدئ الباطل أي الباطل لا يفيد شيئا في الأولى ولا في الآخرة فلا إمكان لوجوده أصلا، والحق المأتي به لا عدم له أصلا، وقيل المراد لا يبدئ الشيطان ولا يعيد، **وفيه معنى لطيف وهو** أن قوله تعالى: قل إن ربي يقذف بالحق لما كان فيه معنى قوله تعالى: بل نقذف بالحق على الباطل." (١)

"فقال تعالى: هل من خالق غير الله إشارة إلى نعمة الإيجاد في الابتداء.

وقال تعالى: يرزقكم من السماء والأرض إشارة إلى نعمة الإبقاء بالرزق إلى الانتهاء.

ثم بين أنه لا إله إلا هو نظرا إلى عظمته حيث هو عزيز حكيم قادر على كل شيء قدير نافذ الإرادة في كل شيء ولا مثل لهذا ولا معبود لذاته غير هذا ونظرا إلى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق إلا هو.

ثم قال تعالى: فأنى تؤفكون أي كيف تصرفون عن هذا الظاهر، فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت.

[سورة فاطر (٣٥) : آية ٤]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير  الرازي، فخر الدين ٢١٦/٢٥

وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور (٤)

ثم لما بين الأصل الأول: وهو التوحيد ذكر الأصل الثاني: وهو الرسالة فقال تعالى: وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك.

ثم بين من حيث الإجمال أن المكذب في العذاب والمكذب له الثواب بقوله تعالى: وإلى الله ترجع الأمور ثم بين الأصل الثالث: وهو الحشر. فقال تعالى:

[سورة فاطر (٣٥) : آية ٥]

يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (٥)

أي الشيطان وقد ذكرنا ما فيه من المعنى اللطيف في تفسير سورة لقمان ونعيده هاهنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخيف الرأي فيغتر بأدنى شيء، وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به ولكن إذا جاءه غار وزين له ذلك الشيء وهون عليه مفاسده، وبين له منافع، يغتر لما فيها من اللذة مع ما ينضم إليه من دعاء ذلك الغار إليه، وقد يكون قوي الجأش غزير العقل فلا يغتر ولا يغر فقال الله تعالى: فلا تغرنكم الحياة الدنيا إشارة إلى الدرجة الأولى، وقال: ولا يغرنكم بالله الغرور إشارة إلى الثانية ليكون واقعا في الدرجة الثالثة وهي العليا فلا يغر ولا يغتر. ثم قال تعالى:

[سورة فاطر (٣٥) : آية ٦]

إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (٦)

لما قال تعالى: ولا يغرنكم بالله الغرور [فاطر: ٥] ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار، وقال: إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله: وقوله: فاتخذوه عدوا أي اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح.

ثم قال تعالى: إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن من يكون له عدو فله في أمره طريقان: أحدهما: أن يعاديه مجازاة له على معاداته والثاني: أن يذهب عداوته بإرضائه، فلما قال الله تعالى: إن الشيطان لكم عدو أمرهم بالعداوة وأشار إلى أن الطريق ليس إلا هذا، وأما الطريق الآخر وهو الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إذا رأيتموه واتبعتموه فهو لا يؤديكم إلا إلى السعير.

واعلم أن من علم أن له عدو لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يقف عنده ويصبر على قتاله والصبر معه الظفر، فكذلك الشيطان لا يقدر الإنسان أن يهرب منه فإنه معه، ولا يزال يتبعه إلا أن يقف له ويهزمه، فهزيمة الشيطان بعزيمة الإنسان، فالطريق الثبات على الجادة والاتكال على العبادة.." (١)

"صورة دليل وعجزت أنا عن القدح فيه، وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر، لأن الساكت المنقطع يقول في الدليل الآخر ما قاله في الأول فلا يجد أمرا إلا اليمين، فيقول والله إني لست مكابرا وإن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٣/٢٦

الأمر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت إليه فههنا يتعين اليمين، فكذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أقام البراهين وقالت الكفرة: ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم ... وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين [سبأ: ٤٣] تعين التمسك بالأيمان لعدم فائدة الدليل الثالث: هو أن هذا ليس مجرد الحلف، وإنما هو دليل خرج في صورة اليمين لأن القرآن معجزة ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقرآن كذلك فإن قيل فلم لم يذكر في صورة الدليل؟ وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين؟ قلنا الدليل أن ذكره «١» في صورة اليمين قد لا يقبل عليه سامع فلا يقبله فؤاده فإذا ابتدئ به على صورة اليمين واليمين لا يقع لا سيما من العظيم الأعلى أمر عظيم والأمر العظيم تتوفر الدواعي على الإصغاء إليه فلصورة اليمين تشرئب إليه الأجسام، ولكونه دليلا شافيا يتشربه الفؤاد فيقع في السمع وينفع في القلب.

المسألة الثانية: كون القرآن حكيما عندهم لكون محمد رسولا، فلهم أن يقولوا إن هذا ليس بقسم، نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما: أن كون القرآن معجزة بين إن أنكروه قيل لهم فأتوا بسورة من مثله والثاني:

أن العاقل لا يثق بيمين غيره إلا إذا حلف بما يعتقد عظمته، فالكافر إن حلف بمحمد لا نصدقه كما نصدقه لو حلف بالصليب والصنم، ولو حلف بديننا الحق لا يوثق بمثل ما يوثق به لو حلف بدينه الباطل وكان من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يعظمون القرآن فحلفه به هو الذي يوجب ثقتهم به. وقوله تعالى:

[سورة يس (٣٦) : آية ٤]

على صراط مستقيم (٤)

خبر بعد خبر أي أنك على صراط مستقيم والمستقيم/ أقرب الطرق الموصلة إلى المقصد والدين كذلك فإنه توجه إلى الله تعالى وتولى عن غيره والمقصد هو الله والمتوجه إلى المقصد أقرب إليه من المولي عنه والمتحرف منه ولا يذهب فهم أحد إلى أن قوله إنك منهم على صراط مستقيم مميز له عن غيره كما يقال إن محمدا من الناس مجتبى لأن جميع المرسلين على صراط مستقيم، وإنما المقصود بيان كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الصراط المستقيم الذي يكون عليه المرسلون وقوله: على صراط مستقيم **فيه معنى لطيف يعلم** منه فساد قول المباحية الذين يقولون المكلف يصير واصلا إلى الحق فلا يبقى عليه تكليف وذلك من حيث إن الله بين أن المرسلين ما داموا في الدنيا فهم سالكون سائحون مهتدون منتهجون إلى السبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل العاجز. وقوله تعالى:

[سورة يس (٣٦) : آية ٥]

تنزيل العزيز الرحيم (٥)

قرئ بالجر على أنه بدل من القرآن كأنه قال: والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم إنك لمن المرسلين لتنذر وقرئ بالنصب وفيه وجهان أحدهما: أنه مصدر فعله منوي كأنه قال نزل تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويكون تقديره نزل القرآن أو الكتاب الحكيم والثاني: أنه مفعول فعل منوي كأنه قال والقرآن الحكيم أعني

(١) في الأصل «أن ذكر لا» ولما كان لا معنى لها فمما لا شك فيه أنها مصحفة عما ذكرناه، لأن كتابة الهاء المربوطة في الخط قريبة من «لا» في الصورة فهي مصحفة عنها.." (١)

"وهو قد آمن دل على أن إنذارهم وإظهارهم بلغ إلى أقصى المدينة وثانيهما: أن ضرب المثل لما كان لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تسلية لقلبه ذكر بعد الفراغ من ذكر الرسل سعي المؤمنين في تصديق رسلهم وصبرهم على ما أوذوا، ووصول الجزاء الأوفى إليهم ليكون ذلك تسلية لقلب أصحاب محمد، كما أن ذكر المرسلين تسلية لقلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي التفسير مسائل:

المسألة الأولى: قوله: وجاء من أقصا المدينة رجل في تنكير الرجل مع أنه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان الأولى: أن يكون تعظيما لشأنه أي رجل كامل في الرجولية/ الثانية: أن يكون مفيدا لظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال إنهم تواطؤا، والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الأصنام وقد آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله، ورأى فيه نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعثته.

المسألة الثانية: قوله: يسعى تبصرة للمؤمنين وهداية لهم، ليكونوا في النصح باذلين جهدهم، وقد ذكرنا فائدة قوله: من أقصى المدينة وهي تبليغهم الرسالة بحيث انتهى إلى من في أقصى المدينة والمدينة هي أنطاكية، وهي كانت كبيرة شاسعة وهي الآن دون ذلك ومع هذا فهي كبيرة وقوله تعالى: قال يا قوم اتبعوا المرسلين **فيه معان لطيفة الأول**: في قوله: يا قوم فإنه ينبئ عن إشفاق عليهم وشفقة فإن إضافتهم إلى نفسه بقوله: يا قوم يفيد أنه لا يريد بهم إلا خيرا، وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعون [غافر: ٣٨] فإن قيل قال هذا الرجل اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعون فما الفرق؟ نقول هذا الرجل جاءهم وفي أول مجيئه نصحهم وما رأوا سيرته، فقال: اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل، وأما مؤمن آل فرعون فكان فيهم واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الإيمان بموسى وهارون عليهما السلام، واعلموا أنه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وأنتم تعلمون أني اخترته، ولم يكن للرجل الذي جاء من أقصى المدينة أن يقول أنتم تعلمون اتباعي لهم الثاني: جمع بين إظهار النصيحة وإظهار إيمانه فقوله: اتبعوا نصيحة وقوله: المرسلين إظهار أنه آمن الثالث: قدم إظهار النصيحة على إظهار الإيمان لأنه كان ساعيا في النصح، وأما الإيمان فكان قد آمن من قبل وقوله: رجل يسعى يدل على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته أنه كان يقتل وهو يقول: «اللهم اهد قومي» . ثم قال تعالى:

[سورة يس (٣٦) : آية ٢١]

اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون (٢١)

وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث إنه لما قال: اتبعوا المرسلين كأنهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لا شك أن الخلق في الدنيا سالكون طريقة وطالبون للاستقامة، والطريق إذا حصل فيه دليل يدل يجب اتباعه، والامتناع من الاتباع لا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥٢/٢٦

يحسن إلا عند أحد أمرين، إما مغالاة الدليل في طلب الأجرة، وإما عند عدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفته الطريق، لكن هؤلاء لا يطلبون أجرة وهم مهتدون عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة إلى الحق، فهب أنهم ليسوا بمرسلين هادين، أليسوا بمهتدين، فاتبعوهم.

[سورة يس (٣٦) : آية ٢٢]

وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون (٢٢)

ثم قال تعالى: وما لي لا أعبد الذي فطرني لما قال: وهم مهتدون [يس: ٢١] بين ظهور." (١)

"اهتدائهم بأنهم يدعون من عبادة الجماد إلى عبادة الحي القيوم، ومن عبادة ما لا ينفع إلى عبادة من منه كل نفع وفيه لطائف: الأولى قوله: ما لي أي ما لي مانع من جانبي. إشارة إلى أن الأمر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه، فمن يمتنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم/ عبدته، وفي العدول عن مخاطبة القوم إلى حال نفسه حكمة أخرى ولطيفة ثانية: وهي أنه لو قال مالكم لا تعبدون الذي فطركم، لم يكن في البيان مثل قوله: وما لي لأنه لما قال: وما لي وأحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل أحد أنه لا يطلب العلة وبيانها من أحد لأنه أعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع، وأما لو قال: (ما لكم) جاز أن يفهم منه أنه يطلب بيان العلة لكون غيره أعلم بحال نفسه، فإن قيل قال الله: ما لكم لا ترجون لله وقارا [نوح: ١٣] نقول القائل هناك غير مدعو، وإنما هو داع وهاهنا الرجل مدعو إلى الإيمان فقال: وما لي لا أعبد وقد طلب مني ذلك الثانية: قوله: الذي فطرني إشارة إلى وجود المقتضى، فإن قوله: وما لي إشارة إلى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضى، فقوله: الذي فطرني ينبئ عن الاقتضاء، فإن الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك إكرامه وتعظيمه، ومنعم بالإيجاد والمنعم يجب على المنعم شكر نعمته الثالثة: قدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضى مع أن المستحسن تقديم المقتضى حيث وجد المقتضي ولا مانع فيوجد لأن المقتضى لظهوره كان مستغنيا عن البيان رأسا فلا أقل من تقديم ما هو أولى بالبيان لوجود الحاجة إليه الرابعة: اختار من الآيات فطرة نفسه لأنه لما قال: وما لي لا أعبد بإسناد العبادة إلى نفسه اختار ما هو أقرب إلى إيجاب العبادة على نفسه، وبيان ذلك هو أن خالق عمرو يجب على زيد عبادته لأن من خلق عمرا لا يكون إلا كامل القدرة شامل العلم واجب الوجود وهو مستحق للعبادة بالنسبة إلى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد أظهر إيجابا.

واعلم أن المشهور في قوله: فطرني خلقني اختراعا وابتداعا، والغريب فيه أن يقال: فطرني أي جعلني على الفطرة كما قال الله تعالى: فطرت الله التي فطر الناس عليها [الروم: ٣٠] وعلى هذا فقوله:

وما لي لا أعبد أي لم يوجد في مانع فأنا باق على فطرة ربي الفطرة كافية في الشهادة والعبادة فإن قيل فعلى هذا يختلف معنى الفطر في قوله: فاطر السماوات [الأنعام: ١٤] فنقول قد قيل بأن فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالمحذور لازم أو نقول المعنى فيهما واحد كأنه قال فطر المكلف على فطرته وفطر السموات على فطرتها والأول من التفسير أظهر.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦٣/٢٦

وقوله تعالى: وإليه ترجعون إشارة إلى الخوف والرجاء كما قال: ادعوه خوفا وطمعا [الأعراف: ٥٦] وذلك لأن من يكون إليه المرجع يخاف منه ويرجى وفيه أيضا معنى لطيف وهو أن العابد على أقسام ثلاثة ذكرناها مرارا فالأول: عابد يعبد الله، لكونه إلها مالكا سواء أنعم بعد ذلك أو لم ينعم، كالعبد الذي يجب عليه خدمة سيده سواء أحسن إليه أو أساء والثاني: عابد يعبد/ الله للنعمة الواصلة إليه والثالث: عابد يعبد الله خوفا مثال الأول من يخدم الجواد، ومثال الثاني من يخدم الغاشم فجعل القائل نفسه من القسم الأعلى وقال: وما لي لا أعبد الذي فطرني أي هو مالكي أعبده لأنظر إلى ما سيعطيني ولأنظر إلى أن لا يعذبني وجعلهم دون ذلك فقال: وإليه ترجعون أي خوفكم منه ورجاؤكم فيه فكيف لا تعبدونه، ولهذا لم يقل وإليه أرجع كما قال فطرني لأنه صار عابدا من القسم الأول فرجوعه إلى الله لا يكن إلا للإكرام وليس سبب عبادته ذلك بل غيره.." (١)

"أصناف ولها أشباه هي واقعة تحت أجناس الأعراض فتكون من الكل الذي قال الله فيها إنه خلق الأزواج كلها، لا يقال مما تنبت الأرض، يخرج الكلام عن العموم لأن من قال أعطيت زيدا كل ما كان لي يكون للعموم إن اقتصر عليه، فإذا قال بعده من الثياب لا يبقى الكلام على عمومه لأنا نقول ذلك إذا كانت من لبيان التخصيص، أما إذا كانت لتأكيد العموم فلا، بدليل أن من قال أعطيته كل شيء من الدواب والثياب والعبيد والجواري يفهم منه أنه يعدد الأصناف لتأكيد العموم ويؤيد هذا قوله تعالى في حم: الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون [الزخرف: ١٢] من غير تقييد.

المسألة الثانية: ذكر الله تعالى أمورا ثلاثة ينحصر فيها المخلوقات فقوله: مما تنبت الأرض يدخل فيها ما في الأرض من الأمور الظاهرة كالنبات والثمار وقوله: ومن أنفسهم يدخل فيها الدلائل النفسية وقوله: ومما لا يعلمون يدخل ما في أقطار السموات وتخوم الأرضين وهذا دليل على أنه لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل أن الأنعام مما خلقها الله والمعادن لم يذكرها وإنما ذكر الأشياء لتأكيد معنى العموم كما ذكرنا في المثال.

المسألة الثالثة: قوله ومما لا يعلمون فيه معنى لطيف وهو أنه تعالى إنما ذكر كون الكل مخلوقا لينزه الله عن الشريك فإن المخلوق لا يصلح شريكا للخلق، لكن التوحيد الحقيقي لا يحصل إلا بالاعتراف بأن لا إله إلا الله، فقال تعالى اعلموا أن المانع من التشريك فيما تعلمون وما لا تعلمون لأن الخلق عام والمانع من الشركة الخلق فلا تشركوا بالله شيئا مما تعلمون فإنكم تعلمون أنه مخلوق ومما لا تعلمون فإنه عند الله كله مخلوق لكون كله ممكنا. ثم قال تعالى:

[سورة يس (٣٦) : آية ٣٧]

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (٣٧)

لما استدل الله بأحوال الأرض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فإن دلالة المكان والزمان مناسبة لأن المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الأعراض، لأن كل عرض فهو في زمان ومثله مذكور في قوله

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦/٢٦٤

تعالى: ومن آياته الليل والنهار/ والشمس والقمر [فصلت: ٣٧] ثم قال بعده: ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت [فصلت: ٣٩] حيث استدل بالزمان والمكان هناك أيضا، لكن المقصود أولا هناك إثبات الوحدانية بدليل قوله تعالى: لا تسجدوا للشمس [فصلت: ٣٧] ثم الحشر بدليل قوله تعالى: إن الذي أحياها لمحي الموتى [فصلت: ٣٩] وهاهنا المقصود أولا إثبات الحشر لأن السورة فيها ذكر الحشر أكثر، يدل عليه النظر في السورة، وهناك ذكر التوحيد أكثر بدليل قوله تعالى فيه: قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين [فصلت: ٩] إلى غيره وآخر السورتين يبين الأمر، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المكان يدفع عن أهل السنة شبه الفلاسفة، والزمان يدفع عنهم شبه المشبهة.

أما بيان الأول: فذلك لأن الفلسفي يقول لو كان عدم العالم قبل وجوده لكان عند فرض عدم العالم قبل، وقبل وبعد لا يتحقق إلا بالزمان، فقبل العالم زمان والزمان من جملة العالم فيلزم وجود الشيء عند عدمه وهو محال، فنقول لهم قد وافقتمونا على أن الأمكنة متناهية، لأن الأبعاد متناهية بالاتفاق، فإذن فوق السطح الأعلى." (١)

"ثم بين حال المحسن وقال:

[سورة يس (٣٦) : الآيات ٥٥ الى ٥٧]

إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (٥٥) هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكؤن (٥٦) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون (٥٧)

وقوله: في شغل يحتمل وجوها: أحدهما: في شغل عن هول اليوم بأخذ ما آتاهم الله من الثواب، فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب، وقوله: فاكهون يكون متمما لبيان سلامتهم فالله لو قال:

في شغل جاز أن يقال هم في شغل عظم من التفكر في اليوم وأهواله، فإن من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه أمر من أموره ويخبر بخسران وقع في ماله، يقول أنا مشغول عن هذا بأهم منه، فقال: فاكهون أي شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وثانيها: أن يكون ذلك بيانا لحالهم ولا يريد أنهم شغلوا عن شيء بل يكون معناه هم في عمل، ثم بين عملهم بأنه ليس بشاق، بل هو ملذ محبوب وثالثها: في شغل عما توقعوه فإنهم تصوروا في الدنيا أمورا وقالوا نحن إذا دخلنا الجنة لا نطلب إلا كذا وكذا، فرأوا ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به، وفيه وجوه: غير هذه ضعيفة أحدها: قيل افتضاض الأبكار وهذا ما ذكرناه في الوجه الثالث أن الإنسان/ قد يترجح في نظره الآن مداعبة الكواعب فيقول في الجنة ألتذ بها، ثم إن الله ربما يؤتيه ما يشغله عنها وثانيها قيل في ضرب الأوتار وهو من قبيل ما ذكرناه توهم وثالثها في التزاور ورابعها: في ضيافة الله وهو قريب مما قلنا لأن ضيافة الله تكون بألذ ما يمكن وحينئذ تشغله تلك عما توهمه في دنياه وقوله: فاكهون خبر إن، وفي شغل بيان ما فكاهتهم فيه يقال زيد على عمله مقبل، وفي بيته جالس فلا يكون الجار والمجرور خبرا ولو نصبت جالسا لكان الجار والمحرور خبرا. وكذلك لو قال في شغل فاكهين لكان معناه أصحاب الجنة مشغولون فاكهين على الحال وقرئ

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧٥/٢٦

بالنصب والفاكه «١» الملتذ المتنعم به ومنه الفاكهة لأنها لا تكون في السعة إلا للذة فلا تؤكل لدفع ألم الجوع، وفيه معنى لطيف. وهو أنه أشار بقوله: في شغل عن عدمهم الألم فلا ألم عندهم، ثم بين بقوله: فاكهون عن وجدانهم اللذة وعادم الألم قد لا يكون واجدا للذة. فبين أنهم على أتم حال ثم بين الكمال بقوله: هم وأزواجهم وذلك لأن من يكون في لذة قد تتنغص عليه بسبب تفكره في حال من يهمه أمره فقال: هم وأزواجهم أيضا فلا يبقى لهم تعلق قلب، وأما من في النار من أقاربهم وإخوانهم فيكونون هم عنهم في شغل، ولا يكون منهم عندهم ألم ولا يشتهون حضورهم والأزواج يحتمل وجهين: أحدهما: أشكالهم في الإحسان وأمثالهم في الإيمان كما قال تعالى: من شكله أزواج [ص: ٥٨] ، وثانيهما: الأزواج هم المفهومون من زوج المرأة وزوجة الرجل كما في قوله تعالى: إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم [المعارج: ٣٠] وقوله تعالى: ويذرون أزواجا [البقرة: ٢٣٤] فإن المراد ليس هو الأشكال، وقوله: في ظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة والمراد به الوقاية عن مكان الألم، فإن الجالس تحت كن لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعدا لدفع الألم، فكذلك لهم من ظل الله ما يقيهم الأسواء، كما قال تعالى: لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب [فاطر: ٣٥] وقال: لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا

---

(١) في طبعة بولاق «والفاكهة» وهو خطأ واضح، والفاكه اسم فاعل من فكه والتفكه التمتع والتعجب، والفاكهة المزاح.."
(١)

"إشارة إلى الحشر بعد تقرير التوحيد، وهذا كقوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: ٩٨] وقوله: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم [الصافات: ٢٢، ٢٣] وقوله: فأولئك في العذاب محضرون [سبأ: ٣٨] وهو يحتمل معنيين أحدهما: أن يكون العابدون جندا لما اتخذوه آلهة كما ذكرنا الثاني: أن يكون الأصنام جندا للعابدين، وعلى هذا **ففيه معنى لطيف وهو** أنه تعالى لما قال: لا يستطيعون نصرهم أكدها بأنهم لا يستطيعون نصرهم حال ما يكونون جندا لهم ومحضرون لنصرتهم فإن ذلك دال على عدم الاستطاعة، فإن من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يكن متأهبا ولم يجمع أنصاره.

[سورة يس (٣٦) : الآيات ٧٦ الى ٧٩]

فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون (٧٦) أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٧٧) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩)

وقوله تعالى: فلا يحزنك قولهم إشارة إلى الرسالة لأن الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه دليل اجتبائه واختياره إياه.

وقوله تعالى: إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون يحتمل وجوها أحدها: أن يكون ذلك تهديدا للمنافقين والكافرين فقوله: ما

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦/٢٩٤

يسرون من النفاق وما يعلنون من الشرك والثاني: ما يسرون من العلم بك وما يعلنون من الكفر بك الثالث: ما يسرون من العقائد الفاسدة وما يعلنون من الأفعال القبيحة.

ثم إنه تعالى لما ذكر دليلا من الآفاق على وجوب عبادته بقوله: أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما [يس: ٧١] ذكر دليلا من الأنفس. فقال: أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة

قيل إن المراد بالإنسان أبي بن خلف فإن الآية وردت فيه حيث أخذ عظما باليا وأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: إنك تقول إن إلهك يحيي هذه العظام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم ويدخلك جهنم،

وقد ثبت في أصول الفقه أن الاعتبار بعموم اللفظ/ لا بخصوص السبب ألا ترى أن قوله تعالى: قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها [المجادلة: ١] نزلت في واحدة وأراد الكل في الحكم فكذلك كل إنسان ينكر الله أو الحشر فهذه الآية رد عليه إذا علمت عمومها فنقول فيها لطائف:

اللطيفة الأولى: قوله: أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا [يس: ٧١] معناه الكافرون المنكرون التاركون عبادة الله المتخذون من دونه آلهة، أو لم يروا خلق الأنعام لهم وعلى هذا فقوله تعالى: أولم ير الإنسان كلام أعم من قوله: أولم يروا لأنه مع جنس الإنسان وهو مع جمع منهم فنقول سبب ذلك أن دليل الأنفس أشمل وأكمل وأتم وألزم، فإن الإنسان قد يغفل عن الأنعام وخلقها عند غيبتها ولكن [لا يغفل] هو مع نفسه متى ما يكون وأينما يكون. فقال: إن غاب عن الحيوان وخلقه فهو لا يغيب عن نفسه، فما باله أو لم ير أنا خلقناه من نطفة وهو أتم نعمة، فإن سائر النعم بعد وجوده وقوله: من نطفة إشارة إلى وجه الدلالة." (١)

"يبايعونك تحت الشجرة

[الفتح: ١٨] فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله ثالثها: هو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم أطلعه الله على باطنهم وأظهر له نفاقهم وأنه يريد أن يعاقبهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا [التوبة: ٨٣] فأرادوا أن يبدلوا ذلك الكلام بالخروج معه، لا يقال فالآية/ التي ذكرتم واردة في غزوة تبوك لا في هذه الواقعة، لأنا نقول قد وجد هاهنا بقوله لن تتبعونا على صيغة النفي بدلا عن قوله: لا تتبعونا، على صيغة **النهي معنى لطيف وهو** أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى على إخبار الله تعالى عنهم النفي لوثوقه وقطعه بصدقه فجزم وقال: لن تتبعونا يعني لو أذنتكم ولو أردتم واخترتم لا يتم لكم ذلك لما أخبر الله تعالى.

ثم قال تعالى: فسيقولون بل تحسدوننا.

ردا على قوله تعالى: كذلكم قال الله من قبل كأنهم قالوا: ما قال الله كذلك من قبل، بل تحسدوننا، وبل للإضراب والمضروب عنه محذوف في الموضعين، أما هاهنا فهو بتقدير ما قال الله وكذلك، فإن قيل بماذا كان الحسد في اعتقادهم؟ نقول كأنهم قالوا نحن كنا مصيبين في عدم الخروج حيث رجعوا من الحديبية من غير حاصل ونحن استرحنا، فإن خرجنا معهم ويكون فيه غنيمة يقولون هم غنموا معنا ولم يتعبوا معنا.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٠٧/٢٦

ثم قال تعالى ردا عليهم كما ردوا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا أي لم يفقهوا من قولك لا تخرجوا إلا ظاهر النهي ولم يفهموا من حكمه إلا قليلا فحملوه على ما أرادوه وعللوه بالحسد. ثم قال تعالى:

[سورة الفتح (٤٨) : آية ١٦]

قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما (١٦)

لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: قل لن تتبعونا [الفتح: ١٥] وقال: فقل لن تخرجوا معي أبدا [التوبة: ٨٣] فكان المخلفون جمعا كثيرا، من قبائل متشعبة، دعت الحاجة إلى بيان قبول توبتهم فإنهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق، بل منهم من حسن حاله وصلح باله فجعل لقبول توبتهم علامة، وهو أنهم يدعون إلى قتال قوم أولي بأس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من أداء الزكاة ثم أتى بها ولم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه أحد من الصحابة، كذلك كان يستمر حال هؤلاء لولا أنه تعالى بين أنهم يدعون فإن كانوا يطيعون يؤتون الأجور الحسن وما كان أحد من الصحابة يتركهم يتبعونه، والفرق بين حال ثعلبة/ وبين حال هؤلاء من وجهين أحدهما: أن ثعلبة جاز أن يقال حاله لم يكن يتغير في علم الله، فلم يبين لتوبته علامة، والأعراب تغيرت، فإن بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من المنافقين على النفاق أحد على مذهب أهل السنة وثانيهما: أن الحاجة إلى بيان حال الجمع الكثير والجم الغفير أمس، لأنه لولا البيان لكان يفضي الأمر إلى قيام الفتنة بين فرق المسلمين، وفي قوله ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد وجوه أشهرها وأظهرها أنهم بنو حنيفة حيث تابعوا مسيلمة وغزاهم أبو بكر وثانيها: هم فارس والروم غزاهم عمر ثالثها:

هوازن وثقيف غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوى الوجوه هو أن الدعاء كان من النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان الأظهر غيره، أما الدليل على قوة هذا الوجه هو أن أهل السنة اتفقوا على أن أمر العرب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ولم يبق إلا كافر مجاهر، أو مؤمن تقي طاهر، وامتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة على موتى المنافقين، وترك المؤمنون مخالطتهم حتى." (١)

"بإحدى اليدين لا تعمهما والآفة النازلة بالعين الواحدة تعم العينين لأن منبع النور واحد وهما متجاذبان والوجود يفرق بينهما، فإن الأعمى كثير الوجود ومقطوع اليدين نادر.

المسألة الثالثة: قدم الآفة في الآلة على الآفة في القوة، لأن الآفة في القوة تزول وتطرأ، والآفة في الآلة إذ طرأت لا تزول، فإن الأعمى لا يعود بصيرا فالعذر في محل الآلة أتم.

المسألة الرابعة: قدم الأعمى على الأعرج، لأن عذر الأعمى يستمر ولو حضر القتال، والأعرج إن حضر راكبا أو بطريق آخر يقدر على القتال بالرمي وغيره.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٦/٢٨

[سورة الفتح (٤٨) : الآيات ١٨ الى ١٩]

لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (١٨) ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما (١٩)

اعلم أن طاعة كل واحد منهما طاعة الآخر فجمع بينهما بيانا لطاعة الله، فإن الله تعالى لو قال: ومن يطع الله، كان لبعض الناس أن يقول: نحن لا نرى الله ولا نسمع كلامه، فمن أين نعلم أمره حتى نطيعه؟ فقال طاعته في طاعة رسوله وكلامه يسمع من رسوله.

ثم قال: ومن يتول أي بقلبه، ثم لما بين حال المخلفين بعد قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله [الفتح: ١٠] عاد إلى بيان حالهم وقال: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض فأنزل السكينة عليهم حتى بايعوا على الموت، **وفيه معنى لطيف وهو** أن الله تعالى قال قبل هذه الآية ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات [الفتح: ١٧] فجعل طاعة الله والرسول علامة لإدخال الله الجنة في تلك الآية، وفي هذه الآية بين أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان، أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين وأما طاعة الرسول فبقوله إذ يبايعونك تحت الشجرة بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى:

لقد رضي الله عن المؤمنين لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة كما قال تعالى: ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم [المجادلة: ٢٢] .

ثم قال تعالى: فعلم ما في قلوبهم والفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لأنه علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم؟ نقول قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله إذ يبايعونك تحت الشجرة كما يقول القائل فرحت أمس إذ كلمت زيدا فقام إلي، أو إذ دخلت عليه فأكرمني، فيكون الفرح بعد الإكرام ترتيبا كذلك، هاهنا قال تعالى: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة إلى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب، بل عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم، والفاء في قوله فأنزل السكينة عليهم/ للتعقيب الذي ذكرته فإنه تعالى رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم، وفي علم بيان وصف المبايعة بكونها معقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم وهذا توفيق لا يتأتى إلا لمن هداه الله تعالى إلى معاني كتابه الكريم وقوله تعالى: وأثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر ومغانم كثيرة يأخذونها مغانمها وقيل مغانم هجر وكان الله عزيزا كامل القدرة غنيا عن إعانتكم إياه." [١]

"حكيما حيث جعل هلاك أعدائه على أيديكم ليثيبكم عليه أو لأن في ذلك إعزاز قوم وإذلال آخرين، فإنه يذل من يشاء بعزته ويعز من يشاء بحكمته.

[سورة الفتح (٤٨) : آية ٢٠]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٩/٢٨

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما (٢٠)

إشارة إلى أن ما أتاهم من الفتح والمغانم ليس هو كل الثواب بل الجزاء قدامهم، وإنما هي لعاجلة عجل بها، وفي المغانم الموعود بها أقوال، أصحها أنه وعدهم مغانم كثيرة من غير تعيين وكل ما غنموه كان منها والله كان عالما بها، وهذا كما يقول الملك الجواد لمن يخدمه: يكون لك مني على ما فعلته الجزاء إن شاء الله، ولا يريد شيئا بعينه، ثم كل ما يأتي به ويؤتيه يكون داخلا تحت ذلك الوعد، غير أن الملك لا يعلم تفاصيل ما يصل إليه وقت الوعد، والله عالم بها، وقوله تعالى: وكف أيدي الناس عنكم لإتمام المنة، كأنه قال رزقتكم غنيمة باردة من غير مس حر القتال ولو تعبتم فيه لقلتم هذا جزاء تعبنا، وقوله تعالى: ولتكون آية للمؤمنين عطف على مفهوم لأنه لما قال الله تعالى: فعجل لكم هذه واللام ينبئ عن النفع كما أن على ينبئ عن الضر القائل لا علي ولا ليا بمعنى لا ما أتضرر به ولا ما أنتفع به ولا أضر به ولا أنفع، فكذلك قوله فعجل لكم هذه لتنفعكم ولتكون آية للمؤمنين **وفيه معنى لطيف وهو** أن المغانم الموعود بها كل ما يأخذه المسلمون فقوله ولتكون آية للمؤمنين يعني لينفعكم بها وليجعلها لمن بعدكم آية تدلهم على أن ما وعدهم الله يصل إليهم كما وصل إليكم، أو نقول: معناه لتنفعكم في الظاهر وتنفعكم في الباطن حيث يزداد يقينكم إذا رأيتم صدق الرسول في إخباره عن الغيوب فتجمل أخباركم ويكمل اعتقادكم، وقوله ويهديكم صراطا مستقيما وهو التوكل عليه والتفويض إليه والاعتزاز به.

[سورة الفتح (٤٨) : آية ٢١]

وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا (٢١)

قيل غنيمة هوازن، وقيل غنائم فارس والروم وذكر الزمخشري في أخرى ثلاثة أوجه أن تكون منصوبة بفعل مضمر يفسره قد أحاط ولم تقدروا عليها صفة لأخرى كأنه يقول وغنيمة أخرى غير مقدورة قد أحاط الله بها ثانيها: أن تكون مرفوعة، وخبرها قد أحاط الله بها وحسن جعلها مبتدأ مع كونه نكرة لكونها موصوفة بلم تقدروا وثالثها: الجز بإضمار رب ويحتمل أن يقال منصوبة بالعطف على منصوب وفيه وجهان أحدهما: كأنه تعالى قال: فعجل لكم هذه وأخرى ما قدرتم عليها وهذا ضعيف لأن أخرى لم يعجل بها وثانيهما: على مغانم كثيرة تأخذونها، وأخرى أي وعدكم الله أخرى، وحينئذ كأنه قال: وعدكم الله مغانم تأخذونها ومغانم لا تأخذونها أنتم ولا تقدرون عليها، وإنما يأخذها من يجيء بعدكم من المؤمنين وعلى هذا تبين لقول الفراء حسن، وذلك لأنه فسر قوله تعالى: قد أحاط الله بها أي حفظها للمؤمنين لا يجري عليها هلاك إلى أن يأخذها المسلمون كإحاطة الحراس بالخزائن.

[سورة الفتح (٤٨) : آية ٢٢]

ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا (٢٢)

وهو يصلح جوابا لمن يقول: كف الأيدي عنهم كان أمرا اتفاقيا، ولو اجتمع عليهم العرب كما عزموا." [1]

"فأنزل تفسير لذلك الإحسان كما يقال أكرمني فأعطاني لتفسير الإكرام وثانيهما: أن تكون الفاء للدلالة على أن تعلق إنزال السكينة بجعلهم الحمية في قلوبهم على معنى المقابلة، تقول أكرمني فأثنيت عليه، ويجوز أن يكونا فعلين واقعين من غير مقابلة، كما تقول جاءني زيد وخرج عمرو، وهو هنا كذلك لأنهم لما جعلوا في قلوبهم الحمية فالمسلمون على مجرى العادة لو نظرت إليهم لزم أن يوجد منهم أحد الأمرين: إما إقدام، وإما انهزام لأن أحد العدوين إذا اشتد غضبه فالعدو الآخر إن كان مثله في القوة يغضب أيضا وهذا يثير الفتن، وإن كان أضعف منه ينهزم أو ينقاد له فالله تعالى أنزل في مقابلة حمية الكافرين على المؤمنين سكينته حتى لم يغضبوا ولم ينهزموا بل يصبروا، وهو بعيد في العادة فهو من فضل الله تعالى، قوله تعالى: على رسوله وعلى المؤمنين فإنه هو الذي أجاب الكافرين إلى الصلح، وكان في نفس المؤمنين أن لا

يرجعوا إلا بأحد الثلاثة بالنحر في المنحر، وأبوا أن/ لا يكتبوا محمدا رسول الله وبسم الله، فلما سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المؤمنون، وقوله تعالى: وألزمهم كلمة التقوى فيه وجوه أظهرها أنه قول لا إله إلا الله فإن بها يقع الاتقاء عن الشرك، وقيل هو بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله فإن الكافرين أبوا ذلك والمؤمنون التزموه، وقيل هي الوفاء بالعهد إلى غير ذلك ونحن توضح فيه ما يترجح بالدليل فنقول وألزمهم يحتمل أن يكون عائدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا يعني ألزم النبي والمؤمنين كلمة التقوى، ويحتمل أن يكون عائدا إلى المؤمنين فحسب، فإن قلنا إنه عائد إليهما جميعا نقول هو الأمر بالتقوى فإن الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين [الأحزاب: ١] وقال للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته [آل عمران: ١٠٢] والأمر بتقوى الله حتى تذهله تقواه عن الالتفات إلى ما سوى الله، كما قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله ولا تطع الكافرين وقال تعالى: وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه [الأحزاب: ٣٧] ثم بين له حال من صدقه بقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله [الأحزاب: ٣٩] أما في حق المؤمنين فقال:

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال: فلا تخشوهم واخشوني [البقرة: ١٥٠] وإن قلنا بأنه راجع إلى المؤمنين فهو قوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [الحشر: ٧] ألا ترى إلى قوله واتقوا الله [الحجرات: ١] وهو قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وفي معنى قوله تعالى: وألزمهم كلمة التقوى على **هذا معنى لطيف وهو** أنه تعالى إذا قال: (اتقوا) يكون الأمر واردا ثم إن من الناس من يقبله بتوفيق الله ويلتزمه ومنهم من لا يلتزمه، ومن التزمه فقد التزمه بإلزام الله إياه فكأنه قال تعالى: وألزمهم كلمة التقوى وفي هذا المعنى رجحان من حيث إن التقوى وإن كان كاملا ولكنه أقرب إلى الكلمة، وعلى هذا فقوله وكانوا أحق بها وأهلها معناه أنهم كانوا عند الله أكرم الناس فألزموا تقواه، وذلك لأن قوله تعالى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: ١٣] يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون معناه أن من يكون تقواه أكثر يكرمه الله أكثر والثاني: أن يكون معناه أن من سيكون أكرم عند الله وأقرب إليه كان أتقى، كما

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٨/ ٨٠

في قوله «والمخلصون على خطر عظيم»

وقوله تعالى: هم من خشية ربهم مشفقون [المؤمنون: ٥٧] وعلى الوجه الثاني يكون معنى قوله وكانوا أحق بها لأنهم كانوا أعلم بالله لقوله تعالى:

إنما يخشى الله من عباده العلماء [فاطر: ٢٨] وقوله وأهلها يحتمل وجهين أحدهما: أنه يفهم من معنى الأحق أنه يثبت رجحانا على الكافرين إن لم يثبت الأهلية، كما لو اختار الملك اثنين لشغل وكل واحد منهما غير صالح له ولكن أحدهما أبعد عن الاستحقاق فقال في الأقرب إلى الاستحقاق إذا كان ولا بد فهذا أحق، كما." (١)

"تأكيدا لبيان صدق الله في رسوله الرؤيا، وذلك لأنه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي، لا يريد ما لا يكون مهديا للناس فيظهر خلافه، فيقع ذلك سببا للضلال، ويحتمل وجوها أقوى من ذلك، وهو أن الرؤيا بحيث توافق الواقع تقع لغير الرسل، لكن رؤية الأشياء قبل وقوعها في اليقظة لا تقع لكل أحد فقال تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في اليقظة، ولا يبعد من أن يريه في المنام ما يقع فلا استبعاد في صدق رؤياه، وفيها أيضا بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى: ليظهره على الدين كله أي من يقويه على الأديان لا يستبعد منه فتح مكة له و (الهدى) يحتمل أن يكون هو القرآن كما قال تعالى: أنزل فيه القرآن هدى للناس [البقرة: ١٨٥] وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الأصول والفروع، ويحتمل أن يكون الهدى هو المعجزة أي أرسله بالحق أي مع الحق إشارة إلى ما شرع، ويحتمل أن يكون الهدى هو الأصول ودين الحق هو الأحكام، وذلك لأن من الرسل من لم يكن له أحكام بل بين الأصول فحسب، والألف واللام في الهدى يحتمل أن تكون للاستغراق أي كل ما هو هدى، ويحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى:

ذلك هدى الله يهدي به من يشاء [الزمر: ٢٣] وهو إما القرآن لقوله تعالى: كتابا متشابها مثاني تقشعر إلى أن قال: ذلك هدى الله يهدي به من يشاء [الزمر: ٢٣] وإما ما اتفق عليه الرسل لقوله تعالى: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [الأنعام: ٩٠] والكل من باب واحد لأن ما في القرآن موافق لما اتفق/ عليه الأنبياء وقوله تعالى: ودين الحق يحتمل وجوها: أحدها: أن يكون الحق اسم الله تعالى فيكون كأنه قال:

بالهدى ودين الله، وثانيها: أن يكون الحق نقيض الباطل فيكون كأنه قال: ودين الأمر الحق وثالثها: أن يكون المراد به الانقياد إلى الحق والتزامه ليظهره أي أرسله بالهدى وهو المعجز على أحد الوجوه ليظهره على الدين كله أي جنس الدين، فينسخ الأديان دون دينه، وأكثر المفسرين على أن الهاء في قوله ليظهره راجعة إلى الرسول، والأظهر أنه راجع إلى دين الحق أي أرسل الرسول بالدين الحق ليظهره أي ليظهر الدين الحق على الأديان، وعلى هذا فيحتمل أن يكون الفاعل للإظهار هو الله، ويحتمل أن يكون هو النبي أي ليظهر النبي دين الحق، وقوله تعالى: وكفى بالله شهيدا أي في أنه رسول الله وهذا مما يسلي قلب المؤمنين فإنهم تأذوا من رد الكفار عليهم العهد المكتوب، وقالوا لا نعلم أنه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله، فقال تعالى: وكفى بالله شهيدا في أنه رسول الله، **وفيه معنى لطيف وهو** أن قول الله مع أنه كاف في كل شيء، لكنه في الرسالة أظهر كفاية، لأن الرسول لا يكون إلا بقول المرسل، فإذا قال ملك هذا رسولي، لو

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٥/٢٨

أنكر كل من في الدنيا أنه رسول فلا يفيد إنكارهم فقال تعالى أي خلل في رسالته بإنكارهم مع تصديقي إياه بأنه رسولي، وقوله محمد رسول الله فيه وجوه أحدها: خبر مبتدأ محذوف تقديره هو محمد الذي سبق ذكره بقوله أرسل رسوله ورسول الله عطف بيان وثانيها: أن محمدا مبتدأ خبره رسول الله وهذا تأكيد لما تقدم لأنه لما قال: هو الذي أرسل رسوله ولا تتوقف رسالته إلا على شهادته، وقد شهد له بها محمد رسول الله من غير نكير وثالثها: وهو مستنبط وهو أن يقال محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان سيق للمدح لا للتمييز والذين معه عطف على محمد، وقوله أشداء خبره، كأنه تعالى قال: والذين معه جميعهم أشداء على الكفار رحماء بينهم لأن وصف الشدة والرحمة وجد في جميعهم، أما في المؤمنين فكما في قوله تعالى: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين [المائدة: ٥٤] وأما في حق النبي صلى الله عليه وسلم فكما في قوله واغلظ عليهم." (١)

"[التوبة: ٧٣] وقال في حقه بالمؤمنين رؤف رحيم [التوبة: ١٢٨] وعلى هذا قوله تراهم لا يكون خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم بل يكون عاما أخرج مخرج الخطاب تقديره أيها السامع كائنا من كان، كما قلنا إن الواعظ يقول انتبه قبل أن يقع الانتباه ولا يريد به واحدا بعينه، وقوله تعالى: يبتغون فضلا من الله ورضوانا لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم، وركوع المرائي وسجوده، فإنه لا يبتغي به ذلك. وفيه إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن الله تعالى قال الراكعون والساجدون ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله [فاطر: ٣٠] وقال الراكع يبتغي الفضل ولم يذكر الأجر لأن الله تعالى إذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضلا، وإشارة إلى أن عملكم جاء على ما طلب الله منكم، لأن الأجرة لا تستحق إلا على العمل الموافق للطلب من المالك، والمؤمن إذا قال أنا أبتغي فضلك يكون منه اعترافا/ بالتقصير فقال: يبتغون فضلا من الله ولم يقل أجرا.

وقوله تعالى: سيماهم في وجوههم من أثر السجود فيه وجهان أحدهما: أن ذلك يوم القيامة كما قال تعالى: يوم تبيض وجوه [آل عمران: ١٠٦] وقال تعالى: نورهم يسعى [التحريم: ٨] وعلى هذا فنقول نورهم في وجوههم بسبب توجههم نحو الحق كما قال إبراهيم عليه السلام: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض [الأنعام: ٧٩] ومن يحاذي الشمس يقع شعاعها على وجهه، فيتبين على وجهه النور منبسطا، مع أن الشمس لها نور عارضي يقبل الزوال، والله نور السماوات والأرض فمن يتوجه إلى وجهه يظهر في وجهه نور يبهر الأنوار وثانيهما: أن ذلك في الدنيا وفيه وجهان أحدهما: أن المراد ما يظهر في الجباه بسبب كثرة السجود والثاني: ما يظهره الله تعالى في وجوه الساجدين ليلا من الحسن نهارا، وهذا محقق لمن يعقل فإن رجلين يسهران بالليل أحدهما قد اشتغل بالشراب واللعب والآخر قد اشتغل بالصلاة والقراءة واستفادة العلم فكل أحد في اليوم الثاني يفرق بين الساهر في الشرب واللعب، وبين الساهر في الذكر والشكر.

وقوله تعالى: ذلك مثلهم في التوراة فيه ثلاثة أوجه مذكورة أحدها: أن يكون ذلك مبتدأ، ومثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل خبرا له، وقوله تعالى: كزرع أخرج شطأه خبرا مبتدأ محذوف تقديره ومثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع وثانيها: أن يكون خبر ذلك هو قوله مثلهم في التوراة وقوله ومثلهم في الإنجيل مبتدأ وخبره كزرع وثالثها: أن يكون ذلك إشارة غير

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٨/٢٨

معينة أوضحت بقوله تعالى:
كزرع كقوله ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين [الحجر: ٦٦] وفيه وجه رابع: وهو أن يكون ذلك خبرا له مبتدأ محذوف تقديره هذا الظاهر في وجوههم ذلك يقال ظهر في وجهه أثر الضرب، فنقول أي والله ذلك أي هذا ذلك الظاهر، أو الظاهر الذي تقوله ذلك.
وقوله تعالى: ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع.
أي وصفوا في الكتابين به ومثلوا بذلك وإنما جعلوا كالزرع لأنه أول ما يخرج يكون ضعيفا وله نمو إلى حد الكمال، فكذلك المؤمنون، والشطء الفرخ وفآزره يحتمل أن يكون المراد أخرج/ الشطء وآزر الشطء، وهو أقوى وأظهر والكلام يتم عند قوله يعجب الزراع.
وقوله تعالى: ليغيظ بهم الكفار أي تنمية الله ذلك ليغيظ أو يكون الفعل المعلل هو.." (١)
"قد يترك إما لنسيان أو سهو، فلا يعلم حال التارك والمرتكب أنه مخطئ أو متعمد، وأما الكلام فإنه حصول العلم بما عليه حال المتكلم، فالدخول في الإيمان والخروج منه يظهر بالكلام فتخصيص الفسوق بالأمر القولي أقرب، وأما العصيان فترك الأمر وهو بالفعل أليق، فإذا علم هذا ففيه ترتيب في غاية الحسن، وهو أنه تعالى كره إليكم الكفر وهو الأمر الأعظم كما قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] .
ثم قال تعالى: والفسوق يعني ما يظهر لسانكم أيضا، ثم قال: والعصيان وهو دون الكل ولم يترك عليكم الأمر الأدنى وهو العصيان، وقال بعض الناس الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة، والعصيان هو الصغيرة، وما ذكرناه أقوى.
ثم قال تعالى: أولئك هم الراشدون.
خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه معنى لطيف: وهو أن الله تعالى في أول الأمر قال: واعلموا أن فيكم رسول الله أي هو مرشد لكم فخطاب المؤمنين للتنبيه على شفقته بالمؤمنين، فقال في الأول كفى النبي مرشدا لكم ما تسترشدونه فأشفق عليهم وأرشدهم، وعلى هذا قوله الراشدون أي الموافقون للرشد يأخذون ما يأتيهم وينتهون عما ينهاهم.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ٨]
فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨)
فيه مسائل:
المسألة الأولى: نصب فضلا لأجل أمور، إما لكونه مفعولا له، وفيه وجهان أحدهما: أن العامل فيه هو الفعل الذي في قوله الراشدون فإن قيل: كيف يجوز أن يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة إلى الرشد الذي هو فعل العبد؟ نقول لما كان الرشد توفيقا من الله كان كأنه فعل الله فكأنه تعالى أرشدهم فضلا، أي يكون متفضلا عليهم منعما في حقهم والوجه الثاني: هو أن العامل فيه هو قوله حبب إليكم الإيمان ... وكره إليكم الكفر [الحجرات: ٧] فضلا وقوله أولئك هم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٩/٢٨

الراشدون [الحجرات: ٧] جملة اعترضت بين الكلامين أو يكون العالم فعلا مقدرا، فكأنه قال تعالى جرى ذلك فضلا من الله، وإما لكونه مصدرا، وفيه وجهان أحدهما: أن يكون مصدرا من غير اللفظ ولأن الرشد فضل فكأنه قال أولئك هم الراشدون رشدا وثانيهما: هو أن يكون مصدرا لفعل مضمر، كأنه قال حبب إليكم الإيمان وكره إليكم الكفر فأفضل فضلا وأنعم نعمة، والقول بكونه منصوبا على أنه مفعول مطلق وهو المصدر، أو مفعول له قول الزمخشري، وإما أن يكون فضلا مفعولا به، والفعل مضمرا دل عليه قوله تعالى: أولئك هم الراشدون أي يبتغون فضلا من الله ونعمة.

المسألة الثانية: ما الفرق بين الفضل والنعمة في الآية؟ نقول فضل الله إشارة إلى ما عنده من الخير وهو مستغن عنه، والنعمة إشارة إلى ما يصل إلى العبد وهو محتاج إليه، لأن الفضل في الأصل ينبئ عن الزيادة، وعنده خزائن من الرحمة لا لحاجة إليها، ويرسل منها على عباده ما لا يبقون معه في ورطة الحاجة بوجه من الوجوه، والنعمة تنبئ عن الرأفة والرحمة وهو من جانب العبد، **وفيه معنى لطيف وهو** تأكيد الإعطاء، وذلك لأن المحتاج يقول للغني: أعطني ما فضل عنك وعندك، وذلك غير ملتفت إليه وأنابه قيامي وبقائي، فإذن قوله فضلا من الله إشارة إلى ما هو من جانب الله الغني، والنعمة إشارة إلى ما هو من جانب العبد من اندفاع." (١)

"مع أن كلمة (إن) اتصالها بالفعل أولى، وذلك ليكون الابتداء بما يمنع من القتال، فيتأكد معنى النكرة المدلول عليها بكلمة (إن) وذلك لأن كونهما طائفتين مؤمنين يقتضي أن لا يقع القتال منهما، فإن قيل فلم لم يقل: يا أيها الذين آمنوا إن فاسق جاءكم، أو إن أحد من الفساق جاءكم، ليكون الابتداء بما يمنعهم من الإصغاء إلى كلامه، وهو كونه فاسقا؟ نقول المجيء بالنبأ الكاذب يورث كون الإنسان فاسقا، أو يزداد بسببه فسقه، فالمجيء به سبب الفسق فقدمه. وأما الاقتتال فلا يقع سببا للإيمان أو الزيادة، فقال: إن جاءكم فاسق أي سواء كان فاسقا أو لا أو جاءكم بالنبأ فصار فاسقا به، ولو قال: وإن أحد من الفساق جاءكم، كان لا يتناول إلا مشهور الفسق قبل المجيء إذا جاءهم بالنبأ.

المسألة الخامسة: قال تعالى: اقتتلوا ولم يقل: يقتتلوا، لأن صيغة الاستقبال تنبئ عن الدوام والاستمرار، فيفهم منه أن طائفتين من المؤمنين إن تمادى الاقتتال بينهما فأصلحوا، وهذا لأن صيغة المستقبل تنبئ عن ذلك، يقال فلان يتهجد ويصوم.

المسألة السادسة: قال: اقتتلوا ولم يقل اقتتلا، وقال: فأصلحوا بينهما ولم يقل بينهم، ذلك لأن عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة، وكل أحد برأسه يكون فاعلا فعلا، فقال: اقتتلوا وعند العود إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة، وإلا لم يكن يتحقق الصلح فقال: بينهما لكون/ الطائفتين حينئذ كنفسين.

[قوله تعالى فإن بغت إحداهما إلى قوله إن الله يحب المقسطين] ثم قال تعالى: فإن بغت إحداهما إشارة إلى نادرة أخرى وهي البغي، لأنه غير متوقع، فإن قيل كيف يصح في هذا الموضع كلمة (إن) مع أنها تستعمل في الشرط الذي لا يتوقع وقوعه، وبغي أحدهما عند الاقتتال لا بد منه، إذ كل واحد منهما لا يكون محسنا، فقوله إن تكون من قبيل قول القائل: إن طلعت الشمس، نقول فيه معنى لطيف، وهو أن الله تعالى يقول: الاقتتال بين طائفتين لا يكون إلا نادر الوقوع، وهو كما تظن كل طائفة أن الأخرى فيها الكفر والفساد، فالقتال واجب كما سبق في الليالي المظلمة، أو يقع لكل واحد أن القتال جائز

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٣/٢٨

بالاجتهاد، وهو خطأ، فقال تعالى: الاقتتال لا يقع إلا كذا، فإن بان لهما أو لأحدهما الخطأ واستمر عليه فهو نادر، وعند ذلك يكون قد بغى فقال: فإن بغت إحداهما على الأخرى يعني بعد استبانة الأمر، وحينئذ فقوله فإن بغت في غاية الحسن لأنه يفيد الندرة وقلة الوقوع، وفيه أيضا مباحث الأول: قال:

فإن بغت ولم يقل فإن تبغ لما ذكرنا في قوله تعالى: اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا الثاني: قال: حتى تفيء إشارة إلى أن القتال ليس جزاء للباغي كحد الشرب الذي يقام وإن ترك الشرب، بل القتال إلى حد الفيئة، فإن فاءت الفئة الباغية حرم قتالهم الثالث: هذا القتال لدفع الصائل، فيندرج فيه وذلك لأنه لما كانت الفيئة من إحداهما، فإن حصلت من الأخرى لا يوجد البغي الذي لأجله حل القتال الرابع: هذا دليل على أن المؤمن بالكبيرة لا يخرج عن كونه مؤمنا لأن الباغي جعله من إحدى الطائفتين وسماهما مؤمنين الخامس: قوله تعالى:

إلى أمر الله يحتمل وجوها أحدها: إلى طاعة الرسول وأولي الأمر لقوله تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم [النساء: ٥٩] . وثانيها: إلى أمر الله، أي إلى الصلح فإنه مأمور به يدل عليه قوله تعالى:

وأصلحوا ذات بينكم [الأنفال: ١] ، ثالثها: إلى أمر الله بالتقوى، فإن من خاف الله حق الخوف لا يبقى له عداوة إلا مع الشيطان كما قال تعالى: إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا [فاطر: ٦] ، السادس: لو قال قائل قد ذكرتم ما يدل على كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بأن القتال والبغي من المؤمن نادر، فإذن تكون الفئة." (١)

"متوقعة فكيف قال: فإن فاءت؟ نقول قول القائل لعبده: إن مت فأنت حر، مع أن الموت لا بد من وقوعه، لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعتق بأن يكون باقيا في ملكه حيا يعيش بعد وفاته غير معلوم فكذلك هاهنا لما كان الواقع فيئتهم من تلقاء أنفسهم فلما لم يقع دل على تأكيد الأخذ بينهم فقال تعالى: فإن فاءت بقتالكم إياهم بعد اشتداد الأمر والتحام الحرب فأصلحوا، **وفيه معنى لطيف وهو** أنه تعالى أشار إلى أن من لم يخف الله وبغى لا يكون رجوعه بقتالكم إلا جبرا السابع: قال هاهنا: فأصلحوا بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا نقول لأن الإصلاح هناك بإزالة الاقتتال نفسه، وذلك يكون بالنصيحة أو التهديد والزجر والتعذيب، والإصلاح هاهنا بإزالة آثار القتل/ بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال: بالعدل فكأنه قال: واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق وأصلحوا بالعدل مما يكون بينهما، لئلا يؤدي إلى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى الثامن: إذا قال: فأصلحوا بينهما بالعدل فأية فائدة في قوله وأقسطوا نقول قوله فأصلحوا بينهما بالعدل كان فيه تخصيص بحال دون حال فعمم الأمر بقوله وأقسطوا أي في كل أمر مفض إلى أشرف درجة وأرفع منزلة وهي محبة الله، والإقساط إزالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر، والتركيب دال على كون الأمر غير مرضي من القسط والقاسط في القلب وهو أيضا غير مرضي ولا معتد به فكذلك القسط.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٠]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٥/٢٨

إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠)
ثم قال تعالى: إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم تتميما للإرشاد وذلك لأنه لما قال: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا [الحجرات: ٩] كان لظان أن يظن أو لمتوهم أن يتوهم أن ذلك عند اختلاف قوم، فأما إذا كان الاقتتال بين اثنين فلا تعم المفسدة فلا يؤمر بالإصلاح، وكذلك الأمر بالإصلاح هناك عند الاقتتال، وأما إذا كان دون الاقتتال كالتشاتم والتسافه فلا يجب الإصلاح فقال: بين أخويكم وإن لم تكن الفتنة عامة وإن لم يكن الأمر عظيما كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف فاسعوا في الإصلاح.
وقوله واتقوا الله لعلكم ترحمون فيه مسائل:
المسألة الأولى: قوله تعالى: إنما المؤمنون إخوة قال بعض أهل اللغة الإخوة جمع الأخ من النسب والإخوان جمع الأخ من الصداقة، فالله تعالى قال: إنما المؤمنون إخوة تأكيدا للأمر وإشارة إلى أن ما بينهم ما بين الأخوة من النسب والإسلام كالأب، قال قائلهم:
أبي الإسلام لا أب [لي] سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم
المسألة الثانية: عند إصلاح الفريقين والطائفتين لم يقل اتقوا، وقال هاهنا اتقوا مع أن ذلك أهم؟ نقول الفائدة هو أن الاقتتال بين طائفتين يفضي إلى أن تعم المفسدة ويلحق كل مؤمن منها شيء وكل يسعى في الإصلاح لأمر نفسه فلم يؤكد بالأمر بالتقوى، وأما عند تخاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك وربما يزيد بعضهم تأكد الخصام بين الخصوم لغرض فاسد فقال: فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله أو نقول قوله فأصلحوا إشارة إلى الصلح، وقوله واتقوا الله/ إشارة إلى ما يصونهم عن التشاجر، لأن من اتقى الله شغله تقواه عن." (١)

"اثنين الدين المتين، وأحدهما نسيب ترجح بالنسب عند الناس لا عند الله لأن الله تعالى يقول: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى [النجم: ٣٩] وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل بسعي.
البحث الثاني: ما الحكمة في اختيار النسب من جملة أسباب التفاخر، ولم يذكر المال؟ نقول الأمور التي يفتخر بها في الدنيا وإن كانت كثيرة لكن النسب أعلاها، لأن المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به، والحسن والسن، وغير ذلك غير ثابت دائم، والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له فاختاره الله للذكر وأبطل اعتباره بالنسبة إلى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بالطريق الأولى.
البحث الثالث: إذا كان ورود الآية لبيان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فهل لقوله تعالى: إنا خلقناكم فائدة؟ نقول نعم، وذلك لأن كل شيء يترجح على غيره، فإما أن يترجح بأمر فيه يلحقه، ويترتب عليه بعد وجوده، وإما أن يترجح عليه بأمر هو قبله، والذي بعده/ كالحسن والقوة وغيرهما من الأوصاف المطلوبة من ذلك الشيء، والذي قبله فإما راجع إلى الأصل الذي منه وجد، أو إلى الفاعل الذي هو له أوجد، كم يقال في إناءين هذا من النحاس وهذا من الفضة، ويقال هذا عمل فلان، وهذا عمل فلان، فقال تعالى لا ترجيح فيما خلقتم منه لأنكم كلكم من ذكر وأنثى، ولا بالنظر إلى جاعلين لأنكم

---
(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٦/٢٨

كلكم خلقكم الله، فإن كان بينكم تفاوت يكون بأمور تلحقكم وتحصل بعد وجودكم وأشرفها التقوى والقرب من الله تعالى.

ثم قال تعالى: وجعلناكم شعوبا وقبائل وفيه وجهان: أحدهما: جعلناكم شعوبا متفرقة لا يدرى من يجمعكم كالعجم، وقبائل يجمعكم واحد معلوم كالعرب وبني إسرائيل وثانيهما: جعلناكم شعوبا داخلين في قبائل، فإن القبيلة تحتها الشعوب، وتحت الشعوب البطون وتحت البطون الأفخاذ، وتحت الأفخاذ الفصائل، وتحت الفصائل الأقارب، وذكر الأعم لأنه أذهب للافتخار، لأن لأمر الأعم منها يدخله فقراء وأغنياء كثيرة غير محصورة، وضعفاء وأقوياء كثيرة غير معدودة، ثم بين فائدة ذلك وهي التعارف وفيه وجهان:

أحدهما أن فائدة ذلك التناصر لا التفاخر وثانيهما: أن فائدته التعارف لا التناكر، واللمز والسخرية والغيبة تفضي إلى التناكر لا إلى التعارف **وفيه معان لطيفة الأولى**: قال تعالى: إنا خلقناكم وقال: وجعلناكم لأن الخلق أصل تفرع عليه الجعل شعوبا فإن الأول هو الخلق والإيجاد، ثم الاتصاف بما اتصفوا به، لكن الجعل شعوبا للتعارف والخلق للعبادة كما قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات: ٥٦] واعتبار الأصل متقدم على اعتبار الفرع، فاعلم أن النسب يعتبر بعد اعتبار العبادة كما أن الجعل شعوبا يتحقق بعد ما يتحقق الخلق، فإن كان فيكم عبادة تعتبر فيكم أنسابكم وإلا فلا الثانية: قوله تعالى:

خلقناكم، وجعلناكم إشارة إلى عدم جواز الافتخار لأن ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك، فكيف تفتخرون بما لا مدخل لكم فيه؟ فإن قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى: إنا هديناه السبيل [الإنسان: ٣] نهدي به من نشاء [الشورى: ٥٢] فنقول أثبت الله لنا فيه كسبا مبنيا على فعل، كم قال الله تعالى: فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا [المزمل: ١٩] .

ثم قال تعالى: وما تشاؤن إلا أن يشاء الله وأما في النسب فلا الثالثة: قوله تعالى: لتعارفوا إشارة إلى قياس خفي، وبيانه هو أنه تعالى قال: إنكم جعلتم قبائل لتعارفوا وأنتم إذا كنتم أقرب إلى شريف تفتخرون به فخلقكم لتعرفوا ربكم، فإذا كنتم أقرب منه وهو أشرف الموجودات كان الأحق بالافتخار هناك من الكل." (١)

"فيها والذي بمعنى الفاعل لا يثبت فيه التاء، وتحقيق هذا قوله بلدة طيبة [سبأ: ١٥] حيث أثبت التاء حيث ظهر بمعنى الفاعل، ولم يثبت حيث لم يظهر وهذا بحث عزيز.

وقوله تعالى: كذلك الخروج أي كالإحياء الخروج فإن قيل الإحياء يشبه به الإخراج لا الخروج فنقول تقديره أحيينا به بلدة ميتا فتشققت وخرج منها النبات كذلك تشقق ويخرج منها الأموات، وهذا يؤكد قولنا الرجع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجع بعيد [ق: ٣] لأنه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلو استبعدوا الرجع الذي هو من المتعدي لناسب أن يقول، كذلك الإخراج، ولما قال: كذلك الخروج فهم أنهم أنكروا الرجوع فقال: كذلك الخروج نقول **فيه معنى لطيف على** القول الآخر، وذلك لأنهم استبعدوا الرجع الذي هو من المتعدي بمعنى الإخراج والله تعالى أثبت الخروج وفيهما مبالغة تنبيها على بلاغة

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١٣/٢٨

القرآن مع أنها مستغنية عن البيان، ووجهها هو أن الرجع والإخراج كالسبب للرجوع والخروج، والسبب إذا انتفى ينتفي المسبب جزما، وإذا وجد قد يتخلف عنه المسبب لمانع تقول كسرته فلم ينكسر وإن كان مجازا والمسبب إذا وجد فقد وجد سببه وإذا انتفى لا ينتفي السبب لما تقدم، إذا علم هذا فهم أنكروا وجود السبب ونفوه وينتفي المسبب عند انتفائه جزما فبالغوا وأنكروا الأمر جميعا، لأن نفي السبب نفي المسبب، فأثبت الله الأمرين بالخروج كما نفوا الأمرين جميعا بنفي الإخراج.

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١٢ الى ١٤]

كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤)

ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم ووبالهم وأنذرهم بإهلاكهم واستئصالهم، وتفسيره ظاهر وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه بأن حاله كحال من تقدمه من الرسل، كذبوا وصبروا فأهلك الله/ مكذبيهم ونصرهم وأصحاب الرس فيهم وجوه من المفسرين من قال هم قوم شعيب ومنهم من قال هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وهم قوم عيسى عليه السلام، ومنهم من قال هم أصحاب الأخدود، والرس موضع نسبوا إليه أو فعل وهو حفر البئر يقال رس إذا حفر بئرا وقد تقدم في سورة الفرقان ذلك، وقال هاهنا إخوان لوط وقال: قوم نوح لأن لوطا كان مرسلا إلى طائفة من قوم إبراهيم عليه السلام معارف لوط، ونوح كان مرسلا إلى خلق عظيم، وقال: فرعون ولم يقل قوم فرعون، وقال: وقوم تبع لأن فرعون كان هو المغتر المستخف بقومه المستبد بأمره، وتبع كان معتمدا بقومه فجعل الاعتبار لفرعون، ولم يقل إلى قوم فرعون.

وقوله تعالى: كل كذب الرسل فحق وعيد.

يحتمل وجهين أحدهما: أن كل واحد كذب رسوله فهم كذبوا الرسل واللام حينئذ لتعريف العهد وثانيهما: وهو الأصح هو أن كل واحد كذب جميع الرسل واللام حينئذ لتعريف الجنس وهو على وجهين أحدهما: أن المكذب للرسول مكذب لكل رسول وثانيهما: وهو الأصح أن المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر بالكلية، وقوله فحق وعيد أي ما وعد الله من نصرة الرسل عليهم وإهلاكهم. ثم قال تعالى:." (١)

"وكذلك يقال للعقول النهى من النهي وهو المنع، **وفيه معنى لطيف وهو** أن الحلم في أصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزمه الغسل، وهو سبب البلوغ وعنده يصير الإنسان مكلفا، وكأن الله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة كمل العقل فأشار إلى العقل بالإشارة إلى ما يقارنه وهو الحلم، ليعلم أنه نذير كمال العقل، لا العقل الذي به يحترز الإنسان تخطئ الشرك ودخول النار، وعلى هذا ففيه تأكيد لما ذكرنا أن الإنسان لا ينبغي أن يقول كل معقول، بل لا يقول إلا ما يأمر به العقل الرزين الذي يصحح التكليف.

المسألة الرابعة: بهذا إشارة إلى ماذا؟ نقول فيه وجوه الأول: أن يكون هذا إشارة مهمة، أي بهذا الذي يظهر منهم قولا وفعلا حيث يعبدون الأصنام والأوثان ويقولون الهذيان من الكلام الثاني: هذا إشارة إلى قولهم هو كاهن هو شاعر هو

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣٢/٢٨

مجنون الثالث: هذا إشارة إلى التربص فإنهم لما قالوا نتربص قال الله تعالى أعقولهم تأمرهم بتربص هلاكهم فإن أحدا لم يتوقع هلاك نبيه إلا وهلك.

المسألة الخامسة: هل يصح أن تكون (أم) في هذا الموضع بمعنى بل؟ نقول نعم، تقديره يقولون: إنه شاعر قولا بل يعتقدونه عقلا ويدخل في عقولهم ذلك، أي ليس ذلك قولا منهم من غير عقل بل يعتقدون كونه كاهنا ومجنونا، ويدل عليه قراءة من قرأ (بل هم قوم طاغون) ، لكن بل هاهنا واضح وفي قوله بل تأمرهم أحلامهم خفي ثم قال تعالى:

[سورة الطور (٥٢) : آية ٣٣]

أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون (٣٣)

وهو متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر نتربص به [الطور: ٣٠] وتقديره على ما ذكرنا أتقولون كاهن، أم تقولون شاعر، أم تقوله ثم قال لبطلان جميع الأقسام:

[سورة الطور (٥٢) : آية ٣٤]

فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين (٣٤)

أي إن كان هو شاعرا ففيكم الشعراء البلغاء والكهنة الأذكياء ومن يرتجل الخطب والقصائر ويقص القصص ولا يختلف/ الناقص والزائد فليأتوا بمثل ما أتى به، والتقول يراد به الكذب. وفيه إشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن التفعل للتكلف وإراءة الشيء وهو ليس على ما يرى يقال تمرض فلان أي لم يكن مريضا وأرى من نفسه المرض وحينئذ كأنهم كانوا يقولون كذب وليس بقول إنما هو تقول صورة القول وليس في الحقيقة به ليعلم أن المكذب هو الصادق، وقوله تعالى: بل لا يؤمنون بيان هذا أنهم كانوا في زمان نزول الوحي وحصول المعجزة كانوا يشاهدونها وكان ذلك يقتضي أن يشهدوا له عند غيرهم ويكونوا كالنجوم للمؤمنين كما كانت الصحابة رضي الله عنهم وهم لم يكونوا كذلك بل أقل من ذلك لم يكونوا أيضا وهو أن يكونوا من آحاد المؤمنين الذين لم يشهدوا تلك الأمور ولم يظهر الأمر عندهم ذلك الظهور.

وقوله تعالى: فليأتوا الفاء للتعقيب أي إذا كان كذلك فيجب عليهم أن يأتوا بمثل ما أتى به ليصحح كلامهم ويبطل كلامه وفيه مباحث:

الأول: قال بعض العلماء فليأتوا أمر تعجيز يقول القائل لمن يدعي أمرا أو فعلا ويكون غرضه إظهار." [(١)]

"المسألة الثالثة: الباء في قوله: بماء منهمر ما وجهه وكيف موقعه؟ نقول فيه وجهان أحدهما: كما هي في قول القائل فتحت الباب بالمفتاح وتقديره هو أن يجعل كأن الماء جاء وفتح الباب وعلى هذا تفسير قول من يقول: يفتح الله لك بخير أي يقدر خيرا يأتي ويفتح الباب، وعلى هذا ففيه لطيفة وهي من بدائع المعاني، وهي أن يجعل المقصود مقدما في الوجود، ويقول كأن مقصودك جاء إلى باب مغلق ففتحه وجاءك، وكذلك قول القائل: لعل الله يفتح برزق، أي يقدر رزقا يأتي إلى

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٤/٢٨

الباب الذي كالمغلق فيدفعه ويفتحه، فيكون الله قد فتحه بالرزق ثانيهما: ففتحنا أبواب السماء مقرونة بماء منهمر والانهمار الانسكاب والانصباب صبا شديدا، والتحقيق فيه أن المطر يخرج من السماء التي هي السحاب خروج مترشح من ظرفه، وفي ذلك اليوم كان يخرج خروج مرسل خارج من باب. ثم قال تعالى:

[سورة القمر (٥٤) : آية ١٢]

وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر (١٢)

[في قوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء] وفيه من البلاغة ما ليس في قول القائل: وفجرنا عيون الأرض، وهذا بيان التمييز في كثير من المواضع، إذا قلت ضاق زيد ذرعا، أثبت ما لا يثبته قولك ضاق ذرع زيد، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال: وفجرنا الأرض عيونا ولم يقل ففتحنا السماء أبوابا، لأن السماء أعظم من الأرض وهي للمبالغة، ولهذا قال: أبواب السماء ولم يقل: أنابيب ولا منافذ ولا مجاري أو غيرها.

وأما قوله تعالى: وفجرنا الأرض عيونا فهو أبلغ من قوله: وفجرنا عيون الأرض، لأنه يكون حقيقة لا مبالغة فيه، ويكفي في صحة ذلك القول أن يجعل في الأرض عيونا ثلاثة، ولا يصلح مع هذا في السماء إلا قول القائل: فأنزلنا من السماء ماء أو مياها، ومثل هذا الذي ذكرناه في المعنى لا في المعجزة، والحكمة قوله تعالى: ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض [الزمر: ٢١] حيث لا مبالغة فيه، وكلامه لا يماثل كلام الله ولا يقرب منه، غير أني ذكرته مثلا: ولله المثل الأعلى [النحل: ٦٠] .

المسألة الثانية: العيون في عيون الماء حقيقة أو مجاز؟ نقول: المشهور أن لفظ العين/ مشترك، والظاهر أنها حقيقة في العين التي هي آلة الإبصار ومجاز في غيرها، أما في عيون الماء فلأنها تشبه العين الباصرة التي يخرج منها الدمع، أو لأن الماء الذي في العين كالنور الذي في العين غير أنها مجاز مشهور صار غالبا حتى لا يفتقر إلى القرينة عند الاستعمال إلا للتمييز بين العينين، فكما لا يحمل اللفظ على العين الباصرة إلا بقرينة، كذلك لا يحمل على الفوارة إلا بقرينة مثل: شربت من العين واغتسلت منها، وغير ذلك من الأمور التي توجد في الينبوع، ويقال: عانه يعينه إذا أصابه بالعين، وعينه تعيينا، حقيقته جعله بحيث تقع عليه العين، وعاينه معاينة وعيانا، وعين أي صار بحيث تقع عليه العين.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: فالتقى الماء قرئ فالتقى الماءان، أي النوعان، منه ماء السماء وماء الأرض، فتثنى أسماء الأجناس على تأويل صنف، تجمع أيضا، يقال: عندي تمران وتمور وأتمار على تأويل نوعين وأنواع منه والصحيح المشهور: فالتقى الماء وله معنى لطيف، وذلك أنه تعالى لما قال: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر [القمر: ١١] ذكر الماء وذكر الانهمار وهو النزول بقوة، فلما قال: وفجرنا الأرض عيونا كان من الحسن البديع أن يقول: ما يفيد أن الماء نبع منها بقوة، فقال: فالتقى الماء أي من." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٩٦/٢٩

"واحد فإنهم كانوا يقولون: كل واحد منا يغلب محمدا صلى الله عليه وسلم كما قال أبي بن خلف الجمحي وهذا فيه معنى لطيف وهو أنهم ادعوا أن كل واحد غالب، والله رد عليهم بأجمعهم بقوله:

[سورة القمر (٥٤) : آية ٤٥]

سيهزم الجمع ويولون الدبر (٤٥)

وهو أنهم ادعوا القوة العامة بحيث يغلب كل واحد منهم محمدا صلى الله عليه وسلم والله تعالى بين ضعفهم الظاهر الذي يعمهم جميعهم بقوله: ويولون الدبر وحينئذ يظهر سؤال وهو أنه قال: يولون الدبر ولم يقل: يولون الأدبار.

وقال في موضع آخر: يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون [آل عمران: ١١١] وقال: ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار [الأحزاب: ١٥] وقال في موضع آخر: فلا تولوهم الأدبار [الأنفال: ١٥] فكيف تصحيح الإفراد وما الفرق بين المواضع؟ نقول: أما التصحيح فظاهر لأن قول القائل: فعلوا كقوله فعل هذا وفعل ذاك وفعل الآخر. قالوا: وفي الجمع تنوب مناب الواوات التي في العطف، وقوله: يولون بمثابة يول هذا/ الدبر، ويول ذاك ويول الآخر أي كل واحد يولي دبره، وأما الفرق فنقول اقتضاء أواخر الآيات حسن الإفراد، فقوله: يولون الدبر إفراده إشارة إلى أنهم في التولية كنفس واحدة، فلا يتخلف أحد عن الجمع ولا يثبت أحد للزحف فهم كانوا في التولية كدبر واحد، وأما في قوله: فلا تولوهم الأدبار أي كل واحد يوجد به ينبغي أن يثبت ولا يولي دبره، فليس المنهي هناك توليتهم بأجمعهم بل المنهي أن يولي واحد منهم دبره، فكل أحد منهي عن تولية دبره، فجعل كل واحد برأسه في الخطاب ثم جمع الفعل بقوله: فلا تولوهم ولا يتم إلا بقوله: الأدبار وكذلك في قوله: ولقد كانوا عاهدوا الله [الأحزاب: ١٥] أي كل واحد قال: أنا أثبت ولا أولي دبري، وأما في قوله: ليولن الأدبار [الحشر: ١٢] فإن المراد المنافقون الذين وعدوا اليهود وهم متفرقون بدليل قوله تعالى: تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى [الحشر: ١٤] ، وأما في هذا الموضع فهم كانوا يدا واحدة على من سواهم. ثم قال تعالى:

[سورة القمر (٥٤) : آية ٤٦]

بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (٤٦)

إشارة إلى أن الأمر غير مقتصر على انهزامهم وإدبارهم بل الأمر أعظم منه فإن الساعة موعدهم فإنه ذكر ما يصيبهم في الدنيا من الدبر، ثم بين ما هو منه على طريقة الإصرار، هذا قول أكثر المفسرين، والظاهر أن الإنذار بالساعة عام لكل من تقدم، كأنه قال: أهلكنا الذين كفروا من قبلك وأصروا وقوم محمد عليه السلام ليسوا بخير منهم فيصيبهم ما أصابهم إن أصروا، ثم إن عذاب الدنيا ليس لإتمام المجازاة فإتمام المجازاة بالأليم الدائم. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما الحكمة في كون اختصاص الساعة موعدهم مع أنها موعد كل أحد؟ نقول: الموعد الزمان الذي فيه الوعد والوعيد والمؤمن موعود بالخير ومأمور بالصبر فلا يقول هو: متى يكون، بل يفوض الأمر إلى الله، وأما الكافر فغير مصدق فيقول: متى يكون العذاب؟ فيقال له: اصبر فإنه آت يوم القيامة، ولهذا كانوا يقولون: عجل لنا قطنا [ص: ١٦] وقال: ويستعجلونك بالعذاب [الحج: ٤٧] .

المسألة الثانية: أدهى من أي شيء؟ نقول: يحتمل وجهين أحدهما: ما مضى من أنواع عذاب الدنيا ثانيهما: أدهى الدواهي فلا داهية مثلها.." (١)

"مقام ربه

[الرحمن: ٤٦] والعامل ما يدل عليه اللام الجارة تقديره لهم في حال الاتكاء جنتان/ وقال صاحب «الكشاف» : يحتمل أن يكون نصبا على المدح، وإنما حمله على هذا إشكال في قول من قال: إنه حال وذلك لأن الجنة ليست لهم حال الاتكاء بل هي لهم في كل حال فهي قبل الدخول لهم، ويحتمل أن يقال: هو حال وذو الحال ما تدل عليه الفاكهة. لأن قوله تعالى: فيهما من كل فاكهة زوجان [الرحمن: ٥٢] يدل على متفكهين بها كأنه قال: يتفكه المتفكهون بها، متكئين، وهذا فيه معنى لطيف، وذلك لأن الأكل إن كان ذليلا كالخول والخدم والعبيد والغلمان، فإنه يأكل قائما، وإن كان عزيزا فإن كان يأكل لدفع الجوع يأكل قاعدا ولا يأكل متكئا إلا عزيز متفكه ليس عنده جوع يقعده للأكل، ولا هنالك من يحسمه، فالتفكه مناسب للاتكاء.

المسألة الثانية من المسائل النحوية: على فرش متعلق بأي فعل هو؟ إن كان متعلقا بما في متكئين، حتى يكون كأنه يقول: يتكئون على فرش كما كان يقال: فلان اتكأ على عصاه أو على فخذيه فهو بعيد لأن الفراش لا يتكأ عليه، وإن كان متعلقا بغيره فماذا هو؟ نقول: متعلق بغيره تقديره يتفكه الكائنون على فرش متكئين من غير بيان ما يتكئون عليه، ويحتمل أن يكون اتكاؤهم على الفرش غير أن الأظهر ما ذكرنا ليكون ذلك بيانا لما تحتهم وهم بجميع بدنهم عليه وهو أنعم وأكرم لهم.

المسألة الثالثة: الظاهر أن لكل واحد فرشا كثيرة لا أن لكل واحد فراشا فلكلهم فرش عليها كائنون.

المسألة الرابعة لغوية: الإستبرق هو الديباج الثخين وكما أن الديباج معرب بسبب أن العرب لم يكن عندهم ذلك إلا من العجم، استعمل الاسم المعجم فيه غير أنهم تصرفوا فيه تصرفا وهو أن اسمه بالفارسية ستبرك بمعنى ثخين تصغير «ستبر» فزادوا فيه همزة متقدمة عليه، وبدلوا الكاف بالقاف، أما الهمزة، فلأن حركات أوائل الكلمة في لسان العجم غير مبنية في كثير من المواضع فصارت كالسكون، فأثبتوا فيه همزة كما أثبتوا همزة الوصل عند سكون أول الكلمة، ثم إن البعض جعلوها همزة وصل وقالوا: من إستبرق والأكثرون جعلوها همزة قطع لأن أول الكلمة في الأصل متحرك لكن بحركة فاسدة فأتوا بهمزة تسقط عنهم الحركة الفاسدة وتمكنهم من تسكين الأول وعند تساوي الحركة، فالعود إلى السكون أقرب، وأواخر الكلمات عند الوقف تسكن ولا تبدل حركة بحركة، وأما القاف فلأنهم لو تركوا الكاف لاشتبه ستبرك بمسجدك ودارك، فأسقطوا منه الكاف التي هي على لسان العرب في آخر الكلم للخطاب وأبدلوها قافا ثم عليه سؤال مشهور، وهو أن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، وهذا ليس بعربي، والجواب الحق أن اللفظة في أصلها لم تكن بين العرب بلغة، وليس المراد أنه أنزل بلغة هي في أصل وضعها على لسان العرب، بل المراد أنه منزل بلسان لا يخفى معناه على أحد من العرب ولم يستعمل فيه لغة لم تتكلم العرب بها، فيصعب عليهم مثله لعدم مطاوعة لسانهم التكلم بها فعجزهم عن مثله ليس إلا لمعجز.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٢٢/٢٩

المسألة الخامسة: معنوية الاتكاء من الهيئات الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب، فالمتكئ تكون أمور جسمه على ما ينبغي وأحوال قلبه على ما ينبغي، لأن العليل يضطجع ولا يستلقي أو يستند إلى شيء على حسب ما يقدر عليه للاستراحة، وأما الاتكاء بحيث يضع كفه تحت رأسه ومرفقه على الأرض ويجافي جنبيه عن الأرض فذاك أمر لا يقدر عليه، وأما مشغول القلب في طلب شيء فتحركه تحرك مستوفز.

المسألة السادسة: قال أهل التفسير قوله: بطائنها من إستبرق يدل على نهاية شرفها فإن ما تكون." (١)

"أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى في **هذا معنى لطيف وذلك** أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضاء والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا آتي عليه وقيل لا أحيط به وقال مالك رحمه الله تعالى معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك وقوله (أنت كما أثنيت على نفسك) اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين فوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة في جواز إضافة الشر إلى الله تعالى كما يضاف إليه الخير لقوله أعوذ بك من سخطك ومن عقوبتك والله أعلم قوله (عن مطرف بن عبد الله بن الشخير) هو بكسر الشين والخاء المعجمتين قوله (سبوح قدوس) هما بضم السين والقاف وبفتحهما والضم أفصح وأكثر قال الجوهري في فصل ذرح كان سيبويه يقولهما بالفتح وقال الجوهري في فصل سبح سبوح من صفات الله تعالى قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وكذلك الذروح وهي دويبة حمراء منقطة بسواد تطير وهي من ذوات السموم وقال بن فارس والزبيدي وغيرهما سبوح هوالله عز وجل فالمراد بالسبوح القدوس المسبح." (٢)

"وفي لفظ " فأما المغرب والعشاء والجمعة: ففي بيته ". وفي لفظ: أن ابن عمر قال " حدثتني حفصة: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – «كان يصلي سجدتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر. وكانت ساعة لا أدخل على النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها» .

ـــــــQهذا الحديث: يتعلق بالسنن الرواتب التي قبل الفرائض وبعدها. ويدل على هذا العدد منها. وفي تقديم السنن على الفرائض وتأخيرها **عنها: معنى لطيف مناسب**. أما في التقديم: فلأن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها. فتتكيف النفس من ذلك بحالة بعيدة عن حضور القلب في العبادة، والخشوع فيها، الذي هو روحها. فإذا قدمت السنن على الفريضة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٧٣/٢٩

(٢) شرح النووي على مسلم النووي ٢٠٤/٤

تأنست النفس بالعبادة، وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع. فيدخل في الفرائض على حالة حسنة لم تكن تحصل له لو لم تقدم السنة. فإن النفس مجبولة على التكيف بما هي فيه، لا سيما إذا كثر أو طال. وورود الحالة المنافية لما قبلها قد يمحو أثر الحالة السابقة أو يضعفه. وأما السنن المتأخرة: فلما ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض. فإذا وقع الفرض ناسب أن يكون بعده ما يجبر خللا فيه إن وقع.

[أعداد ركعات الرواتب] ١

وقد اختلفت الأحاديث في أعداد ركعات الرواتب فعلا وقولا. واختلفت مذاهب الفقهاء في الاختيار لتلك الأعداد والرواتب. والمروي عن مالك: أنه لا توقيت في ذلك.

قال ابن القاسم صاحبه: وإنما يوقت في هذا أهل العراق.

والحق – والله أعلم – في هذا الباب – أعني ما ورد فيه أحاديث بالنسبة إلى التطوعات والنوافل المرسلة – أن كل حديث صحيح دل على استحباب عدد من هذه الأعداد، أو هيئة من الهيئات، أو نافلة من النوافل: يعمل به في استحبابه ثم تختلف مراتب ذلك المستحب. فما كان الدليل دالا على تأكده – إما بملازمته فعلا، أو بكثرة فعله، وإما بقوة دلالة اللفظ على تأكد حكمه، وإما بمعاضدة حديث آخر له، أو أحاديث فيه – تعلو مرتبته في الاستحباب. وما يقصر عن ذلك." (١)

"الجهل وبالنور العلم. وقيل: الجنة والنار. وقال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض وخلق الظلمات قبل النور وخلق الجنة قبل النار.

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأه ضل» ذكره البغوي بغير سند ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون وأصل العدل، مساواة الشيء بالشيء. والمعنى: أنهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع إقرارهم بأن الله خلق السموات والأرض.

وقال النضر بن شميل: الباء في قوله بربهم بمعنى عن أي عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل **على معنى لطيف وهو** أنه تعالى دل به على إنكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك: أن تقول لرجل أكرمتك وأحسنت إليك وأنت تنكرني وتجحد إحساني إليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى:

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٢ الى ٣]

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢) وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (٣)

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد ١/١٩٩

هو الذي خلقكم من طين يعني أنه تعالى خلق آدم من طين وإنما خاطب ذريته بذلك لأنه أصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم أعلمهم بهذه الآية أنه خلقهم من طين وهو القادر على إعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت. قال السدي: لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بقبضة منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تقبض مني فراجع ولم يأخذ منها شيئا فقال: يا رب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره وأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذا اختلفت ألوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها لا جرم اجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب» أخرجه أبو داود والترمذي وأما قوله تعالى: ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده فاختلف العلماء في معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك:

الأجل الأول، من وقت الولادة إلى وقت الموت. والأجل الثاني: من وقت الموت إلى البعث، وهو البرزخ.

ويروى نحو ذلك عن ابن عباس قال: لكل أحد أجلان: أجل إلى الموت، وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث إلى أجل العمر، وإن كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الأجل الأول أجل الدنيا، والأجل الثاني أجل الآخرة. وقيل: الأجل هو الوقت المقدر فأجل كل إنسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص.

والأجل الثاني: هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه إلا الله تعالى وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعني النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعني قدر مدة لأعماركم تنتهون إليها وهو أجل مسمى عنده يعني أن ذلك الأجل عنده لا يعلمه إلا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره ثم أنتم تمترون يعني ثم أنتم تشكون في البعث.." (١)

"المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين فهم لا يؤمنون يعني به.

والقول الثاني: إنه كلام مبتدأ ولا تعلق له بالأول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في معنى الخسار وجهين: أحدهما: أنه الهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وإنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

والوجه الثاني: أنه جعل لكل واحد من بني آدم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسران.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٩٨/٢

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٢١ الى ٢٤]

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون (٢١) ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (٢٢) ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٣) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤)

قوله تعالى: ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا يعني ومن أشد عنادا وأخطأ فعلا وأعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم أن له شريكا من خلقه وإلها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الأصنام، أو ادعى أن له صاحبة وولدا كما قلت النصارى أو كذب بآياته يعني كذب بحجته وأعلام أدلته التي أعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الأنبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم إنه لا يفلح الظالمون يعني أنه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل ويوم نحشرهم جميعا أي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون يعني أنها تشفع لكم عند ربكم.

قوله عز وجل: ثم لم تكن فتنتهم يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن **فتنتهم معنى لطيف وذلك** أن الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته إلا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤوا منها. يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للأصنام إلا أن تبرؤوا منها وهو قوله تعالى: إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك إذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لأهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو من أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى: انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل إلى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا على أنفسهم يعني اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الأصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله: وضل عنهم يعني زال عنهم وذهب ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم إن الأصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٢٥ الى ٢٦]

ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين (٢٥) وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون (٢٦)

قوله تعالى: ومنهم من يستمع إليك الآية. قال الكلبي: اجتمع أبو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف والحارث بن عامر." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٠٥/٢

"والجمهور على أن المعنى أن سبحوا صلوا. وقيل أمرهم بذكر الله والتسبيح. قال المفسرون كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلاة إشارة. وقال صاحب التحرير والتحبير وعندي في **هذا معنى لطيف وهو** أنه إنما خص بالتسبيح بالذكر لأن العادة جارية أن كل من رأى أمرا عجب منه أو رأى فيه بديع صنعة أو غريب حكمة يقول: سبحان الله سبحان الخالق، فلما رأى حصول الولد من شيخ وعاقر عجب من ذلك فسبح وأمر بالتسبيح انتهى. وقال الزمخشري وابن عطية وأن مفسرة. وقال الحوفي أن سبحوا أن نصب بأوحى. وقال أبو البقاء: يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون بمعنى أي انتهى. وقرأ طلحة أن سبحوه بهاء الضمير عائدة على الله تعالى. وروى ابن غزوان عن طلحة أن سبحن بنون مشددة من غير واو ألحق فعل الأمر نون التوكيد الشديد.

يا يحيى خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف والتقدير فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السن الذي يؤمر فيه قال الله له على لسان الملك وأبعد التبريزي في قوله إن المنادي له أبوه حين ترعرع ونشأ، والصحيح ما سبق لقوله وآتيناه الحكم صبيا والكتاب هو التوراة. قال ابن عطية بلا خلاف لأنه ولد قبل عيسى ولم يكن الإنجيل موجودا انتهى.

وليس كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص كثير من الأنبياء بمثل ذلك. وقيل:

الكتاب هنا اسم جنس أي اتل كتب الله. وقيل: الكتاب صحف إبراهيم. وقال الحسن وعلمه التوراة والإنجيل وأرسله إلى بني إسرائيل، وكان يصوم ويصلي في حال طفوليته ويدعو إلى الله بقوة بجد واستظهار وعمل بما فيه والحكم النبوة أو حكم الكتاب أو الحكمة أو العلم بالأحكام أو اللب وهو العقل، أو آداب الخدمة أو الفراسة الصادقة أقوال صبيا أي شابا لم يبلغ سن الكهولة. وقيل: ابن سنتين. وقيل: ابن ثلاث. وعن ابن عباس في حديث مرفوع: «ابن سبع سنين» وحنانا معطوف على الحكم والحنان الرحمة قاله ابن عباس في رواية والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك وأبو عبيدة والفراء وأنشد أبو عبيدة:

تحنن علي هداك المليك ... فإن لكل مقام مقالا

قال: وأكثر ما تستعمل مثنى كما قال:

حنانيك بعض الشر أهون من بعض وقال ابن الأنباري: المعنى وجعلناه حنانا لأهل زمانه. وقال مجاهد وتعطفا من ربه عليه. وعن ابن جبير: لينا. وعن عكرمة وابن زيد: محبة، وعن عطاء تعظيما.." (١)

"قوله: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ . قد تقدم اختلاف القراء في تخفيف الميت وتثقيله وكذلك قوله «تخرجون» في سورة الأعراف، و «كذلك» نعت مصدر محذوف أي ومثل ذلك الإخراج العجيب تخرجون.

واعلم أن وجه تعلق إخراج احي من الميت والميت من الحي بما قبله هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من سنة النوم وهو النوم إلى سنة الوجود وهي اليقظة وعند العشاء يخرج الإنسان من اليقظة إلى النوم. واختلف المفسرون في قوله: ﴿يخرج الحي من الميت﴾ فقال أكثرهم يخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان. وقيل: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ثم قال: ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ وفي **هذا معنى لطيف وهو** أن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٢٤٥

الإنسان بالموت تبطل حواسه، وأما نفسه الناطقة فتفارقه، وتبقى بعده كما قال: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ [آل عمران: ١٦٩] لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك، ولا يحس، والأرض الميتة لا يكون فيها نماء، (ثم) النائم بالانتباه يتحرك ويحس والأرض بعد موتها (ينمو) نباتها، فكما أن تحريك ذلك الساكن وهذا الواقف سهل على الله، كذلك إحياء الميت سهل على الله، وإلى هذا أشار بقوله «وكذلك تخرجون» .." (١)

"يؤذي آلة السمع، وآل السمع على باب القلب فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب ولا كذلك اللمس وأيضا فلأن قبيح القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب.

قوله: «إن أنكر» قيل: أنكر مبني من مبني للمفعول نحو: «أشغل مشن ذات النيين» ، وهو مختلف فيه ووحد «صوت» لأنه يراد به الجنس ولإضافته لجمع، وقيل: يحتمل أن يكون «أنكر» من باب «أطوع له من بنانه» ومعناه أشد طاعة. فإن «أفعل» لا يجيء (في) «مفعل ولا في» مفعول «ولا في باب العيوب إلا ما شذ كقولهم» أطوع من كذا «للتفضيل على مطيع و» أشغل من ذات النحيين و «أحمق (من فلان» ) من باب العيوب، وعلى هذا فهو من باب «أفعل» كأشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر. أو نقول هو من باب «أشغل» مأخوذ من نكر الشيء فهو منكور، وهذا أنكر منه، وعلى هذا **فله معنى لطيف وهو** أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت منكر (فيمكن) أن يقال: هو من نكير كأحد من حديد.

فإن قيل: كيف يفهم كونه أنكر الأصوات مع أن حز المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد أشد صوتا؟!." (٢)

"قوله: ﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ لما قال تعالى: ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [فاطر: ٥] يمنع العاقل من الاغترار وقال: ﴿الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ ولا تمسعوا قوله. قوله: ﴿فاتخذوه عدوا﴾ أي اعملوا ما يسوؤه وهو العمل الصالح. ثم قال: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا﴾ أي أشياعه ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (و) في الآية أشارة **إلى معنى لطيف وهو** أن من يكون له عدو فإما أن يعاديه مجازاة له وإما أن يرضيه فلما قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ أمرهم بالعداوة وأشار إلى أن الطريق ليس إلا هذا. وأما الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إن أرضيتموه واتبعتموه فهو لا يؤديكم إلا إلى السعير.

واعلم أن من علم أن له عدوا لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يق له ويصير معه على." (٣)

"حالا فهو كقول القائل: مررت بأخي زيد (قائما) ويريد كون زيد قائما. وذلك لا يجوز.

قلنا: من أكل لحمه فقط أكل فصار الأخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد.

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٣٩٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٤٥٢

(٣) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦/١٠٣

في هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم. وهذا من باب القياس الظاهر؟ لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه فلما لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأن ذلك آلم.

وقوله: «لحم أخيه» آكد في المنع؛ لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو، وفي قوله: «ميتا» إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال: الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال: آكل لحم الأخ وهو ميت أيضا يؤلمه ومع هذا فهو في غاية القبح لما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه، **وفيه معنى لطيف وهو** أن الاغتياب بأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضظر بقدر الحاجة، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب.

قوله: «فكرهتموه» قال الفراء: تقديره: فقد كرهتموه فلا تفعلوه. وقال ابن الخطيب: الفاء في تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال: أيحب للإنكار فكأنه قال: لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذن. وقال أبو البقاء: المعطوف عليه محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه. والمعنى يعرض عليكم فتكرهونه.

وقيل: إن صح ذلك عندكم فأنتم (أي) تكرهونه قال ابن الخطيب: هو كمتعلق المسبب بالسبب وترقبه عليه كقولك: جاء فلان ماشيا فتعب، فقيل: هو خبر يمعنى الأمر كقولهم: «اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه» .

وقرأ أبو حيوة والجحدري: فكرهتموه." (١)

"قال أبو حيان: وكلام الزمخشري ملفق من كلام أبي علي، وأما» من كانت أمك «فإنه حمل اسم» كان «على معنى» من «ن فإن لها لفظا مفردا مذكرا، ولها معنى بحسب ما تريد من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، وليس الحمل على المعنى لمرعاة الخبر، ألا ترى أنه يجيء حيث لا خبر، كقوله:

﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ [يونس: ٤٢] .

وقوله: [الطويل]

٢١٢٦ - ... - ... ... ... ... ... . .

تكن مثل من يا ذئب يصطحبان ... قال شهاب الدين - رحمه الله تعالى -: ليت شعري، ولأي معنى خص الزمخشري بهذا الاعتراض، فإنه وارد على أبي علي أيضا؟ إذ لقائل أن يقول: التأنيث في «جاءت» لحمل على معنى «ما» وإن لها هي أيضا لفظا ومعنى مثل «من» ن على أنه يقال: للتأنيث علتان، فذكر [إحداهما، ورجح] أبو عبيدة قراءة الأخوي ن بقراءة أبي، وابن مسعود: «وما كان فتنتهم إلا أن قالوا» فلم يلحق الفعل علامة تأنيث، ورجحها غيره بإجماعهم على نصب «حجتهم» من قوله تبارك وتعالى: ﴿كان حجتهم إلا أن قالوا﴾ [الجاثية: ٢٥] .

وقرئ شاذا «ثم لم يكن فتنتهم إلا أنه قالوا» بتذكير «يكن» ، ورفع «فتنتهم» .

ووجه شذوذها سقوط علامة التأنيث، والفاعل مؤنث لفظا، وإن كان غير حقيقي، وجعل غير الأعرف اسما، والأعرف

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٥١/١٧

خبرا، فهي خبرا، فهي عكس القراءة الأولى، من الطرفين، و «أن قالوا» مما يجب تأخيره لحصره سواء أجعل اسما أم خبرا.

فصل في معنى الفتنة في الآية

معنى قوله: «فتنتهم» ، أي: قولهم وجوابهم.

وقال ابن عباس، وقتادة: معذرتهم، والفتنة التجربة، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل: فتنة.

فصل في بيان لطيفة في الآية

قال الزجاج – رحمه الله – «لم تكن فتنتهم» معنى لطيف، وذلك لأن الله – تبارك وتعالى – بين أن المشركين مفتونون بشركهم متهالكين على حبه، فأعلم." (١)

"وفي التوبة والاستغفار معنى لطيف؛ وهو استدعاء محبة الله كما سلف، لا جرم جرى عليها السلف والخلف، والأنبياء أكثروا منها، ومن الاستغفار، والأوبة والإنابة في كل حين، والبراءة من الحوبة استدعاء للمحبة، والاستغفار فيه معني التوبة: قال ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ [التوبة: ١١٧]. ﴿واستغفره إنه كان توابا﴾ [النصر: ٣].." (٢)

"إنا فوضنا الخلافة إليه. وعندي أن ذلك عليه لا له لقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى إلخ فكأنه قيل له: إنا جعلناك تخلف من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله وفي سياسة المدن، أو تخلفنا كما يقال «السلطان ظل الله في الأرض» فاللائق بهذا المنصب السعي لإصلاح حال المسلمين وحفظ فروجهم ودمائهم وأموالهم لا السعي في تحصيل هوى النفس بأي وجه يمكن، فإن صاحبه المصر عليه ضال معرض عن إعداد الزاد ليوم المعاد. يحكى عن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو الزهري: هل سمعت ما بلغنا؟ قال: وما هو؟ قال: بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية. فقال: يا أمير المؤمنين، الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم تلا هذه الآية. وحين تم واقعة داود ونصحه وما فرض عليه في شأن الاستخلاف أشار إلى أن الأمور الدنيوية التابعة للحركات السماوية ليست واقعة على الجزاف، وبمقتضى الطبائع، ولكن لها غاية صحيحة فأجمل هذا المعنى أولا بقوله وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك الذي ذكر من خلق هذه الأشياء بلا غاية ظن الذين كفروا لأنهم بإنكارهم البعث جحدوا الجزاء الذي هو غاية التكليف فويل للذين كفروا من النار لأنهم بهذه العقيدة وقعوا في نار البعد والقطيعة فلم يستدلوا بالآفاق والأنفس على الصانع نظيره ما مر في آخر «آل عمران» ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار [الآية: ١٩١] ثم صرح بالغاية قائلا أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية. «وأم» منقطعة بمعنى بل والهمزة للإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما زعموا لاستوت حال الطائفتين المتقي المصلح للأرض بتهذيب الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية على وفق العقل والشرع، والفاجر المفسد في الأرض بهدم النواميس وتتبع الشهوات وهتك الحرمات، ومن سوى بينهم كان إلى السفه أقرب منه إلى الحكمة، ولا ينافي هذا إمكان التسوية من حيث المالكية. وحين ذكر **هذه المعاني اللطيفة والقواعد** الشريفة من على رسوله بقوله كتاب أي هذا كتاب أنزلناه إليك مبارك كثير المنافع والفوائد ليدبروا آياته ليتأملوا فيها ويستنبطوا الأسرار والحقائق

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٤/٨

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٠٣/٢٩

منها فمن حفظ حروفه وضيع حدوده كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير.
قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: يقال في وجه النظم إن العقلاء قالوا: من ابتلى بخصم جاهل مصر متعصب وجب عليه أن يقطع الكلام معه ويخوض في كلام آخر أجنبي حتى إذا اشتغل خاطره بالكلام الأجنبي أدرج في أثنائه مقدمة مناسبة للمطلوب الأول، فإن ذلك المتعصب قد يسلم هذه المقدمة فإذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في إثبات المطلوب الأول فيصير الخصم ساكتا مفحما. وإذ قد عرفت هذا فنقول: إن الكفار قد بلغوا في إنكار الحشر إلى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال." (١)

"البعث بقوله ألا إن الذين يمارون وأصله من المرية الشك لفي ضلال بعيد عن الصواب لأن استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب على فضله أو في حكمه، ولأن في إنكاره نسبة الله سبحانه إلى ضد العلم والقدرة. ثم إنه لا ريب في أن إنزال الكتاب والميزان لطف من الله على خلقه فلذلك قال الله لطيف بعباده عمم البر ثم خصص بقوله يرزق من يشاء يعني الزائد على مقدار الضرورة، فلكم من إنسان فاق أقرانه في المال أو الجاه أو الأولاد أو في العلم أو في سائر أسباب المزية إلا أن أحدا منهم لا يخلو من بره الذي يتعيش به كقوله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى [طه: ٥٠] **وقيل: معنى لطيف يرزقهم** من حيث لا يعلمون، أو يلطف بهم فلا يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا. وقد مر معناه في الأنعام بوجه آخر في قوله وهو اللطيف الخبير [الآية: ١٠٣] وأما قوله القوي العزيز ففيه إشارة إلى أن لطفه مقرون بقهره. وحين ذكر أنه يرزق من يشاء الزائد على مقدار كفايته وكان فيه كسر قلوب أرباب الضنك والضيق جبر كسرهم بقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه سماه حرثا تشبيها للعامل الطالب لثواب الآخرة أضعافا مضاعفة بالزارع الذي يلقي البذر في الأرض طلبا للزيادة والنماء، ومن فضائل حرث الآخرة أن طالبها قد يحصل له الدنيا بالتبعية ويرى ثواب عمله أضعافا مضاعفة، وطالب الدنيا لا تحصل له المطالب بأسرها ولهذا قال نؤته منها أي بعض ذلك وما له في الآخرة من نصيب قط وفي زيادة لفظ الحرث فائدة أخرى وهي أن يعلم أن شيئا من القسمين لا يحصل إلا بتحمل المتاعب والمشاق.
عن النبي صلى الله عليه وسلم «من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة» «١»
هذا لفظه أو لفظ هذا معناه. وعن قتادة إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا.
وفي ظاهر اللفظ دلالة على أن من صلى لطلب الثواب أو لدفع العقاب فإنه تصح صلاته لأنه صلى لأجل ما يتعلق بالآخرة. قال بعض أصحاب الشافعي: إذا توضأ بغير نية لم يصح لأن هذا الإنسان غفل عن الآخرة وعن ذكر الله، والخروج عن عهدة الصلاة من باب منافع الآخرة فلا يحصل بالوضوء العاري عن النية، وحيث بين القانون الأعظم والقسطاس الأقوم في أعمال الدارين نبه على أحوال الضلال بقوله أم لهم شركاء وهي المنقطعة عند بعضهم. وقال آخرون: هي المعادلة لألف الاستفهام تقديره أفيقبلون ما شرع الله لهم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥/٥٩٢

(١) رواه الترمذي في كتاب القيامة باب ٣٠ ابن ماجه في كتاب الزهد باب ٢ الدارمي في كتاب المقدمة باب ٣٢ أحمد في مسنده (٤/ ١٨٣) [.....]."[1]

"حصن أخو عيينة قدموا على إبل عجاف فقالوا يا رسول الله ادع لنا ربك أن يغيثنا فذكر الحديث وفيه فقال اللهم اسق بلدك وبهيمك وانشر بركتك اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء وفيه قال فلا والله ما نرى في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء فذكر نحو حديث أنس بتمامه وفيه قال الرجل يعني الذي سأله أن يستسقي لهم هلكت الأموال الحديث كذا في الأصل والظاهر أن السائل هو خارجة المذكور لكونه كان كبير الوفد ولذلك سمي من بينهم والله أعلم وأفادت هذه الرواية صفة الدعاء المذكور والوقت الذي وقع فيه قوله هلكت الأموال وانقطعت السبل أي بسبب غير السبب الأول والمراد أن كثرة الماء انقطع المرعى بسببها فهلكت المواشي من عدم الرعي أو لعدم ما يكنها من المطر ويدل على ذلك قوله في رواية سعيد عن شريك عند النسائي من كثرة الماء وأما انقطاع السبل فلتعذر سلوك الطرق من كثرة الماء وفي رواية حميد عند بن خزيمة واحتبس الركبان وفي رواية مالك عن شريك تهدمت البيوت وفي رواية إسحاق الآتية هدم البناء وغرق المال قوله فادع الله يمسكها يجوز في يمسكها الضم والسكون وللكشميهني هنا أن يمسكها والضمير يعود على الأمطار أو على السحاب أو على السماء والعرب تطلق على المطر سماء ووقع في رواية سعيد عن شريك أن يمسك عنا الماء وفي رواية أحمد من طريق ثابت أن يرفعها عنا وفي رواية قتادة في الأدب فادع ربك أن يحبسها عنا فضحك وفي رواية ثابت فتبسم زاد في رواية حميد لسرعة ملال بن آدم قوله فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه تقدم الكلام عليه قريبا قوله اللهم حوالينا بفتح اللام وفيه حذف تقديره اجعل أو أمطر والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور قوله ولا علينا فيه بيان للمراد بقوله حوالينا لأنها تشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله ولا علينا قال الطيبي في إدخال الواو هنا معنى لطيف وذلك أنه لو أسقطها لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو مخلصة للعطف ولكنها للتعليل وهو كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا عن الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك أنفا اه قوله اللهم على الآكام فيه بيان للمراد بقوله حوالينا والإكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع أكمة بفتحات قال بن البرقي هو التراب المجتمع وقال الداودي هي أكبر من الكدية وقال القزاز هي التي من حجر واحد وهو قول الخليل وقال الخطابي هي الهضبة الضخمة وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الأرض وقال الثعالبي الأكمة أعلى من الرابية وقيل دونها قوله والظراب بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن وقال القزاز هو الجبل المنبسط ليس بالعالي وقال الجوهري الرابية الصغيرة قوله والأودية في رواية مالك بطون الأودية والمراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع به قالوا ولم تسمع أفعلة جمع فاعل إلا الأودية جمع واد وفيه نظر وزاد مالك في روايته ورءوس الجبال قوله فانقطعت أي السماء أو السحابة الماطرة والمعنى أنها أمسكت عن المطر على المدينة وفي رواية مالك فانجابت عن المدينة انجياب الثوب أي خرجت عنها كما يخرج الثوب

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٦/٧٢

عن لابسه وفي رواية سعيد عن شريك فما هو إلا أن تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك تمزق السحاب حتى ما نرى منه شيئا والمراد بقوله ما نرى منه شيئا أي في." (١)

"الصاحب الحديث الخامس

[٣٨١٩] قوله عن إسماعيل هو بن أبي خالد قوله قلت لعبد الله بن أبي أوفى إلخ هذا مما حمله التابعي عن الصحابي عرضا وليس هذا من التلقين لأن التلقين لا استفهام فيه وإنما يقول الطالب للشيخ قل حدثنا فلان بكذا فيحدث به من غير ان يكون عارفا به حديثه ولا بعدالة الطالب فلا يؤمن أن لا يكون ذلك الطالب ضابطا لذلك القدر فيدل على تساهل الشيخ فلذلك عابوه على من فعله قوله بشر النبي صلى الله عليه وسلم هو استفهام محذوف الأداة قوله قال نعم في رواية مسلم بشر خديجة ببيت من قصب قال نعم إلخ ووقع في رواية جرير عن إسماعيل أنهم قالوا لعبد الله بن أبي أوفى حدثنا ما قال لخديجة قال قال بشروا خديجة فذكر الحديث هكذا تقدم في أبواب العمرة من البخاري قوله من قصب بفتح القاف والمهملة بعدها موحدة قال بن التين المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف قلت عند الطبراني في الأوسط من طريق أخرى عن بن أبي أوفى يعني قصب اللؤلؤ وعنده في الكبير من حديث أبي هريرة بيت من لؤلؤة مجوفة وأصله في مسلم وعنده في الأوسط من حديث فاطمة قالت قلت يا رسول الله أين أمي خديجة قال في بيت من قصب قلت أمن هذا القصب قال لا من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت قال السهيلي النكتة قي قوله من قصب ولم يقل من لؤلؤ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ هذا الحديث انتهى وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها وأما قوله ببيت فقال أبو بكر الإسكاف في فوائد الأخبار المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها ولهذا قال لا نصب فيه أي لم تتعب بسببه قال السهيلي لذكر **البيت معنى لطيف لأنها** كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي صلى الله عليه وسلم بيت إسلام إلا بيتها وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها قال وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر انتهى وفي ذكر البيت معنى آخر لأن مرجع أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إليها لما ثبت في تفسير قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت أم سلمة لما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي الحديث أخرجه الترمذي وغيره ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها قوله لا صخب فيه ولا نصب الصخب بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة الصياح والمنازعة برفع الصوت والنصب بفتح النون والمهملة بعدها موحدة التعب وأغرب الداودي فقال الصخب العيب والنصب العوج وهو تفسير لا

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٢/٥٠٥

تساعد عليه اللغة وقال السهيلي مناسبة نفي هاتين الصفتين أعني المنازعة والتعب أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعا فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها الحديث السادس

[٣٨٢٠] قوله عن عمارة هو بن القعقاع قوله عن أبي هريرة في رواية مسلم عن بن نمير عن بن فضيل بهذا الإسناد سمعت أبا هريرة قوله أتى جبريل في رواية سعيد بن كثير عند الطبراني." (١)

"بطريق الفحوى لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال في الحال بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة مما ينهى عنه فلأن ينهى عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أحرى وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه لما كان اشتقاق الكرم من الكرم والأرض الكريمة هي أحسن الأرض فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء لأن المؤمن خير الحيوان وخير ما فيه قلبه لأنه إذا صلح صلح الجسد كله وهو أرض لنبات شجرة الإيمان قال ويؤخذ منه أن كل خير باللفظ أو المعنى أو بهما أو مشتقا منه أو مسمى به إنما يضاف بالحقيقة الشرعية لأن الإيمان وأهله وإن أضيف إلى ما عدا ذلك فهو بطريق المجاز وفي تشبيه الكرم بقلب **المؤمن معنى لطيف لأن** أوصاف الشيطان تجري مع الكرمة كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة كما أن من غفل عن عصير كرمه تخمر فتنجس ويقوي التشبه أيضا أن الخمر يعود خلا من ساعته بنفسه أو بالتخليل فيعود طاهرا وكذا المؤمن يعود من ساعته بالتوبة النصوح طاهرا من خبث الذنوب المتقدمة التي كان متنجسا باتصافه بها إما بباعث من غيره من موعظة ونحوها وهو كالتخليل أو بباعث من نفسه وهو كالتخلل فينبغي للعاقل أن يتعرض لمعالجة قلبه لئلا يهلك وهو على الصفة المذمومة تنبيه الحبلة المذكورة في حديث وائل عند مسلم بفتح المهملة وحكي ضمها وسكون الموحدة وبفتحها أيضا وهو أشهر هي شجرة العنب وقيل أصل الشجرة وقيل القضيب منها وقال في المحكم الحبل بفتحتين شجر العنب الواحدة حبلة وبالضم ثم السكون الكرم وقيل الأصل من أصوله وهو أيضا اسم ثمر السمر والعضاه

(قوله باب قول الرجل فداك أبي وأمي)

تقدم ضبط فداك ومعناه في باب ما يجوز من الرجز والشعر قريبا قوله فيه الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى ما وصله في مناقب الزبير بن العوام من طريق عبد الله بن الزبير قال جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة يوم الأحزاب في النساء الحديث وفيه قول الزبير فلما رجعت جمع لي النبي صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبي وأمي

[٦١٨٤] قوله يحيى هو بن سعيد القطان وسفيان هو الثوري قوله يفدي بفتح أوله وسكون الفاء للكشميهني ولغيره بضم أوله والفاء المفتوحة والتشديد وقد تقدم في مناقب سعد بن أبي وقاص بيان الجمع بين حديث الزبير المذكور في الباب في إثبات التفدية له وبين حديث علي هذا في نفي ذلك عن غير سعد وكأن البخاري رمز بذلك إلى هذا الجمع وغفل من

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١٣٨/٧

خص حديث الزبير بتخريج مسلم مع إخراج البخاري له ورمزه إليه في هذاالباب وقوله في آخر هذا الحديث أظنه يوم أحد تقدم الجزم بذلك في رواية إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه في غزوة أحد من كتاب المغازي ولفظه فإني سمعته يقول ارم سعد فداك أبي وأمي وتقدم هناك سبب هذا القول لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه." [١]

"(ولا علينا) وقال الطيبي في إدخال: الواو، ههنا معنى لطيف، وذلك أنه لو أسقطها لكان مستسقيا للأكام وما معها فقط، ودخول: الواو، يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه، ولكن ليكون وقاية من أذى المطر، فليست: الواو، مخلصة للعطف، ولكنها: للتعليل. وهو كقولهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، فإن الجوع ليس مقصودا لعينه، ولكن لكونه مانعا من الرضاع بأجرة، إذ كانوا يكرهون ذلك. قوله: (على الأكام) ، فيه بيان للمراد بقوله: (حوالينا) ، روي: (الإكام) ، بكسر الهمزة وفتحها، ممدودة وهو جمع: أكمة بفتحات، قال ابن البرقي: هو التراب المجتمع. وقال الداودي: أكبر من الكدية. وقال القزاز: هي التي من حجر واحد. وقال الخطابي: هي الهضبة الضخمة. وقيل: الجبل الصغير. وقيل: ما ارتفع من الأرض. قوله: (والظراب) بكسر الظاء المعجمة وفي آخره باء موحدة: جمع ظرب، بسكون الراء. قاله القزاز، وقال: هو جبل منبسط على الأرض، وقيل بكسر الراء، ويقال: ظراب وظرب، كما يقال: كتاب وكتب. ويقال: ظرب، بتسكين الراء. قالوا: أصل الظراب ما كان من الحجارة أصله ثابت في جبل أو أرض حزنة، وكان أصله الثاني محدودا، وإذا كانت خلقة الجبل كذلك سمي ظربا. وفي (المحكم) : الظرب كل ما كان نتأ من الحجارة وحد طرفه. وقيل: هو الجبل الصغير. وفي (المنتهى) للبرمكي: الظراب: الروابي الصغار دون الجبل، وفي (الغريبين) : الأظراب جمع ظرب. قوله: (والأودية) جمع واد وفي رواية مالك: (بطون الأودية) ، والمراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع به، قالوا: ولم يسمع أفعلة جمع فاعل إلا أودية جمع واد، وزاد مالك في روايته: (ورؤوس الجبال) . قوله: (ومنابت الشجر) أراد بالشجر: المرعى ومنابته التي تنبت الزرع والكلأ. قوله: (فانقطعت) أي: السماء، ويروى: (فأقلعت) ، ويروى: (فانقلعت) ، والكل بمعنى واحد، وفي رواية مالك: (فانجابت عن المدينة انجياب الثوب) ، أي: خرجت عنها كما يخرج الثوب عن لابسه، وفي رواية سعيد عن شريك: (فما هو إلا أن تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك تمزق السحاب حتى ما نرى منه شيئا) ، والمراد بقوله: (ما نرى شيئا) ، أي: في المدينة، ولمسلم من رواية حفص: (فلقد رأيت السحاب يتمزق كأنه الملا حين يطوى) ، والملا، بضم مقصور وقد يمد جمع: ملاءة، وهو ثوب معروف. وفي رواية قتادة عند البخاري: (فلقد رأيت السحاب يتقطع يمينا وشمالا يمطرون) أي: أهل النواحي ولا يمطرون أهل المدينة، وله في الأدب: (فجعل الله السحاب يتصدع عن المدينة) ، وزاد فيه: (يريهم الله كرامة نبيه وإجابة دعوته) . وله في رواية ثابت عن أنس: (فتكشطت) ، أي: تكشفت، (فجعلت تمطر حول المدينة ولا تمطر بالمدينة قطرة، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل) . وفي مسند أحمد من هذا الوجه: (فتقور ما فوق رؤوسنا من السحاب حتى كأنا في إكليل) ، وهو بكسر الهمزة: التاج، وفي رواية إسحاق عن أنس: (فما يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة) ، والجوبة، بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الباء الموحدة: هي الحفرة المستديرة الواسعة، والمراد بها ههنا الفرجة في السحاب، وقال الخطابي: الجوبة هنا الترس، وضبط بعضهم: الجونة

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٥٦٨/١٠

بالنون ثم فسره: بالشمس إذا ظهرت في خلل السحاب. وقال عياض: فقد صحف من قال بالنون. وفي رواية إسحاق من الزيادة أيضا: (وسال الوادي وادي قناة شهرا) ، وقد فسرنا هذا في كتاب الجمعة في: باب الاستسقاء في الخطبة في الجمعة، وأكثر ما ذكرنا هنا ذكرناه هناك، وإن كان مكررا لزيادة الإيضاح ولسرعة وقوف الطالب للمعاني. قوله: (فسألت أنسا أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري) وفي موضع آخر: (فأتى الرجل فقال: يا رسول الله) ، وفي لفظ: (جاء رجل فقال: ادع الله يغثنا، ثم جاء فقال:) وفي لفظ في الأول: (قام أعرابي) ، ثم قال في آخره: (فقام ذلك الأعرابي) ، قال ابن التين: لعل أنسا تذكر بعد أو نسي بعد ذكره إن كان هذا الحديث قبل قوله: (لا أدري أهو الأول أم لا؟) .

ذكر ما يستفاد منه: فيه: جواز مكالمة الإمام في الخطبة للحاجة. وفيه: القيام للخطبة، وأنها لا تنقطع بالكلام ولا تقطع بالمطر وفيه: قيام الواحد بأمر الجماعة. وفيه: سؤال الدعاء من أهل الخير ومن يرجى منه القبول وإجابتهم لذلك. وفيه: تكرار الدعاء ثلاثا. وفيه: إدخال دعاء الاستسقاء في خطبة الجمعة والدعاء على المنبر. وفيه: لا تحويل ولا استقبال. وفيه: الاجتزاء بصلاة الجمعة عن صلاة الاستسقاء. وفيه: امتثال الصحابة بمجرد الإشارة. وفيه: الأدب في الدعاء حيث لم يدع برفع المطر مطلقا لاحتمال الاحتياج إلى استمراره، فاحترز فيه ما يقتضي رفع الضرر وإبقاء النفع. وفيه: أن الدعاء بدفع الضرر لا ينافي." (١)

"وهو المتحد بذاته ممتنع من أن يكون له شيء ثانيا بوجه من الوجوه والخلق كله له، وإن كان يسمى بالواحد، أو كانت هذه الصفة قد لزمت جميع الأشياء في وجه فإنها تزول عنها في وجه.

كما قيل: إنسان واحد وفرس واحد وبعير واحد، وكذلك يقال لسائر الأشياء، وهذه صفة تلزمها في اللفظ، والمسمى لا يخلو من معان كثيرة مجتمعة فيه كالجسم والعرض، وهو واحد مجموع من أشياء متفرقة، وكل شيء لا يخلو من ازدواج وتضاد وتشاكل وحد وعد، وهذه الصفات كلها تنفي عنه معنى الأحدية والواحدية، وفي الواحد عن العرب لغات كثيرة، يقال: واحد وأحد ووحد ووحيد وحاد وأحاد وموحد وأوحد – وهذا كله راجع إلى معنى الواحد، وإن كان في **ذلك معان لطيفة ولم** يجيء في صفة الله عز وجل إلا الواحد والأحد، قلت: والوحيد على بعض الإعرابات في المدثر، قال: وكلها مشتقة من الواحد، وكأن ذلك مأخوذ من الحد. كأن الأشياء كلها إليه انتهاؤها وهي محدودة كلها غيره عز وجل وهو محدود، بل هو غاية المحدودين وغاية الغايات لا غاية له، والأحد يجيء في الكلام بمعنى الأول وبمعنى الواحد، فإذا جاء بمعنى الأول وبمعنى الواحد جاز." (٢)

"قال الطيبي: "عطف جملة على جملة، أي أمطر حوالينا ولا تمطر علينا. ولو لم تكن الواو لكان حالا". قال: "وفي إدخال الواو هنا معنى لطيف، وذلك أنه لو أسقطها كان مستقيا للآكام وما معها فقط، ودخول الواو ويقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه، ولكن ليكون وقاية من أذى المطر، فليست الواو مخلصة للعطف، ولكنها للتعليل، وهو كقولهم "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها"i، فإن الجوع ليس مقصودا لعينه، ولكن لكونه مانعا عن الرضاع بأجرة، إذ كانوا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٤١/٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٦٤/٢٢

يكرهون ذلك"ii.

قوله (قال فأقلعت) .

قال الكرماني: "فإن قلت: فما وجه تأنيث الفعل؟ قلت: تأنيثه إما باعتبار السحابة، أو باعتبار السحاب"iii.

قوله (فادع الله يحبسها عنا) .

قال ابن مالك: "يجوز في "يحبسها" الجزم على جعله جوابا للدعاء، لأن المعنى إن تدعه يحبسها، وهو أجود، والرفع على الاستئناف أي فهو يحبسها والنصب على إضمار "أن "كأنه قال ادع الله أن يحبسها، ومثله قراءة الأعمش iv ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ v وقول بعض العرب "خذ اللص قبل يأخذك vii" vi.

وقال الطيبي: "الضمير فيه للسحاب فإنها جمع سحابة"viii.

قوله "اللهم أغثنا".

قال القرطبي: "كذا رويناه بالهمزة، وهي للتعدية، ومعناه هب لنا غيثا. وقال بعضهم: صوابه "غثنا" لأنه من "غاث". قال وأما "أغثنا" فإنه من الإغاثة وليس من طلب الغيث"ix. قال القرطبي: "والصواب الأول".

---

i انظر في هذا المثل: الفاخر للمفضل بن سلمه ص ١٠٩.

iiشرح مشكاة المصابيح/ مخطوط ج ٤ ورقة ٢٧٨. وانظر: فتح الباري ٢/ ٥٠٥.

iii صحيح البخاري شرح الكرماني ١٠٨/٦.

ivالأعمش هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكوفي، الإمام الجليل، كان ورعا واسع الحفظ للقرآن. مات سنة ١٤٨هـ. انظر القراءات الشاذة للمرحوم القاضي ص ٦ ا-١٧.

vسورة المدثر: آية ٦. وفي المحتسب ٣٣٧/٢: قرأ الحسن "ولا تمنن تستكثر" جزما، وقرأ الأعمش "تستكثر" نصبا. وانظر: القرطبي ٦٩/١٩.

viالأشموني ٣١٥/٣، توضيح المقاصد للمرداوي ٢٢٣/٤.

vii شواهد التوضيح ١٧٩.

viii شرح المشكاة- ج٤ ورقة ٢٧٨- والمقصود الضمير في "يحبسها".

ix انظر كلام القاضي عياض على هذه المسألة في صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١٩١.." (١)

"يجمع أسير على أسرى ثم على أسارى فيمن فتح الهمزة، أو مقلوب يتائم جمع يتيم فإن فعيلا إذا كان اسما يجمع على أفاعل كأفيل وأفايل، وقل ذلك في الصفات، لكن اليتيم أجري مجرى الأسماء كصاحب وفارس، ولهذا قل ما يذكر معها الموصوف، وقد ورد الأصل في قول الشاعر:

أأطلال حسن بالبراق اليتائم ... سلام على أحجار كن القدائم.

---

(١) عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في إعراب الحديث السيوطي ٧٣ - ٦٨/٧٤

والقدائم أيضا مما جرى مجرى الأسماء لكن ذكر الموصوف معها يأبى التأويل. اه

قوله: (لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ).

أي عرف الشرع.

قال الطيبي: هو من المنقولات الشرعية لحديث: لا يتم بعد احتلام. اه

قوله: (أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم).

قال الطيبي: يعني سموا اليتامى وإن لم يكونوا يتامى مجازا **لاعتبار معنى لطيف وهو** أن لا يؤخر الإيتاء عن البلوغ، ويسمى هذا الفن في الأصول بإشارة النص وهو: أن يساق الكلام لمعنى ويضمن معنى آخر. اه

قوله: (روي أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير).

زاد في الكشاف: فدفع ماله إليه فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته.

فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ثبت الأجر وبقي الوزر. قالوا: يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله؟." (١)

"جبل معروف بالمدينة فطلعت سحابة مثل الترس قال ثابت وجه التشبيه في كثافتها واستدارتها ولم يرد في قدرها ما رأينا الشمس ستا في رواية سبتا أي أسبوعا وكانت اليهود تسمي الأسبوع السبت باسم أعظم أيامه عندهم فتبعهم الأنصار في هذا الاصطلاح ثم لما صار الجمعة أعظم أيامه عند المسلمين سموا الأسبوع جمعة وذكر النووي والقرطبي وغيرهما أن رواية ستا تصحيف اللهم حوالينا بفتح اللام وفيه حذف تقديره اجعل أو أمطر والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور ولا علينا قال الطيبي في إدخال الواو **هنا معنى لطيف وذلك** أنه لو أسقطها كان مستسقيا للآكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو محصلة للعطف ولكنها للتعليل وهو كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا عن الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك والظراب بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بفتح أوله وكسر الراء." (٢)

"[٤٨٦] اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك إلى آخره قال الخطابي **فيه معنى لطيف وذلك** أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا آتي به وقيل لا أحيط به وقال مالك معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء فوكل ذلك

---

(١) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي السيوطي ١٢٠/٣

(٢) حاشية السيوطي على سنن النسائي السيوطي ١٦٢/٣

إلى الله سبحانه المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه وكلما أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم مع أنه متعال عن القدر وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ." (١)

"من باب القياس الظاهر لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأن ذلك أشد ألما وقوله تعالى لحم أخيه آكد في المنع لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله تعالى: ﴿ميتا﴾ إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال: إن الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم، فيقال لحم الأخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح كما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه **وفيه معنى لطيف وهو** أن الاغتياب أكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إذا وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب. قال مجاهد: لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا: لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. قال الزجاج: تأويله أن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك.

قال الرازي: وفي ضمير فكرهتموه وجوه: أظهرها: أن يعود إلى الأكل. وثانيها: أن يعود إلى اللحم أي: فكرهتم اللحم. وثالثها: أن يعود إلى الميت في قوله تعالى ميتا تقديره أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة إن أكلت في الندرة تستطاب نادرا ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا. فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكله ففيه إذا كراهية شديدة. وكذلك حال الغيبة.

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظافير من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» وقال ميمون بن سنان: بينما أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال إنك اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكن سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحد ولا يدع أحدا يغتاب عنده.

وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي: اجعلوا بينكم وبين الملك الأعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الأوامر والنواهي أي اجتنبوا واتقوا الله ﴿إن الله﴾ أي: الملك الأعظم ﴿تواب﴾ أي: مكرر للتوبة وهي الرجوع عن المعصية إلى ما كان قبلها من معاملة التائب وإن كرر الذنب فلا ييأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت ﴿رحيم﴾ يزيده على ذلك بأن يكرمه غاية الإكرام.

تنبيه: ختم سبحانه وتعالى الآيتين بذكر التوبة فقال في الأولى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ وقال ههنا ﴿إن الله

---

(١) شرح السيوطي على مسلم السيوطي ٢/١٧٨

تواب رحيم﴾ لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء بالأمر في قوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيرا﴾ فذكر الإثبات الذي هو قريب من الأمر. وقوله تعالى:

﴿يا أيها الناس﴾ أي: كافة المؤمن وغيره ﴿إنا﴾ أي: على مالنا من العظمة ﴿خلقناكم﴾ أي: أوجدناكم من العدم على ما أنتم عليه من المقادير." (١)

"البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة» . حديث موضوع.

سورة الإخلاص مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي، وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا.

﴿بسم الله﴾ الذي له جميع الكمال ذي الجلال والجمال ﴿الرحمن﴾ الذي أفاض على جميع خلقه عموم الأفضال ﴿الرحيم﴾ الذي خص أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والأكمال.

واختلف في سبب نزول سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ فروى أبو العالية عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر: إلى من تدعنا يا محمد؟ فقال: إلى الله تعالى، قال: صفه لنا، أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت، واهلك الله تعالى أربد بالصاعقة وعامر من الطفيل بالطاعون. وقال الضحاك وقتادة ومقاتل: جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك، فإن الله تعالى أنزل صفته في التوراة فأخبرنا من أي: شيء هو، وهل يأكل ويشرب، ومن ورث ومن يرثه فنزلت. ﴿ ﴾

تنبيه: هو ضمير الشأن وهو مبتدأ وخبره الله، وأحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله تعالى على جميع صفات الكمال؛ إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة، وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقضية للألوهية. فائدة: جاء في الواحد عن العرب لغات كثيرة، يقال: واحد وأحد ووحد ووحيد ووحاد وأحاد وموحد وأوحد، وهذا كله راجع إلى معنى الواحد، وإن كان في **ذلك معان لطيفة ولم** يجيء في صفات الله تعالى إلا الواحد والأحد.

وقوله تعالى: ﴿الله﴾ ، أي: الذي ثبتت إلهيته وأحديته لا غيره مبتدأ خبره ﴿الصمد﴾ وأخلى هذه الجملة عن العاطف

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٧١/٤

لأنها كالنتيجة للأولى، أو الدليل عليها. والصمد: السيد المصمود إليه في الحوائج، والمعنى: هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم، وهو واحد متوحد بالإلوهية ولا يشارك فيها وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه، وهو الغني عنهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الصمد هو الذي لا جوف له، وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، وقال الربيع: هو الذي لا تعتريه الآفات، وقال مقاتل بن حبان: هو الذي لاعيب فيه، وقال قتادة: هو الباقي بعد فناء خلقه، وقال سعيد بن جبير: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وقال السدي: هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب. تقول العرب: صمدت فلانا أصمده صمدا بسكون الميم إذا قصدته.

وعن أبي بن كعب: هو الذي ﴿لم يلد﴾ لأن من يلد سيموت، ومن يرث يورث عنه ففسر الصمد بما بعده. وينبغي أن تجعل هذه." [١]

"الفصل الثالث

١٩٦٢ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " «أتاكم رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه

ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم» ". رواه أحمد والنسائي.

---

الفصل الثالث

١٩٦٢ - (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أتاكم ") أي جاءكم " رمضان " أي زمانه أو أيامه " شهر مبارك " بدل أو بيان، والتقدير هو شهر مبارك، وظاهره الإخبار أي كثر خيره الحسي والمعنوي، كما هو مشاهد فيه، ويحتمل أن يكون دعاء أي جعله الله مباركا علينا وعليكم، وهو أصل في التهنئة المتعارفة في أول الشهور بالمباركة، ويؤيد الأول قوله - صلى الله عليه وسلم -: " «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان» "، إذ فيه إيماء إلى أن رمضان من أصله مبارك فلا يحتاج إلى الدعاء، فإنه تحصيل الحاصل، لكن قد يقال: لا مانع من قبول زيادة البركة " «فرض الله عليكم صيامه» " أي بالكتاب والسنة وإجماع الأمة " تفتح فيه أبواب السماء " استئناف بيان، ويحتمل أن يكون حالا وهو بصيغة المجهول وبالتأنيث في الأفعال الثلاثة، ويجوز تذكيرها وبتخفيف الفعلين الأولين ويشددان " «وتغلق فيه أبواب الجحيم» " وفي نسخة: " الحميم " وهو تصحيف " وتغل " بتشديد اللام من الإغلال " فيه مردة الشياطين " يفهم من هذا الحديث أن المقيدين هم المردة فقط، **وهو معنى لطيف يزول** به الإشكال السابق، فيكون عطف المردة على الشياطين في الحديث المتقدم عطف تفسير وبيان، ويحتمل أن يكون تقييد عامة الشياطين بغير الأغلال، والله أعلم بالأحوال

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير  الخطيب الشربيني ٤/٦٠٩

" لله فيه " أي في ليالي رمضان على حذف مضاف أو في العشر الأخر منه يعني غالبا، وإلا فهي مبهمة في جميع رمضان أو في جميع السنة كما هو مذهبنا، ولذا لو قال أحد لامرأته: أنت طالق في ليلة القدر لا تطلق حتى." (١)

"٥٦٧٧ - وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " «الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا، ويهوى به كذلك فيه أبدا» ". رواه الترمذي.

---

٥٦٧٧ - (وعن أبي سعيد، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " الصعود) بفتح الصاد، واللام للعهد، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعودا﴾ [المدثر: ١٧] أي سأغشيه عقبة صعبة المسلك (جبل) ففي القاموس: الصعود بالفتح ضد الهبوط، وجبل في جهنم، والعقبة الشاقة، والمعنى أنه جبل عظيم (من نار يتصعد فيه) بصيغة المجهول أي يكلف الكافر ارتقاءه، وفي نسخة بفتح أوله، أي يطلع في ذلك الجبل (سبعين خريفا) ، أي مدة سبعين عاما (ويهوى به) بصيغه المفعول أي يكلف ذلك الكافر بسقوطه فيه، وفي نسخة - بفتح الياء وكسر الواو - أي ينزل بذلك الكافر، من هوى ك " رمى ": سقط، فالباء للتعدية. (كذلك) أي سبعين خريفا (فيه) أي في ذلك الجبل (أبدا) . قيد للفعلين، أي يكون دائما في الصعود والهبوط، ومنه **يتبين معنى لطيف فيما** اشتهر عنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - «أن السفر قطعة من سقر» مع ما فيه من الإيمان إلى اللطافة النقطية والمحاسبة الأبجدية، وبهذا." (٢)

"(فادع الله لنا) . أي: متضرعا إليه (فرفع يديه) ، أي: بالسؤال لديه (وما نرى) ، أي: نحن (في السماء قزعة) ، بفتح القاف والزاي أي: قطعة من السحاب (فوالذي نفسي بيده ما وضعها) ، أي: يده، وأفرد الضمير باعتبار إرادة الجنس (حتى ثار السحاب) ، أي: سطع وظهر جنس السحاب ظهورا كاملا (أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره، حتى رأيت المطر يتحادر) : في النهاية، أي ينزل ويقطر، وهو يتفاعل من الحدور ضد الصعود يتعدى ولا يتعدى اهـ. والمعنى حتى يتساقط المطر. (على لحيته) : وقيل: يريد أن السقف قد وكف حتى نزل الماء عليه، ذكره ابن الملك. ولا يخفى بعده (فمطرنا) : بصيغة المفعول أي: جاءنا المطر (يومنا) ، أي: بقية يومنا (ذلك) ، وهو يوم الجمعة (ومن الغد ومن بعد الغد) : يحتمل أن تكون من تبعيضية، والأظهر أنها ابتدائية لقوله: (حتى) ، أي: إلى (الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي) : حال أي: وقد قام ذلك الأعرابي بعينه (أو غيره) : من الأعراب أو من غيرهم. قال الحافظ العسقلاني: وفي رواية: ثم دخل رجل في الجمعة المقبلة، وهذا ظاهره أنه غير الأول، وفي رواية: حتى جاء ذلك الأعرابي في الجمعة الأخرى، وهذا يقتضي الجمع بكونه واحدا، فلعل أنسا ذكره بعد أن نسيه، أو نسيه بعد أن ذكره. قلت: ويحتمل أنه تردد في كون القائم الثاني هو الأول، لكن غلب على ظنه تارة أنه هو، فعبر عنه بالجزم، وتارة أنه غيره، فعبر عنه بالتنكير، وتارة أتى بصيغة الشك لاستواء الأمرين عنده، فالشك منه لا من غيره والله تعالى أعلم.

(فقال) ، أي: القائم (يا رسول الله! تهدم) : بتشديد الدال، أي: خرب (البناء، وغرق المال) : بكسر الراء أي: صار غريقا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٤/١٣٦٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٩/٣٦١٧

(فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: اللهم حوالينا) ، أي: أمطر حوالينا بفتح اللام أي: في مواضع المنافع الحاصلة لنا ثم أكده بقوله. (ولا علينا) ، أي: لا تمطر في مواضع المضرة الواقعة علينا. قال العسقلاني، أي: أنزل الغيث في وضع النبات لا على الأبنية يقال: قعد حوله وحواله وحوليه وحواليه بفتح اللام، ولا يقال حواليه بكسر اللام، قاله الجوهري وغيره، ثم قال: وفي قوله: (ولا علينا) بيان للمراد بقوله: (حوالينا) ثم في إدخال الواو هاهنا معنى لطيف، وذلك لأنه يقتضي أن طلب المطر على حوالينا ليس مقصودا لعينه، بل ليكون وقاية عن أذى المطر. قلت: الواو خالصة للعطف لكنها للتعليل كقولهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثديها، فإن الجوع ليس مقصودا بعينه، لكن لكونه مانعا من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك اهـ.

وقال بعض المحققين: أوثر حوالينا لمراعاة الازدواج مع قوله: علينا نحو قوله تعالى: ﴿من سبإ بنبإ يقين﴾ [النمل: ٢٢] وقال الطيبي، قوله: (ولا علينا) عطف على جملة (حوالينا) ولو لم تكن الواو لكان حالا أي: أمطر على المزارع، ولا تمطر على الأبنية، وأدمج في قوله: علينا معنى المضرة كأنه قيل: اجعل لنا لا علينا. (فما يشير) : حكاية حال ماضية (إلى ناحية) ، أي: جانب من السحاب جمع سحابة (إلا انفرجت) ، أي: انكشفت وتفرقت (وصارت المدينة) ، أي: جوها (مثل الجوبة) ، بفتح الجيم وسكون الواو الفرجة في السحاب، والمعنى أن المطر أو الغيم انكشف عما يحاذينا، وأحاط بما حولنا بحيث صار جو المدينة مثل الجوبة خاليا عن السحاب، فحذف المضاف وهو الجو، وأقيم المضاف إليه مقامه، كذا ذكره شارح. وقيل: المعنى حتى صارت المدينة مثل الحفرة المستديرة الواسعة، وصار الغيم محيطا بأطراف المدينة منكشفا عنها. (وسال الوادي قناة) : بالضم على أنه بدل أو بيان للوادي، وهي علم له غير منصرف، وفي نسخة بالفتح بتقدير أعني، وفي أخرى بتنوينها (شهرا) ، ظرف سال. قال ميرك: أعرب قناة بالضم على البدل بناء على أن قناة اسم الوادي، ولعله من تسمية الشيء باسم ما جاوره أقول: فالقناة اسم أرض بجنب.." (١)

"كان لكم، وفي مثل فئتكم الكافرة إشارة إلى أن الصفة للفئة الكافرة المذكورة بطريق الغيبة لا للمخاطبين بتروهم لئلا يلزم الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وخطاب تروهم للمخاطبين بقوله لكم لا للفئة الكافرة لئلا يلزم الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وفئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة في موضع الخبر أي هما فئة تقاتل، وأخرى كافرة أو البدل من فئتين أو المفعول أو الحال فليست عبارة عن المخاطبين في لكم بحيث يكون مقتضى الظاهر الخطاب ليلزم الالتفات فلا يلتفت إلى قول من زعم أن فيه ثلاث التفاتات وهذا مما رد به ما مر، وقد تبع فيه المدقق في الكشف وما ذكر من الالتفات سبقه إليه صاحب الانتصاف وتابعه الطيبي وسنبين لك حقيقته وقوله: فلما لاقوهم بالقاف من الملاقاة وروي بالفاء المشددة أي خالطوهم من الالتفاف في القتال، وهو مخالطة الجيشين كما قيل ما تصافوا حتى تلافوا وقوله وذلك كان بعدما قللهم إشارة إلى دفع ما قيل: إنه يناقض قوله في الأنفال ويقللكم في أعينهم بأنهم قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين. قوله: (أو يرى المؤمنون المشركين الخ (هذا احتمال آخر ولا يرد عليه السؤال السابق في تعارض الآيتين لأنهم كانوا ثلاثة أمثالهم فاراءتهم مثليهم تقليل لهم في الواقع لما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى: ﴿فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦] بعدما

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٨٠٢/٩

كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين﴾ ولهذا أيضا وصف ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف، فإن قلت: إنه قال في الكشاف بعدما ذكر هذا وقراءة نافع لا تساعد عليه فكيف يقول المصنف رحمه الله تعالى، ويؤيده قراءة نافع قلت أجيب عن هذا بأن الزمخشري لما تعين عنده أن خطاب قد كان لكم للمشركين كانت قراءة الخطاب في ترونهم على تقدير أنهم المسلمون تفكيكا للنظم فلذا قال إنها غير مساعدة، وأما المصنف رحمه الله تعالى فلما جوز كون الخطاب الأول للمؤمنين لم يجعلها غير مساعدة وهذا لا يقتضي أنها مؤيدة خصوصا وقد أخر ذلك الاحتمال ولم يبين أنه مراد على هدا التوجيه أتول الظاهر أنه يريد أن الخطاب الواقع في آية الوعد المتقدمة للمؤمنين يقتضي أنه هنا إنجاز للوعد فيكون معنى قوله لكم آية علامة على ما وعدتم به فاثبتوا، فالخطاب الأول للمؤمنين على أنه ابتداء خطاب في معرض الامتنان عليهم بما سبق الوعد به **وهذا معنى لطيف ولا** يضر كونه خلاف الظاهر لأنه يقتضي مرجوحيته وقد أشار إليه بتأخيره، وفي الانتصاف إنما قال الزمخشرقي ذلك لأن الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين أي ترونهم يا مسلمين وبكون ضمير المثلين أيضا للمسلمين، وقد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج في جملة واحدة من الحضور إلى الغيبة

والالتفات، وان كان شائعا فصيحا إلا أنه إنما يأتي في الأغلب في جملتين وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة لأن مثليهم مفعول ثان للرؤية ولو قال القائل. ظننتك يقوم على لفظ الغيبة بعد الخطاب لم يكن بذاك فهذا هو الوجه الذي باعد الزمخشري من قراءة نافع ومن هذا التأويل إلا أنه يلزم مثله على أحد وجهيه المتقدمين آنفا لأنه قال: معناه على قراءة نافع ترون يا مشركون المسلمين مثلى عددهم أو مثلى فئتكم الكافرة فعلى هذا الوجه الثاني يلزم الخروج من الخطاب إلى الغيبة في الجملة بعينها كما التزمه هو على ذلك الوجه (وههنا بحث) وهو أنه إذا عبر عن جماعة بطريق من الطرق الثلاثة، ثم عبر عن بعضه بطريق آخر يخالفه هل يعد هذا من الالتفات أم لا الظاهر أنه لا يعد منه لكن وقع في كلام بعضهم ما يقتضي أنه منه فلعل من ذهب إلى الالتفات هنا بناء على هذا فلا تعارض بين مسلك الانتصاف والطيبي، والعلامة وبين ما ذهب إليه في الكشف وشرح التحرير. قوله: (وقرئ بهما) أي بالياء والتاء على البناء للمفعول، قيل: لم يجعله بمعنى الظن كما هو الشائع في الإراءة لأنه يأباه رأي العين لكن الأولى حمله عليه وجعل الظن بمعنى اليقين ولا حاجة إليه لأنه مصدر تشبيهي وقد اعترف به هذا القائل. قوله: (والنصب على الاختصاص) اعترض عليه أبو حيان- رحمه الله- بأن المنصوب على الاختصاص." (١)

"الوجهين، والا فظاهر أنه إخبار مقيد بالشرط، فإن قيل فهلا حمل الكلام على ظاهره قلنا لا لأن إن لا تقلب الماضي المصدر بقد، ولا المقدم على الشرط، فكيف إذا اجتمع الأمران فظاهر أن الافتراء الماضي لا تعلق له بالعود، ولا سبيل إلى الحمل على إن عدنا ظهر أنا قد أفترينا البتة لإيهامه أن المانع ظهور الافتراء لا هو نفسه، لأن المقيد بالعود هو الافتراء نفسه لا ظهوره، وكذا قيل وفيه نظر لوروده على الوجه الثاني، أعني جعل قد افترينا جواب القسم بحذف اللام فإنه مقيد بالشرط، ولاندفاعه بجعل الماضي بمعنى المستقبل، تنزيلا له منزلة الواقع، ومقربا إلى الحال حتى كأنه قيل تد افترينا الآن

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٩/٣

أن همنا بالعود كما ذكره أبو البقاء رحمه الله. وبالجملة فاستقامة ظاهر الكلام على تقدير القسم وعدمها بدونه محل نظر ورد، بأن حاصل سؤال الزمخشري كما قرر في الكشف أن الظاهر في مثله أن لا يتعلق بالشرط نفس الجزاء، بل ظهوره والعلم به، على عكس ما قرره النحرير، كما في نحو إن أكرمتني اليوم فقد أكرمتك أمس، ونحو: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠] وهاهنا المقصود تقييد نفس ألافتراء بالعود، ولفظ قد وصيغة المضي يمنعانه، وحاصل الجواب أنه أخرج لا على مقتضى الظاهر إذ المعنى على تقيد الافتراء كما آثره القاضي وأبو البقاء رحمهما الله، ولفظة قد مع صيغة الماضي تدل على التأكيد فيستاد منها نفي التعجب، أو كونه جواب قسم بقرينة المقام، وهذا مما لا غبار عليه، وقوله نزعم أن لله تعالى ندا بيان لمعنى الافتراء. قوله: (وقيل إنه جواب قسم الخ)

فحذف القسم ولام الجواب مقدرة فيه أيضاً، وجوز في البحر تبعا لابن عطية رحمه الله أن يكون الفعل المذكور قسما، كما يقال برئت من الله إن فعلت كذا قال الشاعر:

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس

إن لم أشن على ابن هند غارة لم يخل يوما من نهاب نفوس

قوله: (وما يصح لنا الخ) كان تامة بمعنى وجد، وصح بمعنى وجد أيضا، ولا يكون في استعمال العرب بمعنى لا يصح ولا يقع وتارة بمعنى لا ينبغي ولا يليق كما صرحوا به. قوله: (خذلاننا وارتدادنا الخ) في الكشاف معنى قوله: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله﴾ إلا أن يشاء خذلاننا ومنعنا الألطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا، وتكون عبثاً، والعبث قبيح لا يفعله الحكيم، والدليل عليه قوله: ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ أي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون، فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب، وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى الكفر بعد الإيمان، وقد رد عليه المصنف رحمه الله بزيادة الارتداد، وجعله مراد الله ووجهه. كما قال بعض المدققين إن معنى: ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ إنه يعلم كل حكمة ومصبحة ومشيئته على موجب الحكمة، فلو تحقق مشيئته للعود والارتداد لم يكن خاليا من الحكمة فلا يستبعد **وهذا معنى لطيف فلا** وجه لأن يقال لو أريد إلا أن يشاء الله عودنا لما كان لذكر سعة العلم بعده كبير معنى بل كان المناسب ذكر شمول الإرادة، وأن الحوادث كلها بمشيئة الله كما قرره النحرير. قوله: (وقيل أراد به حسم طمعهم الخ) الحسم القطع، وهذا رد على الزمخشري فيما تبع فيه الزجاج، بأن المراد من ﴿إلا أن يشاء الله﴾ التأبيد لأنه تعالى لا يشاء الكفر نحو حتى يبيض القار ويشيب الغراب، وهو مخالف للنصوص القرآنية والعقلية، من أن جميع الكائنات تابعة لمشيئة الله وقوعا وعدما، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يلائمه أيضا قوله: ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ وما قيل إن مآل الكلام إلى شرطية وصدقها لا يقتضي تحقق طرفها ولا إمكانه، ولم يتحقق هنا، والقصر في الآية في شعيب ع! هـ والمؤمنين فجاز أن يكون كفر غيرهم بدون مشيئة كلام واه فإنه لا معنى للتعليق بالمشيئة، إلا أن وقوعه وعدمه منوط بإرادة الله تعالى، سواء وقع أو لا، ولذا لما لم ير الزمخشري منه محيصا تعلق تارة بقوله: ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ وأخرى بجعله من التعليق بالمحال. قوله: (أي أحاط علمه بكل شيء الخ) فيقع ذلك بإرادته الجارية على وفق علمه بما فيه من الحكمة والمصلحة من الردة والثبات على الإيمان، فلا دليل فيه على أن المعنى إلا أن يشاء الله خذلاننا، ومنع الألطاف عنا

كما قاله الزمخشري بناء على مذهبه. قوله: (احكم بيننا
الخ) يعني الفتح بمعنى الحكم، وهي." (١)

"أخبرهم به، والمراد بالذلة الانكسار من الفزع والا فالعزة دله ولرسوله والمؤمنين. قوله:) وإمداد الملائكة وكثرة العدد) بضم العين جمع عدة وهي ما يعد للحرب، وغيره كالسلاح والأهب جمع أهبة بمعناه فهو عطف تفسير وتأكيد أو بفتحتين وهو ظاهر، وفي الكشاف يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة عليهم الصلاة والسلام فإن الناصر هو الله لكم للملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله، والفرق بينهما أنه على الأول لا دخل للملائكة في النصر، والثاني أن لهم دخلا إلا أنهم ليسوا بسبب مستقل، ولتقارب الوجهين أدرجهما المصنف رحمه الله تعالى في كلامه وأما ما قيل إنه ترك لقلة مساسه بالمقام، فلا مساس له بالمقام. قوله: (بدل ثان من إذ يعدكم الخ) وهذا بناء على جواز تعدد البدل، والنعمة الثالثة أن الخوف كان يمنعهم النوم فلما طمن الله قلوبهم نعسوا، ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة وسوسة من لشيطان وضعف تعلقه
بالنصر، بأن فيه إعمال المصدر المعرف بأل وفيه خلاف للكوفيين، والفصل بين المصدر ومعموله، وعمل ما قبل إلا فيما بعدها، وتعلقه بما في الظرف من معنى الفعل لتقدير ثابت، ونحوه قيل عليه إنه يلزم تقييد استقرار النصر من الله بهذا الوقت ولا تقيد له به، ورد بأن المراد به نصر خاص فلا محذور في تقييده فتأمل، وفي تعلقه بجعل فصل بينهما، وفيه وجوه أخر ووجه القرآت ظاهر. قوله: (أمنا من الله) يعني الأمنة هنا مصدر بمعنى الأمن كالمنعة، وان كان قد يكون وصفة بمعنى أمين كما ذكره الراغب وفي نصبه وجوه، منها ما ذكره المصنف رحمه الله، وهو أنه مفعول له ولما كان من شرطه أن يتحد فاعله وفاعل الفعل العامل فيه، وفاعله هم الصحابة رضي الله تعالى عنهم الآمنون، وفاعل يغشى على هذه القراءة الله، وعلى الأخرى النعاس، أجاب) بأن يغشيكم النعاس) يلزمه معنى تنعسون، فجعل كناية عنه، وهذا مفعول له باعتبار المعنى الكنائي، فقوله متضمن بمعنى مستتبع ومستلزم له حخى كأنه في ضمنه ويغشاكم النعاس مؤول بتنعسون لأنه بمعناه، وقوله: (والأمنة) فعل لفاعله أي لفاعل تنعسون الذي دل عليه الكلام. قوله:) ويجوز أن يراد بها الإيمان) أي يراد الإيمان بمعناه اللغوي، وهو جعل الغير آمنا بمعنى الأمان فيكون مصدر آمنه، وهو بعيد في اللغة كما قاله النحرير، بناء على أنه مصدر المزيد بحذف الزوائد ولك أن تقول ليس مراده هذا بل منه لما كان صفة آمنة ومآل معنى الأمنة الكائنة من الله التأمين فباعتباره جعل مفعولا له، واتحدا فاعلا، والحاصل أنه إما أن يؤول الفعل أو المصدر فتدبر، ومع هذا فعلى قراءة يغشيكم ظاهر لأن فاعل التغشية، والأمان هو الله وأما على الأخرى وهي يغشاكم فلا يتأتى هذا بل يؤول بما مر، ويجوز في هذه القراءة وجه آخر وهو أن يجعل إلا من صفة النعاس لا صفة أصحابه وهو أن النوم كأنه كان يخاف أن يأتيهم لئلا يمسه ما مسهم، أو أنه التمس منهم الأمنة فلما أمن أتاهيم كما في البيت المذكور، وهو معنى لطيف، وان قيل: إنه تخيل يليق بالشعر لا بالقرآن، ثم إن وجهه كما قيل إنه استعارة بالكناية شبه النعاس بشخص من شأنه أن يأتيهم في وقت الأمن دون الخوف وقرينته إثبات الأمن له، وقيل: إنه جعل الأمنة فعل النعاس على الإسناد المجازي لكونه من ملابسات أصحاب الأمن أو على

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٩٠/٤

تشبيه حاله مجال إنسان شأنه الأمن والخوف، وان حصل له من الله تعالى الأمنة من الكفار في مثل ذلك الوقت المخوف فلذلك غشيكم وأنامكم، فيكون الكلام

تمثيلا وتخييلا للمقصود بإبراز المعقول في صورة المحسوس، فإن قلت: كيف يكون إسنادا مجازيا كما في الكشاف، وشروحه واسناد يغشاكم إلى النعاس لا شبهة في كونه حقيقة على كل حال والأمن لم يذكر له فاعل حتى يكون الإسناد فيه مجازيا والمصدر لا يضمر فيه فهل مراده بالإسناد النسبة التي بين الفعل والمفعول له، قلت المراد الإسناد المقدر في الأمن لأنه لما جعل صفة للنعاس فكأنه قيل أمن النعاس فغشيهم، ومنه تعلم أن الإسناد المجازي قد يكون مذكوراً، وقد يكون مقدرا وهو شبيه بالاستعارة المكنية، فتنبه له، ثم إن الوجه الأول هو الذي ذكروه في قوله تعالى: ﴿يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٢] لأنه تعالى إذا أراهم البرق رأوه." (١)

"أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لأنه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا فذكر في وجه تسميته به أربعة وجوه بناء على أن الحرمة التعظيم أو الحرمة الشرعية، وأنه حقيقة فيه أو باعتبار أمر آخر، والمصنف رحمه الله تعالى لما رأى تقاربها أدرجه فيما ذكر، وقوله ولذلك سمي عتيقا أي لأنه أعتق من الطوفان، وقيل لقدمه. قوله: (ولو دعا بهذا الدعاء الخ) جواب لو قوله فلعله بناء على أنه قد يقترن بالفاء أي إن ثبت أنه دعا الخ فلعله، وفي نسخة ودعا بدون لو وهي ظاهرة، والمقصود توجيه قوله صلى الله عليه وسلم عند بيتك المحرم فإنه إنما بني بعد ذلك فلا يكون الإسكان عنده، وحاصله أن الإسكان عند موضعه وكونه موضعا إما باعتبار ما كان لأنه كان مبنيا قبله لكنه رفع وقت الطوفان أو باعتبار ما سيؤول إليه لأنه بناه بعد ذلك في مكانه الآن. قوله: (روي أن هاجر الخ) هو بفتح الجيم اسم أم إسماعيل عليه الصلاة

والسلام، وقوله كانت لسارة أي ملكا، وجارية لها، وسارة امرأة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله فغارت بالغين المعجمة من الغيرة، وهي معروفة، وقوله فناشدته أي أقسمت عليه أو طلبت منه الحلف على ذلك فحلف لها، واخراجها كان يوحي من الله لا بمجرد رعايتها، وجرهم بضم الجيم والهاء، وسكون الراء المهملة حي من اليمن، وهم أصهار إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وكانوا خرجوا من ديارهم لقحط أو وباء، وقصتهم وقصة زمزم مفصلة في أول سيرة ابن هشام، وهذا مروي كأ البخاري بمعناه أيضا. قرله: (وهي متعلقة بأسكنت أي ما أسكت! هم بهذا الوادي الخ) أي الجار والمجرور، متعلق بأسكنت المذكور بدليل قوله، وتوسيطه الخ وعلى هذا فالحصر مستفاد من السياق لأنه لما قال بواد غير ذي زرع نفى أن يكون إسكانهم لأجل الزراعة، ولما قال عند بيتك المحرم أثبت أنه مكان عبادة فلما قال ليقيموا أثبت أن الإقامة عنده عبادة، وقد نفى كونها للكسب فجاء الحصر مع ما في تكرير ربنا من الإشارة إلى أنه هو المقصسود، وهذا معنى لطيف، ولا ينافيه الفصل بقوله ربنا لأنه اعتراض لتأكيد الأول، وتذكيره فهو كالمنبه عليه فلا حاجة إلى ما قيل إنه متعلق بأسكنت مؤخر مقدر غير الأول، وأن الحصر مستفاد من تقديره مؤخرا كما رجحه بعض الشراج، وعند مالك رحمه الله تعالى أن التعليل يفيد الحصر فانه استدل بقوله لتركبوها على حرمة أكلها كما بين في أصولهم، والبلقع القفر الذي لا شيء فيه،

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٢٥٦/٤

وقوله من كل مرتفق ومرتزق متعلق بالبلقع لتضمنه معنى الخالي، وهما يحتملان المكان، والمصدرية، والارتفاق الانتفاع كما يقال بكرمك أثق، وعلى سوددك أرتفق، ومرافق الدار المتؤضأ والمطبخ. قوله: (وكقرير النداء وتوسيطه الخ) اعتذار عن إعادته، والفصل الذي تمسك به من قدر له متعلقا آخر إشارة إلى أن النداء لتأكيد الأول فلا يمنع التعلق، ولا يرد ذلك أن النداء له صدر الكلام فكيف تعلق ما بعده بما قبله، ولا بد من تكرر النداء للإشعار بما ذكره فإنه لو توسط من غير أن يذكر أولا لم يشعر بأنها المقصودة من الدعاء السابق، وكذا لو لم يتوسط. قوله: (وقيل لام الأمر الخ) هي على الأول جارة، والفعل منصوب بأن المقدرة بعدها، وعلى هذا هي لام الأمر الجازمة، والأمر للدعاء، وقوله كأنه طلب منهم الإقامة إنما قاله لأنه شامل لغير الموجودين كما في سائر الأمور، وأيضا المدعو هو الله فكان الظاهر إسناده له، والسؤال من الله مأخوذ من قوله ربنا فكأنه قال يا ربنا وفقهم لإقامة

الصلاة، وخصها لأنها عمود الدين. قوله: (أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض) قدم هذا لأنه أظهر، وقدر من أفئدة الناس ليدل على عدم العموم المذكور بعده لأن جميع الأفئدة بعض الناس لا بعض أفئدة الناس وقوله لازدحمت بناء على الظاهر من إجابة دعائه، وكون الجمع المضاف يفيد الاستغراق. قوله: (أو للابتداء كقولك القلب مني سقيا) أي المعنى نشأ سقم هذا العضو من جهتي، وقيل عليه إنه لا يظهر كونها للابتداء لأنه لا فعل هنا مبتدأ منه لغاية ينتهي إليها إذ لا يصح ابتداء جعل الأفئدة من الناس ورد بأن فعل الهوى للأفئدة مبتدأ به لغاية ينتهي إليها ألا ترى إلى قوله إليهم، وإن لم يتعين كون من في الآية، والمثال لاحتمال التبعيض احتمالا ظاهرا، وأورد عليه أن الابتداء في من الابتدائية إنما هو من متعلقها إلا مطلقا، وان جعلناها." (١)

"أن التصريف تكرير الشيء من حال إلى حال والمراد به التعبير عنه بعبارات، ومفعوله محذوف أي صرفناه. قوله: (في مواضع منه (إشارة إلى أن القرآن المراد منه المجموع، وقوله: ويجوز أن يراد بهذا القرآن إبطال إضافة البنات الخ، لا يعني به أنه أطلق القرآن وأراد به الإبطال من باب إطلاق اسم الحاذ على المحل بل المراد أق هذا القرآن إشارة إلى البعض المشتمل على الإبطال ويؤيده قوله ولقد صرفنا القول في هذا المعنى كما أفاده في الكشف، وصرفنا متعد مفعوله القول المقدر وايقاع القرآن على المعنى وجعله ظرفا للقول إما بإطلاق اسم المحل على الحال لما اشتهر أن الألفاظ قوالب للمعاني أو بالعكس كما يقال الباب الفلاني في كذا، وهذه الآية في تحريم كذا أي في بيانه وكلا الاستعمالين شائع، وقوله: أو أوقعنا الخ على تنزيله منزلة اللازم وتعديته بفي كما في قوله: تجرح في عراقيبها نصلي، وفي نسخة بالواو بدل أو فيكون مع ما قبله وجها واحدا ويكون قوله على تقديره ولقد صرفنا القول بيانا لحاصل المعنى لا لتقدير المفعول لكنه خلاف الظاهر. قوله: اليتذكروا (إشارة إلى أصك لفظه وأنه من التذكر بمعنى العظة وأما قراءة التخفيف فمن الذكر بمعنى التذكر ضد النسيان والغفلة، ثم إن الزمخشري أشار إلى نكتة هنا وهو أنه قال أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم فإن التكرار يقتضي الإذعان واطمئنان النفس به فيكون قوله: وما يزيدهم تعكيسا **وهو معنى لطيف تركه** المصنف رحمه الله، وقوله: وقلة طمأنينة إليه قيل: القلة بمعنى العدم أو كناية عنه ويجوز ابقاؤها على ظاهرها لأنهم ربما اطمأنوا لبعضه

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي  الشهاب الخفاجي ٢٧١/٥

ظاهرا، وقوله وفيما بعده هو عما يقولون، وقوله: على أن الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه إذا أمر أحد بتبليغ كلام لأحد فالمبلغ له في حال تكلم الآمر غائب ويصير مخاطبا عند التبليغ فإذا لوحظ الأول فحقه الغيبة وإذا لوحظ الثاني فحقه الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٢] وقد قرىء بالوجهين وقيل إنه يريد أنه ليس من جملة القول المأمور به بل كلام الله مع رسوله صلى الله عليه وسلم معترضا بين الشرط والجزاء، وعلى قراءة الخطاب هو متعلق بالشرط وفيه نظر. قوله: (مما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الخ (أي باعتبار حاله عنده مكالمتهم لا باعتبار حاله مع الله، وقوله مما نزه به نفسه أي ابتداء من غير أمر للرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وقولي عن قولهم وهو أن مع الله آلهة وقوله وجزاء للو لاقترانها بإذا واللام وقوله لطلبوا الخ فقوله إلى ذي العرس بمعنى إلى مقابلته ومغالبته والمعازة بالزاي المعجمة مفاعلة من العز ومعناها المقاومة والمغالبة من عزه إذا غلبه وهذه الآية، كقوله تعالى:

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٢] ففيها إشارة إلى برهان التمانع بتصوير قياس استثنائي استثنى فيه نقيض التالي كما سيأتي تقريره ثمة. قوله: (أو بالتقرب إليه والطاعة (فالسبيل بمعنى الوسيلة الموصلة إليه وضمير ابتغوا فيهما للآلهة قالوا إنه إشارة إلى قياس اقتراني والمراد بالآلهة من عبد من أولي العلم كعيسى والعزير عليهما الصلاة والسلام وتقريره هكذا لو كان كما زعمتم آلهة لتقربوا إليه وكل من كان كذلك ليس إلها فهم ليسوا بآلهة ولو على الأول امتناعية وعلى هذا شرطية والقياس مركب من مقدمتين شرطية اتفاقية وحملية. قوله: (ينزه تنزيها (يشير إلى أن سبحان مصدر سبح بمعنى نزه وبرأ لا بمعنى قال سبحان الله كما م تقريره، وينزه بالياء في أوله مجهول مضارع نزه تنزيها كما في النسخ الصحيحة لا بالتاء ماضي تنزها كما ظنه بعضهم فحبط إذ قال قدر فعله من التفعل لا من التفعيل ليناسب قوله تعالى ولم يقل تنزها لما مر أن سبحان من التسبيح الذي هو التنزه وقوله تعاليا إشارة إلى أن علوا مصدر من غير فعله كقوله أنبتكم من الأرض نباتا. قوله: (متباعدا غاية البعد) إشارة إلى أن الكبر من صفات الأجسام فإذا وصفت به المعاني فسر بما يليق بها وهو ما ذكره هنا، وذكر العلو بعد عنوانه بذي العرش في أعلى مراتب البلاغة، وقوله: ما يمتنع بقاؤه أي عادة لا بالذات ولذا توالد وتناسل لبقاء نوعه في الجملة. قوله: (ينزهه عما هو من لوازم الإمكان) يعني أن في قوله تسبح الخ استعارة تمثيلية أو تبعية كنطقت الحال فإنه استعير فيه التسبيح للدلالة على وجود فاعل قادر حكيم واجب الوجود منزه عن الإمكان وما يستلزمه كما يدل الأثر." (١)

"فالإسناد مجازي كما أشار إليه. قوله: (أي أضلهم في الدين (لا في الفريق كما يشير إليه ما قبله وفي قوله: هداهم إشارة إلى أن المفعول حذف للفاصلة وقيام القرينة وهو الظاهر لا تنزيله منزدة اللازم ولا جعله بمعنى اهتدى، وأما توهم تكريره مع أضل وأنه توكيد له فينبغي فيه ترك العاطف فيدفعه أنه قصد التهكم به ففيه فائدة أخرى تقتضي المغايرة فلا وجه لما ذكر، وإذا أريد ما هداهم في وقت ما يفيد ما لم يفده لكنه ليس بلازم لدفع التكرار. قوله: (وهو تهكم به الخ (فإن قلت التهكم أن يؤتى بما قصد به ضده استعاة ونحوها وكونه لم يهد مجرد إخبار عما هو كذلك في الواقع، قلت قا أسا في الأنتصاف وغيره من شروح الكشاف هو كذلك ونكن العرف في مثله يدل

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٤/٦

على كونه عالما بطريق الهداية مهتديا في نفسه لكنه لم يهد وفرعون ليس كذلك فلما ذكر كونه مضلا تعين كون هذا المعنى سواه وهو التهكم، **وهذا معنى لطيف فاحفظه**، وقيل: ليس المراد الاستعارة التهكمية بل التهكم اللغوي وهو الاستهزاء وفيه بحث ثم قال: إنه كمن ادعى دعوى وبالغ فيها فلما حان وقتها قيل له: لم لم تأت بما ادعيت تهكما واستهزاء، ولا يخفى أن دلالته على ما ذكر بواسطة التلميح. قوله: (في قوله وما أهديكم الخ (يعني أنه من التلميح لما ذكر مما ادعاه وبما تضمنه من الاستهزاء غاير ما قبله فلا يرد عليه أن حقه عدم العطف وقوله: أو أضلهم الخ، فالضلال بمعنى آخر، وقوله بما فعل الخ متعلق بخطاب، وقيل: تقديره امتنانا بما الخ. قوله: (بمناجاة موسى الخ (هو تفسير معنى لا إعراب فإن كان تفسير إعراب فمفعوله مقدر وهو المناجاة، وجانب الطور منصوب على الظرفية لأن جنب وما بمعناه سمع نصبه على الظرفية من العرب كما ذكره الراغب وابن مالك في شرح التسهيل فمن قال إنه محدود لا ينتصب بتقدير في وأن الأولى ما في بعض النسخ لمناجاة باللام وجانب مفعول واعدنا على الاتساع أو بتقدير مضاف أي إتيان جانب الخ لم يصب، والذي غره فيه كلام المعرب، وقوله: للملابسة أي هو مجاز في النسبة بجعلهم كأنهم كلهم مواعدون، وقوله: على التاء أي بضمير المتكلم. قوله: (والأيمن بالجر على الجوار) أي قرئ به وهو صفة لجانب بدليل قراءة النصب ولأن الموصوف بأنه أيمن جانبه لا هو وما قيل إن الجز الجوارفي شاذ لا ينبغي تخريج القرآن عليه والصحيح أنه صفة للطور من اليمن أي البركة أو لكونه على يمين من يستقبل الجبل رذ بأن شذوذه على تسليمه لا ينافي تخريج قراءة شاذة عليه وقوله: لكونه على يمين الخ، غير ظاهر. قوله: (والتعدي لما حد الله الخ (كان الظاهر عما حد الله لأنه يتعدى بعن لما ترك وباللام لما فعل، ولذا قيل: المراد بما حده المحرمات وهو مع إخراجه للمشتبهات عن الطغيان غير مناسب في الأولى أنه من المتعدي بنفسه كقوله: ومن يتعد حدود الله واللام زائدة لتقوية المصدر من غير احتياج لما تكلفوه وانبطر عدم القيام بحقوق النعمة. قوله: (فيلزمكم ( أي يتيقن ويتحقق وقوعه وأصله من الحلول وهو في الأجسام فاستعير لغير هائم شاع حتى صار حقيقة فيه، وتردى هلك من الردا ولذا عطفه عليه للتفسير وأصله كالهوفي الوقوع من علو، وقوله: وقع في الهاوية أي النار فيكون بمعنا. الأصلي إذا أريد به فرد مخصوص منه لا بخصوصه، وقوله: بالضم الخ إشارة إلى ما في الكشاف من أن الذي في معنى الوجوب بالكسر والمضموم في معنى النزول، وفي المصباح حل العذاب يحل ويحل حلولا هذه وحدها بالضم والكسر والباقي بالكسر فقط، وحللت بالبلد من باب قعد إذا نزلت به، وقوله: عن الشرك قيده به لاقتضاء المقام، ولذا فسر آمن بمعنى عام ليفيد ذكره بعده. قوله: (ثم استقام الخ) أي استمر عميه وهو تفسير لقوله: ثم اهتدى بما ورد التصريح به في آية أخرى وثم إما للتراخي باعتبار الانتهاء لبعده عن أول الاهتداء، أو للدلالة على بعد ما بين المرتبتين فإن المداومة أعظم وأعلى من الشروع كما

قيل:

لكل إلى شأو العلا حركات ولكن قليل في الرجال ثبات ...

وهذا هو المختار في الكشاف وشروحه. قوله: (سؤال عن سبب العجلة (ما الاستفهامية

في الأصل للسؤال عن الشيء، وقد تكون للسؤال عن وجهه وسببه، والثاني هو المراد هنا والسؤال يقع من الله." (١)

"الالتفات إلى غيره وإفراده بالاستعانة وغيرها، قال الخطابي: **وفيه معنى لطيف** ؛ لأنه استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضا والسخط ضدان كالمعافاة والعقوبة، فلما ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من عبادته والثناء عليه، ولذا قال: ( «لا أحصي ثناء عليك» ) قال ابن الأثير: أي لا أبلغ الواجب في الثناء عليك، وقال الراغب: أي لا أحصل ثناء لعجزي عنه إذ هو نعمة تستدعي شكرا، وهكذا إلى غير نهاية، وقيل: معناه لا أعد كما في الصحاح ؛ لأن معنى الإحصاء العد بالحصى كما قال:

ولست بالأكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكاثر

وعليه فهو من نفي الملزوم المعبر عنه بالإحصاء المفسر بالعد وإرادة نفي اللازم، وهو استيعاب المعدود، فكأنه قيل: لا أستوعب، فالمراد نفي القدرة عن الإتيان بجميع الثناءات، أو فرد منها يفي بنعمة من نعمه لا عدها، إذ لا يمكن عد أفراد كثيرة من الثناء. وقال ابن عبد البر: روينا عن مالك أن معناه: وإن اجتهدت في الثناء عليك فلن أحصي نعمك ومننك وإحسانك.

(أنت) مبتدأ خبره (كما أثنيت) أي الثناء عليك هو المماثل لثنائك (على نفسك) ولا قدرة لأحد عليه، ويحتمل أن أنت تأكيد للكاف من عليك باستعارة الضمير المنفصل للمتصل، والثناء بتقديم المثلثة، والمد الوصف بالجميل على المشهور لغة، واستعماله في الشر مجاز. وقال المجد: وصف بمدح أو ذم أو خاص بالمدح. وقال ابن عبد البر: فيه دليل على أنه لا يبلغ وصفه وأنه إنما يوصف بما وصف به نفسه، انتهى.

وقال النووي: فيه اعتراف بالعجز عن الثناء عليه وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والتعيين، فوكل ذلك إليه سبحانه المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه ؛ لأن الثناء تابع للمثنى عليه فكل شيء أثني عليه به وإن كثر وطال وبولغ فيه، فقدر الله أعظم، وسلطانه أعز، وصفاته أكثر وأكبر، وفضله أوسع وأسبغ.." (٢)

"اگر چه آيينه دارى از براى رخش ... ولى چه سود كه دارى هميشه آينه تار

بيا بصيقل توحيد ز آينه بردار ... غبار شرك كه تا پاك كردد از ژنكار

وفى التأويلات النجمية كان النبي عليه الصلاة والسلام مأمورا بإظهار مقامه وهو النبوة وبتعريف نفسه انه نذير للكافرين

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٦/٢١٨

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢/٥٠

كما انه بشير للمؤمنين وانه لما امر بالرحمة والشفقة ولين الجانب للمؤمنين بقوله واخفض جناحك للمؤمنين إظهارا للطف امر بالتهديد والوعيد والانذار بالعذاب للكافرين إظهارا للقهر بقوله وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين اى ننزل عليكم العذاب كما أنزلنا على المقتسمين وهو الذين اقتسموا قهر الله المنزل على أنفسهم بالأعمال الطبيعية غير الشرعية فانها مظهر قهر الله وخزانته كما ان الأعمال الشرعية مظهر لطف الله وخزانته فمن قرع باب خزانة اللطف أكرم به وأنعم به عليه ومن دق باب خزانة القهر اهين به وعذب ثم اخبر عن أعمالهم التي اقتسموا قهر الله بها على أنفسهم بقوله الذين جعلوا القرآن عضين اى جزأوه اجزاء فى الاستعمال فقوم قرأه وداموا على تلاوة ليقال لهم القراء وبه يأكلون وقوم حفظوه بالقراءات ليقال لهم الحافظ وبه يأكلون وقوم حصلوا تفسيره وتأويله طلبا للشهرة وإظهارا للفضل ليأكلوا به وقوم استخرجوا معانيه واستنبطوا فقهه وبه يأكلون وقوم شرعوا فى قصصه واخباره ومواعظه وحكمه وبه يأكلون وقوم أولوه على وفق مذاهبهم وفسروه بآرائهم فكفروا لذلك ثم قال فو ربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون انما عملوه بالله وفى الله ولله او بالطبع فى متابعة النفس للمنافع الدنيوية نظيره قوله ليسئل الصادقين عن صدقهم انتهى ما فى التأويلات قوله عن صدقهم اى عنده تعالى لا عندهم كذا فسره الجنيد قدس سره **وهو معنى لطيف عميق** فان الصدق والإسلام عند الخلق سهل ولكن عند الحق صعب فتسأل الله تعالى ان يجعل اسلامنا وصدقنا حقيقيا مقبولا لا اعتباريا مردودا وعن ابى القاسم الفقيه انه قال اجمع العلماء على ثلاث خصال انها إذا صحت ففيها النجاة ولايتم بعضها الا ببعض الإسلام الخالص عن الظلمة وطيب الغذاء والصدق لله فى الأعمال قال فى درياق الذنوب وكان عمر بن عبد العزيز يخاف مع العدل ولا يأمن العدول رؤى فى المنام بعد موته باثنتي عشرة سنة فقال الآن تخلصت من حسابى فاعتبر من هذا يا من أكب على الأذى فاصدع بما تؤمر ما موصولة والعائد محذوف اى فاجهر بما تؤمر به من الشرائع اى تكلم به جهارا وأظهره وبالفارسية [پس آشكارا كن وبظاهر قيام نماى بآنچه فرستاده اند از أوامر ونواهى] يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو الفجر اى الصبح او فاصدع فافرق بين الحق والباطل واكشف الحق وابنه من غيره من الصدع فى الزجاجة وهو الإبانة كما قال فى القاموس الصدع الشق فى شيء صلب ثم قال وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر اى شق جماعاتهم بالتوحيد وفى تفسير ابى الليث كان رسول الله عليه السلام قبل نزول هذه الآية مستخفيا لا يظهر شيأ مما انزل الله تعالى حتى نزل فاصدع بما تؤمر يقول الفقير كان عليه الصلاة والسلام مأمورا بإظهار ما كان من قبيل الشرائع والاحكام لا ما كان من قبيل المعارف." (١)

"ان يملأ قلوبنا بمحبتهم واعتقادهم ويوفقنا لاعمالهم ورشادهم ويحشرنا معهم وتحت لوائهم ويدخلنا الجنة ونحن من رفقائهم وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم على نهج اسناد حال سالكه اليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الطريق بدليل اضافة القصد اليه اى حق عليه سبحانه بموجب رحمته ووعده المحتوم لا واجب إذ لا يجب عليه شيء من بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب لدعوة الناس اليه ومنها فى محل الرفع على الابتداء اما باعتبار

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٤٩٠

مضمونه واما بتقدير الموصوف اى بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تذكر وتؤنث قال ابن الكمال الفرق بين الطريق والصراط والسبيل انها متساوية فى التذكير والتأنيث اما فى المعنى فبينها فرق لطيف وهو ان الطريق كل ما يطرقه طارق معتادا كان او غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه اى لا اعوجاج بل يكون على سبيل القصد فهو أخص جائر اى مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طريق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر كاليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر ملل الكفر واهل الأهواء والبدع ومن هذا علم ان قصد السبيل هو دين الإسلام والسنة والجماعة جعلنا الله وإياكم على قصد السبيل وحسن الاعتقاد والعمل وحفظنا وإياكم من الجائر والزيغ والزلل قال مرجع طريقة الجلوتية بالجيم اعنى حضرة الشيخ محمود هدايى الاسكدارى قدس سره رأيت صور اعلام اهل الأديان فى مبشرتى ليلة الاثنين والعشرين من جماد الآخرة لسنة اثنتي عشرة والف وهى هذه- هذا علم اهل الايمان وصورة استمداد هم من الحق تعالى بالتوجه الى العلو اقتداء بمن قال فى حقه المولى الأعلى ما زاغ البصر وما طغى ٨٨ هذا علم النصارى وصورة انحرافهم عن الحق ٨٨ هذا علم اليهود وصورة انحرافهم عن الحق اكتفاء بالقلب انتهى ولو شاء لهداكم أجمعين اى ولو شاء الله ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا حكمة فى تلك المشيئة لما ان مدار التكليف والثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئى الذي يترتب عليه الأعمال التي بها نيط الجزاء وقال أبو الليث فى تفسيره لو علم الله ان الخلق كلهم اهل للتوحيد لهداهم انتهى يقول الفقير **هو معنى لطيف مبنى** على ان العلم تابع للمعلوم فلا يظهر من الأحوال الا ما أعطته الأعيان الى العلم الإلهي كالايمان والكفر والطاعة والعصيان والنقصان والكمال فمن كان مقتضى ذاته الايمان والطاعة والكمال وكان أهلا لها فى عالم عينه الثابتة أعطاها للعلم فشاء الله هدايته فى هذه النشأة بحكمته ومن كان مقتضى استعداده خلاف لم يشأ الله هدايته حين النزول الى مرتبة وجوده العنصري وإلا لزم التغير فى علم الله تعالى وهو محال وفى الحديث (انما انا رسول وليس الى شيء من الهداية ولو كانت الهداية الى لآمن كل من الأرض وانما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة اليه لاضل كل من فى الأرض ولكن الله يضل من يشاء) كذا فى تلقيح الأذهان قال الحافظ." (١)

"وأخذنا منهم اى من النبيين ميثاقا غليظا اى عهدا وثيقا شديدا على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالات وأداء الأمانات وهذا هو الميثاق الاول بعينه والتكرير لبيان هذا الوصف ليسئل الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبىء عنه تغيير الأسلوب بالالتفات الى الغيبة. والمعنى فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوا لقومهم: يعنى [از راستىء ايشان در سخن كه با قوم كفته اند]- روى- فى الخبر انه يسأل القلم يوم القيامة فيقول ما فعلت بامانتى فيقول يا رب سلمتها الى اللوح ثم يصير القلم يرتعد مخافة ان لا يصدقه اللوح فيسأل اللوح فيقر بان القلم قد ادى الامانة وانه قد سلمها الى اسرافيل فيقول لاسرافيل ما فعلت بامانتى التي سلمها إليك اللوح

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٣/٥

فيقول سلمتها الى جبريل فيقول لجبريل ما فعلت بامانتى فيقول سلمتها الى أنبيائك فيسأل الأنبياء فيقولون سلمناها الى خلقك فذلك قوله (ليسئل الصادقين عن صدقهم) قال القرطبي إذا كان الأنبياء يسألون فكيف من سواهم

دران روز كز فعل پرسند وقول ... أولوا العزم را تن بلرزد ز هول

بجايى كه دهشت خورد انبيا ... تو عذر كنه را چه دادى بيا

وفى مسألة الرسل والله يعلم انهم لصادقون التبكيت للذين كفروا بهم واثبات الحجة عليهم ويجوز ان يكون المعنى ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان مصدق الصادق صادق وفى الاسئلة المقحمة ما معنى السؤال عن الصدق فان حكم الصدق ان يثاب عليه لا ان يسأل عنه والجواب ان الصدق هاهنا هو كلمة الشهادتين وكل من تلفظ بهما وارتسم شعائرهما يسأل عن تحقيق احكامهما والإخلاص فى العمل والاعتقاد بهما كما قال الراغب ليسأل من صدق بلسانه عن صدق فعله ففيه تنبيه على انه لا يكفى الاعتراف بالحق دون تحريه بالفعل

از عشق دم مزن چونكشتى شهيد عشق ... دعوىء اين مقام درست از شهادتست

: وفى المثنوى

وقت ذكر غز وشمشيرش دراز ... وقت كروفر تيغش چون پياز «١»

قال الجنيد قدس سره فى الآية ليسأل الصادقين عن صدقهم اى عنده لا عندهم انتهى وهذا الذي فسره معنى لطيف فان الصدق والإسلام عند الخلق سهل ولكن عند الحق صلب فنسأل الله ان يجعل صدقنا واسلامنا حقيقيا وأعد [وآماده كرد وساخت] للكافرين المكذبين للرسل عذابا أليما [عذابى دردناك ودردنماى] وهو عطف على ما ذكر من المضمر وعلى ما دل عليه ليسأل إلخ كأنه قال فاثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما وفى التأويلات النجمية (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) فى الأزل وهم فى كتم العدم مختفون (ومنك) يا محمد اولا بالحبيبية (ومن نوح) بالدعوة (و) من (إبراهيم) بالخلة (و) من (موسى) بالمكالمة (و) من (عيسى ابن مريم) بالعبدية (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) بالوفاء وبغلظة الميثاق يشير الى انا غلظنا ميثاقهم بالتأييد والتوفيق للوفاء به (ليسئل الصادقين) فى العهد والوفاء به (عن صدقهم)

---

(١) در اواخر دفتر سوم در بيان ملامت كردن اهل مسجد مهمان را إلخ." [١]

"ولما ضرب الله الأمثال في القرآن للمنافقين وغيرهم تكلم في ذلك بعض الكفار والملحدين، بين الحق تعالى وجه ذلك فقال:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٦ الى ٢٧]

إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين (٢٦) الذين ينقضون عهد الله من بعد

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٤٢/٧

ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧)

قلت: الحياء: خلق كريم يمنع صاحبه من ارتكاب ما يعاب به، وفي الحديث: «إن الله حيي كريم» ، و (مثلا) مفعول، و (ما) نكرة، صفته، و (بعوضة) بدل، والبعوضة: الذباب. وفي الحديث: «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء» ، وقيل: صغار البق، أي: إن الله لا يترك أن يضرب مثلا- أي مثل كان- بعوضة فما فوقها. أو (بعوضة) مفعول أول، و (مثلا) مفعول ثان، من باب جعل، و (ماذا) إما مبتدأ وخبر، على أن (ذا) موصولة، أو مفعولة بأراد على أنها مركبة، و (مثلا) حال أو تمييز. والفسق: الخروج، يقال:

فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها.

يقول الحق جل جلاله: إن الله لا يترك ترك المستحيي أن يضرب مثلا بالخسيس والكبير كالذباب والعنكبوت وغير ذلك. فأما المؤمنون فيتيقنون أنه الحق من ربهم، وحكمته: **إبراز المعاني اللطيفة في** قوالب المحسوسات ليسهل الفهم، وأما الكفار فيعترضون ويقولون: ماذا أراد الله بهذه الأمثال؟ فإن الله منزه عن ضرب الأمثال بهذه الأشياء الخسيسة، قال الله تعالى فى الرد عليهم: أراد بهذا إضلال قوم بسبب إنكارها، وهداية آخرين بسبب الإيمان بها، وما يضل بذلك المثل إلا الخارجين عن طاعته، الذين نقضوا العهد الذي أخذ عليهم في عالم الذر، أو مطلق العهد، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الأنبياء والرسل والأرحام وغيرها، ويفسدون في الأرض بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، أولئك هم الخاسرون الكاملون في الخسران، نعوذ بالله من الخذلان.." (١)

"محذوف حذف الفعل لينتقل الذهن الى احوال كثيرة واهوال متعددة تلحق الناس فى ذلك اليوم كانه قال يدهشون دهشة لا يحيط به العبارة وتدنو الشمس منهم ويلجمهم العرق ويذهب عرقهم فى الأرض سبعين باعا كما ورد فى الصحاح من الأحاديث ويفعل بهم كيت كيت يوم يحشرهم وجاز ان يكون مفعولا به لا ذكر ثم نقول معطوف على نحشر وفى كلمة ثم اشارة الى انتظارهم بعد الحشر الى السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر إليكم رواه الحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عمر وقال تمكثون الف عام فى الظلمة يوم القيامة لا تكلمون رواه البيهقي عن ابن عمر للذين أشركوا أين شركاؤكم اى الهتكم التي جعلتموها شركاء الله فى العبادة الذين كنتم تزعمون اى تزعمونها شركاء فى استحقاق العبادة او تزعمونها شفعاء عند الله حذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ.

ثم لم تكن قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالياء على التذكير وفتنتهم بالنصب على انه خبر كان واسمها إلا أن قالوا وقرأ نافع وابو عمرو وابو بكر وابو جعفر لم تكن بالتاء على التأنيث لتانيث الخبر وفتنتهم بالنصب وابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء على التأنيث وفتنتهم بالرفع على انه اسم كان والمستثنى حبره وكلمة ثم تدل على طول التأمل فى الجواب والمراد بالفتنة الكفر يعنى يكون عاقبة كفرهم هذا القول بعد طول التأمل والندامة وقال ابن عباس وقتادة معذرتهم وانما سمى المعذرة فتنة لانهم يتوهمون بها خلاص أنفسهم من فتنت الذهب إذا أخلصته وقيل معنى فتنتهم جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذبا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٩٠/١

ولانهم قصدوا بها الخلاص وقيل معناه التجربة ولما كان سوالهم تجربة لاظهار ما فى قلوبهم سمى الجواب فتنة قال الزجاج فى قوله تعالى ثم لم تكن **فتنتهم معنى لطيف وذلك** مثل الرجل يفتن بحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنة الا هذا كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام قلت بل بتقليد الآباء ثم لما رأوا العذاب تبرأوا منها والله ربنا ما كنا مشركين مقولة قالوا قرأ حمزة ربنا بالنصب على النداء او المدح والباقون بالجر على انه نعت لله روى البخاري وغيره عن ابن عباس فى قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين انه قال ان المشركين لما راوا يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الإسلام ويغفر الذنوب و." (١)

"باب تحويل الإمام والناس أرديتهم في الدعاء وصفته ووقته

١٣٥٦ - (عن عبد الله بن زيد - رضي الله عنه - قال: «رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين استسقى لنا أطال الدعاء وأكثر المسألة قال: ثم تحول إلى القبلة وحول رداءه فقلبه ظهرا لبطن وتحول الناس معه» رواه أحمد وفي رواية: «خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - يوما يستسقي فحول رداءه وجعل عطافه الأيمن على عاتقه الأيسر، وجعل عطافه الأيسر على عاتقه الأيمن، ثم دعا الله عز وجل» . رواه أبو داود وفي رواية: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استسقى وعليه خميصة له سوداء، فأراد أن يأخذ أسفلها فيجعله أعلاها، فثقلت عليه، فقلبها الأيمن على الأيسر، والأيسر على الأيمن» رواه أحمد وأبو داود) .

ـــــــQالظراب ومنابت الشجر؛ اللهم حوالينا ولا علينا» رواه الشافعي في مسنده وهو مرسل) .

الحديث الأول أخرجه أبو داود متصلا، ورواه مالك مرسلا، ورجحه أبو حاتم. والحديث الثاني هو مرسل كما قال المصنف، وأكثر ألفاظه في الصحيحين، وقد تقدم ما في الباب من الأحاديث قوله: (على الظراب) بكسر المعجمة وآخره موحدة جمع ظرب بكسر الراء وقد تسكن: قيل: هو الجبل المنبسط الذي ليس بالعالي وقال الجوهري: الرابية الصغيرة قوله: (اللهم حوالينا) بفتح اللام وفيه حذف تقديره اجعل أو أمطر، والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور قوله: (ولا علينا) فيه بيان للمراد بقوله " حوالينا "؛ لأنه يشمل الطرق التي حولهم، فأراد إخراجها بقوله: " ولا علينا " قال الطيبي: في إدخال الواو هنا معنى لطيف، وذلك؛ لأنه لو أسقطها لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه، ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو محصلة للعطف ولكنها للتعليل كقولهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثديها، فإن الجوع ليس مقصودا لعينه، ولكن ليكون مانعا من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك أنفا. انتهى.

والحديث الأول يدل على استحباب الدعاء بما اشتمل عليه عند الاستسقاء والحديث الثاني يدل على استحباب الدعاء بما فيه عند نزول المطر.

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣/٢٢٦

[باب تحويل الإمام والناس أرديتهم في الدعاء وصفته ووقته]

حديث عبد الله بن زيد أصله في الصحيح وله ألفاظ: منها هذه الروايات التي أوردها." (١)

"إنما قدم الدق على الجل لأن السائل يتصاعد في مسألته أي يترقى ولأن الكبائر تنشأ غالبا من الإصرار على الصغائر وعدم المبالاة بها فكأنها وسائل إلى الكبائر ومن حق الوسيلة أن تقدم إثباتا ورفعا (وأوله واخره) المقصود الإحاطة (زاد بن السرح) أي في روايته (علانيته وسره) أي عند غيره تعالى وإلا فهما سواء عنده تعالى يعلم السر وأخفى قال المنذري وأخرجه مسلم

[٨٧٩] (عن محمد بن يحيى بن حبان) بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة (فقدت) ضد صادفت أي طلبت فما وجدت (فلمست المسجد) أي مسست بيدي الموضع الذي كان يصلي فيه (وقدماه منصوبتان) أي قائمتان وفي صحيح مسلم فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهو المسجد وهما منصوبتان وقال في المرقاة المسجد بفتح الجيم أي في السجود فهو مصدر ميمي أو في الموضع الذي كان يصلي فيه في حجرته وفي نسخة بكسر الجيم وهو يحتمل مسجد البيت بمعنى معبده والمسجد النبوي

انتهى (أعوذ برضاك من سخطك) أي من فعل يوجب سخطك علي أو على أمتي (وبمعافاتك) أي بعفوك وأتى بالمغالبة للمبالغة أي بعفوك الكثير (من عقوبتك) وهي أثر من آثار السخط وإنما استعاذ بصفات الرحمة لسبقها وظهورها من صفات الغضب (وأعوذ بك منك) إذ لا يملك أحد معك شيئا فلا يعيذه منك إلا أنت (لا أحصي ثناء عليك) قال الطيبي الأصل في الإحصاء العد بالحصى أي لا أطيق أن أثني عليك كما تستحقه (أنت كما أثنيت) ما موصولة أو موصوفة والكاف بمعنى مثل

قال الطيبي (على نفسك) أي على ذاتك

سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام كيف شبه ذاته بثنائه وهما في غاية التباين فأجاب بأن في الكلام حذفا تقديره ثناؤك المستحق كثنائك على نفسك فحذف المضاف من المبتدأ فصار الضمير المجرور مرفوعا

قال الخطابي في هذا الكلام معنى لطيف وهو أنه قد استعاذ بالله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمؤاخذة بالعقوبة فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ومعنى ذلك الاستغفار من التقصير من بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه

وقوله لا أحصي ثناء." (٢)

"الخيل (الشاء) جمع شاة (لمثل الزجاجة) أي كناية عن صفائها (عزاليها) بالعين المهملة ثم الزاي جمع عزلاء وزن حمراء فم المزادة الأسفل والجمع العزالي بفتح اللام وكسرها وقوله أرسلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر على

---

(١) نيل الأوطار الشوكاني ٤/١٥

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٣/٩٣

التشبيه بنزوله من أفواه المزادات كذا في المصباح قلت عزلاء هو فم المزادة الأسفل فشبه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من المزادة (ثم قال حوالينا) بفتح اللام والحوال والحول بمعنى الجانب ففي رواية مسلم حولنا وعند البخاري وأبي داود حوالينا تثنية حوال وكلاهما صحيح وهو ظرف يتعلق بمحذوف تقديره اللهم أنزل وأمطر حوالينا ولا تنزل علينا والمراد به صرف المطر عن الأبنية والدور (ولا علينا) فيه بيان للمراد بقوله حوالينا لأنه يشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله ولا علينا قال الطيبي في إدخال الواو **هنا معنى لطيف وذلك** لأنه لو أسقطها لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو محصلة للعطف ولكنها للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها فإن الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون مانعا من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك آنفا

انتهى (يتصدع) أي ينقطع ويتفرق (كأنه إكليل) بكسر الهمزة يريد أن الغيم تقشع واستدار في آفاقها لأن الإكليل يجعل كالحلقة ويوضع على الرأس وهو شبه عصابة مزينة بالجوهر كذا في النهاية قال المنذري وأخرجه البخاري مختصرا

[١١٧٥] (عن أنس أنه سمعه يقول) قال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والنسائي." (١)

"في أول الآية ولكم وفيها لطيفة: وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم..! انتهى.

وقوله تعالى يا أولي الألباب المراد به: العقلاء الذين يعرفون العواقب ويعلمون جهات الخوف. فإذا أرادوا الإقدام على قتل أعدائهم، وعلموا أنهم يطالبون بالقود، صار ذلك رادعا لهم. لأن العاقل لا يريد إتلاف غيره بإتلاف نفسه. فإذا خاف ذلك كان خوفه سببا للكف والامتناع..! إلا أن هذا الخوف إنما يتولد من الفكر الذي ذكرناه، ممن له عقل يهديه إلى هذا الفكر. فمن لا عقل له يهديه إلى هذا الفكر، لا يحصل له هذا الخوف..! فلهذا السبب خص الله سبحانه بهذا الخطاب أولي الألباب، ثم علل ذلك بقوله لعلكم تتقون أي: الله تعالى بالانقياد لما شرع، فتتحامون القتل.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ١٨٠]

كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين (١٨٠)

كتب عليكم أي: فرض، كما استفاض في الشرع إذا حضر أحدكم الموت أي أمارته وهو المرض المخوف إن ترك خيرا أي مالا ينبغي أن يوصي فيه، وقد أطلق في القرآن الخير وأريد به المال في آيات كثيرة: منها هذه، ومنها قوله: وما تنفقوا من خير [البقرة: ٢٧٢] ، ومنها: وإنه لحب الخير لشديد [العاديات: ٨] ، ومنها: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير [القصص:

٢٤] . إلى غيرها. وإنما سمى المال خيرا تنبيها على معنى لطيف: وهو أن المال الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعا من

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٢٨/٤

وجه محمود..! كما أن في التسمية إشارة إلى كثرته، كما قال بعضهم: لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا ومن مكان طيب..!

وقد روى ابن أبي حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه: أن عليا رضي الله عنه دخل على رجل من قومه يعوده، فقال له: أوصي؟ فقال له علي: إنما قال الله إن ترك خيرا الوصية. إنما تركت شيئا يسيرا فاتركه لولدك.!

وروى الحاكم عن ابن عباس: من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا! وقال طاوس: لم يترك خيرا من لم يترك ثمانين دينارا. وقال قتادة: كان يقال: ألفا فما فوقها.." (١)

"في كل شيء فيكون في عين ناظره جميلا، وفي كل صوت فيكون في سمع سامعه مطربا، فلسان حال الذاكر ينشد في هذا التجلي قول الشاعر الذاكر:

من كل معنى لطيف أجتلي قدحا ... وكل حادثة في الكون تطربني

فإذا تحول التجلي عن جمال الأكوان، وتفكر الذاكر في تقصيره من حيث هو إنسان عن شكر المنعم عليه بكل شيء يتمتع به، وعن القيام بما يصل إليه استعداده من معرفته استولى عليه سلطان الجلال فتعلو همته في طلب الكمال فينطلق لسانه بالدعاء، والثناء، وقلبه بين الخوف والرجاء

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك أي يقول الذين يجمعون بين التذكر والتفكر، معبرين عن نتيجة جمع الأمرين، والتأليف بين المقدمتين: ربنا ما خلقت هذا الذي نراه من العوالم السماوية، والأرضية باطلا، ولا أبدعته، وأتقنته عبثا، سبحانك وتنزيها لك عن الباطل، والعبث بل كل خلقك حق مؤيد بالحكم، فهو لا يبطل ولا يزول، وإن عرض له التحول والتحليل والأفول، ونحن بعض خلقك لم نخلق عبثا، ولا يكون وجودنا من كل وجه باطلا، فإن فنيت أجسادنا، وتفرقت أجزاؤنا بعد مفارقة أرواحنا لأبداننا، فإنما يهلك منا كوننا الفاسد، ووجهنا الممكن الحادث، ويبقى وجهك الكريم، ومتعلق علمك القديم.

يعود بقدرتك في نشأة أخرى، كما بدأته في النشأة الأولى، فريق ثبتت لهم الهداية، وفريق حقت عليهم كلمة الضلالة، فأولئك في الجنة بعلمهم، وفضلك، وهؤلاء في النار بعلمهم وعدلك فقنا عذاب النار بعنايتك وتوفيقك لنا واجعلنا مع الأبرار بهدايتك إيانا ورحمتك بنا.

قال الأستاذ الإمام في تفسير: ربنا ما خلقت هذا باطلا إلخ: هذه حكاية لقول هؤلاء الذين يجمعون بين تفكرهم وذكر الله – عز وجل – ويستنبطون من اقترانهما الدلائل على حكمة الله، وإحاطة علمه – سبحانه – بدقائق الأكوان التي تربط الإنسان بربه حق الربط. وقد اكتفى بحكاية مناجاتهم لربهم عن بيان نتائج ذكرهم، وفكرهم، فطي هذه، وذكر تلك من إيجاز القرآن البديع، وفيه تعليم المؤمنين كيف يخاطبون الله – تعالى – عندما يهتدون إلى شيء من معاني إحسانه وكرمه، وبدائع خلقه، كأنه يقول: هذا هو شأن المؤمن الذاكر المتفكر، يتوجه إلى الله في هذه الأحوال بمثل هذا الثناء والدعاء والابتهال، وكون هذا ضربا من ضروب التعليم، والإرشاد لا يمنع أن بعض المؤمنين قد نظروا، وذكروا، وفكروا، ثم قالوا هذا

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢/١١

أو ما يؤدي معناه، فذكر الله حالهم، وابتهالهم، ولم يذكر قصتهم، وأسماءهم لأجل أن يكونوا قدوة لنا في علمهم، وأسوة في سيرتهم، أي لا في ذواتهم، وأشخاصهم، إذ لا فرق في هذا بيننا وبينهم.

قال: أما معنى كون هذا الخلق لا يكون باطلا، فهو أن هذا الإبداع في

الخلق، والإتقان للصنع لا يمكن أن يكون من العبث والباطل، ولا يمكن أن يفعله الحكيم العليم لهذه الحياة الفانية فقط، كما أن الإنسان الذي أوتي العقل الذي يفهم هذه الحكم، ودقائق." (١)

"أم أنثى. وما تغيض الأرحام من نقص الحمل أو فساده بعد العلوق، وما تزداد من الحمل كالحمل بالتوأمين أو أكثر. وقد روى الشافعي عن شيخ بمنى أن امرأته ولدت له بطونا في كل منها خمسة أولاد، فأنى يهتدي إلى العلم بمثل هذه النوادر الأطباء؟ وسنزيد هذا البحث إيضاحا في سورة الرعد إذا أطال الله عمرنا ووفقنا لتفسيرها.

(وجه تفسير مفاتح الغيب بهذه الخمس) .

لم أر لأحد كلاما في وجه تفسير مفاتح الغيب بالخمس المذكورة في آخر سورة لقمان، وكنت قد فكرت في ذلك في أيام طلبي للعلم، فظهر لي أن علم الله تعالى بجميع الموجودات علم شهادة، وعلمه بما لم يوجد علم غيب، وأن ما لم يوجد فخزائنه أو مفاتيح

خزائنه التي يستفيد الناس من بيانها هي تلك الخمس، وهي لم تذكر بصيغة الحصر، وقد بينت ذلك في كتابي " الحكمة الشرعية " الذي ألفته في عهد الطلب في سياق البحث في الكشف عن أنواع كرامات الأولياء، وبعد ذكر الآية والحديث في تفسيرها بتلك الخمس قلت ما نصه:

ثم إنه لا يخفى أن معلومات الله تعالى الغيبية لا تدخل تحت الحصر، فما معنى تخصيص هذه الخمس بالذكر مع كونها مما قد يطلع بعض عباده على بعضه؟ وما معنى كونها مفاتح الغيب؟ وأجيب بأن هذه الخمس هي التي كانوا يدعون علمها، والعدد لا مفهوم له على الراجح فلا ينفي زائدا على المذكور. (قلت) : وهذا لا يدل على كونها مفاتح الغيب، وقد فتح الله عز وجل علي بفهم معنى لطيف في كون هذه الخمس مفاتح أو مفاتيح للغيب. وعرضته على مشايخي كالأستاذ الشيخ محمد القاوقجي، والعلامة الشيخ محمد نشابة وغيرهما فأعجبوا به، وهو أن المفاتح جمع مفتح بفتح الميم أو كسرها، بمعنى الخزائن أو المفاتيح، والغيب ما غاب عن الوجود أو الشهود، وهو عالم البرزخ، وعالم الآخرة، وبعض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم يوجد، والحيوان الذي لم يولد، وكسب الأنفس الذي يحصل في المستقبل، وفي قوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) إشارة إلى جميع ذلك، فالساعة مفتاح عالم الآخرة، والغيث مفتاح عالم النبات، وما في الأرحام مفتاح عالم الحيوان، وقوله: (وما تدري نفس) ظاهر في مفتح الكسب والأعمال، وقوله تعالى: (وما تدري نفس بأي أرض تموت) أي كما لا تدري بأي وقت إشارة بالموت إلى عالم." (٢)

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤/٢٤٦

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٧/٣٩٠

"فدل على أن الرغبة والرهبة عليهما وضعت العبادة في جميع الأحوال.

٤ - ومنها الحديث الصحيح:

قالت عائشة- رضي الله عنها-: «كنت نائمة إلى جنب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ففقدته فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول: أعوذ برضاك من سخطك (١)، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصى ثناء عليك (٢) أنت كما أثنيت على نفسك» (٣).

ووجه الدليل: أنه في الحال التي هو فيها أقرب ما يكون من ربه، وهي حالة سجوده، استعاذ برضى الله من سخطه، [[وبعافيته]] من عقوبته.

ثم لما لم يستطع الاحاطة بأفعاله، رد الأمر لذاته، فاستعاذ به منه. وهو في الجميع مستعيذ، والمستعيذ طالب، والطالب راج وطامع في نيل المطلوب. فلم يفارق عبادته الرجاء والطمع حتى في هذه الحالة التي بينه وبين ربه، لأنه كان ساجدا في جنح الليل، دون حضور أحد من الناس، إلا عائشة التي كانت نائمة واستيقظت، فاطلعت عليه في تلك الحال.

٥ - ومنها الحديث الصحيح عن ابن عباس- رضي الله عنه- الذي كان يعلمهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- إياه كان يعلمهم السورة من القرآن رواه مالك وفيه: «اللهم أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» (٤).

ووجه الدليل منه: أنه علمهم هذه الاستعاذة الصريحة في الخوف والرجاء كسائر ما علمهم من الدعوات المبنية عليهما.

وهكذا تجد جميع دعواته المأثورة على الرغبة، والرهبة، والرجاء والخوف. ولا تجد دعاء واحدا علمهم فيه أن يتوجهوا إلى الله تعالى، دون رغبة ولا رهبة، ولا رجاء ولا خوف.

---

(١) «أعوذ برضاك من سخطك»: قال النووي في شرح صحيح مسلم: «

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى في هذا معنى لطيف؛ وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان. وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه».

(٢) لا أحصي ثناء عليك: أي لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل: لا أحيط به.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ٢٢٢. وأبو داود في الصلاة باب ١٤٨. والنسائي في الطهارة باب ١١٩، والتطبيق باب ٤٧ و ٦٦ و٧١ و ٧٢، وعشرة النساء باب ٤. وابن ماجة في الإقامة باب ١١٩. وأحمد في المسند (٦/ ٥٨، ١٤٧، ٢٠١، ٢٣٨).

(٤) الحديث في الموطأ (كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء، حديث رقم ٣٣). وأخرجه أيضا مسلم في المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم ١٣٤.." [1]

"٢- حذف الياء تخفيفا:

ورد في القرآن الكريم حذف الياء من بعض الأسماء والأفعال دون سبب نحوي يقتضي ذلك، وقال النحويون بأن سبب حذفها هو التخفيف، وأثناء الإعراب نعتبرها موجودة ونعربها، وقد وردت في هذه الآية في قوله تعالى: فلا تسألن: أصلها فلا تسألني، حذفت الياء للتخفيف، وهي ضمير متصل في محل نصب مفعول به، وورد في سورة الكهف قوله تعالى ذلك ما كنا نبغ أي نبغي، وورد أيضا في موضع آخر من القرآن الكريم وإذا مرضت فهو يشفين، وورد في الآية السابقة رب إن ابني من أهلي أي (ربي) وهذه سمة لكلام الله عز وجل تميزه عن كلام البشر، وحذف الياء فيه مغزى وحكمة وتناسق وانسجام للنغم الموسيقي المتآلف في القرآن الكريم، وفيه لفتة إلى بعض المعاني اللطيفة. ففي قوله تعالى مثلا رب اغفر وارحم فيه لفتة إلى قرب الله عز وجل من العبد واستجابته له قبل أن يتم كلمة (ربي) . والله أعلم.

[سورة هود (١١) : آية ٤٧]

قال رب إني أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧)

الإعراب:

(قال رب) مر إعرابها «١» ، (إني) مثل إنه «٢» ، (أعوذ) مثل أعظ «٣» ، (الباء) حرف جر و (الكاف) ضمير في محل جر متعلق ب (أعوذ) ، (أن) حرف مصدري ونصب (أسأل) مضارع منصوب، والفاعل أنا و (الكاف) ضمير مفعول به (ما ليس لي به علم) مثل ما ليس لك به علم «٤» .

والمصدر المؤول (أن أسألك..) في محل جر بحرف جر محذوف تقديره من أن أسألك.. متعلق ب (أعوذ) .

---

(١) في الآية (٤٥) من هذه السورة.

(٢، ٣، ٤) في الآية (٤٦) السابقة.." [2]

"الإعراب:

(الواو) استئنافية (اهتدوا) فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.. و (الواو) فاعل (هدى) مفعول به ثان منصوب (الواو) عاطفة (عند) ظرف منصوب متعلق ب (خير) ، (ثوابا) تمييز منصوب وكذلك (مردا) .

جملة: «يزيد الله ... » لا محل لها استئنافية.

وجملة: «اهتدوا ... » لا محل لها صلة الموصول (الذين) .

وجملة: «الباقيات.. خير......» لا محل لها معطوفة على الاستئنافية.

---

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ابن باديس، عبد الحميد ص/٢٠٧

(٢) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٢٨٣/١٢

الصرف:

(مردا) ، مصدر ميمي من رد الثلاثي، وزنه مفعل بفتح الميم والعين.

الفوائد

- ضرب من التفضيل:

«الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا» ما من مؤمن إلا ويعلم أن الباقيات الصالحات كلها خير، فما هو فحوى التفضيل في هذه الآية؟

الجواب أن هذا الضرب من التفضيل يشبه قولنا: الصيف أشد حرا من الشتاء، فليست المفاضلة هنا بين حر الصيف وحر الشتاء، وإنما المفاضلة ما بين شدة الحر وشدة البرد، فتبصر، ففي **الأمر معنى لطيف للغاية**.

وثمة رأي آخر في مضمون هذه الآية، ومفاده أن التفضيل ورد على طريقة المشاكلة التي كثيرا ما ترد في آي القرآن، والتي قد تعرضنا لها في غير موضع من هذا الكتاب.." (١)

"تعليق على تعبير وأقرضوا الله قرضا حسنا

وبمناسبة ورود هذا التعبير لأول مرة نقول إنه كما هو المتبادر تعبير استحثاثي على الإنفاق في سبيل الله والتصدق على المحتاجين وقد تكرر في آيات مدنية عديدة.

**وفيه معنى لطيف يزيد** في قوة الحث وهو أن الذي ينفق أمواله في سبيل الله ويتصدق بها على المحتاجين كأنما يقرض الله وأن الذي يقرض الله يستحق الوفاء أضعافا مضاعفة. وهذا ما ورد في آيات عديدة مثل آية سورة البقرة هذه: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبصط وإليه ترجعون (٢٤٥) وورود هذا التعبير بعد الأمر بإيتاء الزكاة في الآية التي نحن في صددها ذو مغزى عظيم حيث يفيد أن المطلوب من الميسورين ليس الزكاة فقط بل أكثر منها وأن الزكاة هي الحد الأدنى الواجب الذي يكون تركه معصية كبيرة. ويتبادر لنا أن هذا المعنى هو المقصود في كل موضع جاء فيه التعبير والله أعلم.

تعليق على تعليم الاستغفار

ولقد انتهت الآية بطلب استغفار الله، والغفران في الأصل بمعنى الستر والوقاية، ثم صار بمعنى التسامح والإغضاء عن الذنوب. والمرجح أنه كان بهذا المعنى قبل البعثة أيضا.

وفي الأمر تلقين رباني بأن الله يعلم أن أكثر الناس لا يمكنهم أن يكونوا في نجوة من الهفوات والأخطاء، وأنه هو الغفور الرحيم الذي من شيمته التسامح والإغضاء وشمول عباده بالرحمة الواسعة إذا آمنوا به واعترفوا بذنوبهم وندموا عليها ولجأوا إليه يطلبون غفرانه ورحمته. وفي هذا ما فيه من حث المذنب على الندم والتوبة وتأميله بالغفران والرحمة وبعبارة أخرى فيه

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١٦/٣٣٢

وسيلة من وسائل التربية الروحية وقصد إصلاح المسلم وصلاحه وهو مما تتوخاه الآيات القرآنية بصورة عامة.

ولقد تعددت الآيات التي تأمر المؤمنين بالاستغفار في السور المكية والمدنية." (١)

"كما تنسون ثم سجد سجدتي السهو» «١» .

غير أن الجملة كما يتبادر لنا توجب على المسلم أن يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن ينسى تبليغ شيء من القرآن الذي يوحي الله به إليه إلا ما شاء الله أن ينساه. وتكون هذه في الحالة من نوع النسخ القرآني على ما سوف نشرحه في سياق تفسير إحدى آيات سورة النحل لأن ذلك أكثر ملاءمة والله تعالى أعلم.

تعليق على وصف الأعلى

ولقد استنبط بعض أصحاب المذاهب الكلامية من وصف (الأعلى) الذي وصف به الله عز وجل أنه سبحانه وتعالى في السماء. ونقول تعليقا على ذلك أن الله تعالى منزه عن الجسمانية والجهة وإن في السماء. ونقول تعليقا على ذلك أن الله تعالى منزه عن الجسمانية والجهة وإن في القرآن آيات عديدة تذكر أنه في السماء إله وفي الأرض إله وأنه رب السموات ورب الأرض مثل آيات سورة الزخرف هذه: سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون (٨٢) فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون (٨٣) وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم (٨٤) وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون (٨٥) والمتبادر أن وصفه بالأعلى يهدف إلى تقرير وصفه بالعلو عن كل شيء الذي يدانيه في عظمته وقوته وتساميه شيء. ولقد روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني قال: «لما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجعلوها في سجودكم» «٢» فجرى المسلمون من لدن النبي صلى الله عليه وسلم بدون انقطاع على ذكر هذه الصيغة مرات في كل سجدة يسجدونها مما **فيه معنى لطيف متصل** بالهدف المذكور فيما يتبادر لنا من حيث تضمنه الاعتراف لله بصفة العلو عن

---

(١) التاج الجامع ج ١ ص ١٩٧، وهناك أحاديث صحيحة أخرى من هذا الباب فاكتفينا بهذا الحديث.

(٢) أورد الحديث المفسر ابن كثير في سياق هذه السورة وفي سياق سورة الواقعة.." (٢)

"(٣٠) باب السنن وفضائلها

---

(باب السنن) أي المؤكدة والمستحبة. (وفضائلها) قال في اللمعات: أراد بالسنن الصلاة التي تؤدى مع الفرائض في اليوم والليلة، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يواظب عليهما مؤكدة أو غير مؤكدة، وسمى القسم الأول الرواتب مأخوذ من الرتوب وهو الدوام والثبوت، يقال: رتب رتوبا ثبت ولم يتحرك، ومنه الترتيب، ويمكن أن يجعل الرواتب أعم من المؤكد،

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٤٣٤/١

(٢) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٥١٦/١

وقد جعل صاحب سفر السعادة (يعني مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس) سنة العصر من الرواتب- انتهى. واختلف الفقهاء في مشروعية الرواتب القبلية والبعدية للفرائض وتحديدها، فذهب الجمهور، ومنهم الأئمة الثلاثة الشافعي وأحمد وأبوحنيفة إلى مشروعيتها، وأنها مؤقته تستحب المواظبة عليها. وذهب مالك في المشهور عنه إلى أنه لا توقيت في ذلك ولا تحديد حماية للفرائض، لكن لا يمنع من تطوع بما شاء إذا أمن من ذلك. وذهب العراقيون من أصحابه إلى موافقة الجمهور، ففي المدونة: قلت: هل كان مالك يوقت قبل الظهر للنافلة ركعات معلومات أو بعد الظهر أو قبل العصر أو بعد المغرب فيما بين المغرب والعشاء أو بعد العشاء؟ قال: لا وإنما يوقت في هذا أهل العراق- انتهى. وفي الشرح الكبير: لهم ندب نفل في كل وقت يحل فيه، وتأكد الندب بعد صلاة المغرب كبعد ظهر وقبلها كقبل عصر بلا حد يتوقف عليه، بحيث لو نقص عنه أو زاد فات أصل الندب، بل يأتي بركعتين وبأربع وست، وإن كان الأكمل ما ورد من أربع قبل الظهر وأربع بعدها وأربع قبل العصر وست بعد المغرب- انتهى. وفيه أيضا وهي أي صلاة الفجر يعني سنة رغيبة أي رتبتها دون السنة وفوق النافلة تفتقر لنية تخصها وتميزها عن مطلق النافلة، بخلاف غيرها من النوافل المطلقة فيكفي فيه نية الصلاة، وكذا النوافل التابعة للفرائض بخلاف الفرائض والسنن والرغيبة وليس عندنا رغيبة إلا الفجر — انتهى. قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة (ج١ ص١٧٠) : في تقديم السنن على الفرائض وتأخيرها **عنها معنى لطيف مناسب**، أما في تقديم فلأن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها، فتتكيف النفس في ذلك بحالة بعيدة عن حضور القلب في العبادة والخشوع فيها الذي هو روحها، فإذا قدمت السنن على الفريضة تأنست النفس بالعبادة وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع، فيدخل في الفرائض على حاله حسنة لم يكن يحصل له لو لم تقدم السنة فإن النفس مجبولة على التكيف بما هي فيه، لا سيما إذا كثر أو طال وورود الحالة المنافية لما قبلها قد تمحو أثر الحالة السابقة أو تضعفه. وأما السنن المتأخرة فلما ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض، فإذا وقع الفرض مناسب أن يكون بعده ما يجبر خللا فيه إن وقع- انتهى. قلت: يشير بقوله ما ورد إلى ما أخرجه أحمد وأبوداود وابن ماجه والحاكم من حديث تمتم الداري مرفوعا: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن كان أتمها كتبت له تامة وإن لم يكن أتمها قال الله لملائكته: أنظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملون بها فريضته ثم الزكاة كذلك تؤخذ الأعمال على حسب ذلك- انتهى. وأخرجه الترمذي وأبوداود أيضا من حديث أبي هريرة

﴿الفصل الأول﴾

١١٦٦- (١) عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: ((من صلى في يوم وليلة

". (١)

"بكل حال وعند كل أحد كما وصف عليه السلام به الجنة

فقال: «لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة»

وخير وشر مقيدان وهو أن يكون خيرا لواحد شرا لآخر كالمال الذي ربما يكون خيرا لزيد وشرا لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال فى موضع إن ترك خيرا وقال فى موضع آخر:

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ١٢٧/٤

أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات وقوله تعالى:

إن ترك خيرا أي مالا. وقال بعض العلماء لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا ومن مكان طيب كما

روى أن عليا رضى الله عنه دخل على مولى له فقال:

ألا أوصى يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال: إن ترك خيرا وليس لك مال كثير

وعلى هذا قوله: وإنه لحب الخير لشديد أي المال الكثير. وقال بعض العلماء: إنما سمى المال هاهنا خيرا تنبيها **على معنى لطيف وهو** أن الذي يحسن الوصية به ما كان مجموعا من المال من وجه محمود وعلى هذا قوله: قل ما أنفقتم من خير فللوالدين وقال: وما تفعلوا من خير يعلمه الله وقوله: فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا قيل عنى به مالا من جهتهم، وقيل إن علمتم أن عتقهم يعود عليكم وعليهم بنفع أي ثواب. والخير والشر يقالان على وجهين، أحدهما: أن يكون اسمين كما تقدم وهو قوله: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير والثاني: أن يكونا وصفين وتقديرهما تقدير أفعل منه نحو هذا خير من ذاك وأفضل وقوله: نأت بخير منها وقوله: وأن تصوموا خير لكم فخير هاهنا يصح أن يكون اسما وأن يكون بمعنى أفعل ومنه قوله: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى تقديره تقدير أفعل منه. فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وقوله: فيهن خيرات حسان قيل أصله خيرات فخفف، فالخيرات من النساء الخيرات، يقال رجل خير وامرأة خيرة وهذا خير الرجال وهذه خيرة النساء، والمراد بذلك المختارات أي فيهن مختارات لا رذل فيهن. والخير الفاضل المختص بالخير، يقال ناقة خيار وجمل خيار، واستخار الله العبد فخار له أي طلب منه الخير فأولاه، وخايرت فلانا كذا فخرته، والخيرة الحالة التي تحصل للمستخير والمختار نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس. والاختيار طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرا وإن لم يكن خيرا، وقوله: ولقد اخترناهم على علم على العالمين يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيرا، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم. والمختار فى عرف المتكلمين يقال لكل فعل يفعله الإنسان." (١)

"(ولا) تنزله (علينا) قال الطيبي: وفي إدخال الواو هنا معنى لطيف، وذلك أنه لو أسقطها؛ لكان مستسقيا للآكام وما معها فقط، ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه، ولكن ليكون وقاية من أذى المطر، فليست الواو مخلصة للعطف، ولكنها للتعليل، وهو كقولهم: تجوع الحرة، ولا تأكل بثدييها، فإن الجوع ليس مقصودا لعينه، ولكن لكونه مانعا من الرضاع بأجرة إذا كانوا يكرهون ذلك. انتهى.

وقال الدماميني: الواو مخلصة للعطف، ولكنها كواو التعليل وفائه، فالمراد: أنه إن سبق في قضائك أن لا بد من المطر، فاجعله حول المدينة، ويدل على أن الواو ليست لمحض العطف اقترانها بحرف النفي، ولم يتقدم مثله. انتهى.

وقال القسطلاني: لم يستقم لي إجراء هذا الكلام على القواعد، وليس في كلام العرب واو وضعت للتعليل، وليس «لا» هنا للنفي، وإنما هي للدعاء مثل قوله: ((لا تؤاخذنا)) والمراد: أنزل المطر حوالينا حيث لا نستضر به، ولا تنزله علينا حيث نستضر به، فلم يطلب منع الغيث بالكلية.

---

(١) الموسوعة القرآنية  إبراهيم الإبياري ٨/١٨٠

وهو من حسن الأدب في الدعاء؛ لأن الغيث رحمة الله ونعمته المطلوبة، فكيف يطلب منه رفع نعمته، وكشف رحمته، وإنما يسأل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، وكذا فعل صلى الله عليه وسلم، فإنما سأل جلب النفع، ودفع الضرر، فهو استسقاء بالنسبة إلى محلين، فالواو لمحض العطف، و «لا» جازمة لا نافية، ولا إشكال. والحاصل: أن المراد صرفه عن الأبنية والطرق.

ولذا قال: (اللهم على الآكام) بكسر الهمزة وفتحها ممدودة جمع: أكمة ــ بفتحات ــ. قال ابن البرقي: هو التراب المجتمع. وقال الداودي: أكبر من الكدية. وقال القزاز: هي التي من حجر واحد.

وقال الخطابي: هي الهضبة الضخمة، وقيل: الجبل الصغير، وقيل: ما دون الجبل، وأعلى من الرابية، وقيل: ما ارتفع من الأرض.

(والجبال) وزيد في رواية هنا: [1]بالمد والجيم (والظراب) بكسر الظاء المعجمة وفي آخره باء موحدة، جمع: ظرب ــ بفتح الظاء وكسر الراء ــ جبل منبسط على الأرض، وقيل: بسكون الراء. ويقال: ظراب وظرب، كما يقال: كتاب وكتب.

وفي «المنتهى» للبرمكي: الروابي الصغار دون الجبل. قال البرماوي والزركشي: وخصت؛ لأنها أوفق للزراعة من رؤوس الجبال. (والأودية)

[ج ٥ ص ٢٨٧]." [2]

"وقال السهيلي: لذكر **البيت معنى لطيف لأنها** كانت ربة بيت قبل المبعث، ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي صلى الله عليه وسلم بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها قال: وجزاء الفعل يذكر

[ج ١٦ ص ٤٨١]

غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء الحديث بلفظ البيت دون ذكر القصر، انتهى.

ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم: ((من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة)) لم يرد مثله في كونه مسجدا ولا في صفته، ولكنه قابل البنيان بالبنيان، كما بنى بني له.

وفي ذكر البيت معنى آخر لأن مرجع أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إليها لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين رضي الله عنهم فجللهم بكساء، فقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي ... )) الحديث أخرجه الترمذي وغيره.

ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة رضي الله عنها؛ لأن الحسن والحسين من فاطمة، وفاطمة بنتها وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها رضي الله عنهم، والله تعالى

---

(١) والآجام

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٤٢٧١

أعلم.

ثم إن قولها: «وأمره الله أن يبشرها ... إلى آخره» أيضا من جملة أسباب الغيرة؛ لأن اختصاص خديجة رضي الله عنها بهذه البشرى يشعر بمزيد محبة من النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

ووقع عند الإسماعيلي من رواية الفضل بن موسى عن هشام بن عروة بلفظ: ((ما حسدت امرأة قط ما حسدت خديجة حين بشرها النبي صلى الله عليه وسلم ببيت من قصب ... )) الحديث.

(وإن كان) كلمة «إن» مخففة من الثقيلة، ويراد بها تأكيد الكلام، ولهذا أتت باللام في قولها: (ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها) بالخاء المعجمة، جمع خليلة، وهي الصديقة (منها) أي: من الشاة (ما يسعهن) أي: ما يكفيهن، كذا في رواية الأكثرين. وفي رواية المستملي والحموي: ي: ما يتسع لهن.

وفي رواية النسفي: من الإشباع، من الشبع، بكسر المعجمة وفتح الموحدة. وقال الحافظ العسقلاني: وليس في روايته [ج ١٦ ص ٤٨٢]." (١)

"وقال النووي: النهي في هذا الحديث عن تسمية العنب كرما، وعن تسمية شجرها أيضا للكراهية، وحكى القرطبي عن المازري أن السبب في النهي أنه لما حرمت عليهم الخمر، وكانت طباعهم تحثهم على الكرم كره صلى الله عليه وسلم أن يسمى هذا المحرم باسم

[ج ٢٦ ص ١٥٢]

يهيج طباعهم إليه عند ذكره، فيكون ذلك كالمحرك لهم.

وتعقبه: بأن محل النهي إنما هو تسمية العنب كرما، وليست العنبة محرمة، والخمر لا تسمى عنبة، بل العنب قد يسمى خمرا باسم ما يؤول إليه، قال الحافظ العسقلاني: والذي قاله المازري موجه؛ لأنه يحمل على إرادة حسم المادة بترك تسمية أصل الخمر بهذا الاسم الحسن، ولذلك ورد النهي تارة عن العنب، وتارة عن شجرة العنب، فيكون التنفير بطريق الفحوى؛ لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال في الحال بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة، فالنهي عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أحرى.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه: لما كان اشتقاق الكرم من الكرم، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض، فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء؛ لأن المؤمن من خير الحيوان، وخير ما فيه قلبه؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان.

قال: ويؤخذ منه أن كل خير باللفظ أو المعنى أو بهما أو مشتقا منه أو مسمى به إنما يضاف بالحقيقة الشرعية إلى الإيمان وأهله، وإن أضيف إلى ما عدا ذلك فهو بطريق المجاز، وفي تشبيه الكرمة بقلب المؤمن معنى لطيف؛ لأن أوصاف الشيطان تجري مع الكرمة، كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم، فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة، كما أن من غفل عن عصير كرمه تخمر فتنجس.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٣٦٧٩

ويقوي الشبه أيضا أن الخمر تعود خلا من ساعته بنفسه، أو بالتخليل، فتعود طاهرا، وكذا المؤمن من ساعته يعود بالتوبة النصوح طاهرا من خبث الذنوب المتقدمة التي كان متنجسا باتصافه بها، إما بباعث من غيره من موعظة ونحوها وهو كالتخليل، أو بباعث من نفسه، وهو كالتخلل، فينبغي للعاقل أن يتعرض لمعالجة قلبه؛ لئلا يهلك وهو على الصفة المذمومة، والله هو الموفق.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، وقد أخرجه مسلم

[ج ٢٦ ص ١٥٣]

في ((الأدب)).

===================." (١)

"ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر، وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعها يستحق وصف البراعة، وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها، وتقصر عن أن تنازعها مداها وصادفتها نجوما هي بدرها، وروضا هي زهرها، وعرائس ما لم تعرها حليها فهي عواطل، وكواعب ما لم تحسنها فليس لها في الحسن حظ كامل، فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها، ولا رونق لها ما لم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون، وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها، وإنما ينجلي الغرض منها ويبين، إذا تكلم على هذه التفاصيل، وأفرد كل فن بالتمثيل، وسترى ذلك إن شاء الله، وإليه الرغبة في أن توفق للبلوغ إليه والتوفر عليه، وإذ قد عرفتك أن لها هذا المجال الفسيح، والشأو البعيد، فإني أضع لك فصلا، بعد فصل، وأجتهد بقدر الطاقة في الكشف والبحث.." (٢)

"الباب الرابع في ذكر ابتداء الزمان وأقسامه

والتنبيه على مبادئ السنة في المذاهب كلها وما يشاكل ذلك من تقسيمها على البروج يقال: إن الله تعالى خلق الخلق كله والشمس برأس الحمل والزمان معتدل والليل والنهار مستويان، فأول الأزمنة فصل الصيف، وهو الذي يدعوه الناس الربيع ومنه ابتداء سنة الفرس فكلما حلت الشمس برأس الحمل فقد مضت للعالم سنة عندهم، قال ابن قتيبة:

ولذلك قال أبو نواس شعرا:

أما ترى الشمس حلت الحملا ... وقام وزن الزمان فاعتدلا

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢١٣٥٨

(٢) أسرار البلاغة الجرجاني، عبد القاهر ص/٤٣

وغنت الطير بعد عجمتها ... واستوفت الخمر حولها كملا

لأن مراده استوفت الخمر حول الشمس كملا فالهاء في قوله: حولها كناية عن الشمس قد مضى ذكرها، قال ثعلب: حولها تقلبها من حال إلى حال.

وقال المبرد: من ابتداء إبراق الكرم إلى استحكام العنب ستة أشهر، ومن استحكام العنب إلى استحكام الخمر ستة أشهر، وذلك عند حلول الشمس برأس الحمل فلذلك حول. وقال بعضهم: حول الخمر ستة أشهر والضمير لها فهذا ما في هذا

وقد قال أبو نواس في قصيدة أخرى أولها شعرا:

أعطتك ريحانها العقار ... وحان من ليلك السفار

ثم قال:

تحيرت والنجوم وقف ... لم يتمكن لها المدار

وفي هذا **البيت معنى لطيف مليح** وذلك أن أصحاب النجوم والحساب يقولون: إن الله تعالى حين خلق النجوم وجعلها واقعة في برج، ثم سيرها من هناك، فيريد أن هذه الخمرة." (١)

"غلام من سراة بني لؤي ... منافي العمومة والجدود

خليق عن تكامل خمس عشر ... بإنجاز المواعد والوعيد

في هذا **البيت معنى لطيف ربما** غفل عنه، وذلك أن الذين أبوا الوعيد وحققوا الإنجاز، زعموا أن الأعراب لا تتمادح بتحقيق الوعيد وإنما تتمادح بإنجاز الموعود، لأن في تحقيق الوعيد ضربا من اللؤم وفي إنجاز الوعد كل الكرم؛ فعلى هذا، إذا قال الله تعالى في الوعيد ما قال فأمره إليه، إن شاء حقق وإن شاء صفح، ورووا بيتا أنشده أبو عمرو بن العلاء عمرو بن عبيد في منازعة هذا المعنى وهو: الطويل

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

ونفسهم في نصرة هذا الرأي قصير؛ ولعل دليلهم من غير هذا الوجه أوكد." (٢)

"وقال صلى الله عليه وآله: لا حكيم إلا ذو عثرة؛ وقال في مكان آخر: لا حكيم إلا ذو أناة، ولا حكيم إلا ذو تجربة؛ وفي اللفظ **الأول معنى لطيف وهو** أن الحكيم قد يعثر فلا يخرج بذلك من الحكمة والصفة المستحقة، فكأن العبد إن تعلت رتبته في الفضائل، وطالت يده في التجارب، فإنه يبين بعجزه عن حال من لا يزل ولا يهفو، وهذا أيضا دليل على انتفاء العصمة من صفات الإنسان، أعني أنه لا يحوي معنى يصير به ممن لا يجوز عليه الخطأ ولا يقع معه نسيان على ما زعمت الرافضة في إمامها، فإن هذا نعت إله الخلق، وهم لفرط غلوهم في أئمتهم يلحقونهم بصفات ربهم ولا يبالون، كل ذلك تجليحا وجرأة، ولهذا نشأت فيهم الغالية. ولقد قلت لسيخ منهم وكأني أتغابى عليه: لم قال هؤلاء إن عليا عليه السلام

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/١٢٠

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٧/١

إله؟ قال: لأن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال لهم: علي إله؛ قلت: ولم إذا قال جعفر ذلك كان كذلك؟ ومن أين لك أن الإمام قال ذلك. قال: هذا كله من كلام الناصبة.." (١)

"الدين خوف، ولا عيش لخائف، وفقد العقل موت، ولا يعايش ميت.

هذا رواه لي بعض المجوس لبزرجمهر، ورواه لي بعض العلوية لجده، ورواه لي آخر مرسلا، والله أعلم وأحكم بالصواب، فالحكمة نسبتها فيها، وأبوها نفسها، وحجتها معها، وإسنادها متنها، لا تفتقر إلى غيرها ويفتقر إليها، ولا تستعين بشيء ويستعان بها؛ نسأل الله البر الكريم الرؤوف بالعباد أن لا يجعل حظنا منها القول دون الفعل، والهداية دون الاهتداء.

سئل علي بن الحسين رضي الله عنهما: لم أوتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أبويه؟ قال: لئلا يوجب عليه حق لمخلوق. هذا معنى لطيف، وأظن أنه يحتاج إلى تفسير.

وقال موسى بن جعفر رضوان الله عليهما: ظني بالله حسن، وبالنبي المؤتمن، وبالوصي ذي المنن، وبالحسين والحسن.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله::أكالون للسحت ": هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته.

وقيل عن علي رضي الله عنه في قوله جل ثناؤه: " وفار التنور "، هو: أسفر الصبح. وهذا غريب جدا وما أحب أن أثق بكل غريب، لأن القصة في التنور أظهر من أن يحمل اللفظ على المجاز بغير حجة، ويعدل عن المعنى الظاهر بغير بيان، ولو جاز لشنع القول وشاع الظن.

يقال: ما العثم، والعتم، والعجم، والعذم، والكظم، والعلم، والكتم، والعظم، والقصم، والرقم، والوقم، والوسم، والوشم، والهتم، والطعم، والرشم، والغشم.." (٢)

"وهو من مقتضيات الأحوال وموجبات الأغراض، وفضلا عن هذا فإن الجمع بين الشيء وضده يضفي على الكلام رونقا وبهاء، ويكسب المعنى حسنا ونبلا، وهو فوق تثبته المعنى في النفس يصف الشيء المتحدث عنه إزاء الضدين المتقابلين، ويجعل لكل منهما حسنا لا يكون لهما إذا انفردا، وهذا هو معنى قول القائل:

فالوجه مثل الصبح مبيض ... والفرع مثل الليل مسود

ضدان لما استجمعا حسنا ... والضد يظهر حسنه الضد

وما من ريب في أن الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالا ويزيده بهاء ورونقا، فمن هنا كانت وظيفة الطباق لا تقف عند هذا الزخرف وتلك الزينة الشكلية، بل تتعداها إلى غايات أسمى، فلا بد أن يكون **هناك معنى لطيف ومغزى** دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد، وإلا كان هذا الجمع عبثا وضربا من الهذيان، ولننظر في قول الله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ (القصص: ٧٣)، وقد جمعت الآية الكريمة بين الليل والنهار وهما نعمتان من نعم الله على عباده، ورحمة منه –عز وجل– بهم، ثم ذكرت العلة من جعل الزمان ليلا ونهارا لنسكن ليلا ونسعى ونتحرك نهارا، والحركة ينبغي أن تكون لمصلحة وابتغاء من فضل الله تعالى لا إفسادا في الأرض، ولذا أوثر التعبير ابتغاء

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٢٥/٧

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٦٧/٨

الفضل دون الحركة، والحركة تكون للإصلاح والإفساد، وابتغاء الفضل لا يكون إلا إصلاحا، وفي ذكر العلة -كما ترى- جمع بين ضدين، هما السكن وابتغاء الفضل، وفي الجمع بين الضدين في صدر الآية ثم في عجزها، حث للمؤمن ليتأمل هذه النعمة لما كان الزمان ليلا ونهارا، سكنا وابتغاء.

وكيف يكون الحال لو كان الزمان نهارا سرمدا إلى يوم القيامة، أو ليلا سرمدا إلى يوم القيامة؟ ولذا دعانا -سبحانه وتعالى- للتأمل والنظر والتدبر في قوله -عز وجل-: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا." (١)

"الداعي الرابع: أن يشار بالإضافة إلى تحقير المضاف أو تحقير المضاف إليه، أو تحقير غيرهما.

فمن تحقير المضاف أن تقول عن عقد تتفاخر به صاحبته: هذا عقد كلبك.

ومن تحقير المضاف إليه أن ترى كوخا حقيرا فتقول لمن تريد أهانته: هذا قصرك.

ومن تحقير غيرهما أن تقول لمن تريد إهانته وهو جالس على كرسي مستكبرا: هذا كرسي الإسكاف.

***

الداعي الخامس: أن تتضمن الإضافة معنى يقصد ويشار إليه بها، كالتحريض على الإكرام، أو التحريض على الإهانة والإذلال، أو التحريض على البر، أو إرادة الاستهزاء والتهكم، أو غير ذلك.

* فمن أمثلة التحريض على الإكرام: هذا صديقك يزورك.

* ومن أمثلة التحريض على الإهانة والإذلال: هذا عدوك مقبل إليك.

* ومن أمثلة التحريض على البر: هذا أبوك الذي رباك.

* ومن أمثلة إرادة الاستهزاء والتهكم: أن تقول لمن تسخر منه: هذا رئيسنا وزعيمنا، مع أنه لا يصلح إلا أن يكون تابعا خادما.

إلى غير ذلك من معان لطيفة يمكن أن يشار إليها بالإضافة.

***." (٢)

"بأبي والله من طرقا ... كابتسام البرق إذ خفقا

زارني طيف الحبيب فما ... زاد أن أغرى بي الأرقا

ومثله لأحمد بن يوسف الكاتب: [من الرمل]

في سبيل الله ود حسن ... دام من قلبي لوجه حسن

وهوى ضيعته في سكن ... ليس حظي منه غير الحزن

يرقد الليل ويستعذبه ... فإذا استعذبت طيب الوسن

---

(١) البلاغة ١ - البيان والبديع - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٨٨

(٢) البلاغة العربية الميداني، عبد الرحمن حبنكة ٤٥٠/١

زارني منه خيال ما له ... أرب في غير أن يوقظني

٢٤٩- وأنشد أبو القاسم ابن الفضل لنفسه بيتا ألم فيه بهذا المعنى وزاد عليه: [من البسيط]

ما زارني طيفه إلا موافقة ... على الكرى ثم ينفيه وينصرف

في قوله: **موافقة معنى لطيف لم** أعثر عليه لمن تقدم.." [(١)]

"راكع ساجد يقبل قرطا ... ساكما قبل البساط شكور

وقال آخر المتقارب

ضئيل الرواء كثير الغناء ... من البحر في المنصب الأخضر

كمثل أخي العشق في شخصه ... وفي لونه من بني الأصفر

عليه كهيئة متن الشجا ... ع في دعص محنة أعفر

وقال المقنع الكندي

قلم كخرطوم الحمامة مائل ... مستحفظ للعلم من علامه

يخفى فيقصم من شعيرة رأسه ... كقلامة الأظفور من مقلامه

وقال آخر في جارية

كأنما قابل القرطاس إذ كتبت ... منها ثلاثة أقلام على قلم

وقال ابن المعتز

عليم بأعقاب الأمور كأنه ... بمختلسات الظن يسمع أو يرى

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه ... تفتح نوارا أو تنظم جوهرا

ونحوه قول الطائي في كتاب

وضمن صدره ما لم تضمن ... صدور الغانيات من الحلي

فكائن فيه **من معنى لطيف ..** وكائن فيه من لفظ بهي

وقال آخر يصف كتابا

سواد مثل خافية الغراب ... وأقلام كمرهفة الحراب

وقرطاس كرقراق السراب ... وألفاظ كأيام الشباب

وقال حجزة بن أبي سلالة

من كتاب كأنه شعرات ... وسط خد أومأ بهن عذار

أو كنقش الحناء في كف عذرا ... ء حمى وجهها به الاستتار

بل كتاب يكاد يضحك من جو ... هره بحر لفظه الطومار

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٨٧/٦

كتبتك الكف التي كنزها السو ... دد لا درهم ولا دينار
وقال علي بن الجهم
ورقعة جاءتك مثنية ... كأنها خد على خد
ساهمة الأسطر مصروفة ... عن ملح الهزل إلى الجد
نبذ سواد في بياض كما ... فت فتيت المسك في الورد
يا كاتبا أسلمني عتبه ... إليه حسبي منك ما عندي
وقال ابن الرومي المتقارب
لعمرك ما السيف سيف الكمي ... بأخوف من قلم الكاتب
له شاهد إن تأملته ... ظهرت على سره الغائب
أداة المنية في جانبيه ... فمن مثله رهبة الراهب
سنان المنية في جانب ... وسيف المنية في جانب
ألم تر في صدره كالسنان ... وفي الردف كالمرهف العاضب
باب ٨٨
قال ابن الرومي
ولحية يحملها مائق ... مثل الشراعين إذا أشرعا
تقوده الريح بها صاغرا ... قودا حثيثا تبعث الأخدعا
لو غاص في البحر بها غوصة ... صاد بها حيتانه أجمعا
وقال دعبل
يلوث لحية عرضت وطالت ... ويمرثها كتمريث الخميره
فيا لك لحية وضرى وشيبا ... كأنك قد أكلت بها مضيره
وقال ابن الرومي
ولحية كذنب البرذون ... لو أنها كانت على فرعون
لاحتاج أن يحملها بعون
وله أيضا
رجل عليه لحية ... منها قرامل زوجته
لو يجمع الله اللحى ... كانت حذافة لحيته
وقال الناجم مما لا ت شبيه فيه
لابن شاهين لحية ... طوله شطر طولها
فهو كالدهر كله ... عاثر في فصولها

باب ٨٩ في

تشبيهات باستثناء شيء أو نقصان شيء

ومن التشبيهات باستثناء شيء أو نقصان شيء قول الأخطل يصف زقاقا

أناخوا فجروا شاصيات كأنها ... رجال من السودان لم يتسربلوا

الشاصي الرافع لرجليه والشاغر الرافع إحداهما وقال أبو الهندي

أتلف المال وما جمعته ... طلب اللذات من ماء العنب

واستباء الزق من حانوته ... شائل الرجلين معصوب الركب

وقال ابن المعتز

ودنان كمثل صف رجال ... قد أقيموا ليرقصوا الدستبندا

وله أيضا

خلتها في البيت جندا ... صففوا حولي قياما

وتراها وهي صرعى ... فرغا بين الندامى

مثل أبطال حروب ... قتلوا فيها كراما

وقال الناجم

ومدامة كالبرق إلا أنها ... تبغي على الأوقات باللالاء

وقال عوف بن محلم الخزاعي

وصغيرة علقتها ... كانت من الفتن الكبار

كالبدر إلا أنها ... تبغي على ضوء النهار

وقال أبو نواس." (١)

"فصفه، فقلت: أما منصور النمري فحسن البناء، قريب المعنى، سهل كلامه، صعب مرامه، سليم المتون، كثير العيون، وأما مسلم فمزج كلام البدويين، بكلام الحضريين، وضمنه المعاني اللطيفة، والألفاظ الطريفة، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين، قال: أبيت أن تحكم فحكمت، منصور أشعرهما.

آراء للمؤلف في النقد بحضرة الخليفة

قال القاضي: وكنت يوما جالسا في دار أمير المؤمنين القادر بالله وبالحضرة جماعة من أماثل شعراء زماننا، وفيهم من له حظ من أنواع الآداب، وتصرف في نقد الشعر ومعرفة بأعاريضه وقوافيه، وخواصه ومعانيه، وما يمتنع منه ويجوز فيه، فأفاضوا في هذه الوجوه إلى أن انتهوا إلى ذكر أبي تمام ومسلم بن الوليد، وقال كل واحد منهم في تجميل أوصافهما، وترتيب أشعارهما

---

(١) التشبيهات لابن أبي عون ابن أبي عون ص/٦٦

بما حضره، ولم أصغ كل الإصغاء إلى ما أتوابه من ذلك، إذ لم يجر على قصد التحقيق، وظهر منهم أو من بعضهم تشوف إلى أن آتي بما عندي في ذلك، فقلت: أبو تمام له التقدم في إحكام الصنعة وحبك الألفاظ المطابقة المستعذبة، **وإبداع المعاني اللطيفة المستغربة**، والاستعارة المتقبلة الغريبة، والتشبيهات الواضحة العجيبة، ومسلم له الطبع وقرب المأخذ، فقبلوا بهذا وأعجبوا به، وأظهروا استحسانه، والاغتباط باستفادته، ثم حضرني بعض من يتعاطى هذا الشأن فسألني إملاءه عليه، فقلت له: أنا قائل لك في هذا قولا وجيزا مختصرا يأتي على المعنى، وله مع الاختصار حلاوة، وبهاء وطلاوة، وهو أن أبا تمام أصنع، ومسلم أطبع، وكان بعض من قدمت الحكاية عنه من الشعراء لما قلت في ذلك المجلس ما قلته أقبل علي، وقال لي: ما أحد يدانيك في هذا الباب، فلم لا تكون منا؟ ولم تؤثر مجالسة غيرنا، لغلبة هذا الشأن عليه، وجرى يوما بيني وبين رجل له حظ من العلم والأدب ذكر بعض من كنا نجالسه من رؤساء ذوي السلطان والولاية، وأهل العلم والأدب والرواية، مع وفور حظه من التدين، والنزاهة والتصون، وأنه كان يخالفنا في أشياء، ويمارينا فيها مع ظهور صحة مذاهبنا، وفساد اختياراته المفارقة لاختيارنا، وتذاكرنا ما يظهره من الزراية على أبي تمام وابن الرومي وأنه لا يقف عند التسوية بينهما وبين من هو منخفض بدرجات متفاوته عنهما، حتى يحطهما عمن هو أدون رتبة وأوفى منزلة، فقلت لهذا الرجل: كأن هذا الأمر يختلف بحسب اختلاف الأمزجة، وتركيب الأبنية، ويلحق بما يختلف فيه شهوات الناس ولذاتهم من الأطعمة والاشربة، ويؤثرونه من المراكب والملابس والمواطن، ثم ذكرت له أحوال الناس في اختيارهم ما يختارونه من الشعر، وأن كثيرا منهم بالطويل أشد أعجابا منه بغيره، ويذهب غيره إلى مثل هذا بالبسيط، وبعضهم في الكامل، وبعضهم في الوافر، وقد كان قدامة الكاتب يرى تقدم أول السريع على غيره من أنواع الشعر في بهائه وتقبل الطبائع له،." (١)

"في قصة ذكرت أنه كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص، ومنه: نصصت الحديث إلى صاحبه أي رفعته إليه، وقال امرؤ القيس:

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش ... إذا هي نصته ولا بمعطل

وقوله: وكل معبد: المعبد المذلل، قال طرفة:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبد

وأبو خبيب: هو عبد الله بن الزبير، كان يكنى أبا خبيب وأبا بكر. وقال الشاعر فيه، وفي أخيه مصعب:

قدني من نصر الخبيبين قدي ... ليس أميري بالشحيح الملحد

يروي الخبيبين مثنى، يراد هو وأخوه، ويروي الخبيبين على الجمع، من باب الأشاعثة والمسامعة والمهالبة، يراد هو وذووه، وقوله: ولا أمية في البلاد نصب بلا النافية، وإنما تعمل في النكرة دون المعرفة، لأنه أراد: ولا مثل أميه، كما قال الآخر:

لا هيثم ... الليلة للمطي

أي لا مثل هيثم، وقوله: من الأعياص، نسب بني أمية مقسوم على الإضافتين الأعياص والعنابس والأعياص أعلاهما.

قال القاضي رحمه الله: ابن الزبير حين ذكر الكاهلية ونسبة ابن فضالة إياه إليها معنى لطيف، وتعريض بسبه أبلغ من

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي  المعافى بن زكريا ص/٢٨٩

التصريح، إذ علم أن الكاهلية ألأم أمهات ابن الزبير فسبه بها، فالسب راجع عليه بأعظم من سبه من هجاه، إذ بنو كاهل رهط ابن فضالة وعصبته.

وقول ابن الزبير: أرقعها بسبت، السبت: جلود يؤتى بها من اليمن تتخذ منها النعال، وهي من جلود البقر، وكانت من ملابس الملوك، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل رآه يمشي في المقبرة لابسا شيئا منها: يا صاحب السبتين: اخلع سبتيك.

وقال عنترة يصف رجلا بالنبل وتمام الخلق:

بطل كأن ثيابه في سرحة ... يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقوله: اخصفها بهلب: يعني ما أخذ من شعر الذنب، وقوله: وأنجد بها، يريد: ائت بها نجدا: أنجد الرجل إذ أتى نجدا، وأغار إذا أتى الغور، ومن كلام العرب " أنجد من رأى حصنا " أي شارف نجدا، وحصن جبيل، قال الأعشى:

نبي يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا

وقوله: وسر عليها البردين: البردان: أول النهار وآخره، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من صلى البردين دخل الجنة ". قال: الله عز وجل: " وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل " ومن الدليل على ما قلناه في معنى البردين قول حميد بن ثور الهلالي:

فلا الظل من برد الضحى نستطيعه ... ولا الفيء من برد العشي نذوق." (١)

"فقلت له: أما ما تخيلت أنك تتبعته على هؤلاء الأربعة الذين هم فرسان الشعر وأمراء الكلام، فقد ظلت الشبه في جمعيه، وأوضحت أنهم على مدرجه الصواب فيه. واحتججت في كل بيت بما لو أرعيته سمعك وصرفت إليه تأملك لعدلت عن بيات الطريق وترهات القول وزخارف الظنون، وعلمت أنه لا مماثلة بين الذي أوردته محتجا به وبين ما تعلقت به عليك. لكنك تجري شأو الجموح عجبا بنفسك، ورميا بهمتك إلى حيث لا مرقى لها. وتضعها بحيث لا تستحق وضعها به وتزنها بالميزان العائل تفخيما لها. وقلت: وقد أخطأت أيضا في قولك:

) ابعد بعدت بياضا لا بياض له ... لأنت أسود في عيني من الظلم (

وهو على ما فيه مأخوذ من قول أبي تمام:

له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفح

فعمدت إلى هذه الألفاظ السليمة الكريمة، فأوردتها في عبارة فاسدة غير مستقيمة وقولك) لأنت أسود (خطأ وإن كانوا قد أنشدوا: فقلت: هذا بيت مولد محدث ليس بحجة. ولكنهم قد انشدوا:

جارية في رمضان الماضي ... أبيض من أخت بني إباض

تقطع الحديث بالإيمان وذكروا قول طرفة:

أما الملوك فأنت اليوم أوسخهم ... عرضا وأبيضهم سربال طباخ

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٣٨٠

وهذه شذوذ لا يرخص لمحدث فيها. وقد تأول. وقد تأول قوم لا علم لهم بجوهر الكلام، في بيت المتنبي تأولا بعيدا وقيل: أراد لأنت يا أسود في عيني من الظلم. وهذا تأول بعيد. وكيف تقول يا أسود وهو أبيض؟ وكان وجه الكلام إذا أراد هذا، أن يقول: وأنت مع بياضك أسود كأنك من سواد الظلم. ولو ذهب إلى ذلك وأفصح عنه بعبارة مقبولة يقع بها الإفهام ويزول معها اللبس لكان الغرض صحيحا. لكنه أبهمه وأسره. وقلت له: ومما أخطأت أيضا في نعته ولفقته من موضعين قولك:

) ضيف ألم برأسي غير محتشم ... السيف أحسن فعلا منه باللمم (

فأما التلفيق فقولك) ضيق ألم برأسي (وهذا من قول دعبل. على أنك قد غادرت بعض المعنى ولم تستوفه لأنه قال: أحب الشيب لما قيل ضيف فسماه ضيفا. ثم ذكر محته إياه ثم أتبع ذاك بذكر العلة في محبته فقال:

كحبي للضيوف النازلينا

ودعبل أخذه من قول الأول:

ألقى عصاه وأرخى من عمامته ... وقال ضيف فقلت الشيب قال أجل

وفي قوله) وأرخى من عمامته (معنى لطيف، وهو أنه أراد أنه في أمر سلم لا حرب كما قال الآخر:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

فذكر ذلك لنه لم يضع العمامة في سلم. وقيل بل أراد بقوله) متى أضع العمامة (أي متى أغضب. وأخذت قولك:

) والسيف أحسن فعلا منه باللسمم (

من قول البحتري:

فليت بياض السيف يوم لفيتي ... مكان بياض الشيب كان بمفرقي

وأما الخطأ فقولك:) غير محتشم (تريد غير منقبض. وهذا خلاف ما عليه محصلو أهل العلم؛ إذ كانت الحشمة في كلام العرب الغضب. وسمي حشم الرجل حشما، لأنهم يغضبون له: فقال: ألم يقل الشاعر:

أخاف تكرار قولي) كل (فأحشمه ... والصمت ينزله مني على بخل

فقلت: هذا بيت مولد محدث ليس بحجة. ولكنهم قد أنشدوا:

لعمرك إن قرض أبي خبيب ... بطيء النضج محشوم الأكيل

فقيل: معناه مغضب الأكيل لأنه لا يرضيه؛ وقيل: مقبوض الأكيل عن أكله والأول المعتمد. والحشمة مما وضعته العامة غير موضعه. ومما أسقطت أيضا فيه وأسأت في أخذه:

) الأدب المهذب الأصيد الضرب ... الذكي الجعد الرئيس الهمام (

فإنك نسخا من قول البحتري:

سالمتني الأيام لما تحرمت ... بظل الرئيس ذي الإنعام

بالأديب المهذب الفاضل القمر ... الأبي الندب الوفي الهمام

وما ظننت أحدا تجرأ على هذا اجتراءك عليه، فإن أحداث المتأدبين ممن يتعاطى نظم الشعر يترفع عن مثله. ولست أجد

أيضا للجعد مذهبا في المدح، إذ كان الجعد القصير. قال:

يا رب جعد منهم لو تدري، ... يضرب ضرب السبط المقاديم

بيض جعاد كأن أعينهم ... يكحلها في الملاحم السدف." (١)

"وقد أخذت هذا البيت على رسمك فقلت:

) وإذا كانت النفوس كبارا ... تعب في مرادها الأجسام (

فقال: وأبو القائل مبتدئا:

ما لكثيب الحمى إلى عقدة

فقلت: أجل هذه القصيدة التي أخذت منها:

كالخوط في القد والغزالة في الب ... هجة وابن الغزال في غيدة

ثم تدارك هذا فقال:

وما حكاه ولا نعيم له ... في جيده بل حكاة في جيدة

فقلت آخذا للبيت الأول:

) بدت قمرا ومالت غصن بان ... وفاحت عنبرا ورنت غوالا (

فما أنكرت من هذا الابتداء ونعيته عليه؟ ألا نعيت قوله: أصم بك الناعي وإن كان أسمعا ولم يقل في ابتداء مرثية بعد قول أوس بن حجر أسير ولا أخصر من هذا. فإن العلماء بالشعر قاطبة تشير إلى قول أوس:

أيتها النفس أجملي جزعا

وقول أبي تمام، إن لم تنكر، أوفى منه. فقال هو مأخوذ من الأول:

نعى لي أبا المقدام فاسود منظري ... من الأرض واستكت علي المسامع

فقلت: هو منه، ولكن شتان ما هما قربا ولطفا واختصارا. ولو لم تكن إلا فضيلة الإيجار لحكمت بالإحسان وأعطيته السبق.

وقوله:

سعدت غربة النوى بسعاد

وقوله:

أرامة كنت مألف كل ريم

فقال هذا من قول زهير: وقوله في ابتداء أخرى:

لهان علينا أن نقول ونفعلا

وابتداء أخرى:

أجل أيها الربع الذي آهله ... لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

---

(١) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره ابن المظفر الحاتمي ص/٢٦

وقوله:

ما عهدنا كذا نحيب المشوق

وقوله:

أيها البرق بت بأعلى البراق ... واغد فيها بوابل غيداق

وتعلم بأنه ما لأنوا ... ئك ما لم تروها من خلاق

دمن طالما التقت أدمع المزن ... عليها وأدمع العشاق

فهذا من أحسن ابتداء وكذلك قوله:

خذي عبرات عينك عن زماعي ... وصوني ما أذلت من القناع

أآلفة النحيب كم افتراق ... أظل فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات إلا ... لموقوف على ترح الوداع

ثم قلت: وهو الذي يقول في الدالية التي هتفت في ابتدائها يصف لواء:

نعم لواء الخميس أبت به ... يوم خميس عالي الضحى أفده

خلت عقابا بيضاء في حجرات ... الملك طارت به وفي سدده

ومر تهفو ذؤابتاة على ... أسمر متن بوم الوغى جسده

تخفق أثناؤه على ملك ... يرى طراد الأبطال من طرده

فقال أبو الطيب: عذ عن هذا، أما أبو التمام القائل:

والمجد لا يرضى بأن يرضى بأن ... يرضى الذي يرجوك إلا بالرضا

هذا والله الهذيان الذي يشغل بطون المهارق ويطفئ نار القرائح.

قال: وأراه سمع بيت مسلم فاحب أن يركب الكلام ويعاظله تركيب مسلم ومعاظلته في قوله:

سلت وسلت ثم سل سليلها ... فغدا سليل سليلها مسلولا

فأضحكني هذا التخيل منه وقلت: إن مسلما وإن كرر اللفظ، **فلبيته معنى لطيف أنا** أورده، وقد أورده الباهلي في تاب) المعاني (، فزعم أنه يريد هذه الحمرة سلت من الكرم باقتطافه، ثم سلت من العنب باعتصاره، ثم سل العصير من الدن ببزله، وقوله:

فغدا سليل سليلها مسلولا

يريد بول شاربها. وقد قال بعد هذا البيت:

لطف المزاج لها فزين كأسها ... بقلادة جعلت لها إكليلا

يريد أن المزاج رفعها فجعل القلادة وهي في العين إكليلا. وقد نازعه أبو نؤاس هذا المعنى وأحسن العبارة عنه بقوله:

تدور علينا الراح في عسجدية ... حبتها بأنواع التصوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها ... مها تدريه بالقسي الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

وأما قول أبي تمام:) والمسجد لا يرضى بأن يرضى (ينقصه مثلك وأنت القائل:

) فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا ... قلاقل عين كلهن قلاقل (

والقائل:

) ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ... ويجهل علمي أنه بي جاهل (

وأنت القائل:." (١)

"وأحق النساء بان تعشق وتعزز التي جمعت إلى حسن خلقها الأدب وحسن المنطق والصوت واسعد الناس حالا من كان له حبيب يحبه كما جاء في بعض المواليات المصرية. فإنه والحالة هذه يقدم على اصعب الأعمال واعظم المساعي. ويباشرها دون أن يشعر بها. لا فكره أبدا مشغول بمحاسن حبيبه. فلو رفع صخرة في هذه الحالة على عاتقه بل فندا لتوهم إنه رافع نعال محبوبه أو بالحري رجليه. ثم أنه مع ما يلحق المحبة من طوارئ التنغيص والخيبة والحرمان وخصوصا مضض الغيرة فإن عيش الخلي لا خير فيه. لان الحب يبعث على المروءة والنخوة والشهامة والكرم ويلهم المحب المعاني اللطيفة والخواطر الدقيقة. ويكسبه الأخلاق المرضية. ويستوحيه إلى عمل شيء عظيم يذكر به اسمه ويحمد شأنه ولا سيما عند محبوبته. وقلما رأيت عاشقا به جفاء وفظاظة أو رثاء وبلادة أو دناءة وخساسة. وقال بعض العزهين وأظنه من التيتائيين. لو لم يمنع من عشق امرأة شيء بعد التعفف والتورع سوى الاضطرار إلى حبها لكفى لان الإنسان متى علم إنه مسخر لحب شيء ومكلف به مله بالطبع ونفر منه. قال فيكون حب المرأة على هذا مغايرا للطبع. هذا إذا كان الرجل شهما عزيز النفس عالي الهمة. فأما الأوباش من الناس فلا معرفة لهم بقدر أنفسهم فهم يتساقطون على حب المرأة حيثما عنت لهم وكيفما اتفق. قلت هو كلام من لم يذق الحب أو من كان مفرقا ولو سمع أنثى تقول له يوما احمل يا روحي هذا الحمل من الحطب على رأسك. أو احب يا عيني على أستك كالولد الصغير للباها حاملا وزحنقفا.

ثم أن للعشاق مذاهب مختلفة في العشق فمنهم من يهوى ذات التصنع والتمويه والعجب. ومنهم من لا يعجبه ذلك وإنما يؤثر الحسن الطبيعي. وأن يكون في محبوبته بعض الغفلة والبلاهة وإلى هذا أشار المتنبي بقوله:

حسن الحضارة مجلوب بتطرئة ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

ومثل الأول مثل من يقدم له لون من الطعام وبه قمة فيحتاج إلى التفحية والتقيت ومثل الثاني مثل من به سيفينة وسرطمية فلا يمنعه عدم التفحية والتوابل من أن يلسو ويلوس ويلثى ثم يلحس قعر الجفنة بعد فراغه منها. فأما رغبة بعض الناس في الغفول والبلاهة فإنها مبنية على أن المحب لا يزال يقترح من محبوبته أشياء كثيرة تبعث إليها الحاجة. فمتى كانت ذات دهاء وذكاء خشي أن تمله وتحرمه. ومنهم من يزيد في المرأة غراما إذا كانت ذات عزة وشرة ومعاسرة فيكون استرضاؤها ادعى إلى النشاط والسعي. وهذا يفعله في الغالب من يتفرغ للهوى ويتصدى له من كل جهة. ومنهم من يعشق المرأة لاتسامها بسمة

(١) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره ابن المظفر الحاتمي ص/٤٨

الشرف وسيادة أو وجاهة. وذلك دأب ذوي الطموح والاستطاعة. ومن هذا الصنف من إذا رأى المرأة امرأة وضيعة تشبه امرأة شريفة عشقها لأجل حصول المشابهة فقط. ويقال لأهل هذا المذهب المشبهية. وهو في النساء اكثر فإن المرأة لا تكاد ترى رجلا إلا وتقول لعله يشبه بعض الأمراء الغابرين أو الحاضرين أو الآتين ومنهم من يعشق من بها ذلة وانكسار وملاينة. وذلك شأن ذوي الرفق والرقة. ومنهم من يعشق من على طلعتها آثار الحزن والكآبة والفكرة. وهو مذهب ذوي الحنين والطرب. ومنهم من يعشق ذات البشر والطلاقة والأنس. وهو خلق المحزونين المبتئسين. فإن النظر إلى مثل هذه ينفي الهم. ويجلو الكرب والغم. ومنهم من يعشق من بها مرح ونزق وطيش وثرثرة وقهقهة. وهو دأب السفهاء والجهلاء. ومنهم من يعشق المرأة لأدبها وفهمها وحسن كلامها ومحاضرتها وسرعة جوابها. وهو مذهب العلماء والأدباء. ومنهم من يعشق من تكون كثيرة الحلي والتأنق في الملبوس كثيرة الغنج والتمويه وهو طريقة ذوي السرف والشطط. ومنهم من يعشق الماجنة المتهتكة المستهترة. وهو شأن الفساق الفجار. ومنهم من يعشق الخيتعور الشهوانية المتلعجة الطفسة. وهو خلق من مبلغ منه العهر كل مبلغ. ومنهم من يعشق اللاعة الخريدة العفيفة ابتغاء أن يفسدها ثم يتباهى بذلك بين أقرانه. فإذا رضيت له ملها أو أرادها أن تكون على غير تلك الحال وهو عندي شر من عاشق المتوهجة. ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات المختلفة كلها في محبوبته بحسب اختلاف الأحوال. هذا في الخلق فأما في الخلق فالنحيف يهوى السمينة وبالعكس. والأسمر يحب البيضاء وبالعكس. والطويل يحب القصيرة وبالعكس. والأملط يحب الكثيرة الشعر وبالعكس.." (١)

"٣٧* وكقوله [١] :

إن محلا وإن مرتحلا ... وإن فى السفر ما مضى مهلا [٢]

استأثر الله بالوفاء وبال ... حمد وولى الملامة الرجلا [٣]

والأرض حمالة لما حمل الل ... ه وما إن ترد ما فعلا

يوما تراها كشبه أردية ال ... عصب ويوما أديمها نغلا [٤]

وهذا الشعر منحول، ولا أعلم [٥] فيه شيئا يستحسن إلا قوله:

يا خير من يركب المطى ولا ... يشرب كأسا بكف من بخلا

يريد أن كل شارب [٦] يشرب بكفه، وهذا ليس ببخيل فيشرب بكف من بخل. وهو معنى لطيف.

٣٨* وكقول الخليل بن أحمد العروضى:

---

[١] البيت الأول والثانى ومعهما بيت آخر فى الأغانى ٨: ٨٢. والأبيات مع غيرها فى الخزانة ٤: ٣٨١- ٣٨٥ والأول فى سيبويه ١: ٢٨٤. وهو فى اللسان ١٣: ١٧ غير منسوب. والثانى فى معجم الشعراء للمرزبانى ٤٠١ والأغانى ١٠: ١٣٦.

[٢] قال الأعلم فى شواهد سيبويه: «الشاهد فيه حذف خبر إن لعلم السامع، والمعنى: إن لنا محلا فى الدنيا ومرتحلا عنها

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٤٨

إلى الآخرة. وأراد بالسفر من رحل من الدنيا، فيقول:

فى رحيل من رحل ومضى مهل، أى لا يرجع» .

[٣] س ف «يا استأثر» .

[٤] العصب: ضرب من برود اليمن. والنغل، بفتح الغين: فساد الأديم فى دباغه.

والبيت فى اللسان ١٤: ١٩٤ وقال «واستشهد الأزهرى بهذا البيت على قوله نغل وجه الأرض: إذا تهشم من الجدوبة» .

[٥] س ف «لا أعرف» .

[٦] ف د «أن كل بخيل» وليس بجيد.." (١)

"يقلي مفارقة الأكف قذاله ... حتى يكاد على يد يتعمم

ومن قلائد أبي الطيب **إبراز المعاني اللطيفة في** معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة،." (٢)

"معالم الصورة عنده زادت وضوحا أكثر من القاضي، كما سيظهر من خلال اهتمامه باللفظ والمعنى "أي النظم" والصورة التي تقوم عليها معا، وسنعرض اتجاهه على النحو التالي:

أولا: رجح الآمدى البحتري على أبي تمام في شعره، وذكر أدلة قوية تؤيد اتجاهه حيث فرق فيها بين العلم والشعر، فلكل منهما طابعه وخصائصه فالشعر عنده غير العلم، والعلم حكمة وفلسفة، والشاعر مصور، وليس حكيما أو فيلسوفا، والصورة الأدبية تكون من اللفظ والمعنى، في حسن تأن، وقرب مأخذ، واختيار الموضع المناسب لكل لفظ، الذي يطابق المعنى في الاستعمال المعتاد، من غير كلفة ولا صنعة، مع اللياقة في الاستعارة والتمثيل للمعنى، حتى لا يقع بينهما تنافر، وبذلك يكتسي النظم رونقا وبهاء، وهذا هو الأصل في بلاغة الصورة، من إصابة المعنى بألفاظ سهلة بعيدة عن التكلف. لا تزيد عن الغرض، فإن اتفق للنظم معنى لطيف، زاد من روعته، وإلا -فالصورة غنية في نفسها ودلالتها يقول: وليس الشعر عند أهل العلم به، إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له، وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسى بالبهاء والرونق، إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة البحتري، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى، وإدراك الغرض، بألفاظ سهلة عذبة، مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة. فإن اتفق مع هذا معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن، فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق، فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه. قالوا:." (٣)

"وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصرة عنها، ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من فلسفة اليونان، وحكمة الهند، أو أدب الفرس، ويكون أكثر مما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج، مضطرب، قلنا له: قد جئت بحكمة وفلسفة، ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيما، أو سميناك فيلسوفا، ولكن لا نسميك شاعرا،

---

(١) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/ ٧٠

(٢) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي يوسف البديعي ٢/ ٤١٠

(٣) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/ ٣٠

ولا ندعوك بليغا"[١].

ويلتقي الآمدى مع القاضي في النص السابق، في أن جلال الصورة وجمالها لا يرتبط بفخامة اللفظ، ومهارة الصنعة، وكثرة ألوان البيان والبديع.

ثانيا:

يدرك الآمدى الجمال في اللغة، وسحره في الصورة، فيجعل اللغة غاية في ذاتها ولو مجردة عن حكمة أو فلسفة، فهي كفيلة في ذاتها بالروعة والجمال؛ لأن الغرض منها إصابة المعنى، وإدراك الهدف، لا أن يحمل الشاعر لغته ما لا تطيق وهو متأثر في هذا بقول البحتري:

والشعر لمح تكفي إشارته ... وليس بالهذر طولت خطبه

يقول الآمدي: "وإن اتفق له معنى لطيف، زاد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه"[٢].

ويرى د. مندور أن الآمدى اهتدى بهذا إلى أن اللغة ليست وسيلة، ولكنها غاية؛ لأنها تتضمن عناصر التصوير والموسيقى: "ويكون من حسن الذوق، وسلامة الحس بحيث يقيم النسب الدقيق بين اللغة كوسيلة، واللغة كفاية في

---

١ الموازنة: للآمدى ص١٧٣ وما بعدها.

٢ المرجع السابق: الآمدى.." (١)

"الوجه الأول: أن تكون تلك الدلالة على جهة المطابقة وفيه مذاهب ثلاثة، أولها أن يكون لأمر حاصل فى كل ألفاظه، وهذا هو قول من قال: إن وجه إعجازه، هو سلامته عن المناقضة فى جميع ما تضمنه، وثانيها أن يكون لأمر حاصل فى كل ألفاظه وأبعاضها، وهذا هو قول من قال: إن إعجازه إنما كان لما فيه من بيان الحقائق والأسرار، والدقائق مما يكون العقل مشتغلا بدركها، فإن العلماء من لدن عصر الصحابة رضى الله عنهم إلى يومنا هذا ما زالوا يستنهضون منه كل سر عجيب، ويستنبطون من ألفاظه **كل معنى لطيف غريب**، فهذا هو الوجه فى إعجازه على رأى هؤلاء، وثالثها أن يكون وجه إعجازه لأمر حاصل فى مجموع ألفاظه وأبعاضها، مما لا يستقل بدركه العقل، وهذا هو قول من قال إن الوجه فى إعجازه ما تضمنه من الأمور الغيبية، واللطائف الإلهية، التى لا يختص بها سوى علامها، فهذه هى أقسام دلالة المطابقة، تكون على هذه الأوجه الثلاثة التى رمزنا إليها.

الوجه الثانى: أن تكون تلك الدلالة على جهة الالتزام، وهذا مذهب من يقول: إن القرآن إنما كان معجزا لبلاغته، وفسر البلاغة باشتمال الكلام على وجوه الاستعارة، والتشبيه المضمر الأداة، والفصل، والوصل، والتقديم، والتأخير، والحذف، والإضمار، والإطناب، والإيجاز، وغير ذلك من فنون البلاغة.

الوجه الثالث أن تكون تلك الدلالة من جهة تضمنه لما يتضمنه من الأسرار المودعة تحت ألفاظه التى لا تزال على وجه الدهر غضة طرية يجتليها كل ناظر، ويعلو ذروتها كل خريت ماهر، فظهر بما لخصناه من الحصر أن كون القرآن معجزا إما

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد علي علي صبح ص/٣١

أن يكون للصرفة، أو للنظم، أو لسلامة ألفاظه من التعقيد، أو لخلوه عن التناقض، أو لأجل اشتماله على المعاني الدقيقة، أو لاشتماله على الإخبار بالعلوم الغيبية، أو لأجل الفصاحة والبلاغة، أو لما يتركب من بعض هذه الوجوه، أو من كلها، كما فصلناه من قبل، ونحن الآن نذكر كل واحد من هذه الأقسام كلها، ونبطله سوى ما نختاره منها والله الموفق.." (١)

"واستنشق النكباء وهي لواقح ... واستوطىء الرمضاء وهي ثغور

وللموت في عين الجبان تلون ... وللذعر في سمع الجري صرير

لبان لها أني من الضيم جازع ... وأني على مض الخطوب صبور

ولو أبصرتني والسري جل عزمتي ... وجرسي لجني الفلات سمير

وأعتسف الموماة في غسق الدجى ... وللأسد في غيل الغياض زئير

وقد حومت زهر النجوم كأنها ... كواعب في خضر الحدائق حور

ودارت نجوم القطب حتى كأنها ... كؤس خوال ما لهن مدير

وقد خيلت طرق المجرة أنها ... على مفرق الليل البهيم قتير

وثاقب عزمي والظلام مروع ... وغضي وأجفان النجوم فتور

لقد أيقنت أن المنى طوع همتي ... وأني بعطف العامري جدير

وروي أن أبا نؤاس لما قدم على الخصيب صادف في مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح لهم فيه، فلما فرغوا قال الخصيب: ألا تنشدنا أبا علي؟ قال: أنشدك أيها الأمير قصيدة هي بمنزلة عصا موسى تلقف ما يؤفكون، فأنشده قوله:

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

إلى آخر القصيدة وهي هذه التي تقدمت، فاهتز لها وأمر له بجائزة.

وأقول: إن ما ابتدأ به أبو نؤاس وأحمد بن دراج وافتتحا به قصيدتيهما وتنقلا فيهما **بتلك المعاني اللطيفة والمقاصد** الظريفة من أبلغ تلطفات الشعراء في التوصل إلى استعطاف الملوك والأمراء. وممن تلطف في التوصل لاستعطاف ممدوحه في خطاب زوجته أبو سعيد الرستمي في مدح الصاحب بن عباد، وأحببت إيراد ذلك لما فيه من اللطف والظرافة وإن لم يكن مما نحن فيه، قال:

أمنجزتي وعدي فقد رحل الركب ... ولم تتأن العيس أم تقف الصحب

خليلي لا تستنكرا طول عتبها ... علي فإن الحب أكثره عتب

بنفسي بيضاء العوارض أعرضت ... بوجه كان الشرق من حسنه غرب

وبين الإزار المرتوي حقت رملة ... وبين الوشاح الملتوي غصن رطب

وتحت لثام الخز أنفاسها لظى ... وفوق رداء الكبر أدمعها سكب

تبدت مع الأتراب تدعو على النوى ... وإن لم يكن في الغانيات لها ترب

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٢١٧/٣

تسيل على الخد الأسيل دموعها ... وصب دموع العين يروى به الصب
وقد وكلت إحدى يديها بقلبها ... مخافة أن يرفض من صدرها القلب
فلما أجزن الجسر قمن ورائه ... كسرب من الغزلان ليس لها سرب
وعضت بدر الثغر فضة معصم ... يكاد يثنيه من الذهب القلب
وكادت تحط الرحل لولا عزيمتي ... وجيهية قب ومهرية نجب
وقائلة أذرت مع الكحل دمعها ... إلى أي أرض ترحل العيس ظاعنا
وخلفك أفراخ بها ظمأ زغب
تق الله فينا لا تزدنا صبابة ... ببعد فما نلقاه من كثب حسب
فقلت ثقي بالله يا أم معمر ... فبعض الصدى ريوبعض النوى قرب
إذا ماانخت العيس بالري سالما ... فمشرعنا عذب ومرتعنا خصب
دعيني وطيي نحوها البيد بالسرى ... يقع طائرانا حيث يلتقط الحب
ألم تعلمي أن الحيا من جنابها ... تصوب عزاليه علينا فينصب
فقالت وجالت في نواحي ردائها ... دموع لها في كل ناحية غرب
فتى رستم لا تذكر البين باسمه ... فديناك إن البين أيسره صعب
إلى أن يقول فيها ويعرض بذكر أولاده وأمه ويخاطب ممدوحه:
إذا سار مشتاق إليك فإنني ... برأسي أخطو بل على هامتي أحبو
وما عاقني إلا بنون كأنهم ... فراخ الدبي في الجو حدثان مادبوا
وقائلة من بعد سبعين حجة ... شفيعي إليك الضعف والسن والرب
أتترك أما هامت اليوم أو غدا ... يضيق بها من بعدك البلد الرحب
منها:
سأثني بما أوليتني من صنيعة ... عليك كما يثني على المطر العشب
وأدررت لي أضعاف ما قد مريته ... بشعري من نعماك فامتلأ القعب
وعاد إنائي من نوالك فيهقا ... يبل الثرى رشحا وماانقطع الشخب
وأسكر أشعاري نداك فرنحت ... بشكرك في الدنيا كما رنح الشرب
ومنها:
وعم جهات الأرض فيض نواله ... فلم يخل واد من نداه ولا شعب." (١)

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/٨٨

"وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى، سمعت بعض الحذاق يقول: قال العلماء: اللفظ أغلى من المعنى ثمنا، وأعظم قيمة، وأعز مطلبا؛ فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف، ألا ترى أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر، وفي الإقدام بالأسد، وفي المضاء بالسيف، وفي العزم بالسيل، وفي الحسن بالشمس فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر.

وبعضهم وأظنه ابنوكيع مثل المعنى بالصورة، واللفظ بالكسوة؛ فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها، وتضاءلت في عين مبصرها.

وقال عبد الكريم وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتآليفه: الكلام الجزل أغنى **عن المعاني اللطيفة من** المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل، وإنما حكاه ونقله نقلا عمن روى عنه النحاس.

ومن كلام عبد الكريم: قال بعض الحذاق: المعنى مثال، واللفظ حذو، والحذو يتبع المثال؛ فيتغير بتغيره، ويثبت بثباته.

ومنه قول العباس بن حسن العلوي في صفة بليغ: معانيه قوالب لألفاظه، هكذا حكى عبد الكريم، وهو الذي يقتضيه شرط كلامه، ثم خالف في موضع آخر فقال: ألفاظه قوالب لمعانيه، وقوافيه معدة لمبانيه، والسجع يشهد بهذه الرواية الأخرى، وهي أعرف.

والقالب يكون وعاء كالذي تفرغ فيه الأواني، ويعمل به اللبن والآجر." (١)

"المزيد، يأمر الناس بما لا يأتى، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويكره المسيئين وهو منهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ولا يدعها فى حياته. وجاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل ليحمد العبد إذا قال الحمد لله» ، فلذلك قال «١» محمود الوراق فى هذا المعنى:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلا له فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر

فهذا معنى لطيف، يعنى أن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيق يجب أن يحمد على توفيقه، ثم وجب فى الحمد الثانى ما وجب فى الحمد الأول، ثم إلى ما لا نهاية له.

ويروى فى الخبر أن داود عليه السلام قال: إلهى كيف لى أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك! فأوحى الله عز وجل إليه: أن يا داود، ألست تعلم أن الذى بك من النعم هو منى! قال: بلى يا رب، قال: فأنى أرضى بذلك منك شكرا.

فلو «٢» كان يستغنى عن الشكر ماجد ... لعزة مجد أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره ... فقال اشكروا لى أيها الثقلان

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٢٧/١

وكان يقال: كثرة الامتنان من النعم تهدم الصنيعة وتكدر المعروف. وكان يقال:
من كفر النعمة كتمانها من المنعم عليه، ومن تكديرها إظهارها من المنعم. فعلى المنعم أن لا يمتن، وعلى المنعم عليه أن لا يكفر، وأنشد «٣» :." (١)

"أقول إن النوع السادس عند التحقيق هو النوع الثاني، فإن كان الثاني جيدا كما زعم فالثاني معيب.
بيانه أن المصراع من النوع السادس مستقل بنفسه، غير محتاج إلى الذي يليه أصلا، لأنهلو وقف على قوله. "ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى" لكان مفيدا، لأنه سأل الليل أن ينجلي وينكشف، وهذا كلم تام مستقل بنفسه، كقوله: "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" بل أتم استقلالا منه، لأنه إذا ذكر الحبيب والمنزل ولم ينعتهما كان الكلام يخرج عن الإفادة. وقوله لليل: "ألا انجلي" معناه واضح، كأنه قال ما أطولك ياليل فانكشف.
وبيت المتنبي مثل هذا، بل أتم استقلالا، لأن قوله: "قد علم البين منا البين أجفاقا" كلام حسن مفيد عند من يفهم معناه، ومعنى هذا المصراع أن البين قد علم أجفاننا البين، أي فراق الأحباب قد علم أجفاننا أن يفارق بعضها بعضا.
وهذا معنى لطيف، وكلام حسن مستقل بنفسه، لا حاجة له إلى المصراع الثاني، ولا هو معلق عليه أصلا.
وليس قوله: "تدمى" يوجب تعلق المصراع الأول عليه، لأن موضعه النصب، من حيث كان صفة لقوله "منزل"١ فلا فصل بين الموضعين.

---

١ هكذا بالأصل ولعل الصواب "من حيث كان صفة لقوله أحيانا كما أن يسقط اللوى صفة لقوله منزل".." (٢)

"بلغ بك الحر مبلغا شديدا، قال: لا، ولكن غيره، ومكث كذلك ساعة. ثم قام كأنما أطلق من عقال؛ فقال: الآن أردت، ثم استمد وكتب شيئا لا أعرفه، ثم قال: تدري ما كنت فيه منذ الآن؟ قلت: كلا. قال: قول أبي نواس "كالدهر فيه شراسة وليان" أردت معناه فشمس علي. حتى أمكن الله منه فصنعت:
شرست بل لنت؛ بل قانيت ذاك بذا ... فأنت لا شك فيك السهل والجبل١
قال ابن رشيق: ولعمري لو سكت هذا الحاكي لنم هذا البيت بما كان داخل البيت لأن الكلفة فيه ظاهرة والتعمل بين٢.
ويروي ابن المعتز عن محمد بن قدامة أنه قال: "دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما يكاد يرى فوقفت ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه، ثم رفع رأسه فنظر إلى وسلم على؛ فقلت له: يا أبا تمام إنك لتنظر في الكتب كثيرا وتدمن الدرس فما أصبرك عليها، فقال: والله ما لي إلف غيرها ولا لذة سواها وإني لخليق إن اتفقدها أن أحسن، وإذا بحزمتين: واحد عن يمينه وواحدة عن شماله، وهو منهمك ينظر فيهما ويميزهما من دون سائر الكتب، فقلت: فما هذا الذي أرى عنايتك به أوكد من غيره؟ قال: أما التي عن يميني فاللات. وأما التي عن يساري فالعزى، أعبدهما منذ عشرين سنة؛ فإذا عن يمينه شعر مسلم بن الوليد صريع الغواني، وعن يساره شعر أبي نواس"٣. ويقول ابن المعتز: إن له

---

(١) الفاضل محمد بن يزيد المبرد ص/٩٥

(٢) الفلك الدائر على المثل السائر ابن أبي الحديد ١٨٤/٤

ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة، وأكثر ما له جيد، والرديء الذي له إنما هو شيء يستغلق لفظه فقط فأما أن يكون في شعره شيء يخلو **من المعاني اللطيفة والمحاسن** والبدع الكثيرة فلا، وقد أنصف بالبحتري لما سئل عنه وعن نفسه فقال: "جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه، وذلك لأن البحتري لا يكاد يغلظ لفظه؛ إنما ألفاظه كالعسل حلاوة، فإما أن يشق غبار الطائي في

---

١ شرست: من الشراسة ضد اللين، قانيت: خالطت.

٢ العمدة: لابن رشيق "طبعة أمين هندية" ١/ ١٣٩.

٣ طبقات الشعراء، لابن المعتز ص٢١٤.." [(١)]

"على أن هذا الجمال سرعان ما أصابه الجمود في القرن الرابع وما جاء بعده من قرون؛ إذ ضل الشعراء طريقهم إلى تنويع أفكارهم إلا أن يلجئوا إلى ألوان غريبة كالمبالغة، أو يستعيروا بعض الألفاظ من الثقافات، أما أن ينوعوا في موضوعاتهم ومعانيهم فذلك شيء قلما دار في أذهانهم.

ولعل من أسباب ذلك أيضا ما شاع في بيئات النقاد من أن الأسلوب هو كل شيء في الأدب، وهي فكرة نراها في النقد من قديم؛ نراها عند الجاحظ، قد أسقط المعاني، ولم يجعل لها فضلا، وعول على الألفاظ قائلا: "إن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي؛ وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك"١ وثار عليه ابن قتيبة، وقال: "إن البلاغة تكون في المعاني كما تكون في الألفاظ"٢؛ ولكن النقاد انحازوا في الغالب إلى الجاحظ، يقول صاحب الصناعتين: "المعاني مشتركة بين العقلاء؛ فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي، وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها"٣، ويقول الآمدي: "وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الألفاظ في مواضعها. فإن اتفق مع **هذا معنى لطيف أو** حكمة غريبة أو أدب حسن فذلك زائد في بهاء الكلام وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه"٤. ويقول ابن خلدون في القرن الثامن: "إن صناعة الكلام نظما ونثرا؛ إنما هي في الألفاظ لا في المعاني"٥.

وليس من شك في أن شيوع هذه الآراء جعل الشعراء لا يبحثون عن موضوعات جديدة، وبذلك انصب عملهم على التحوير في المعاني القديمة فنشأ هذا البحث الواسع الذي نجده في كتب النقد العربي، ونعني بحث السرقات. ونحن نجد النقاد في هذه العصور يحسون بأن هذا الجانب ضروري في الشعر، يقول

---

١ الحيوان "طبعة الحلبي" ٣/ ١٣٠.

٢ الشعر والشعراء ص٧.

٣ الصناعتين "طبعة عيسى الحلبي" ص١٩٦.

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي شوقي ضيف ص/٢٢٥

٤ الموازنة ص٢١١.

٥ المقدمة ص٤٢٥.." (١)

"تحريك الياء هيهنا لأن السكوت ضرب من الوقف فلو سكنت الياء هيهنا كنت كالذي ابتدأ، وقال لا أعبد الذي طربي فاخترت تحريك الياء هربا من ضرب الوقف وهذا من أبي عمرو في غاية الدقة والنظر في المعاني اللطيفة.

طرق الترجمة

قال الصلاح الصفدي: وللتراجمة في النقل طريقان: أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية، وما تدل عليه من المعاني، فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربيت ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتا وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه، وهذه الطريقة ردية بوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. الثاني أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما، وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت ألفاظها أم خالفتها، وهذا الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيما بها، بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والإلهي فإن الذي عربه منها لم يحتج إلى الإصلاح، فأما إقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحراني وكذلك المجسطي والمتوسطات بينهما.

ذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة فاستصغروه فقالوا كم سن القاضي؟ قال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا إلى أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سويد الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا عليه.

لبعضهم شعر

قد قال قوم أعطه لقديمه ... جهلوا ولكن أعطني لتقدمي

للأمير أمين الدين علي بن السليماني، قال:

أضيف الدجى معنى إلى ليل شعره ... فطال ولولا ذلك ما خص بالجر." (٢)

"أصبحت فيك كما أمسيت مكتئبا ... ولم أقل جزعا يا أزمة انفرجي

أهفو إلى كل قلب بالغرام له ... شغل وكل لسان بالهوى لهج

وكل سمع عن اللاحي به صمم ... وكل جفن عن الإغفاء لم يعج

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي شوقي ضيف ص/٢٩٣

(٢) الكشكول البهاء العاملي ٢٩٤/١

لا كان وجد به الآماق جامدة ... ولا غرام به الأشواق لم تهج

عذب بما شئت غير البعد عنك تجد ... أوفى محب بما يرضيك مبتهج

وخذ بقية ما أبقيت من رمق ... لا خير في الحب إن أبقي على المهج

من لي بإتلاف روحي في هوى رشأ ... حلو الشمائل بالأرواح ممتزج

من مات غراما عاش مرتقيا ... ما بين أهل الهوى في أرفع الدرج

محجب لو سرى في مثل طرته ... أغنته غرته الغرا عن السرج

وإن ظللت بليل من ذوائبه ... أهدى لعيني الهدى صبحا من البلج

وإن تنفس قال المسك معترفا ... لعارفي طيبيه من نشره أرجى

أعوام إقباله كاليوم في قصر ... ويوم إعراضه في الطول كالحجج

فإن نأى سائرا يا مهجتي ارتحلي ... وإن دنا زائرا يا مقلتي ابتهجي

قل للذي لامني يفيه وعنفني ... دعني وشأني واترك نصحي بذاك الحي لا تعج

فيه خلعت عذاري واطرحت به ... قبول نصحي والمقبول من حججي

وابيض وجه غرامي في محبته ... واسود وجه ملامي فيه بالحجج

تبارك الله ما أحلى شمائله ... فكم أمات توأحيت فيه من مهج

يهوى لذكر اسمه من لج في عذلي ... سمعي وإن كان عذلي فيه لم يلج

تراه إن غاب عني كل جارحة ... في **كل معنى لطيف رائق** بهج

في نغمة العودج والناي الرخيم إذا ... تألفا بين ألحان من الهزج

ويفي مسارح غزلان الخمائل في ... برد الأصائل والإصباح في البلج

وفي مساقط أنداء الغمام على ... بساط نور من الأزهار منتسج." (١)

"وهذا مأخوذ من الفقه في تصرية ضرع الشاة عند البيع، وذلك يوجب الرد.

ومما ينتظم بهذا السلك قولي، وهو:

"الانتقال عن خلة الوداد، كالانتقال عن نسب الميلاد، وكما يحرم هذا في نص الحكم المشروع، فكذا يحرم هذا في خلق الكرم المطبوع، على أن نسب الخلة الذي ينميه القلب إلى القلب، أوصل من نسب الرحم الذي ينميه الابن إلى الأب، ولهذا كانت مودة سلمان١ قربى، ونسب أبي لهب سبا وتبا".

وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي نواس وهو:

كانت مودة سلمان له نسبا ... ولم يكن بين نوح وابنه رحم

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الديار، وهو:

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٢٩

"دار كانت مقاصر جنة، فأصبحت وهي ملاعب جنة، ولقد عميت أخبار قطانها، وأنشاز أوطانها، حتى شابهت إحداهما في الخفاء، الأخرى في العفاء، وكنت أظن أنها لا تسقى بعدهم بغمام، ولا يرفع عنها جلباب ظلام، غير أن السحاب بكاهم فجرت بها سوافح دموعه، والليل شق عليهم ثوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه".

**وهذه معان لطيفة جدا**، وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضي –رحمه الله تعالى:

أمرابع الغزلان غيرك البلى ... حتى غدوت مراتع الغزلان

ومما يلتئم بهذا المعنى قولي أيضا، وهو:

"دار أصبحت مراتع أذواد، بعد أن كانت مناجع رواد، فلو تصورت الآمال التي مثلت بفنائها، كما تصورت الآثار المماثلة من بنائها، لرأيت رسومها مع رسوم القباب، وعلمت كم غار بها من بحر ونضب من سحاب".

---

١ يقصد سلمان الفارسي.." (١)

"والمعنى الغريب ههنا أن الشمس إذا طلعت على النيلوفر تفتح أوراقه، وإذا غربت عنه انضم.

ثم إني سمعت هذا في شعر الفرس لبعض شعرائهم، فحصل عندي منه تعجب.

ومن ذلك ما ذكرته في ذم الشيب، فقلت:

"الشيب إعدام للإيسار، وظلام للأنوار، وهو الموت الأول الذي يصلى نارا من الهم أشد وقودا من النار، ولئن قال قوم: إنه جلالة فإنهم دقوا به وما جلوا، وأفتوا في وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا، وما أراه إلا محراثا للعمر، ولم تدخل آلة الحرث دار قوم إلا ذلوا، ومن عجيب شأنه أنه المملول الذي يشفق من بعده، والخلق الذي يكره نزع برده، ولما فقد الشباب كان عنه عوضا، ولا عوض عنه في فقده".

والمعنى المخترع ههنا في قولي: "وما أراه إلا محراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم إلا ذلوا".

وهو مستنبط من الحديث النبوي، وذاك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى آلة حرث، فقال: "ما دخلت هذه دار قوم إلا ذلوا"، فأخذت أنا هذا ونقلته إلى الشيب، فجاء كما تراه في أعلى درجات الحسن، وذلك لما بينه وبين الشيب من المناسبة الشبيهة؛ لأن الشيب يفعل في البدن ما يفعله المحراث في الأرض، وإذا نزل بالإنسان أحدث عنده ذلا.

ومن هذا الباب ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الناس أعبث به، فقلت:

"وإذا كتبت مثالبه١ في كتاب اجتمع عليه بنات وردان٢، وحرم علي أن أبدأ فيه بالبسملة؛ لأنها من القرآن".

**وهذا معنى لطيف في** غاية اللطافة وهو مخترع لي.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١٢٦/١

١ جمع مثلبة وهي العيب والمنقصة، جمعها مثالب، يقال: ثلبه يثلبه لامه وعابه.

٢ بنات وردان دويبات تلزم الكنف كالجعل والصراصير.." (١)

"**وهذه معان لطيفة جدا**، وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضي رحمه الله تعالى «١» :

أمرابع الغزلان غيرك البلى ... حتى غدوت مراتع الغزلان «٢»

ومما يلتئم بهذا المعنى قولي أيضا، وهو: دار أصبحت مراتع أذواد، بعد أن كانت مناجع رواد، فلو تصورت الآمال التي مثلت بفنائها، كما تصورت الآثار المماثلة من بنائها؛ لرأيت رسومها مع رسوم القباب. وعلمت كم غار بها من بحر ونضب من سحاب.

وهذا معنى حسن له من نفسه مثن وحامد، ومن سامعه يمين وشاهد، وهو من معاني المستخرجة.

ومن ذلك قولي أيضا، وهو: النقص موكل بكمال النعماء، ولذلك كان الوخم مقترنا بالمرعى والماء وقلما ترى ثمرة إلا ومعها زنبور، ولا لذة إلا وإلى جانبها شيء محذور.

وكذلك قولي أيضا، وهو: لا يظفر الرجل بمطالبه شفعا، ولا تؤتيه من كل جهة نفعا، بل يرى مرعى بلا ماء وماء بلا مرعى، ولذلك كانت النحلة مع الشهدة، والشوكة مع الوردة.." (٢)

"آلة حرث فقال: «ما دخلت هذه دار قوم إلا ذلوا» فأخذت أنا هذا ونقلته إلى الشيب، فجاء كما تراه في أعلى درجات الحسن، وذلك لما بينه وبين الشيب من المناسبة الشبيهة؛ لأن الشيب يفعل في البدن ما يفعله المحراث في الأرض، وإذا نزل بالإنسان أحدث عنه ذلا.

ومن هذا الباب ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الناس أعبث به، فقلت: وإذا كتبت مثالبه في كتاب اجتمع عليه بنات وردان، وحرم على أن أبدأ فيه بالبسملة لأنها من القرآن.

**وهذا معنى لطيف في** غاية اللطافة، وهو مخترع لي.

وكذلك كتبت إلى بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل معه، فقلت في فصل منه ما أذكره، وهو: ينبغي له أن يشكرني على وسمه بهجائي دون امتداحي، فإني لم أسمه إلا لتحرم به الأضحية في يوم الأضاحي، ولا شك أن سيدنا معدود في جملة الأنعام، غير أنه من ذوات القرون والقرن عدوه عند الخصام.

وهذا معنى ابتدعته ابتداعا، ولم أسمعه لأحد من قبلي.

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن هزيمة الكفار، وذلك فصل منه، فقلت: وكانت الوقعة يوم الأحد منتصف شهر كذا وكذا، وهذا هو اليوم الذي تخيره الكفار من أيام الأسبوع، ونصبوه موسما لشرع كفرهم المشروع، فحصل ارتيابهم به إذ تضمن للإسلام مزيدا، وقالوا: هذا يوم قد أسلم فلا نجعله لنا عيدا، وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون، بأن الدين عند الله هو الإسلام وأن أولياءه هم المسلمون.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢٨/٢

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١١٨/١

وهذا معنى انفردت بابتداعه، ولم يأت به أحد ممن تقدمني.

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة ببغداد، وهو في وصف القلم، فقلت: وقلم الديوان العزيز هو الذي يخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، وهو المطاع لجدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الأمر بطاعة الحبشي الأجدع، ومن أحسن صفاته أن شعاره من شعار مولاه، فهو يخلع على عبيده من الكرامة ما يخلع.." (١)

"النوع الرابع عشر في الاستدراج

وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى، وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال؛ والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة **ولا المعاني اللطيفة الدقيقة** دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها، والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلابه، لا قصيرا في خطابه، فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده، وإلا «١» فليس بكاتب، ولا شبيه له إلا صاحب الجدل فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية.

وقد ذكرت في هذا النوع ما يتعلم منه سلوك هذه الطريق.

فمن ذلك قوله تعالى: وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب

ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه؛ فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم؛ فقال: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه، أو يكون صادقا [وإن يكن صادقا] يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له، وفي هذا الكلام من حسن الأدب والإنصاف ما أذكره لك فأقول: إنما قال يصبكم بعض الذي

وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما يعدهم به لابد وأن يصيبهم، لا." (٢)

"سمعه الثاني وهو للأخيطل في رواية ابن قتيبة في بعض القيان. فقال:

جاءت بوجه كأنه قمر ... على قوام كأنه غصن

حتى إذا ما استقر مجلسنا ... وصار في حجرها لها وثن

غنت، فلم تبق في جارحة ... إلا تمنيت أنها أذن

فأخذ بيت أبي تمام بلفظ قد استوفى طويله في أحسن نظام وأوفى تمام فهذا أول الأقسام.

ويلي ذلك الثاني: وهو نقل اللفظ الرذل إلى الرصين الجزل. منه قول العباس بن الأحنف:

زعموا لي أنها صارت تحم ... ابتلى الله بهذا من زعم

اشتكت أكمل ما كانت كما ... يشتكي البدر إذا ما قيل تم

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١/٣٢٢

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٦٤

**هذا معنى لطيف أخذه** ابن المعتز فقال:

طوى عارض الحمى سناه مخالا ... وألبسه ثوب السقام هزالا

كذا البدر محتوم عليه إذا انتهى ... إلى غاية في الحسن صار هلالا

ومنه قول أبي العتاهية:

موت بعض الناس في الأر ... ض على بعض فتوح

معناه لطيف، ولفظه ضعيف،." (١)

"وأما قوله:

سيوف ظباها م ... ن دمى أبدا حمر

فمن قول ابن الرومي:

وغزال ترى على وجنتيه ... قطر سهميه من دماء القلوب

لم يعادله في كمال المعاني ... توأم الحسن من بني يعقوب

فجعل لعينيه سهمين وجعل التثنية للتثنية وجعل حمرة خديه من قطر سهميه من دم القلوب **وهذا معنى لطيف ولفظ** شريف وقد زاد فيه معنى ليس موجودا في كلام أبي الطيب من صفة حمرة خديه فكلام ابن الرومي أرجح وما زاد أبو الطيب في المعنى لأنه جعل مكان السهام سيوفا وخبر عن حمرتها لا غير، فأبن الرومي أولى بما قال.

وقال المتنبي:

تناهى سكون الحسن في حركاتها ... فليس لرأي وجهها لم يمت عذر

قال ابن المعتز:

عذر القتيل بحبها لكن من ... قد عاش بعد فراقها ما عذره

وقال المتنبي:

إلى ليث حرب يلحم الليث سيفه ... وبحر ندى في جوده يغرق البحر." (٢)

"من التضريج وهي الحمرة المشرقة التي ليست بقانية، والمضمخ يريد به غلظ الدم وأنه في متانة الطيب الذي يتضمخ به، والمخضب أراد أن الدم قد خضبه كما يخضب بالحناء؛ ففي كل لفظة ما ليس في الأخرى، وإن كانت الحمرة قد شملت الجميع؛ لأن المضرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم: أي منهم حديث عهد بالقتل، والمضمخ من قد خثر عليه الدم كأن قتله قد تقدم قبل الآخر، والمخضب يجوز أن يكون مضى لقتله يوم وأكثر فقد اسود عليه الدم، وهذه معان كلها محتملة، وقد يجوز أن يريد بقوله " مضرج " سائر جسده، وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضه وتحت لحيته، وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب. وأراد بالمخضب أن السيف أخذ في رأسه وفي يديه ورجليه. وذلك مواضع الخضاب. وقد يكون المضرج

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/١٠٦

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٤٠١

المقطع؛ يقال: " ضرجته " إذا قطعته. وهذه معان لطيفة، وقد يجوز أن يعتد بها، والوجه القوي هو الأول.

١٣ – وسمعت قوما ينكرون قوله في وصف الخمر:

وفواقع مثل الدموع ترددت ... في صحن خد الكاعب الحسناء

ويقولون: إن الدمع لا تتردد في الخد كما يتردد الحباب في الكأس، وإنما الدمع يجري وتتابع.." (١)

"قالوا: وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر؛ لأن الشعر أجوده أبلغه، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية، وذلك كما قال البحتري:

والشعر لمح تكفى إشاره ... وليس بالهذر طولت خطبه

وكما قال أيضا:

ومعان لو فصلتها القوافي ... هجنت شعر جرول ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا ... وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ الغريب فأدرك ... ن به غاية المرام البعيد

فإن اتفق – مع هذا – معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن؛ فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه، واستغنى عما سواه.

قالوا: وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصرة عنها، ولسانه غير مدرك لها حتى يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج مضطرب، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من." (٢)

"وهذا أيضا من استقصاء أبي تمام، ومبالغته في المعاني التي يخرجها إلى التعمية والانغلاق.

وقوله: «وذاك حكم لبيد» يريد قول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر (١)

وقوله:

أجدر بجمرة لوعة أطفاؤها ... بالدمع أن تزداد طول وقود

غلط بين؛ لأنه أتى فيه بما يخالف مذهب أهل الجاهلية والإسلام، والأمم كلها؛ لأنهم مجمعون على أن البكاء راحة من الكرب، وتبريدا لحرارة الحزن، وتخفيفا من لاعج المصيبة، و «طول خمود» أولى بالصواب من «طول وقود» لو كان بنى المعنى عليه وقد ذكرت هذا في أغاليطه (٢).

وقال أبو تمام:

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٤٠١/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٤٢٤/١

فعليه السلام لا أشرك الأط ... لال في لوعتي، ولا في نحيبي

فسواء إجابتي غير داع ... ودعائي بالقفر غير مجيب

قوله: «لا أشرك الأطلال في لوعتي» أي أجعل ذلك خالصا لأحبتي، أي لا أقول كما قال امرؤ القيس:

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فاستوقف ليبكي على الحبيب والمنزل معا.

وقوله: «فسواء إجابتي» معنى لطيف، وقد ذكرته في «باب استعجام الديار عن الجواب»، وبيت البحتري حذا على حذوه (٣).." (١)

"(١) قوله: «صدف الإحصان لا الصدفا» ليس بالجيد؛ لأنه قال: قد لبست صدف الإحصان، فأراك أنها لابسته في الحال.

وقوله: «لا الصدفا» ليس له وجه؛ لأن اللؤلؤ قد فارق الصدف وليس هو لابسه في الحال.

والجيد الصحيح المعنى قول البحتري:

إذا نضون شفوف الريط آونة ... قشرن عن لؤلؤ البحرين أصدافا (٢)

شبه أجسامهن في وقت تجردهن من الثياب، باللؤلؤ في الوقت الذي يقشر عنه الصدف.

والعذر لأبي تمام أن يقال: إنما أراد أنها خلقت لابسة صدف الإحصان لا الصدف، أي ليست كاللؤلؤ الذي خلق في الصدف.

وبيت البحتري أجود.

وقول أبي تمام: «صدف (٣) الإحصان» معنى لطيف.

وقوله: «لو شعرت به» أي لو شعرت بشدة وجده طغت فرحا، أو «ألبست أسفا على ما فات منه» وهذه طريقة ابن أبي ربيعة التي كانت تليق به، ومع ذلك يعاب بها.

وهذه أبيات متكلفة، وخاصة قوله: «فابتكرت بكرا ولكن غدا هجرانها نصفا» فإنه غير شهي، ولا مريء اللفظ، ولا المعنى.." (٢)

"وهذا وجه آخر من الخروج وخروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء

فمن ذلك قول (١) أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي (٢)

وتنظري خبب الركاب يحثها ... محيي القريض إلى مميت المال

**وهذا معنى لطيف حسن.**

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٥٦٤/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٨٧/٢

... ومنه قول البحتري:

ولم أنسها عند الوداع ونثرها ... سوابق دمع أعجلت أن تنظما (٣)

وقالت هل الفتح بن خاقان معقب ... رضا فيعود الشمل منا ملاما

وقوله:

قامت تودعني عجلى وقد بدرت ... سوابق من توأم الدمع تجريها (٤)

واستنكرت ظعني عنها فقلت لها ... إلى الخليفة أنضى العيس منضيها (٥)

وما أكثر ما يستعمل الشعراء في خروجهم (٦) إلى المدح هذا الوجه.." [١]

"والكشح هو الخاصرة، ويستحب فيها أن تكون ضامرة، فيقول: إن الضمر المفرط فيها -يعني الخيل- رسيس، يريد علة وسقما، ويقال: به رسيس من مرض، المعنى صحيح واللفظ والنظم رديئان جدا.

وقوله: «والكفل المرمريس»، يريد املاسه، استواءه، والجساة في عنق الفرس، والكزازة من أعيب عيوبه، والسباطة ضد ذلك، فلهذا قال: «ذو العنق السبط»، والمرمريس من الألفاظ الوحشية الغريبة التي يدخلها في شعره مع ألفاظ لا تشبهها ولا تليق بها.

وليس في هذه الأبيات من أوصاف **الخيل معنى لطيف ولا** مستحسن.

وقوله: «أعلى رطيب وقرار يبيس»، فقد تقدم الناس فيه، وأوردوه نظما ونثرا، فهو متبع.

وقوله: «قام إليه الجلوس» و «زفت إليهم عروس» و «رفرفت عليه النفوس»، فإن قوما يستحسنونه وليس من أوصاف الخيل في شيء ولا طائل فيه.

وقوله: «أسمحت أعينهم في حسنه وهي شوس»، فالأشوس هو الذي بنظر بمؤخر عينه من الكبر، فيقول: ترى العيون التي لا تملأ طرفها من الشيء كبرا، وإنما تخزر في النظر، قد أسمحت في النظر إليه من حسنه.

وقال في قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب:

يا برق طالع منزلا بالأبرق." [٢]

"في **العشق معنى لطيف ليس** يعرفه ... من البرية إلا كل من عشقا

لا خفف الله عن قلبي صابته ... للغانيات ولا عن طرفي الأرقا

ومنها:

لو كنت أملك روحي وارتضيت بها ... بذلتها لك لا زورا ولا ملقا

وإنما الصالح الهادي تملكها ... بفيض جود رعى آماله وسقى

واقتادها الحظ حتى جاورت ملكا ... تمسى ملوك الليالي عنده سوقا

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢/٣١١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٣/٣٩٠

ومنها:

وعشت للناصر المحي الذي نطقت ... أفعاله في علاه قبل من نطقا

المخرز السبق الأوفى ولا عجب ... إذ كنت والده أن يحرز السبقا

١٨٨ - وقال يهجو عدي الملك [طويل]

لحي الله مدحا لا يرجى ثوابه ... لديكم وهجوا لا يخاف ويتقى

عذرت عدي الملك إذ ليس عنده ... من العرض شيء يتقى أن يمزقا

فما لك لا تخشى بها عرضك الذي ... يفوت الثريا والسماك المحلقا." (١)

"قال أبو القاسم: أما استشهاد أبي الفتح في قول الله تعالى فليس من هذا الحديث في شيء لأن المتنبي ذكر الليل والشعراء يستطيلون ليالي السهر والفكر ويحيلون بتضاعف الغموم والهواجس فيها عليها وكذلك عند الأطباء أن الأمراض تشتد ليلا لأن طبعه الضم والقبض والخشورة والجمود، وبالنهار تنفش البخارات عن البدن وتنحل أجزاء العلل. وليس بين الشعراء وبين الأيام تعلق في أمر ما يسهر بل يقولون: إن المحزون والمغتم ينشرح صدره ويخف ما به لمحادثة الناس وملاقاة الأشخاص كما قال ابن الدمينة:

أقضي نهاري بالأحاديث والمنى ... ويجمعني والهم بالليل جامع

وقال الطرماح:

على أن للعينين في الصبح راحة ... لرميهما طرفيهما كل مطرح

وقال النابغة:

كليني لهمي يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس من يرعى النجوم بآيب

وأما إذا ذكروا اليوم فإنهم يذهبون به قصد الممدوح وطول نهاره على الأعداء كقول الكميت: وإذا اليوم كان كالأيام وقال أبو تمام:

ورب يوم كأيام تركت بها ... متن القناة ومتن القرن منقصفا

وإنما معنى بيت المتنبي إن ذهبت به مذهب العدد فأضفت الواحد إلى الستة والمراد إلى الأسبوع فتكون استطالة الليلة الواحدة كاستطالة ليالي الأسبوع ووقف عند هذا الحد كقول بعض الرجاز:

إني إذا ما الليل كان ليلتين ... ولجلج الحادي لسانين اثنين

فهذا جعل واحدة ثنتين، وأوس بن حجر جعل للثلاثة ثلاث ليال فقال: ولقد أتيت بليلة كليال وكأن تحت الجنب شوك سيال والمتنبي جعل الليلة الواحدة ليالي الأسبوع طولا ووقف عندها. وإن ذهبت بالبيت الواحد والستة مذهب الضرب **ففيه معنى لطيف لأنك** إذا ضربت الواحد في الستة رجع إلى الوراء وإذا ضربت الاثنين في الستة زاد إلى قدام فيكون المعنى

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٢٩٥

أن هذا الليل يرجع إلى الوراء فلا يتصرم آخره كما قال الشاعر:
لقد تركتني أم عمرو ومقلتي ... همول وقلبي ما تقر بلابله
تطاول هذا الليل حتى كأنما ... إذا ما انقضى تثنى عليه أوائله
وأما قول أوس بن حجر واستشهاد أبي الفتح به وهو فويق جبيل فهو مختلف في تصغيره فبعضهم ذهب إلى أن كل جبل شامخ له نادر ويندر منه ويشخص فهو الجبيل، ومنهم من وفق أبا الفتح. والقاطع في تصغير التعظيم قول لبيد أنشده أبو عبيد القاسم بن سلام في الغريب المصنف:
وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل
وصفرة الأنامل من الموت وليس في الدواهي أعظم منه، قال ذو الرمة:
الترك القرن مصفرا أنامله ... يميد في الرمح ميد المادح الأسن
وقال المتنبي:
وأبعد بعدنا بعد التداني ... وقرب قربنا قرب البعاد
قال أبو الفتح: أبعد بعدنا بعدا مثل بعد التداني كان بيننا وقرب قربنا مثل قرب البعاد كان بيننا أي قربني منه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد.
قال أبو القاسم: البيت مع استغلاقه واستبهامه في بيت الحماسة وهو:
فلله دري أي نظرة ذي هوى ... نظرت وأيدي العيس قد ركبت رقدا
يقربن ما قدامنا من تنوفة ... ويزددن مما خلفهن بنا بعدا
وقال المتنبي:
تلج دموعي بالجفون كأنما ... جفوني لعيني كل باكية خد
قال أبو الفتح: فكلما بكت باكية فكأن دموعها تمر بجفوني كما تمر بخدها فلما أخلو من دموع وبكاء، قريب من قوله:
مال كأن غراب البين يرقبه ... فكلما قيل هذا مجتد نعبا
فإنما معناه أن هذا المال مجتمع لصاحبه فإذا جاء طالب جدواه تفرق ما بينهما كما قال في الأخرى يعني الدنيا ومن فيها:
أبني أبينا نحن أهل منازل ... أبدا غراب البين فينا ينعق
وقال المتنبي:
حتى دخلنا جنة ... لو كان ساكنها مخلد
حمراء خضراء الت ... راب كأنها في خد أغيد." (١)
"وقوله:
لا يستكن الرعب بين ضلوعه ... يوما ولا الإحسان أن لا يحسنا

(١) الواضح في مشكلات شعر المتنبي أبو القاسم الأصبهاني ص/١١

تتقاصر الأوهام عن إدراكه ... مثل الذي الأفلاك فيه والدنا

وقوله:

ولذا اسم أغطية العيون جفونها ... من أنها عمل السيوف عوامل

وإن كان قد تغلغل الى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ.

وقوله:

جفخت وهم لا يجفخون بهابهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

وقوله:

الطيب أنت إذا أصابك طيبه ... والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل

وقوله:

فتبيت تسئد مسئدا في نيها ... إسآدها في المهمه الإنضاء

وقوله:

كفي أراني ويك لومك ألوما ... هم أقام على فؤاد أنجما." (١)

"وقد جرى على ذلك أصحاب الشعر العام ولعلهم سبقوا الشعراء النظامين فمهدوا لهم الطريق. ولدينا من دواوينهم مجاميع سبقت عصرنا تدل على استنباطهم لأوزان شعرية جديدة لا تخلوا من محاسن المنظومات ولا ينقصها إلا ضبطها على القواعد اللغوية والعروض وتجريدها من بعض ألفاظ العامة.

الشعر المنثور

ومما سبق إليه أدباء عصرنا فابتكروه دون مثال في لغتنا ما دعوه بالنثر الشعري أو الشعر المنثور كأنه جامع بين خواص النثر والنظم. أما النثر فلأنه على غير وزن من أوزان البحور. وأما النظم فلأنهم يقسمون مقاطعه ثلاث وربا ع وخماس وأزيد دون مراعاة أعدادها ويسبكونها سبكا مموها بالمعاني الشعرية.

وهذه الطريقة استعارها على ظننا الكتبة المحدثين كأمين الرياحيني وجبران خليل جبران ومن جرى مجراهما عن الكتبة الغربيين ولا سيما الإنكليز في ما يدعونه بالشعر الأبيض غير المقفى وفي بعض كتاباتهم الشعرية المعاني غير المقيدة بالأوزان. ولسنا لننفي هذه الطرقة الكتابية التي لا تخلو من مسبحة من الجمال في بعض الظروف اللهم إذا روعي فيها الذوق الصحيح ولم يشنها الاستهتار وتلاحمت معانيها وتنمقت بأشكال البديع السهلة المنسجمة ولم يفرط الأتساع فيها فتصبح لغطا وثرثرة. على أننا كثيرا ما لقينا في هذا الشعر المنثور قشرة مزوقة ليس تحتها لباب وربما قفز صاحبها من معنى لطيف إلى قول بذي سخيف أو كرر الألفاظ دون جدوى بل بتعسف ظاهر. ومن هذا الشكل كثير في المروجين للشعر المنثور من مصنفات الريحاني وجبران وتبعتهما فلا تكاد تجد في كتاباتهم شيئا مما تصبو إليه النفس في الشعر الموزون الحر من رقة وشعور وتأثير.

---

(١) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره الجرجاني، الشريف ص/٨٩

خذ مثلا وصف الريحاني للثورة: ويومها القليب العصيب. وليلها المنير العجيب وصوت فوضاها الرهيب. من هتاف ولجب ونحيب. وزئير وعندلة ونعيب وطغاة الزمان تصير رمادا. وأخياره يحملون الصليب ويل يومئذ للظالمين. المستكبرين والمفسدين هو يوم من السنين. بل ساعة من يوم الدين ويل يومئذ للظالمين." (١)

"في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا " (١) . غير أن نقده في الرسالة تطرق إلى أشياء أخرى من عيوب أبي تمام مثل رداءة المعنى وإخفاق المطابقة وسرقة المعنى دون أن يحسن أخذه والاستعمال الغريب والإغراق في المدح، وتعليقاته في أثناء ذلك قاسية حادة مثل قوله: " وهذا من الكلام الي يستعاذ بالصمت من أمثاله ". وقال عندما أورد لأبي تمام استعارة " شيب الفؤاد ": فيا سبحان الله ما أقبح مشيب الفؤاد. وما كان اجرأه على الأسماع في هذا وأمثاله " (٢) .

أما في الناحية اللفظية فقد عابه باستعمال الألفاظ الغريبة مثل " الدفقي " و " القاصعاء " و " النفقاء " ثم قال: " إنها من الغريب المصدود عنه وليس يحسن من المحدثين استعمالها لأنها لا تجاوز بأمثالها ولا تتبع اشكالها، فكانها تشكو الغربة في كلامهم " (٣) .

وبين موقفه من قضية السرقة، وهو يشبه آراء نقاد آخرين من معاصريه فقال: " ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى بفضح به ما تقدمه ولا يفتضح به وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه ولا فقير إليه " (٤) ، ثم بين أن العيوب التي عدها وأورد شواهدها من شعره لم تكن إلا نماذج وأنه أسقط ذكر عيوب أخرى ولم يثبتها في رسالته. ومع أن تعليقات ابن المعتز في رسالته هذه ما تزال تأثرية فإنها تبين أن وقوفه إلى جانب المحاسن والمساوئ يهدف إلى شيء من الموضوعية، غير أن القطعة التي بقيت من

---

(١) طبقات ابن المعتز: ٢٨٦.

(٢) الموشح: ٤٨٣.

(٣) نفسه: ٤٧٢.

(٤) نفسه: ٤٧٦.." (٢)

"والمخمور "؛ ويبدو أيضا تأثر عبد الكريم بالآمدي في مواضع من كتابه إلى جانب تأثره بقدامة.

أيهما المقدم؟ اللفظ أم المعنى؟

وكان عبد الكريم في طريقته الشعرية ممن يقدمون اللفظ على المعنى ولذلك يقول في الممتع: " الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل "، وروى قول بعض الحذاق: " المعنى مثال واللفظ حذو، والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته " وفي هذين القولين دلالة على اضطراب الناقد حول هذه القضية.

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ٣٤٧/١

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/١١٩

موقفه من السرقات

وقد كرر في موقفه من السرق آراء النقاد السابقين فذهب إلى أن المتفق عليه هو أن السرق ما نقل معناه دون لفظه وكان مبعدا في الأخذ.

المؤثرات المسعفة على الشعر

وكان عبد الكريم يؤمن بان استجاشة الخاطر على نحو عملي أمر هام في استدعاء الشعر، وقد ذكر ابن رشيق عن من اخبره أنه رأى عبد الكريم في موضع يقال له الكدية قريب من المهدية وهو نزه طيب الهواء، فإذا عبد الكريم على سطح برج هنالك مشرف على ما حوله، فلما سئل عما يصنع قال: ألقح خاطري واجلو ناظري (١) .

الفرق بين الغزل عند العرب والعجم

وقد أثار هذا الناقد بعض الملامح الدقيقة معتمدا على ذكائه: فمن ذلك رأيه في أن عادة العرب في الغزل أن يكون الشاعر متماوتا مفتونا، وعادة العجم أن تكون المرأة طالبة راغبة، ولست ادري كيف غاب عن عبد

---

(١) العمدة ١: ١٣٨.." [١]

"وقال الشيخ أبو العلاء: ادعى أن هؤلاء القوم يحسنون في الموت فكأنهم بدور تمامها في ليالي المحاق، والمعنى يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكونوا في الوقت الذي يحذر فيه الموت أحسن ما يكونون في أيام الحياة، لأن وجوههم تحسن وتشرق إذا اصفرت وجوه الشجعان، والآخر: أنهم إذا لقوا الموت في الحرب حسن ذكرهم بين الناس، وحمدوهم على الصبر ولقاء الحمام.

قال ابن فورجة: يريد أن البدر وإن كان تمامه في كونه مستديرا مجتمع النور فهو سائر إلى المحاق وآخر أمره إليه يصير، فما أراد بالتمام تمام البدر الذي يقال فيه تمه وتمامه بفتح التاء وكسرها. بل أراد تمام الأمر المفتوح بالتاء تقول تمام أمرها وآخر أحوالها إلى المحاق.

جاعل درعه منيته إن ... لم يكن دونها من العار واقي

قال الشيخ: هذا معنى لطيف، والغرض فيه إن هذا الذمر لا يلبس درعا، لأن العرب تفضل الذي يشهد الحرب حاسرا على الذي يشهدها دارعا، قال الشاعر:

فلم أر يوما كان أكثر سالبا ... ومستلبا سرباله لا يناكر

وأكثر منا ناشئا يطلب العلي ... يجالد قرنا دارعا وهو حاسر

ويقال إن كثيرا لما أنشد عبد الملك قوله فيه:

علي ابن أبي العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها

قال له عبد الملك: ما قال الأعشى أحسن مما قلت. يعني قوله:

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٤٢

وإذا تجيء كتيبة ملمومة ... شهباء يغشى الدارعون نكالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

والذي أراد أبو الطيب أن هذا الفارس قد جعل منيته مثل الدرع يتقي بها ليس قولي في شمس فعلك كالشم – س ولكن في الشمس كالإشراق قال الشيخ: جعل لفعل الممدوح شمسا، وفضل نورها على نور ما يقول، أي أن شمس فعلك لا يحسنها قولي وهي تحسنه، كما أن الإشراق يحسن الشمس.

وقال ابن فورجة: جعل لفعله شمسا استعارة لإضاءة أفعاله، ثم قال: ليس قولي نظير فعلك، ولكنه لما كان دليلا عليه وإذاعة له تسييرا إياه في البلاد صار كمنزلة الإشراق للشمس، إذ كانت لولاه لما كانت ذات عموم وشمول، و) في (هاهنا موضوعة موضع) إلى (يقول ليس قولي بالقياس إلى شمس فعلك كالشمس هذا أبين، وإن شئت كانت في موضع نفسها يريد الوعائية، ومثل قولك ليس فضلي إلا كالقطرة في البحر، ومثل هذا سواء قوله:

وذاك النشر عرضك كان مسكا ... وذاك الشعر فهري والمداكا

يعني أن شعري إذاعة لمجدك وتسيير له كما أن الفهر يسحق المسك فينشر ريحه.

وقال الأحسائي: يقول لست أشبه فعلك بالشمس لأنه أشرف من الشمس، لأن الشمس تحرق ولا تبرد، ولا تصنع الشيء وضده، وأنت تفعل الأشياء وأضدادها ففعلك أشرف من الشمس، ولكنني أشبه فعلك في الانتشار والإشراق والإضاءة بإشراق الشمس.

ومن التي أولها: هو البين حتى ما تأنى الحزائق قوله:

شدوا بابن إسحاق الحسين فصافحت ... ذفاريها كيرانها والنمارق

قال الشيخ رحمه الله: شدوا أي رفعوا أصواتهم بمدحه، والذفاري جمع ذفري وهو الناتئ خلف أذن البعير، وهي من الفرس معقد العذار، والمراد أن هؤلاء الركبان شدوا بابن إسحاق الحسين، فلما سمعت للإبل ثنت رؤوسها إلى الركب، لتسمع ثناءهم عليه، فقدمت ذفاريها من الكيران والنمارق التي القوم وفي هذا البيت أصناف من الدعاوى التي تستحسن وقد بدأ الحكمي بوصف الناقة إلا أنه لم يستكمل هذه الصفة قوله:

وكأنها مصغ لتسمعه ... بعض الحديث بأذنه وقر

ومن التي أولها: أرق على أرق ومثلي يأرق وقوله:

وعذلت أهل العشق حتى ذقته ... فعجبت كيف يموت من لا يعشق." (١)

"قال الشيخ رحمه الله: لم يكشف معنى هذا البيت إلا رجل يعرف) بالمخزومي (له تصنيف في شعر أبي الطيب، وذلك أن الشاعر قال: إن رحيلا واحدا حال بيننا، وهو الرحيل في الدنيا، وبعده رحيل ثان وهو الموت. فإن يكن بيننا رحيل واحد أقرب من أن يكون بيننا رحيلان، فدعى لنفسه بالحياة، لأنه ما دام يشم الروح فهو أقرب إليهم منه إذا صار تحت الأرض.

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/٥٤

وقال ابن فورجة: الأولى عندي أن يعني: إذا بعدتم عني، وحيل بيني وبينكم فلم أصل إلى شيء منكم إلا إلى شم الروح، وتشبيهي النسيم الهاب من الرياض بنسيمكم، فلا فارقتني روضة وقبول يهيج ذلك النسيم لي لأشمه، وهذا المذهب متعارف عندهم في الرضي بقليل الراحة من الشوق إذا لم يصلوا إلى الحبيب كقول الهذلي:

ويقر عيني وهي نازحة ... ما لا يقر بعين ذي الحلم

أني أرى وأظن أن سترى ... وضح النهار وعالي النجم

وقول القائل:

إذا هب علوي الرياح وجدتني ... كأني لعلوي الرياح نسيب

وإنما يرتاح لعلوي الرياح لأنها من قبل أرضها، وفي هذا البيت معنى قول الله تعالى:) ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون (. ومعنى البيت من معنى بيت البحتري:

يذكرنا ريا الأحبة كلما ... تنفس في جنح من الليل بارد

وقال الاحسائي: إذا كان شم الروح، يعني الحياة أدنى إليكم من الموت، فلا زلت حيا ولا برحتني روضة وقبول، فذلك مما يعين على الحياة.

وما شرقي بالماء إلا تذكرا ... لماء به أهل الحبيب نزول

قال الشيخ رحمه الله: الرواية بنصب) تذكر (مصدر تذكرت لأنه مفعول له، أو مفعول من أجله ولو رفع) تذكر (لم يبعد.

وقال الأحسائي: كنى بالماء عن الحبيب، يريد أنه من وجهه في رقة الماء، وأنه ينقع الغلة، كما ينقعها الماء، ولذلك قال) يحرمة لمع الأسنة حوله (فدل على ما قلناه، ولو أراد نفس الماء لكان مستبعدا أن يمنع الماء المشروب بالأسنة في غالب الأمر.

لقيت بدرب القلة الفجر لقية ... شفت كمدي والليل فيه قتيل

قال ابن جني: سألته وقت القراءة عن معنى هذا البيت فقال: وافينا القلة وقت السحر فكأني لقيت بها الفجر ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر، وشننا الغارات وغنمنا، وقوله:) شفت كمدي (لانحسار الليل عني) والليل فيه قتيل (أي في ذلك الموضع وكأن الموضع وكأن النهار أشرق ضوؤه على الليل فقتله وظفر به.

وقال الشيخ رحمه الله: ويحسن ذلك أن الفجر يشبه بالسيف، فكأنه قتل الليل وزعم قوم أن سيف الدولة أوقد نيرانا عظيمة بدرب القلة، فكأنه أزال بها الليل، وقد تجوز مثل هذه الحكاية.

ويوما كأن الحسن فيه علامة ... بعثت بها والشمس منك رسول

قال ابن جني: في هذا البيت رائحة من قول الشاعر:

إذا طلعت شمس النهار فإنها ... أمارة تسلمي عليك فسلمي

وقال الشيخ رحمه الله: عطف) يوما (على قوله) لقيت العجز (**وهذا معنى لطيف أراد** أنه يوم حرب، فالحسن فيه خفي لا يعلم به إلا الشجاع، كما أن العلامة التي توجه بها حبيبة مكتومة،) والشمس منك رسول (أي تستتر بالغبار كما يستتر

رسولك.

قال ابن فورجة: جعل الحسن في هذا اليوم كأنه علامة من حبيبته، والشمس وكأنها رسول منها، لسروره عند مطلع الشمس، وارتياحه بها، وكمال سروره في هذا اليوم، وهو مع هذا يريد أن يجعل هذه القصة تخلصا من الغزل إلى مدح سيف الدولة، عاشق وقد أثارت وطلبت ذحلي عند الظلام فقتلته يريد تلك الحمرة التي تظهر من الشفق. ولقد أجاد الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان إذ نقل هذا المعنى فجعله في مدح أهل البيت عليهم السلام فقال:

وعلى الدهر من دماء الشه ... يدين علي ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل ... فجران وفي أولياته شفقان

ثبتا في قميصه لجيء ... الحشر مستعديا إلى الرحمن

وأما قوله:

وما قبل سيف الدولة أثار عاشق ... ولا طلبت عند الظلام ذحول." (١)

"كلما رحبت بنا الروض قلنا ... حلب قصدنا وأنت السبيل

وكأنهم يعتذرون إلى الأماكن والروض إذا رحب بهم، لأنه مسرور بنزولهم وهم لا يقدرون على الإقامة، وهو لا يمكنه الرحيل. وقال ابن فورجة: لو أنعم الشيخ أبو الفتح النظر لعلم أن هذه ليست تلك التي عناها، وإنما هي التي تكون جواب القسم، كقولك: والله لا أقمت، ووالله لا ضربت، وقد يحذف القسم والكلام يقتضيه ويدل عليه، ألا ترى إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن فعل كذا وكذا: لا تمس النار الا تحلة القسم يريد قول الله تعالى:) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (ألا ترى أنه لا قسم ظاهر في هذه الآية. ولكن تأكيد الإيجاب دال على القسم ونائب منابه) ولا (في بيت أبي الطيب لها وجه آخر غير ما ذكرنا وهو أن يكون) لا (التي في الدعاء المنفي كقولك: لا يفضض الله فاك وكقوله:) فلا هجمت بها إلا على ظفر (فمحتمل أن يريد: والله لا أقمنا على مكان هذه صفته، وقوله) لا يمكن المكان الرحيل (له معنى لطيف قدسها عنه ابن جني وهو أنه يريد: لا نقيم على مكان أبدا حتى نلقاه، أي لا أقمنا على مكان إلا ويمكن المكان الرحيل معنا وهذا ما لايكون، فكذلك نحن لا نقيم كقول القائل:

إذا زال عنكم أسود العين كنتم ... كراما وأنتم ما أقام ألائم

و) أسود العين (جبل لا يزول فكذلك المخاطبون لا يكونون كراما.

لو تحرفت عن طريق الأعادي ... ربط السدر خيلهم والنخيل

قال الشيخ رحمه الله: يقول: لو ملت عن طريق الأعداء لساروا حتى يربطوا خيلهم في السدر والنخيل، وكأنه قلب المعنى فجعل السدر والنخيل يربط خيول الأعداء، كما تقول: ساءني أمر كذا، أي وقع السوء فيه، وهذا وجه، وفيه معنى آخر، وهو أن يكون يصف الممدوح بالسعادة، فلو تحرف عن طريق من معاديه لكان السدر والنخيل يربط خيولهم أن تتفسح في البلاد، وهذا نحو قول الآخر:

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي  أبو مرشد المعري ص/٦٤

تركوا جارهم يأكله ... ضبع الوادي ويرميه الشجر

وقال ابن فورجة: هذا البيت يشبه قوله:

فكلما حلمت عذراء عندهم ... فإنما حلمت بالسبي والجمل

وذاك أن الروم ليس في ديارهم سدر ولا نخيل، كما ليس في ديارهم الجمال، فقوله) ربط السدر خيلهم والنخيل (يريد لولا دفاعك عن عضد الدولة ومعز الدولة لسارت الروم إليها وأوغلوا في ديارهما، حتى ربطوا خيلهم في السدر والنخيل، يريد بذلك الغض ممن بالعراق، ورفع شأن سيف الدولة، وقد صرح بذلك فقال بعده:

ما الذي عنده تدار المنايا ... كالذي عنده تدار الشمول

وقوله) ربط السدر (إنما يريد ربطت إلى السدر، والروم ربطوها، ولكن لما كان السدر والنخيل يمسك خيله، جعل الفعل لها توسعا في الكلام.

ومن التي أولها:

محبي قيامي ما لذالكم النصل ... بريا من الجرحى سليما من القتل

قال ابن جني: نصب) بريا (على الحال من النصل، ومعناه يا من يحب مقامي وتركي الأسفار والمطالب، كيف أقيم ولم أجرح بنصل أعدائي وأقتلهم به.

قال الشيخ رحمه الله:) محبي (نصب على النداء أي يا محبي، ويعني بقيامه نهوضه والتماس ما يريد، يقال: قام الملك في أمر كذا، ومن ذلك: كان كذا من قبل أن يقوم النبي صلى الله عليه وسلم، أي من قبل أن تظهر الدعوة إلى الإسلام.

وقال الشاعر:

نبغ ابن كوز في سوانا فإنه ... غذا الناس مذ قام النبي الجواريا

وقال الآخر:

إذا مات منا سيد قام سيد ... قؤول لما قال الكرام فعول

ويعني بالنصل سيفه كأنه يسألهم ماله) بريا من الجرحى سليما من القتل (يقول لمحبي قيامه: ما لكم لا تجتمعون إلي وتنصروني، فأخرج وأقتل ويختضب سيفي.

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه ... فما أحد فوقي ولا أحد مثلي." (١)

"أبعد نأي المليحة البخل ... في البعد ما لا تكلف الإبل

قال الشيخ رحمه الله: يقول: أبعدنا في المليحة بخلها إذا بخلت وهي الدانية، فكأنها بعيدة الدار، وقد بين ذلك بقوله:) في البعد ما لا تكلف الإبل (أي أن البعد قد يكون بالهجر كما يكون بالفراق.

ملولة ما يدوم ليس لها ... من ملل دائم بها ملل

قال ابن جني: يقال رجل ملول وامرأة، أدخلت الهاء للمبالغة، و) يدوم (في موضع نصب أي تمل كل شيء يدوم إلا مللها،

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/٧٠

فإنها لا تمله فتتركه، وإن كان أيضا دائما.

أنت نقيض اسمه إذا اختلفت ... قواضب الهند والقنا الذبل

أنت لعمري البدر المنير ... ولكنك في حومة الوغى زحل

قال ابن جني: أي اسمك بدر وأنت في هذا الوقت زحل، لأنك حينئذ تهلك أعدائك وبدر هو القمر، والقمر سعد، وزحل نحس، فلذلك نقيض اسمه.

وقال الشيخ رحمه الله: البدر من شأنه أن يصف بالنور، ويهتدي به الناس في الأسفار. فزعم أن هذا الرجل في الحرب يصير نقيض اسمه، لأنه يقتل الناس ويثير الغبار بالخيل فيظلم عليهم الأرض، ويكون فعله في الحرب فعل البدر في الظلم، ثم ذكر في البيت الثاني أنه البدر المنير، ولكنه زحل في موقف الحرب، لأن زحل يزعم المنجمون أنه في صورة الأسود، وهو بطيء السير فكأن هذا الرجل هو كالبدر المنير في الحرب زحل. لأنه لا يسير سيرا سريعا، إذ كان القمر يوصف بسرعة السير وهو كوكب نحس يكثر الهلكة، وبعض الناس يذهب إلى أن زحل ملك الموت.

ومن التي أولها: بقائي شاء ليس ارتحالا قوله:

فما حاولت في أرض مقاما ... ولا أزمعت عن أرض زوالا

قال ابن جني: يقول إذا كان ظهره كالوطن لي، فأنا وإن جئت البلاد كالقاطن في داره، ولأني أقطع الأماكن فلست مقيما في الحقيقة.

وقال ابن فورجة: كأن أبا الطيب أراد بهذا البيت الإلغاز، وإنما يريد أني إذا جعلت أرضي قتودي، وألفت الترحل فكأني ما أقمت بأرض ولا ارتحلت عن أرض وقد تقدمه قوله:

الفت ترحلي وجعلت أرضي ... قتودي والغذيري الجلالا

لأنه إذا كانت أرضه القتود، فهو لا يزول عن أرضه أبدا، وإذا كان يترحل أبدا فهو لا يريد مقاما في أرض، ويحتمل معنى آخر يخرجه عن حد الألغاز، وذاك أنه يريد إذا كان مسافرا أبدا لا يقيم في بلد ولا مكان، فكيف يكون مزمعا زوالا عن أرض، إنما كان إزماعه حين ارتحل منها، **وهو معنى لطيف فافهمه**.

سنان في قناة بني معد ... بني أسد إذا دعوا النزالا

قال ابن جني: بني أسد منصوب لأنه منادى مضاف، ومعناه أن قول بني معد إذا نازلوا الأعداء يا بني أسد، ليقوم في الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب في قناتهم، لأنهم إذا دعوهم أرهبوا الأعداء، وأغنوا عنهم ومنعوا منهم، ويجوز أن يكون) بني أسد (بدلا من) قناة بني معد (كأنه قال: سنان في بني أسد الذين هم قناة في بني معد، يريد بضربهم إياهم، وهذا أقوى من القول الأول.

وقال الشيخ رحمه الله، يقول بدر سنان في قناة بني معد نسبة إلى معد بن عدنان، وقوله بني أسد يجوز أن يكون بدلا من بني معد، وهو بدل تبعيض؛ لأن بني أسد يرجعون في النسب إلى معد، وهذا كما يقول فلان من بني العباس بن علي بن عبد الله، ويجوز أن يكون نصب بني أسد بإضمار فعل كأنك قلت أعني أو أريد أو نحو ذلك.

يكون أحق إثناء عليه ... على الدنيا وأهليها محالا

قال الشيخ: يقول كل ما يوصف به المكارم والأفعال الجميلة يكون حقا وإذا وصف به أهل الدنيا كان محالا، فإذا قيل هو كريم فالقائل صادق محق، وإن قيل إن غيره كريم فالقائل كاذب محيل، وكذلك إن أثنى عليه بالشجاعة والحلم وغيرهما مما يحمد.

جواب مسائلي أله نطير ... ولا لك في سؤالك لا، ألا، لا." (١)

"الفرس وداس على رأس أحليله فحمل إلى داره وأقام أياما إلى أن عوفي وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال الصاحب ما سبب تأخرك فقال تقنطر بي الفرس وداس رأس احليلي فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح: الحمد لله على سلامة الخصي فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوي وانصرف. وحكي أن بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما فوجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فساله عن غيظه فقال هذا العبد النحس فعل بالخويدم الصغير فقال بل مولانا السيد الكبير فخجل منه وأبرزها في قالب المجون.

وأنشد ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه:

أصبحت ألطف من مر النسيم على ... زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من **كل معنى لطيف أجتلي** قدحا ... وكل ناطقة في الكون تطربني

فقام إليه إنسان فقال يا سيدي الناطق حمار فقال أقول له يا حمار اسكت ويعجبني قول برهان الدين القيراطي:

صاح هذي قباب طيبة لاحت." (٢)

"ولما قتل الفضل لزم منزلة ونسك ولم يمدح أحدا حتى مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ؟.

شعره: قد تكلف البديع في شعره واستكثر منه في قوله، ومزج كلام البدويين بكلام الحضريين **فضمنه المعاني اللطيفة وكساه** الألفاظ الظريفة. فله جزالة البدويين ورقة الحضريين.

ومن جيد قوله:

تجود بالنفس إن ضن الجواد بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(٤) أبو العتاهية هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد، أطبع أهل زمانه شعرا وأكثرهم قولا وأسهلهم لفظا وأسرعهم بديهة وارتجالا وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد في الدنيا والنهي عن الاغترار بها وأكثر من الحكمة.

ولد بالكوفة سنة ١٣٠ هـ؟ ونسا في عمل أهله وكانوا باعة جرار إلا أنه ربا بنفسه عن عملهم. وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه فذاع صيته وسلك طريق خلعاء الكوفة ثم قدم بغداد ومدح المهدي. ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر حتى حبسه الرشيد لعدم تلبيته ما اقترحه علي من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته وعاد إلى قول الشعر على عادته فيه، وترك الغزل والهجاء وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون حتى مات سنة ٢١١ هـ؟ ببغداد

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/٧٣

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٤٤/١

ومن شعره يمدح المهدي:

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلو ... ب لما قبل الله أعمالها

وأن الخليفة من بغض لا ... إليه ليبغض من قالها

وكتب على البديهة في ظهر كتاب:

ألا إننا كلنا بائد ... وأي بني آدم خالد

وبدؤهم كان من ربهم ... وكل إلى ربه عائد

فيا عجبا كيف يعصي الإل ... ه أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

(٥) أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت بذكرهم الركبان. وخلد شعرهم الزمان. ثانيهم البحتري، وثالثهم المتنبيء ولد سنة ١٩٠ هـ؟ بقرية جاسم من أعمال دمشق ونقل صغيرا إلى مصر فنشأ بها فقيرا وكان يسقي الماء بالجرة في جامع عمرو. وتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبغ في قوله، ثم خرج إلى مقر الخلافة فمدح المعتصم وحظي عنده ومدح وزيره محمد بن الزيات والحسن بن وهب الذي ولاه بريد المصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ هـ؟.

شعره: يعد أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين، انتهت إليه معاني المتقدمين والمتأخرين وظهر والدنيا قد ملئت بترجمة علوم والأوائل وحكمتها." (١)

"١٦٢ قال أبو علي: أخبرني أبو عبد الله محمد بن أحمد البزاز، قال حدثني إبراهيم بن موسى مولى بني هاشم عن عبد الله بن عمرو قال أخبرني أبي عن مسافر القرفساني، قال: "ورد على العتابي -وهو بحلب- عشرة من الكتاب من أهل قنسرين، فرأوا في يده رقعة ينظر فيها، فقال: (أنظرتم إلى الرقعة التي كانت في يدي؟ قالوا: نعم قال: لقد سلك صاحبها واديا ما سلكه غيره، فلله دره" وكانت فيها أبيات أبي نواس وهي كامل:

رسم الكرى بين الجفون محيل ... عفى عليه بكا عليك طويل

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١٩١/٢

وبعدها كامل:

أحللت قلبي من هواك محلة ... ما حلها المشروب والمأكول

ألطف بيت تخلص به شاعر من وصف إلى مدح أو ذم

١٦٣ قال أبو علي: من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه، أن يكون ممتزجا بما بعده من مدح، أو ذم، أو غيرهما غير منفصل منه. فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، أو باينه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة، تتخون محاسنه، وتعفى معالم جماله، ووجدت حذاق الشعراء، وأرباب الصناعة من المحدثين، محترسين من مثل هذه الحال، احتراسا يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان، حتى يقع الاتصال، ويؤمن الانفصال، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها، وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة، لا ينفصل جزء منها عن جزء –كقول مسلم بن الوليد، وهو من بارع التخلص طويل:

أجدك هل تدرين أن رب ليلة ... كأن دجاها من قرونك ينشر

نصبت لها حتى تجلت بغرة ... كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وقول بكر بن النطاح متقارب:

ودوية خلقت للسراب ... فأمواجه بيها ترزخر

كأن حنيفة تحميهم ... فأليتهم خشن أوزر

وهذا مذهب اختص به المحدثون، لتوقد خواطرهم، ولطف أفكارهم، واعتمادهم البديع وأفانينه في أشعارهم، فكأنه مذهب سهلوا حزنه، ونهجوا رسمه، وأما الفحول الأوائل، ومن تلاهم من المخضرمين، والإسلاميين، فمذهبهم المتعالم فيه: "عد عن كذا، إلى كذا" وقصارى كل رجل منهم، وصف ناقته بالعتق، والكرم، والنجابة، والنجاء، وأنه امتطاها وادرع عليها جلباب ليل، وتجاوز بها ﴿بها جوف﴾ نتوفة إلى الممدوح. وهذه الطريق المهيع، والمحجة اللهجم وربما اتفق **لأحدهم معنى لطيف تخلص** به إلى غرضه ولم يتعمده إلا أن طبعه السليم ساقه إليه، وصرفه المستقيم أضاء له مناره وأوقد له باليفاع ناره في ال شعر،.

١٦٤ فمن أحسن تخلص تخلص به شاعر إلى معتمده قول النابغة الذبياني طويل:

فاسبل منيعبرة فرددتها ... على النحر، منها مستهل ودامع

على حين عاتبت تالمشيب على الصبا ... وقلت: ألما أصح والشيب وازع

وقد حال منهم دون ذلك شاغل ... مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وعيد أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكس والوضاجع

فهذا كلام متناسج تقتضي أوائله أواخره، ولا يتميز منه شيء، عن شيء، ثم اعترض ذلك من وصف حاله، عند علمه

بوعيده، وتشبيهه نفسه بالسليم من ذكر الحية، ووصفها بسوء سمها، وتناذره الرقية إياها، ما أبدع فيه كل الإبداع، فقال:

فبت كأني عاورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

يسهد من نوح العشاء سليمها ... بحلي النساء في يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه طورا وطورا تراجع

ثم عاد عاطفا كلامه على ما تقدم من تخلصه فقال:

وأخبرت ... خير الناس

أنك لمتني

وتلك التي تستك منها أمسك

مخافة أن قد قلت سوف أناله ... وذلك من تلقاء مثلك راح

١٦٥ فلو توصل إلى ذلك بعض صناع المحدثين الحذاق والذين واصلوا تفتيش المعاني، وفتحوا أبواب البديع، واجتنبوا ثمرة الآداب، وفحوا زهر الكلام، لكان معجزا عيبا فكيف بجهل بدوي، إنما يغترف من قليب قلبه، ويستمد عفو هاجشه.

١٦٦- ومن التخلص اللطيف إلى الخروج، قول حسان بن ثابت كامل:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام

ويروى "والرماح تنوشهم". فهذا تخلص إلى الهجاء لطيف، ومثله قل أبي الشمقمق متقارب:." (١)

"والخل كالماء يبدي لي ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

أراد جنس الخليل.

وقد ترد اللام في الكلام الفصيح وهي تحتمل المعنيين، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ ١، فهذه اللام يصح أن تكون لام العهد أي: آمنوا كما آمن رسول الله ومن معه، ويصح أن تكون لام الجنس أي كما آمن جنس الناس، والجنسية هنا يتولد منها معنى لطيف؛ لأنها تشير إلى أنهم هم الناس الكاملون في الإنسانية، فالذين آمنوا هم جنس الناس، ومعدن الإنسانية وما عداهم، فليس منها في شيء كما أشار الزمخشري، وسوف نرى مزيدا من معاني اللام في مواضع أخرى إن شاء الله.

---

١ البقرة: ١٣.." (٢)

"﴿إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ ١، يفيد التعظيم والتهويل أي: أخاف أن يمسك عذاب هائل لا يكتنه، ولا يضايق هذا المعنى ذلك المسر؛ لأن المس جاء في القرآن مع العذاب المحيط، والعذاب العظيم، قال تعالى:

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٢٢

(٢) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني محمد محمد أبو موسى ص/٢١١

﴿لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ ٢، كما لا يضايق هذا المعنى قوله من الرحمن من حيث إن ذكر الوصف المشعر بالرحمة الشاملة يجعل المعنى أنه عذاب قليل؛ لأنه جاء من قبل الرحمن الرحيم، لا يضايق هذا المعنى قوله من الرحمن؛ لأن عذاب الحليم قد يكون أنكى، وغضبه قد يكون أعتى، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بالله من غضب الحليم".

وهذا الذي قلته في الآية هو كلام البلاغيين غير الزمخشري؛ لأنه لحظ فيها معنى آخر ذا مسلك أدق وألطف، وذلك؛ لأن سيدنا إبراهيم كما قال: لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه حيث لم يصرح فيه أن العذاب لاحق لاصق به لا محالة، بل إنه قال: أخاف، ولم يقل سيمسك، ثم ذكر المس، وهو أقل تمكنا من الإصابة، ونكر العذاب للتقليل، ثم ذكر به باسم الرحمن، وهذا أقر إلى طريقة حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه فيه مواضع أخرى من الكتاب العزيز.

والتنكير في قوله تعالى: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ ٣، يدل على نوع من الذهاب بالغ لا يقدر عليه إلا صاحب القدرة البالغة سبحانه.

وفي قوله تعالى: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا﴾ ٤، لم يقل: الأرض؛ لأنه أراد اطرحوه في ارض مجهولة منكورة، لا يعرفها أحد فلا يهتدي إليه أبوه.

وهكذا يهديك النظر إلى إدراك معان لطيفة، فحين تنظر في قصيدة الحصين

---

١ مريم: ٤٥.

٢ النور: ١٤.

٣ المؤمنون: ١٨.

٤ يوسف: ٩.." (١)

"المذكور، وتقول: ما أنت بنيت هذه الدار، وما أنا قلت هذا الشعر، فتفيد بذلك أن هذه الدار المبنية لم تبنها أنت وإنما بناها غيرك، وأن هذا الشعر لم تقله أنت وإنما قاله غيرك، وعلى هذا لا يصح أن تقول ما أنا فعلت هذا، ولا أحد من الناس؛ لأن قولك: ما أنا فعلت يفيد أن هناك فعلا قد فعل، وأنك أنت خصوصا لم تفعله، وإنما غيرك هو الذي فعله، فإذا قلت: ولا غيري كان ذلك تناقضا، ودفعا للكلام الأول.

ويتضح هذا أكثر في قولك: ما أنت بنيت هذه الدار؛ لأن قولك: ما أنا بنيت، أفاد ذلك أن هذا بناء قد أقيم، وأنه لم يكن أنت الذي أقامه وإنما أقامه غيرك، فلو قلت: ولا غيري، تناقض ذلك وكأنك تقول: إن هذا البناء لم أبنه أنا ولم يبنه غيري، وهذا واضح.

ومماجرى على هذا الأسلوب قول المتنبي: "من السريع"

وما أنا أسقمت جسمي به ... ولا أنا أضرمت في القلب نارا

---

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني محمد محمد أبو موسى ص/٢١٨

فقوله: ما أنا أسقمت جسمي، معناه أن هذا السقم الكائن في جسمي، وهذا الضنى لم أفعله أنا وإنما فعله غيري، وقوله: ولا أنا أضرمت في القلب نارا أي أنا هذا الجوى، وهذا الوجد الذي يستعر في فؤادي لم أشعله أنا ووراء هذا **التركيب معنى لطيف هو** عجز الشاعر أمام عواطفه المشبوبة، والتي سببت هذا السقم وهذا الوجد، وكأنه يقول: لو كان الأمر بيدي لأنقذت نفسي من هذا الذي أجده ولكن لا طاقة في بذلك، وهذا معنى جيد.

ومثله قول المتنبي: "من الطويل"

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ... ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

فقوله: وما أنا وحدي قلت ذا الشعر وحده، ينفي أن يكون هذا الشعر الكائن قد قاله وحده، وإنما قاله معه غيره، وهذا التغير هو الشعر نفسه؛ لأنه شعر." (١)

"معادات الكتاب. ليست من أفعال ذوي الألباب. وان مماراتهم ندامة. ومسالمتهم سلامة. ومصادقتهم فائدة. وغنيمة باردة. وما ظنك بقوم يملكون أزمة المنى والمنايا بحسن كلامهم ويخطبون على منابر الفضل بألسنة أقلامهم. ويريقون دماء الأعداء بأسنة أقلامهم. وقديما أغنت كتبهم عن الكتائب. ونابت آثار أيديهم عن القواضب. وأجرى على أناملهم جسام المنائح والمواهب. ففي سواد مدادهم بياض النعم. وحمرة الدم. وفيه مرة روح الحياة. وأخرى سم الحياة. وطورا حلاوة الأرى. وتارة مرارة الشرى. ويوما ثواب النعيم. ويوما عقاب الجحيم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " أخرى في حل قول الصاحب "

بالله قل لي اقرطاس تخط به ... من حلة هو أم البسته الحللا

بالله لفظك هذا سال من عسل ... أم قد صببت على ألفاظك العسلا

" وقول أبي الفتح البستي

ان سل أقلامه يوما ليعملها ... انساك كل كمي هز عامله

وان أقر على رق أنامله ... أقر بالرق كتاب الأنام له

ما أدري يا سيدي أخطك وشي منشور. أم لفظك أرى مشور. فبالله قل لي أقرطاسك من حلة هوام البسته الحلل وألفاظك سالت من العسل أم قد صببت عليها العسل. ولله أنت إذا أخذت القلم أبطلت كل بطل يهز الرماح. ويسل الصفاح. وإذا أجريت على رق أناملك. أقر بالرق كتاب الأنام لك. ولله درك. إذا تناثر درك. وتكاثر سحرك. فانبهت على لفظك كل الانباه. ودق كلامك وجل عن الأشباه. وحكى حضرة الملك خوارزم شاه. فهي والله خطة المحاسن وروضة الميامن. لا زالت تلك الحضرة. خضرة نضره. يضرب بها المثل في الحسن. وتنتهي إليها صفات الأمن واليمن " أخرى في قول أبي الفتح "

بنفسي من أهدى إلي كتابه ... فأهدى لي الدنيا مع الدين في درج

كتاب معانيه خلال سطوره ... لآلئ في درج كواكب في برج

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني محمد محمد أبو موسى ص/٢٢٩

" وقوله أيضا "

كتابك سيدي جلى همومي ... وحل به اغتباطي وابتهاجي

كتاب في سرائره سرور ... مناجيه عن الأحزان ناج

فكم معنى بديع درج لفظ ... هناك مزاوجا أي ازدواج

كراح في زجاج بل كروح ... سرت في جسم معتدل المزاج

بنفسي من اهدى الي نفيس كتابه. واتحفني بأنيس خطابه. فكانما أهدى الي الدنيا والدين في درج. ولآلي الحسن في درج وكواكب السعد في برجي. لا جرم انه أعتقني من رق همومي. وجلا عني غيوم غمومي. فحل به ابتهاجي. وزال معه انزعاجي. وما ظنك بكتاب كريم. يشتمل على فضل عميم. وغنم جسيم ظاهره روض ممطور. ولؤلؤ منثور. وسره سرور. وأنيس موفور. وينجي صاحبه من الاحزان. ويصلح ما بينه وبين الزمان. فكم فيه من معنى لطيف. في لفظ شريف. ما أشبهها في الازدواج. بغير الراح الصافية في صافي الزجاج. أو ببدن العاج. في مذهب الديباج أو بالروح اللطيفة في جسم معتدل المزاج. أو بالمرآة يترآى فيها الوجه الصبيح. والمحيا المليح. وبحسن الخلق يزينه حسن الخلق. وطيب الحلق. وباجتماع المنظر الوضي. إلى المخبر المضي. البهي الرضي. فكل هذا يا سيدي محتقر في جنب كتابك. المنفرد بمحاسن آدابك. ولكني اقول كأنه من حضرة الملك المعظم خوارزم شاه ولي النعم. أعز الله نصره وارد. وعن صدر ملكه صادر. فهو بنور مجلسه مشرق. ومن نسيم مجده عبق ولا غرو ان يجمع اليد منه على البلور الابيض والحجر الأسود والكبريت الأحمر والعيش الأخضر. وملك بني الأصفر. والله اسأل أن يعيذك من عين كمالك. ويجعل أيامك مطايك إلى آمالك " أخرى في حل قول ابن المعتز في القاسم بن عبيد الله " قلم ما أراه أم فلك يجري بما شاء قاسم ويسير

راكعا ساجدا يقبل قرطا ... ساكما قبل البساط شكور

وجليل المعنى دقيق لطيف ... وكثير الافعال وهو صغير

كم عطايا وكم منايا وكم عيش ... وحتف تضم تلك السطور

نقشت في الدجى نهارا فما اد ... ري اخط فيهن ام تصوير." (١)

"وليس لى في تأليفه من الافتخار، أكثر من حسن الاختيار؛ واختيار المرء قطعة من عقله، تدل على تخلفه أو فضله؛ ولا شك- إن شاء الله- فى استجادة ما استجدت، واستحسان ما أوردت؛ إذ كان معلوما أنه ما انجذبت نفس، ولا اجتمع حس، ولا مال سر، ولا جال فكر، فى أفضل من معنى لطيف، ظهر فى لفظ شريف؛ فكساه من حسن الموقع، قبولا لا يدفع، وأبرزه يختال من صفاء السبك [ونقاء السلك] وصحة الديباجة، وكثرة المائية، فى أجمل حلة، وأجلى حلية:

يستنبط الروح اللطيف نسيمه ... أرجا، ويؤكل بالضمير ويشرب «١»

وقد رغبت في التجافى عن المشهور، فى جميع المذكور، من الأسلوب الذى ذهبت إليه، والنحو الذى عولت عليه؛ لأن أول ما يقرع الآذان، أدعى إلى الاستحسان، مما مجته «٢» النفوس لطول تكراره، ولفظته «٣» العقول لكثرة استمراره؛ فوجدت

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٢

ذلك يتعذر ولا يتيسر، ويمتنع ولا يتسع «٤» ؛ ويوجب ترك ما ندر إذا اشتهر؛ وهذا يوجب في التصنيف دخلا «٥» ، ويكسب التأليف خللا؛ فلم أعرض إلا عما أهانه الاستعمال، وأذاله الابتذال «٦» ؛ والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حفظه، ما ظهر من مستحسن لفظه؛ من بارع عبارة «٧» ، وناصع استعارة، وعذوبة مورد، وسهوله مقصد، وحسن تفصيل، وإصابة تمثيل؛ وتطابق أنحاء، وتجانس أجزاء، وتمكن ترتيب، ولطافة تهذيب، مع صحة طبع وجودة إيضاح، يثقفه تثقيف القداح، ويصوره أفضل تصوير، ويقدره أكمل تقدير؛ فهو مشرق." (١)

"ظباء أعارتها الظبا حسن مشيها ... كما قد أعارتها العيون الجاذر

فمن حسن ذاك المشى قامت فقبلت ... مواطيء من أقدامهن الغدائر

وقال مسلم بن الوليد:

أجدك هل تدرين أن رب ليلة ... كأن دجاها من قرونك ينشر

نصبت لها حتى تجلت بغرة ... كغرة يحيي حين يذكر جعفر

[وحدة القصيدة واتساقها]

قال الحاتمى: مثل القصيدة مثل الإنسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض؛ فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب، غادر الجسم ذا عاهة تتخون «١» محاسنه، وتعفى معالمه؛ وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين بحترسون فى مثل هذا الحال احتراسا يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان، حتى يقع الاتصال، ويؤمن الانفصال، وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة، لا ينفصل جزء منها عن جزء، وهذا مذهب اختص به المحدثون؛ لتوقد خواطرهم، ولطف أفكارهم، واعتمادهم البديع وأفانينه فى أشعارهم، وكأنه مذهب سهلوا حزنه «٢» ، ونهجوا رسمه؛ فأما الفحول الأوائل، ومن تلاهم من المخضرمين والإسلاميين فمذهبهم المتعالم «عد عن كذا إلى كذا» «٣» وقصارى كل واحد منهم وصف ناقته بالعتق، والنجابة والنجاء، وأنه امتطاها؛ فادرع عليها جلباب الليل؛ وربما اتفق **لأحدهم معنى لطيف يتخلص** به إلى غرض لم يتعمده إلا أن طبعه السليم، وصراطه فى الشعر المستقيم، نصبا مناره «٤» وأوقدا باليفاع ناره؛ فمن أحسن تخلص شاعر إلى معتمده قول النابغة الذبيانى:." (٢)

"ونظير الألحاظ قولهم) الاسماع (إنما سمي موضع السمع بالمصدر، ثم كسر. ولو قيل إنه اعتمد اللحظ الذي هو المصدر مختلف الأنواع ثم كسره، كما كسرت الحلوم والأشغال، لكان وجها، إن كان ثبت عنده له سماع، يثبت أن المصدر الذي هو) اللحظ (يجمع.

ولو قال) عظيم الملك (بالكسر، لكان أشبه بمالك، كما أنه لو قال) ملكه (لا تزن ذلك؛ فكان ضم الميم في) الملك (أشبه بملك، لأن المعروف مالك بين الملك، وملك بين الملك. ولكنه لما قال عظيم وكان) الملك (أخم من) الملك () اختار الملك

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٣٦/١

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٦٥١/٣

(. وحسن ذلك، لأن البيت يشتمل بذلك على الملك الذي هو أعم من الملك بقوله:) مالكة، وعلى الملك الذي هو أشرف من الملك (.

) تشبه الخفرات الآنسات بها ... في مشيها فينلن الحسن بالحيل (

الخفرة: الحيية. والآنسة: المتحببة. اي كل امراة حسنة مقصرة عن حسنها، تشبه بها في مشيتها، فيغيب حسن المشي حسنها. فتنال الحسن بالتحيل. وحسن التشبه بها في المشي، لأن غير ذلك من أنواع حسنها لا يقدر على محاكاته.

) وقد أراني الشباب الروح في بدني ... وقد أراني المشيب الروح في بدلي (

اي قد كنت فتى يريني شبابي روحي في بدني لا أوذن بثقلته، ولا استشعر قرب رحلته، فلما شبث أيقنت إلى الموت وإإلى فراق اللدنيا، ليعمرها بدلي؛ اي غيري. فكأن) روحه (قد فارقه حين تيقن بإنذار المشيب أنه مفارق. وقد قال هو في هذا المعنى يصف الدنيا:

تملكها الآتي تملك سالب ... وفارقها الماضي فراق سليب

اي كأن الآتي سلب الفاني روحه.

وذكر أن الحسن البصري مر بمكتب، فبكى فقيل له ما يبيكيك فقال: اعتباري من هؤلاء الصبيان، كأنهم يقولون: انصرفوا قد بعثنا أبدالكم. إلا أن المتنبي تصور روحه في غيره والحسن لم يفعل ذلك.

) وق طرقت فتاة الحي مرتديا ... بصاحب غير عزهاة ولا غزل (

الفتاة: أنثى الفتى، كقولهم: غلام وغلامة، ورجل ورجلة. الطروق: الإتيان ليلا. وأضاف الفتاة إلى الحي، تفخيما لشأنها، وإشادة بمكانها، كقوله:

ولكن قلبي يابنة القوم قلب

وأراد بالصاحب: السيف لأن الصعلوك لا يفارق سيفه، فأشعر أنه متصعلك بقوله: إن السيف صاحب له. والعزهاة: الماقت لحديث لنساء ومجالستهن. والغزل: ضده. يقول: طرقت هذه الفتاة مرتديا لسيفي. وجعله لا عزهاة ولا غزلا، لأن الغزل في طريق القسمة. والعزاهة في طريق العدم. فيقول: سيفي صاحب لا يوصف بعزاهة ولا بغزل. والجماد لا يقبل قسمة ولا عدما. فتفهمه فإنه معنى لطيف، وهو باب من المنطق حسن. ولولا أنه ليس من غرض هذا الكتاب لزدته بيانا. وقد يجب أن أعذر في قولي) الزاهة (، لانه إنما قلته لمكان الغزل، وإن لم تستعمل العرب) العزاهة (. وأقل من هذا العذر يغنيني مع من علم طريقة المنطق.

) والمدح لابن أبي الهيجاء تنجده ... بالجاهلية عين العي والخطل (

كان بعض الشعراء يمدح سيف الدولة، بذكر أسلافه من أهل الجاهلية، فعابه اوب الطيب بذلك، وقال: إن فيما يشاهدون من أفعاله وفضائله ما يغني عن ذكر قدمائه من جدوده وآبائه.

وإعراب البيت يتوجه عندي على وجهين: أوضحهما أن يكون) المدح (مرتفعا بالابتداء، و) عين العي والخطل (: خبره، اي: مدحه إذا أنجده بذكر الجاهلية عي وخطل. وبالجاهلية، متعلق) بتنجده (اي تقويه بها، ولا يجوز أن يكون متعلقا بالمدح، لانه إذا كان كذلك صار في صلة المصدر وقد حلت بينهما بتنجده، فلذلك لا يتعلق به.

ويجوز أن يكون المدح مرتفعا بالابتداء كما قدمنا، والخبر تنجده. وعين فاعلة بتنجده. اي مدح هذا الملك بأخبار الجاهلية إنما يمدح المادح بها للعيه وخطله.

) والعرب منه مع الكدري طائره ... والروم طائرة منه مع الحجل (."[1]

"(فإنك لو رأيت بكاء هند ... ورملة إذ تصكان الخدودا)

(سمعت بكاء باكية وباك ... أبان الدهر واحدها الفقيدا)

٣ – وقال مسلم بن الوليد

٤ – (حنين وياس كيف يتفقان ... مقيلاهما في القلب مختلفان)

٥ – (غدت والثرى أولى بها من وليها ... إلى منزل ناء لعينك داني)

٦ – (فلا وجد حتى تنزف العين ماءها ... وتعترف الأحشاء بالخفقان)

---

اللطم حتى أنه شيبهن ومحا محاسنهن

١ – هند ورملة ابنتا معاوية بن أبي سفيان

٢ – سمعت جواب لو وأبان أعلن ومعنى البيتين أنك لو رأيت بكاءهما وقت لطمهما على الخدود لسمعت بكاء يشمل الرجال والنساء حزنا على من أعلن الدهر بفقده والبيت الأول منهما يدل على كثرة الحزن والمآتم

٣ – كان أبوه مولى الأنصار ثم مولى أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي ويلقب بصريع الغواني وهو شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية مولده ومنشأه بالكوفة وكان متفننا متصرفا في شعره شاعرا أحسن النمط جيد القول في الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى وهو أول من عقد **هذه المعاني اللطيفة واستخرجها** وهو أول من أفسد الشعر بهذا النوع الذي سماه الناس بالبديع وهذا الشعر يرثي به امرأته

٤ – المعنى أتعجب من اجتماع اليأس والرجاء مع اختلاف مقرهما في القلب فإن اليأس من لقاء الإنسان والشوق إليه لا يجتمعان

٥ – النائي البعيد والمعنى أصبحت وهي في ملك التراب دون ملك وليها فاختارت منزلا قريبا من العين في الظاهر وبعيدا في الباطن

٦ – خبر لا محذوف وهو حاصل وتنزف تستنفد والمعنى." [2]

"– الغريب أشاح أسرع والشحشحة الإسراع فى الطيران وقطاة شحشح أى سريعة وشايح الرجل جد فى الأمر قال أبو ذؤيب يرثى رجلا

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/٦٣

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣٩١/١

(بدرت إلى أولاهم فسبقتهم ... وشايحت قبل اليوم إنك شيح)

المعنى يقول أسرعن إلى لقاء المنايا كما تسرع القطا إلى ورود الماء وجعلها صما لئلا تسمع شيئا يشغلها عن الطيران ومنه قول الراجز

(ردى ردى ورد قطاة صما ... كدرية أعجبها برد الما)

قال الخطيب المشيح المجد ومنه

(وضربى هامة البطل المشيح ... )

٢٣ – الإعراب الضمير فى نفوسها راجع إلى الأفعال والضمير فى ينسبن عائد على الأفعال ونفوسها مفعول تنسب المعنى قال أبو الفتح أفعال السيوف أشرف من السيوف وأفعالها تتشبه بأفعاله فى مضائه وحدته وتنسب السيوف إلى الهند ألا ترى أنه يقال سيف هندى وسيف يمان وفعل السيف أشرف منه كذلك أنت أشرف من الهند وقال ابن فورجة قد خلط أبو الفتح حتى لا أدرى أى أطراف كلامه أقرب إلى المحال ولم يجر ذكر التشبيه وإنما يقول إنها تنسب أفعالها إليه أى تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لا من فعلنا وهذا كقوله

(إذا ضربت بالسيف فى الحرب كفه ... تبينت أن السيف بالكف يضرب)

والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند **وهذا معنى لطيف يقول** إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف أيضا إلى الهند لأنها دلت على جودة ضربته وعمله فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت على جودة السيف وليس فى هذا البيت أنه أشرف من الهند وقد أحسن فى هذا التفسير وقال الواحدى المعنى أن الضربة بجودتها دلت على أنها حصلت بكف الممدوح والدلالة هى نسبة نفسها إليه ودلت أيضا على أنها حصلت بسيف هندى أى قد اجتمع للضربة قوة اليد وجودة النصل." (١)

"(تبيت على شغل وليس بضائر ... لمجدك يوما أن تبيت على شغل)

وقال الواحدي تهوس ابن فورجة في هذا البيت فروى وقتا بالرفع قال **وفيه معنى لطيف ليس** يؤديه اللفظ إذا نصب والوقت وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وما يحويانه وليس لها وقت يشغلها عن المجد وكف لا تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ ما هو أحقر منهما أولى قال وهذا الذي قاله باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل والوجه النصب لأنه ظرف لشاغل

٣٦ – الغريب الغوائل جمع غائلة وهي الداهية المهلكة الإعراب حربا حال أي محاربا وفلان حرب لفلان أي كان معاديا له المعنى يقول إنه يساعده جده وما مكنه الله من أمره ويتبع من هرب عنه من الرجال ما يريده سيف الدولة به ويعترضه ما يعتقده له فمن فر عنه في حرية أدركته في مأمنه غوائل حتفه والمعنى الذين يهربون منه تتبعهم همته فيهلكون بسبب من الأسباب

٣٧ – المعنى يريد لعموم نائله في الأرض فأين فر الحاسد في عطائه استقبله حيث كان من البلاد والمعنى من فر من إحسانه

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٦٥/٢

وأظهر مشاركته واعتقد مجانبته تلقاه من سيف الدولة حيثما سار عطاء يشمله وإنعام يعمه إشارة إلى أن جوده يشمل الحاسد والولى ويعم المحسن وفيه نظر إلى قول حبيب

(وإذا سرحت الطرف حول قبابه ... لم تلق إلا نعمة وحسودا)

٣٨ – المعنى يقول لا يرى جليل إحسانه وكامل إفضاله وإن بلغ فيه أبعد غاياته كاملا حتى يكون شاملا في ذاته عاما في حقيقته والمعنى حتى يشمل الناس جمعيا

٣٩ – الغريب العرباء القديمة المحض التي لم يشبها هجين وهب الخالصة العروبة ورازت جربت واختبرت والحلاحل السيد الشجاع الرئيس والجمع الحلاحل بالفتح." (١)

"أي أن ساق الرسل إليك خوفهم من جهتك القتل والأسر فقد فعلوا من الذل والانقياد لك ما كانوا يخافونه في قتلهم وأسرهم ثم فسر هذا فقال

فخافوك حتى ما لقتل زيادة ... وجاؤوك حتى ما تراد السلاسل

أي خافوك خوفا لم قتلتهم لم يزد خوفهم على ذلك وجاؤوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل

أرى كل ي ملك إليك مصيره ... كأنك بحر والملوك جداول

إذا مطرت ومنك سحائب ... فوابلهم طل وطلك وابل

يعني أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم

كريم متى استوهبت ما أنت راكب ... وقد لقحت حرب فإنك نازل

يقول أنت كريم إذا سئل منك فرسك وقد اشتدت الحرب وهبتها مع شدة حاجتك إلى الفرس

إذا الجود أعط الناس ما أنت مالك ... ولا تعطين الناس ما أنا قائل

قال ابن جنى أي لا تعط الناس اشعاري فيسلخوا معانيها وهذا ليس بشيء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره واخفاؤها عن الناس وأجود الشعر ما سار في الناس ولكن المعنى لا تحوجني إلى مدح غيرك

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ... ضعيف يقاويني قصير يطاول

هذا استفهام تعجب واستنكار يقول أفي كل يوم شويعر ضعيف قصير يساويني في القوة وهو تحت ضبني والضبن الحضن وفي هذا إشارة إلى استحقاره ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضبنه قدر على ذلك ثم هو مع قصوره عنه يباهيه

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٢٠/٣

بمدح سيف الدولة

لساني بنطقي صامت عنه عادل ... وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
يقول يعدل عنه لساني فلا أكلمه ولا أهاجيه لأني لا أراه اهلا لذلك وقلبي يضحك منه يوهزل وإن كنت صامتا لا أبدي الضحك والهزل ثم بين لم يفعل ذلك فقال

وأتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وما التيه طبي فيهم غير أنني ... بغيض إلي الجاهل المتعاقل
يقول ليس التكبر عادتي غير أني أبغض الجاهل الذي يتكلف ويرى أنه عاقل يعني بغضي إياهم يمنعني من كلامهم لا التكبر

وأكثر تيهي أنني بك واثق ... وأكثر مالي أنني لك أمل

لعل لسيف الدولة القرم هبة ... يعيش بها حق ويهلك باطل
يقول لعله يتنبه بما أقول فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به من الكلام الركيك فيهلك باطلهم يعني شعرهم ويبقى الحق يعني شعره

رميت عداه بالقوافي وفضله ... وهن الغوازي السالمات القواتل
يقول مدحته بنشر فضائله فكأني رميت بتلك القوافي التي ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظا وحسدا ثم جعل القوافي غوازي قواتل حيث قتلت اعداءه بالغيظ والحسد وجعلها سالمة لأنها تصيب ولا تصاب

وقد زعموا أن النجوم خوالد ... ولو حاربته ناح فيها الثواكل
يقول لو كانت النجوم جيشا ثم حاربته لقامت عليها النوائح يعني أنها وإن قيل أنها وإن قيل أنها خالدة لو حاربته لقتلها وأفناها

وما كان أدناها له لو أرادها ... وألطفها لو أنه المتناول
يقول لو أراد النجوم لدنت منه وفي جميع النسخ وألطفها برد الكناية إلى النجوم ولا معنى له والصحيح وألطفه برد الكناية إلى الممدوح أي ما ألطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرفقه بذلك التناول من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر أي رفيق يعني أنه يحسنه وليس باخرق

قريب عليه كل ناء على الورى ... إذا لثمته بالغبار القنابل

يقول قريب عليه كل بعيد على غيره إذا شد غبار الجيش على وجهه اللثام والقنابل جماعات الخيل واحدها قنبلة

تدبر شرق الأرض والغرب كفه ... وليس لها وقتا عن الجود شاغل

يقول تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه فإنه بسيفه وقوة يده يدبرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شيء يشغلها وقتا عن الجود أي لا يغفل عن الجود وإن عظم شغله كما قال البحتري، تبيت على شغل وليس بضائر، لجدك يوما أن يبيت على شغل، وتهوس ابن فورجة في هذا البيت فروى وليس لها وقت رفعا وشاغل صفته قال **وفيه معنى لطيف ليس** يوديه اللفظ إذا نصب الوقت وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وما يحويانه وليس لها وقت يشغلها عن المجد وكف تملك الشرق والغرب بأن تملك ما هو أخف منهما أولى وهذا الذي قاله باطل محال لا يقوله غير جاهل والوجه نصب وقتا لأنه ظرف لشاغل." (١)

"يقول ابن جنى وذلك أن أفعال السيوف أشرف من السيوف فأفعال السيوف تتشبه بأفعاله في مضائه وحدته وينسبن السيوف إلى الهند ألا ترى أنه يقال سيف هندي وسيف يمان وفعل السيف أشرف منه كذلك أنت أشرف من الهند قال ابن فورجة قد غلط حتى لا أدري أي أطراف كلامه أقرب إلى المحال ولم يجر ذكر للتشبيه وإنما يقول إنها تنسب أفعالها إيه أي تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لا من فعلنا وهذا كقوله، إذا ضربت بالسيف في الحرب كفه، البيت والمعنى أنها نسبت الفعل إلى كفه ونسبت السيوف إلى الهند **وهذا معنى لطيف يقول** أن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف أيضا إلى الهند لأنها دلت على جودة عمله فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت على جودة السيف وليس في هذا أ، هـ أشرف من الهند وكل ما قاله أبو الفتح في تفسير هذا البيت هذر محال انتهى كلامه وقد أحسن في هذا التفسير غير أنه لم يبين كيفية هذا النسب والمعنى أن الضربة بجودتها تدل على أنها حصلت بكف الممدوح فالدلالة هي نسبة نفسها إليه ودلت أيضا على أنها حصلت بسيف هندي أي قد اجتمع فيها قوة اليد وجودة النصل

إذا الشرفاء البيض متوا بقتوه ... أتى نسب أعلى من الأب والجد

الشرفاء جمع شريف والبيض السادة الكرام ومتوا تقربا يقال فلان يمت إلى فلان بحرمة وقرابة والقتو الخدمة يقال قتا يقتو قتوا ومقتى وينسب إليه فيقال مقتوى والجماعة مقتويون ويجوز حذف التشديد فيقال مقتوون ومنه قول عمرو، متى كنا لأمك مقتوينا، وهذا كقوله تعالى على بعض الأعجمين يقول إذا تقرب الكرام إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى من نسب الأب والجد أي صاروا بخدمته أعز منهم بأبيهم وأمهم

فتى فاتت العدوى من الناس عينه ... فما أرمدت أجفانه كثرة الرمد

أي سبقت عينه العدوى فلم يعدها الرمد وهذا مثل يقول لم يتعد إلى عينه عمى الناس عن دقائق الكرم يقول الناس عمي

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٢٧٠

وأنت فيما بينهم بصير فلا يعديك عماهم يريد أن عيوب الناس لم يتعد إليه وقد بين هذا فقال

وخالقهم خلقا وموضعا ... فقد جل أن يعدي بشيء وأن يعدي
أي هو أجل من أن يعدي بشيء مما في الناس وأن يعدي هو أيضا لأن الناس لا يغلبون مرتبة من الفضل فلا يقدرون على أخذ أخلاقه فهو إذا لا يعدي أحد ما فيه من الأخلاق والشريعة ولذلك خالفهم فيها.

يغير ألوان الليالي على العدى ... بمنشورة الرايات منصورة الجند
يغير على أعدائه الوان الليالي وهي مظلمة فيصيرها مشرقة ببريق سلاح عساكره التي هي منشورة الرايات منصورة الجند

إذا أرتقبوا صبحا رأوا قبل ضوئه ... كتائب لا يردي الصباح كما تردى
الرديان ضرب من العدو والمعنى أن عساكره يأتون أعداءهم قبل الصبح ويسرعون إليهم إسراعا لايسرعه الصبح

ومبثوثة لاتتقي بطليعة ... ولايحتمي منها بغور ولا نجد
ورأوا كتائب متفرقة في كل ناحية لا يمكنهم أن يتقوها بالطلائع ولا أن يحترزوا منها بمنخفض من الأرض أو عال منها

يغصن إذا ما عدن في متفاقد ... من الكثر غان بالعبيد عن الحشد
روى ابن جنى يغضن أي يدخلن من غاض الماء في الأرض هذا تفسيره والأولى على هذه الرواية أن يفسر يغضن بالنقصان فيقال ينقصن وغاض الماء معناه نقص وإن لم يكن نقصانه بالدخول في الأرض وروى غيره يغصن من الغوص وهو الدخول في الشيء والمتفاقد الذي يفقده بعضه بعضا لكثرتهم والتفافهم كما قال الآخر، بجمع تضل البلق في حجراته، وغان بمعنى مستغن والحشد الجمع يقول سراياه إذا عادت إلى معظم جيشه الذي يفقد فيه الشيء فلا يوجد والمستغني بعبيد الممدوح عن أن يجمع الرجال الغرباء إليه نقصت وقلت كثرتها أي بالقياس إلى المعظم والإضافة إليه يريد أن هذا الجيش الكثير كلهم عبيد الممدوح ليس أوباشا اخلاطا

حثت كل أرض تربة في غباره ... فهن عليه كالطرائق في البرد
يقول جيشه لبعد من يسافر ويغزو يمر بأمكنة مختلف ترابها فيثير نقع كل مكان فتختلف الوان غباره حتى تصير تلك الالوان كطرائق البرد منها أسود ومنها أحمر ومنها أبيض ومنها أصفر

فإن يكن المهدي من بان هديه ... فهذا وإلا فالهدي ذا فما المهدي." (١)

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٣٧٦

"فلان– أدام الله تعالى ضياء شمسه، وبنى له ربع السعد من جوده على أسه...... لأنه الإمام الذي شهدت بحسن قراءته المحاريب، والآتي من فضل فضائله بالأغاريب، والفاضل الذي سلك طرق الفضائل أحسن سلوك، وشهد بسبق جياد جوده في حلبة الاختبار كل حتى الملوك، والكامل الذي كملت أوصافه المحمودة فأمن النقائص، واختص بجميل الشيم وحسن الخصائص؛ ما أم إلا وشهد بفضله كل مأموم، وأقروا أن أسماعهم ارتشفت رحيق فضائله من كأسها المختوم، وما سامر الخواص إلا وشهد العوام بحسن صفاته، ولا حدث إلا وكانت الملوك من رواته.

فليباشر هذه الوظائف المباركة مباشرة تقر بها النواظر، وتجتمع الألسنة على أنه أكرم إنسان وخير ناظر، وليتصدر لإلقاء الفوائد، وليكسب الأسماع من علمه بالطريف والتالد، وليتناول معلومه أوان الوجود والاستحقاق، هنيا ميسرا من غير تقييد على الإطلاق، وليتق الله فيما أسدي إليه من ذلك، وليسلك من سنن التقوى– بقدم الصدق– أحسن المسالك.

وهذه نسخ تواقيع لأرباب الأقلام الديوانية بحلب وما معها:

توقيع بكتابة الدست بحلب، كتب به ل «بهاء الدين بن الفرفور» ونظر بيت المال بحلب، ب «الجناب العالي» ؛ وهو: رسم بالأمر– لا زال ينظم عقود الإحسان في أجياد أوليائه، ويجزل لهم بوافر نظره وافي عطائه، ويجري بهاء الدين على أحسن نظام فينجز له عدة وفائه– أن يستقر......... استقرارا يبلغ به وجوه الآمال، ويكسو الدواوين ملابس البهاء والكمال، ويزيدها رفعة بما يفضله من ذلك الجمال؛ لأنه الفاضل الذي إذا قصد المعاني أصاب، وإذا سئل عن **كل معنى لطيف أجاد** وأجاب، والفصيح الذي إذا تكلم أجزل وأوجز، وأسكت كل ذي لسن بفصاحته وأعجز، والبليغ الذي أبدع في مكاتباته بمنثوره ومنظومه، واللبيب الذي أطلع من أزهار كلمه المسموعة في رياض الطروس ما يخجل الروض إذا افتخرت." (١)

"والإشارة، وإليه أوحى بالنص وإن لم يفصح فيه بالعبارة، وكان والده الأمير أبو القاسم– قدس الله روحه– بمنزلة الأشجار التي يتأنى بها إلى أن يظهر زهرها، والأكمام التي ينتظر بها إلى أن يخرج ثمرها، والزرجونة التي نقلت الماء إلى العنقود، والسحابة التي حملت الغيث فعم نفعه أهل السهول والنجود، ومما يبين ذلك ويوضحه، ويحققه ويصححه، وتثلج به للمؤمنين صدور وتقوى أفئدة، وتشهد البصائر أن النعمة به على الإسلام متتابعة متجددة، أن الأمرين إذا تشابها من كل الجهات، وكانت بينهما مدد متطاولات متباعدات، فالسابق منهما يمهد للتالي، والأول أبدا رمز على الثاني، ولا خلاف بين كافة المسلمين في أن الله تعالى أمر جدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بعقد ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه فعقدها له يوم غدير خم، وأمير المؤمنين علي ابن عمه وكان له حينئذ عم حاضر، وأمضى ما أمر به والإسلام يومئذ غض وعوده ناضر، وكذلك أن أمير المؤمنين، هو ابن عم الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين، وقد نص مع حضور عمومته عليه، وفعل ما فعل نده رسول الله اقتداء به وانتهاء إليه، وكان أبو علي «١» المنصور الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه، جعل ابنه عبد الرحيم إلياس ولي عهد المسلمين، وميزه بذلك على كافة الناس أجمعين، ونقش اسمه في السكة، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمكة، وألبسه شدة الوقار المرصعة بالجوهر، واستنابه عنه إمام الأعياد في الصلاة وفي رقي المنبر، وأقامه مقام نفسه في الاستغفار لمن يتوفى من خواص أوليائه، وفي الشفاعة لهم بمتقبل مناجاته ومسموع دعائه،

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٢/٤٤٤

مع علمه أنه لا ينال رتبة الخلافة، ولا يبلغ درجة الإمامة، وأن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله– صلى الله عليه– هو الذي خلق لها، وحين حمل أعباءها أقلها وما استثقلها، وإنما تحت **ذلك معنى لطيف غامض**، وسر عن جمهور الناس مستتر وبرقه لأولي البصائر وامض، وهو أن مكنون الحكمة، ومكتوم علم الأمة، يدلان على أن الإمام المنصور أبا علي، سيفعل فيمن." (١)

"(تفاضل الأشعار)

والشعر على تحصيل جنسه، ومعرفة اسمه – متشابه الجملة متفاوت التفصيل، مختلف كاختلاف الناس في صورهم وأصواتهم وعقولهم وحظوظهم وشمائلهم وأخلاقهم، فهم متفاضلون في هذه المعاني، وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس. ومواقعها من اختيار الناس إياها كمواقع الصور الحسنة عندهم واختيارهم لما يستحسنونه منها، ولكل اختيار يؤثره، وهوى يتبعه وبغية لا يستبدل بها ولا يؤثر عليها.

وقد جمعنا ما اخترناه من أشعار الشعراء في كتاب سميناه " تهذيب الطبع " ليرتاض من تعاطى قول الشعر بالنظر فيه ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء، **ويتناول المعاني اللطيفة كتناولهم** إياها فيحتذي على تلك الأمثلة في الفنون التي صرفوا أقوالهم فيها. واقتصرنا على ما اخترناه – من غير نفي لما تركناه بل لاستحسان له خصصناه به دون ما سواه. وقد شذ عنا الكثير مما وجب اختياره وإيثاره، وإذا استفدناه ألحقناه بما اخترناه – إن شاء الله تعالى.." (٢)

"عارفين وبشكره آناء الليل والنهار هارفين إنه أقرب المدعوين وأجود المسؤولين.

وإني كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتابا من المعرفة وفي تقويم اللسان واليد حين تبينت شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة سوق الأدب حتى عفا ودرس، بلغت به فيه همة النفس وثلج الفؤاد وقيدت عليه به ما أطرفني الاله ليوم الإدالة، وشرطت عليه مع تعلم ذلك تحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطوره متمثلا إذا كاتب، ويستعين بما فيها **من معنى لطيف ولفظ** خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلدت له القيام ببعض آلته دعتني الهمة إلى كفايته وخشيت إن وكلته فيما بقي إلى نفسه وعولت له على اختياره أن تستمر مريرته على التهاون ويستوطىء مركبه من العجز فيضرب صفحا عن الآخر كما ضرب صفحا عن الأول، أو يزاول ذلك بضعف من النية وكلال من الحد فيلحقه خور الطباع وسآمة الكلفة. فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما أسست وعملت له في ذلك من طب لمن حب بل عمل الوالد الشفيق للولد البر ورضيت منه بعاجل الشكر وعولت على الله في الجزاء والأجر.

فإن هذا الكتاب، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دال على معالي الأمور مرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناه عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض وليس الطريق إلى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة وأبواب

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٠٥/٩

(٢) عيار الشعر ابن طباطبا العلوي ص/١٠

الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير.." (١)

"حدثني أحمد بن الخليل قال: حدثني سعيد بن سلم الباهلي قال:

أخبرني شعبة عن شرقي عن عكرمة في قول الله عز وجل: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله

»

قال: «الجلاوزة «٢» يحفظون الأمراء» .

وقال الشاعر: [طويل]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... خليا من اسم الله والبركات

يعني باسم الله، وفيه قول الله يحفظونه من أمر الله

أي بأمر الله.

وقرأت في كتاب من كتب الهند: «شر المال ما لا ينفق منه وشر الإخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن» .

وقرأت فيه: «خير السلطان من أشبه النسر حوله الجيف لا من أشبه الجيفة حولها النسور» **وهذا معنى لطيف وأشبه** الأشياء به قول بعضهم:

«سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها» .

حدثني شيخ لنا عن أبي الأحوص عن ابن عم لأبي وائل عن أبي وائل قال: قال عبد الله بن مسعود: «إذا كان الإمام عادلا فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر» .

وأخبرني أيضا عن أبي قدامة عن علي بن زيد قال: قال عمر بن." (٢)

"النظم فلأنهم يقسمون مقاطعه ثلاث ورباع وخماس، وأزيد، دون مراعاة أعدادها، ويسبكونها سبكا مموها بالمعاني الشعرية.

وهذه الطريقة استعارها على ظننا الكتبة المحدثون كأمين الريحاني، وجبران خليل جبران، ومن جرى مجراها من الكتبة الغربيين، ولا سيما الإنكليز في ما يدعونه بالشعر "الأبيض" غير المقفى، وفي بعض كتاباتهم الشعرية المعاني غير المقيدة بالأوزان ولسنا نفي هذه الطريقة الكتابية التي تخلو من مسحة الجمال في بعض الظروف، اللهم إلا إذا روعي فيها الذوق الصحيح، ولم يفرط في الاتساع فيها فتصبح لغطا وثرثرة. على أننا كثيرا ما لقينا في هذا الشعر المنثور قشرة مزوقة ليس تحتها لباب، وربما قفز صاحبها **من معنى لطيف إلى** قول بذيء سخيف، أو كرر الألفاظ دون جدوى، بل بتعسف ظاهر ومن هذا الشكل كثير من المروحين للشعر المنثور من مصنفات الريحاني، وجبران، وتبعتهما، فلا تكاد تجد في كتاباتهم شيئا مما تصبو إليه

---

(١) عيون الأخبار  الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/٤٢

(٢) عيون الأخبار  الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/٥٥

النفس للشعر الموزون الحر، من رقة شعور وتأثير. خذ مثلا وصف الريحاني للثورة:

ويومها القطيب العصيب ... وليلها المنير العجيب

ونجمها الآفل يحدج بعينه الرقيب

وصوت فوضاها الرهيب، من هتاف ولجب ونحيب، وزئير، وعندلة، ونعيب

وطغاة الزمن تصير رمادا ... وأخياره يحملون الصليب

ويل يومئذ للظالمين ... للمستكبرين والمفسدين

هو يوم من السنين ... بل ساعة من يوم الدين

ويل يومئذ للظالمين

ومثلها من شعر جبران قوله:." (١)

"فإن اتفق –مع هذا– معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن. فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق، فقد قام الكلام بنفسه. واستغنى عما سواه".

ثم يطبق الآمدي الناقد نظرية عمود الشعر على الشاعر الآخر أبي تمام، فيذري بطبقته لاعتنائه بالمعنى والمحسنات اللفظية كثيرا، ويضع منه فيقول:

"قالوا: وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصرة عنها، ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من ناصفة اليونان، أو حكمة الهند، أو أدب الفرس، ويكون أكثر ما يورد منها بألفاظ متعسفة، ونسج مضطرب. وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه قلنا.

قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيما، أو سميناك فيلسوفا، ولكن لا نسميك شاعرا. ولا ندعوك بليغا؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب. ولا على مذهبهم. فإن سميناك بذلك "حكيما أو فيلسوفا" ثم نلحقك بدرجة البلغاء، ولا المحسنين الفصحاء. وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف، ورداءه اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق، ويفسده ويعميه، حتى يحتاج مستمعه إلى طول التأمل، وهذا مذهب أبي تمام في عظم شعره.

وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا، حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تعهد، وذلك مذهب البحتري. ولذلك قال الناس: لشعره ديباجة ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام.

ونحن نسلم للآمدي بأنه من أتى من الشعراء بالمعنى الدقيق في لفظ رديء، مع سوء في التأليف فقد ذهب بطلاوة المعنى، وأفسدها وعماها، وأحوج المتذوق إلى طول التأمل، وتحير الفهم، وهذا يبعد عن الفطرة والبلاغة العربية.

ولكننا لم نسلم له أن يوازن بين الشاعرين في عمودية الشعر، ومدى التزام شاعرية كلا منهما به، معرفا مذهب كليهما في الشعر، وهو ينظر إليهما بنظرة الأعور للأشياء المحسوسة.." (٢)

---

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ٢٣٨/٢

(٢) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/٥٦

"معالم الصورة عنده زادت وضوحا أكثر من القاضي، كما سيظهر من خلال اهتمامه باللفظ والمعنى "أي النظم" والصورة التي تقوم عليها معا، وسنعرض اتجاهه على النحو التالي:

أولا: رجع الآمدي البحتري على أبي تمام في شعره، وذكر أدلة قوية تؤيد اتجاهه حيث فرق فيها بين العلم والشعر، فلكل منهما طابعه وخصائصه فالشعر عنده غير العلم، والعلم حكمة وفلسفة، والشاعر مصور، وليس حكيما أو فيلسوفا، والصورة الأدبية تكون من اللفظ والمعنى، في حسن تأن، وقرب مأخذ، واختيار الوضع المناسب لكل لفظ، الذي يطابق المعنى في الاستعمال المعتاد، من غير كلفة ولا صنعة، مع اللياقة في الاستعارة والتمثيل للمعنى، حتى لا يقع بينهما تأثر، وبذلك يكتسي النظم رونقا وبهاء، وهذا هو الأصل في بلاغة الصورة، من إصابة المعنى بألفاظ سهلة بعيدة عن التكلف، لا تزيد عن الغرض، فإن اتفق للنظم معنى لطيف، زاد من روعته، وإلا – فالصورة غنية في نفسها ودلالاتها يقول وليس الشعر عند أهل العلم به، إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له، وغير مغافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسى بالبهاء والرونق، إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة للبحتري.... والبلاغة إنما هي إصابة المبنى، وإدراك الغرض، بألفاظ سهلة عذبة، مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد، على قدر الحاجة ... فإن اتفق مع هذا معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن، فذلك رائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق، فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه.... قالوا:." (١)

"وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصرة عنها، ولسانه غير مدرك لما يستمد دقيق المعاني من فلسفة اليونان، وحكمة الهند أو أدب الفرس، ويكون أكثر مما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج مضطرب، قلنا له: قد جئت بحكمة وفلسفة، ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيما، أو سمعناك فيلسوفا، ولكن لا نسميك شاعرا، ولا ندعوك بليغا"١.

ويلتقي الآمدي مع القاضي في النص السابق، في أن جلال الصورة وجمالها لا يرتبط بفخامة اللفظ، ومهارة الصنعة، وكثرة ألوان البيان والبديع.

ثانيا:

يدرك الآمدي الجمال في اللغة، وسحره في الصورة، فيجعل اللغة غاية في ذاتها ولو مجردة عن حكمة أو فلسفة، فهي كفيلة في ذاتها بالروعة والجمال، لأن الغرض منها إصابة المعنى، وإدراك الهدف، لا أن يحمل الشاعر لغته ما لا تطيق، وهو متأثر في هذا يقول البحتري:

والشعر لمح تكفي إشارته ... وليس بالهذر طولت خطبه

يقول الآمدي: "وإن اتفق له معنى لطيف، زاد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق قد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه" ٢.

ويرى د. مندور أن الآمدي اهتدى بهذا إلى أن اللغة ليست وسيلة، ولكنها غاية لأنها تتضمن عناصر التصوير والموسيقى:

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٦٨

"ويكون من حسن الذوق، وسلامة الحس بحيث يقيم للنسب الدقيق بين اللغة كوسيلة، واللغة كغاية في

---

١ الموازنة: للآمدي، ص ١٧٣ وما بعدها.

٢ المرجع السابق: الآمدي.." (١)

"فأمسكت عن الجواب خوفا من أن يظهر ما يفضحنا جميعا، وعرفت ما أرادت، فقمت منصرفا، وقامت لقيامي، وتبعتها ظئري، حتى عرفت منزلها، وسارت إلي فأخذت بيدي، وسرنا إليها وما زلنا نتلطف حتى اجتمعنا معها على سبيل المجالسة والمؤانسة، واتصل ذلك حتى شاع حديثنا وظهر ما بيننا فحجبها أبوها عني وتشدد علي، فلم أزل مجتهدا في لقائها، فلم أقدر عليه، فشكوت حالي إلى أبي، وسألته أن يخطبها إلي، فجمع مشيخة أهلنا، مضى إلى أبيها راغبا إليه في المصاهرة، فقال: لو كان بدأ بذلك قبل أن يفضحها لأسعفته بما التمس، لكنه قد شهرها وعيرها فما كنت لأحقق قول الناس فيها بتزويجه إياها، فانصرفت على يأس منها ومن نفسي، فسألته عن منزله فعرفني فزرته وكثرت عنده، وكانت بيننا عشرة، ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على رسمي فغنيت جعفرا في شعر الفتى أول ما غنيت، فطرب طربا شديدا، وشرب عليه أقداحا، وقال: ويلك ما هذا الصوت، ومن أين هو لك؟ فقلت: صنعته منذ أيام، وحديثه أظرف منه، فقال: ما هو؛ فحدثته بحديث الفتى، فأمرني بالركوب إليه وأن أجعله على ثقة من بلوغه ما يحب، فمضيت إليه، وأحضرته، فاستعادة جعفر الحديث، فأعاده عليه، فقال: هي في ذمتي حتى أزوجك إياها، فطابت نفسه، وأقام معنا، فلما أصبح جعفر، ركب إلى الرشيد فحدثه بالحديث، فاستطرفه، وأمر بإحضارنا جميعا فحضرنا واستعاد الصوت فأعدته وشرب عليه، وسأل الفتى عن حديثه فأعاده عليه فأمر بالكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وأهله وولده مبجلا مكرما إلى حضرته، والإنفاق عليهم نفقة واسعة سنية فلم يمض إلا مدة يسيرة حتى حضروا، فأمر الرشيد بإيصال الرجل إليه فأحضر وأمره بتزويج الجارية من الفتى وأعطاه ألف دينار، فزوج الفتى الجارية بحضرته وانصرنا، وأمر جعفر لكل واحد منا بألف دينار، نقلت إليه أهله ولم يزل بعد ذلك من ندماء جعفر حتى حدث عليه ما حدث فعاد بأهله إلى المدينة.

وممن أدركته وعاشرته، عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب، وذكرته هاهنا لأنه يلحق الأمراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم، بل كان واحد عصره في الغناء الرائع، والأدب البارع والشعر الرقيقي، واللفظ الأنيق، ورقة الطبع، وإصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يلحق فيها، مع شرف النفس وعلو الهمة، وكان قد قطع عمره وأفنى دهره، في اللهو واللعب والفكاهة والطرب، وأعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه، وصنعة اللحون [و] كثيرا ما يقول الأبيات الحسنة في المعاني اللطيفة، ويصوغ الألحان المطربة البديعة المعجبة، اختراعا منه وحذقا، وكانت له في ذلك قريحة، وطبع، وكان إذا لم يزره أحد من إخوانه حضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته، منهم حبيش، ولده، وعبد الله ابن أخيه، وعلي، وإبراهيم وإسمعيل، بنو قيس، وعامر الشطرنجي، وبعض غلمانه، كل هؤلاء يغنون ويجيدون، فلا يزالون يغنون بين يديه، حتى يطرب فيدعو بالعود ويغني لنفسه ولهم. وكان بشارة الزامر الذي يزمر عليه، من حذاق زمرة المشرق، وكان بعيد الهمة سمحا

---

(١) في النقد الأدبي علي علي صبح ص/١٦٩

بما يمجد، تغل عليه ضياعه في كل عام أموالا فلا تحول السنة حتى ينفذ جميع ذلك ويستسلف غيره، فكان لا يطرأ من المشرق مغن إلا سأل من يقصد لهذا الشأن فيدل عليه، فمن وصل إليه منهم استقبله بصنوف البر والإكرام، وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه إلى أحد من الناس، فلا يزال معه في صبوح وغبوق، وهو يجدد له في كل يوم كرامة حتى يأخذ ما عنده من صوت مطرب أو حكاية نادرة. وجلس يوما وقد زاره رجلان من إخوانه وحضر أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا في الغناء فارتج المجلس، إذ دخل عليه بعض غلمانه فقال: بالباب رل غريب، عليه ثياب سفر، ذكر أنه ضيف، فأمر بإدخاله فإذا رجل سياط، رث الهيئة فسلم عليه، فقال: أين بلد الرجل، قال: البصرة، فرحب به، وأمره بالجلوس، فجلس مع الغلمان حتى انتهى إلى آخرهم، فلما سكتوا اندفع يغني بصوت ند وطبع حسن:

ألا يا دار ما الهجر ... لسكانك من شاني

سقيت الغيث من دار ... وإن هيجت أشجاني

ولو شئت لما استسقيت عينا غير أجفاني

بنفسي حل أهلوك وإن بانوا بسلوان

وما الدهر بمأمون ... على تشتيت خلان." (١)

"وكان لبيد بن ربيعة العامري آلى في الجاهلية أن لا تهب صبا إلا نحر وأطعم الناس حتى تسكن وألزم نفسه ذلك في الإسلام فلما كانت أيام عثمان جعل ديوان لبيد في الكوفة، وخطب الوليد بن عقبة الناس في يوم صبا فقال: معاشر الناس إن أخاكم لبيد آلى في الجاهلية ألا تهب صبا إلا أطعم الناس حتى تسكن وقد ألزم نفسه ذلك في الإسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه وأنا أول من يعينه، ونزل فبعث إليه مائة بكرة وكتب إليه يقول:

أرى الجزار يشحذ شفرتيه ... إذا هبت رياح أبي عقيل

أشم الأنف أصيد عامري ... طويل الباع كالسيف الصقيل

ووفى الجعفري بما عليه ... على الغلات والمال الثقيل

فلما أتاه الشعر قال لابنته يا بنية أجيبيه فقالت:

إذا هبت رياح أبي عقيل ... دعونا عند هبتها الوليدا

أشم الأنف أصيد عبشميا ... أعان على مروته لبيدا

بأمثال الهضان كأن ركبا ... عليها من بني حام قعودا

أبا وهب جزاك الله خيرا ... نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد إن الكريم بله معاد ... وظني يا بن أروى أن تعودا

فقال أبوها أحسنت لولا أنك استطعمتيه.

ولبيد هذا صحابي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه بني جعفر بن كلاب وهو صاحب إحدى القصائد المعلقات

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/١٠

التي أولها: *عفت الديار محلها فمقامها* وإنما أمر ابنته أن تجيب الوليد لأنه لم يقل شعرا منذ أسلم، وقال بعضهم لم يقل في الإسلام إلا قوله

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ... حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وقيل: هذا البيت لغيره، وهو أصح.

وقيل هذا البيت الذي قاله في الإسلام بيت عجزه: *والمرء يصلحه القرين الصالح * وقال له عمر رضي الله عنه يوما يا أبا عقيل أنشدني شيئا من شعرك فقال: ما كنت لأقول شعرا بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران فزاده في عطائه خمسمائة وكان ألفين.

وقالت عائشة رضي الله عنها رويت من شعر لبيد إثني عشر ألف بيت، وقالت أيضا رحم الله لبيدا حيث قال:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

قلت: كيف لو أدرك زماننا.

وكان لابن الجوزي رحمه اللته تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق أنه طلقها فحصل له بعد ذلك ندم وهيام أشرف به على العدم فحضرت في بعض الأيام مجلس وعظه فحين رآها عرفها، فاتفق أنه جاء امرأتان وجلستا أمامه فحجبتاها عنه فأنشد في الحال: *أيا جبلى نعمان بالله خليا* وهذا من جملة لطائفه وظرائفه.

ومنها أنه أنشد في بعض مجالس وعظه:

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى ... على الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من **كل معنى لطيف أجتني** قدحا ... وكل ناطقة في الكون تطربني

فقام إليه إنسان وقال فإن كان الناطق حمارا، فقال أقول له يا حمار اسكت.

وقال صلاح الدسين الصفدي: وقال عائشة (رويت من شعر لبيد اثني عشر ألف بيت، وقالت أيضا رحم الله لبيداص حيث قال:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

قلت: كيف او أدرك زماننا.

وكان لابن الجوزي رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق أنه طلقها فحصل له بعد ذلك ندم وهيام وأشرف به على العدم فحضرت في بعض الأيام مجلس وعظه فحين رآها عرفها، فاتفق أنه جاء امرأتان وجلستا أمامه فحجبتاها عنه فأنشد في الحال: *أيا جبلي نعمان بالله خليا* وهذا من جملة لطائفه وظرائفه.

ومنها أنه أنشد في بعض مجالس وعظه:

أصبحكت ألطف من مر النسيم سرى ... على الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من **كل معنى لطيف أجتني** قدحا ... وكل ناطقة في الكون تطربني

فقام إليه إنسان وقال فإن كان الناطق حمارا، فقال أقول له ياحمار اسكت.

وقال صلاح الدين الصفدي:

صدق خلي نسمات الصبا ... فيما روت عنكم وما شك

قال لا أخبر منها بما ... جاءت به قلنا ولا أذكى

وقال جمال الدين بن نباتة:

يداوي أسا العشاق من نحو أرضكم ... نسيم صبا اضحى عليه قبول

بروحي من ذاك النسيم إذا سرى ... طبيب يداوي الناس وهو عليل

وقال شهاب الحاجبي (توفي قريبا من سنة سبعين وسبعمائة) :

لاتعبثوا غير الصبا بتحية ... ما طاب في سمعي حديث سواها." (١)

"قال البديع الهمذاني: حدثنا عيسى بن هشام قال: حضرنا مجلس سيف الدولة يوما وقد عرض عليه فرس فقال لجلسائه أيكم أحسن صفته جعلته صلته. فكل جهد جهده وبذل ما عنده، فقال بعض غلمانه: أصلح الله الأمير، إني رأيت بالأمس رجلا يطأ الفصاحة بنعليه، وتقف الأبصار عليه، يسلي الناس ويشفي الباس، فلو أمر الأمير بإحضاره لفضلهم بأحضاره، فقال سيف الدولة: علي به في هيئته فسار الغلمان في طلبه، ولما جاؤوا به، أدخلوه وهو في طمرين فسلم، ولما رآه سيف الدولة أمر له بالجلوس وأدنى مجلسه وقال: بلغنا عناك حاضرة فاعرضها بهذا الفرس ووصفه. فقال: أصلح الله الأمير، كيف أصفه قبل ركوبه وكشف محاسنه وعيوبه. فقال: اركبه فركبه وأجراه ولما نزل عنه قال: هو طويل الأذنين قليل لحم الاثنين، لين الثلاث غليظ الأكرع، غامض الأربع، شديد النفس، لطيف الخمس، ضيق القلت رقيق الست، حديد السمع، غليظ السبع رقيق اللسان، عريض الثمان، شديد الضلع، قصير التسع، واسع الشجر، بعيد العشر، يأخذ بالسانح، ويطلق بالرامح، ويطلع بلائح، ويضحك عن قارح، بخروجه الكديد بمذاق الحديد، يحضر كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج، فقال: خذه مباركا عليك، فقال له: لا زلت تأخذ الأنفاس وتمنح الأفراس. قال عيسى فلما انصرف تبعته وقلت له: لك علي ما يليق بك من الحلل لركوب هذا الفرس إن فسرت ما وصفت، فقال: سل عما أحببت، فقلت ما معنى قولك قليل لحم الاثنين؟ قال: لحم الوجه والمتنين. قلت: فما معنى لين الثلاث؟ قال: المردغتين والفرق والعناق، قلت: فما معنى غامض الأربع؟ قال: أعلى الكتفين والمرفقين والحجاجين والشظا، فقلت: أحسنت. **فما معنى لطيف الخمس**؟ قال: الزور والنسر والجبة والعجاية والركبة، فقلت: أجدت ما معنى رقيق الست؟ قال: الجفن والسالفة والجحفلة والأديم وأعلى الأذنين والفرضين، فقلت: لله أبوك، فما معنى غليظ السبع؟ قال: الذراع والمخرم والعكوة والشوى والرسغ والفخذين والحبال، فقلت: حياك الله فما معنى عريض الثمان؟ قال: الجبهة والصهوة والكتف والجنب والعصب والبلدة وصفحة العنق، فقلت: لله درك فما معنى قصير التسع؟ قال: الشعرة والأطرة والعسيب والقضيب والعضدين والرسغين والنسا والظهر والوظيف، فقلت: ما معنى بعيد العشر؟ قال: بعيد النظر والخطو وأعالي الجنبين وما بين الوقبين والجاعرتين وما بين القرابين والمنخرين وما بين الرجلين، وما بين النقبة والصفاق، والقامة في السباق، فقلت له: من أين أخذت هذا العلم؟ قال: من

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢٢

الثغور الأموية وبلاد الاسكندرية، فقلت له: أنت مع هذا الفضل تعرض وجهك لهذا البذل، فقال:

ساخف زمانك جدا ... فالدهر جد سخيف

دع الحمية نسيا ... وعش بخير وريف

وقل لعبدك هذا ... يجيء لنا برغيف

وقال ابن عائشة:

قصرت له تسع ةطالت أربع ... وزكت ثلاث منه للمتأمل

وكأنما سأل الظلام بمتنه ... وبد الصباح بوجهه المتهلل

وكأن راكبه على ظهر الصبا ... من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

فقوله زكت: أي نمت وطالت.

ومن أوصافها الممدوحة أن يكون شق شدقيها واسعا. قال الشاعر:

هريت قصير عذار اللجام ... أسيل طويل عذار الرسن

الهريت: واسع الفم، وقصير عذار اللجام: دليل أسل الخد، وطول عذار الرسن: دليل طول العنق. وقال آخر:

طويل متن العنق أشرف كاهلا ... أشق رحيب الجوف معتدل الجرم

وقال أبو دؤاد:

فهي شوهاء كالجوالق فوها ... مستجاف يضل فيه الشكيم

الشوهاء: واسعة الأشداق، ولا يقال للذكر أشوه. وقال آخر:

إذا ما نتبشت طرحت اللجا ... م في شدق الجرد والسلهب

يبذ الجياد بتقريبه ... ويأوي إلى حضر ملهب

كميت كأن على متنه ... سبائك من قطع المذهب

كأن القرنفل والزنجبي ... ل يعلو على ريقه الأطيب

ومنها أن تكون رحبة المنخر، قال امرؤ القيس:

وقد اغتدي ومعي القانصان ... فكل بمربأة مقتفر

فيدركنا فعم داجن ... سميع بصير طلوب نكر

ألص الضروس حبي الضلوع ... تبوع طلوب نشيط أشر

فأنشب أظفاره في النسا ... فقلت هبلت ألا تنتصر

فكر إليه بمبراته ... كما خل اللسان المجر

فظل يرنح في غيظل ... كما يستدير الحمار النعر." (١)

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد محمد بن عبد القادر الجزائري ص/٣٤

"الاستعارة من أشرف صنعة الكلام وأجلها، وكان القدماء يسمونها الأمثال فيقولون: فلان كثير الأمثال. ولقبها بالاستعارة ألزم لأنه أعم، ولأن الأمثال كلها ليس تجري مجرى الاستعارة، ألا ترى قول السليك بن السلكة وقد وقع عليه رجل وهو نائم فضغطه السليك، فحبق الرجل، فقال السليك: أضرطا وأنت الأعلى! فأرسلها مثلا، وقد أورد الشيء على حقيقته. ومن أبرع ما قيل في الاستعارة قول ذي الرمة:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى ... وساق الثريا في ملاءته الفجر

قال أبو عمرو بن العلاء: كانت يدي في يد الفرزدق فأنشدته بيت ذي الرمة، فقال: أنشدك أم أدعك؟ قال: قلت: بل أنشدني، فقال: أقامت به حتى ذوى العود والثرى، ثم قال: العود لا يذوي مهما أقام في الثرى، ثم قال: ولا أعلم كلاما أحسن من قوله: وساق الثريا في ملاءته الفجر، ولا ملاءة له وإنما هي استعارة. وقال ابن المعتز: العود لا يذوي ما دام في الثرى. قال الصولي: اجتمعت وجماعة من فرسان الشعر عند عبد الله بن المعتز، وكان بعلم البديع محققا ينصر دعواه لسان مذاكرته، فلم يبق مسلك من مسالك الشر إلا وسلكناه، وأوردنا أحسن ما قيل في معناه، الى أن قال ابن المعتز: ما أحسن استعارة للعرب اشتمل عليها بيت من الشر؟ فقال الأسدي: قول لبيد:

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فجعل للشمال يدا وللغداة زماما، فقال ابن المعتز: هذا حسن وغيره أحسن منه، وقد أخذه من قول ثعلبة بن صعير المازني يصف نعامة وظليما:

فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما ... ألقت ذكاء يمينها في كافر

الثقل: بيض النعام، والرثيد: المنضود بعضه على بعض، وذكاء: الشمس، وكافر: الليل، جعل للشمس يمينا ملقاة في الليل.

قال: وقول ذي الرمة أعجب إلي منه وإن تأخر زمانه، حيث يقول:

ألا طرقت مي هيوما بذكرها ... وأيدي الثريا جنح في المغارب

وقال بعضنا: قول لبيد أحسن:

ولقد حميت الحي تحمل شكتي ... فرط، وشاحي إذ غدوت لجامها

يقال: فرس فرط إذا تقدم الخيل وسبقها. قال ابن المعتز: هذا حسن، وانظروا الى قول الهذلي:

ولو أنني استودعته الشمس لارتقت ... إليه المنايا عينها ورسولها

ثم قال: هذا بديع، وأبدع منه في استعارة لفظ الاستيداع قول الحصين بن الحمام المري حيث يقول:

نطاردهم نستودع البيض هامهم ... ويستودعونا السمهري المقوما

في هذا البيت معنى لطيف يدل على إقدامهم وتأخر خصومهم، فاعرفه من لفظه، وقال بعضنا: قول ذي الرمة أحسن:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى ... وساق الثريا في ملاءته الفجر

فقال ابن المعتز: هذا هو الغاية، وذو الرمة أبدع الناس استعارة. قال الصولي: فكأنه والله نبهني على ذي الرمة، فقلت: بل قوله أحسن:

ولما رأيت الليل والشمس حية ... حياة الذي يقضي حشاشة نازع
فقال ابن المعتز: اقتدحت زندك فأورى يا أبا بكر، هذا بارع جدا، ولكن قد سبقه الى هذه الاستعارة جرير وأجاد بقوله:
تحيي الروامس ربعها فتجده ... بعد البلى، وتميته الأمطار
قال: وهذا بيت حسن قد جمع الاستعارة والمطابقة، لأنه جاء فيه بالإحياء والإماتة والبلى والجدة، ولكن ذو الرمة قد استولى ذكر الإحياء والإماتة في موضع آخر فأحسن بقوله:
ونشوان من طول النعاس كأنه ... بحبلين في أنشوطة يترجح
إذا مات فوق الرحل أحييت روحه ... بذكراك والعيس المراسيل جنح
قال الصولي: وانصرفنا وما من الجماعة إلا من قد غمره بحر ابن المعتز في علم الشعر، وحسن تصرفه في الكلام.
وأقول: إن أول من استعار في الشعر امرؤ القيس، فمن استعاراته قوله:." (١)
"وليل كموج اليم مرخ سدوله ... علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بجوزه ... وأردف أعجازا وناء بكلكل
وقال زهير:
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعري أفراس الصبى ورواحله
قال الأصمعي: أول من عرى أفراس الصبى طفيل بقوله:
فأصبحت قد عنفت بالجهل أهله ... وعري أفراس الصبى ورواحله
وقال العديل بن الفرخ:
تكون لنا بيض السيوف معاذة ... إذا طرن بالأيدي كلمح العقائق
وقال أيضا:
من الطاعن الجبار، والخيل بينها ... عجاج تهادى نقعه بالسنابك
الاستعارة تهادى، والقرينة بالسنابك. وقال مزاحم العقيلي:
سجنت الهوى في الصدر حتى تطلعت ... بنات الهوى يعولن من كل معول
جعل صدره سجنا للهوى، وجعل للهوى بنات، وإنما يعني همومه، وجعلها متطلعة، وجعلها معولة، وهذه من الاستعارات الحسنة. وقالت الخنساء:
لدى مأزق بينها ضيق ... تجر المنية أذيالها
جعلت للمنية أذيالا وجعلتها مجرورة والقرينة لفظية. وقال مزاحم العقيلي يصف فلاة:
تموت الرياح الهوج في حجراتها ... وهيهات من أقطارها كل منهل
وقال جرير:

---

(١) نصرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٢٤

ورأيت راحلة الصبا قد قصرت ... بعد الذميل وملت الترحالا

وقال أيضا:

غداة ابتقرنا بالسيوف أجنة ... من الحرب في منتوجة لم تطرق

ابتقرنا، افتعلنا من البقر وهو شق البطن للحبلى وغيرها، فاستعار للحرب بطنا وأوجب عليها بقرا، واستخراج جنينها. والتطريق أن يعسر خروج الولد، وهذه استعارة للحرب حسنة. وقال العائذي:

ونحن بنو حرب غذتنا بثديها ... وقد شمطت أصداغها وقرونها

وقال حاجب بن زرارة:

ومثلي إذا لم يجز أكرم سعيه ... تكلم نعماه بفيها فتنطق

ومن هذا البيت أخذ نصيب قوله:

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال الفرزدق:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

أخذه ابن هرمة فقال:

وقد صاح في الليل النهار كأنه ... خلاف الدجى أقراب أبلق أقرحا

وقال ابن مقبل:

لدن غدوة حتى نزعن عشية ... وقد مات شطر الشمس والشطر مدنف

وقال سليمان بن عمار السلمي:

ومولى كداء البطن ليس بزائل ... تدب أفاعيه لنا والعقارب

أقام قوارص كلامه مقام الأفاعي والعقارب، وهذه استعارة حسنة قرينتها لفظية وهي قوله: تدب. وقال جحش بن زيد الحنفي:

فطمنا بني كعب عن الحرب بعدها ... ولاقوا من الأبطال وقعا غشمشما

القرينة في هذا البيت معنوية، وذلك أنه قد استقر عندهم تشبيه الحرب بالناقة على صفات مختلفة، وأنهم يذكرون أخلافها وأنها تدر وتحلب، فلما استقر عندهم وكثر بينهم كان اطراحه وإيراده عندهم واحدا، **وهذا معنى لطيف فاعرفه**. وقال عجلان بن لأي الثعلبي:

عجبت لداعي الحرب والحرب شامذ ... لقاح بأيدينا تحل وترحل

الشامذ: الناقة شمذت تشمذ بالكسر شماذا إذا لقحت فشالت بذنبها. وقال صابر بن صفوان الهذلي الحنفي:

وقدأشعلت نيرانها الشمس واصطلى ... بها غضور البيداء حتى تلهبا

وقال المحرز بن المكعبر الضبي:

سالت عليه شعاب العز حين دعا ... أصحابه بوجوه كالدنانير

هذه استعارة حسنة قرينتها لفظية، وهي قوله: سالت عليه شعاب العز فذكر السيل مع الشعاب، ولو قال: سال عليه العز لم يك حسنا. وقال رجل من بلعنبر:." (١)

"فقال كثير: إنما وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير، ووصفتك بالحزم وحصافة الرأي والعمل على الحياطة، فرضي عبد الملك بقوله. وقول الأعشى في صناعة الشعر وحكم الشجاعة والبسالة، أبلغ وأحسن. وكثير مقصر عن ذلك الوصف ولكنه عذر دفع به خصمه، وتمم به نقصه. وهذا كعذره الى محمد بن علي الباقر رحمهما الله تعالى حين قال له يا كثير، أتزعم أنك من شيعتنا ومحبينا وتمدح آل مروان؟ قال: يا مولاي إنما أسخر منهم وأستهزئ بهم، وأجعلهم حيات وعقارب وليوثا، والليوث كلاب، وآخذ أموالهم وملابسهم، كقولي لعبد العزيز بن مروان حين عتبت عليه فنفر بعض النفور:

وكنت عتبت معتبة فلجت ... بي الغلواء عن سنن العتاب

وما زالت رقاك تسل ضغني ... وتخرج من مكامنها ضبابي

ويرقيني لك الراقون حتى ... أجابك حية تحت الحجاب

فجعلته راقيا للحيات. وقلت لعبد الملك:

ترى ابن أبي العاصي وقد صف دونه ... ثمانون ألفا قد توافت كمولها

يقلب عيني حية بمحارة ... أضاف إليها الساريات سبيلها

يصد ويغضي وهو ليث خفية ... إذا أمكنته عدوة لا يقيلها

فلما سمع رحمه الله ذلك منه قال: يا كثير، من أراد الآخرة لم يرغب في حطام الدنيا. وهذا دليل على أنه لم يقبل عذر كثير، وهو كعذر ابن الرقيات في قوله:

وبعض القول يذهب في الرياح

والحكاية معروفة.

وينبغي للشاعر أن يقرب مأخذه ولا يبعد ملتمسه ولا يقصد الإغراب فإنه إذا دق أغلق، وإذا استعمل وحشي اللغة نفرت عنه مسامع الرواة، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد في مثله، وأن تكون استعاراته وتشبيهاته لائقة بما استعيرت له وشبهت به، غير نافرة عن معانيها. فإن الشعر لا تروق نضارته وتشرق بهجته وترق حواشيه، وتورق أغصانه، ويعجب أقاحيه، إلا إذا كان بهذه الصفة، وإذا اتفق مع **ذلك معنى لطيف أو** حكمة غريبة أو أدب حسن، فهو زيادة في بهاء الشعر، وإن لم يتفق فقد قام الشعر بنفسه واستغنى عما سواه. وإذا سلك الشاعر غير هذا المذهب المذهب، وكان لسانه ولفظه مقصرين عن إدراك هذا المطلب، حتى يعتمد على دقيق المعاني بألفاظ متعسفة، ونسج مضطرب، وإن اتفق في ضمن ذلك شيء من سليم الرصف، وقويم النظم، قلنا له: قد جئت بحكمة، فإن شئت دعوناك حكيما ولا ندعوك شاعرا ولا بليغا؛ لأنك ذهبت

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٢٥

غير مذهب الشعراء البلغاء. وهذه طريقة لم يذهب إليها من شكره العلماء من أهل هذه الصناعة.

وينبغي للشاعر ألا يعادي أهل العلم ولا يتخذهم خصوما فإنهم قادرون على أن يجعلوا إحسانه إساءة، وبلاغته عيا، وفصاحته حصرا، ويحيلوا معناه، وينتقضوا ما بناه. فكم من أديب أسقط أهل العلم حكم أدبه، وأخملوا من ذكره ما تنبل به. ولو عددناهم لأفردنا لهم كتابا. ولله عمار الكلبي حيث يقول:

ماذا لقيت من المستعربين ومن ... قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلت قافية بكرا يكون بها ... بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا

قالوا: لحنت وهذا ليس منتصبا ... وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

وحرضوا بين عبد الله من حمق ... وبين زيد فطال الضرب والوجع

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم ... وبين قوم على إعرابهم طبعوا

ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا ... ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

لأن أرضي أرض لا تشب بها ... نار المجوس ولا تبنى بها البيع." (١)

"وممن أدركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب، وذكرته هنا لأنه ملحق بالأمراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم، بل كان واحد عصره في الغناء الرائق، والأدب الرائع، والشعر الرقيق، واللفظ الأنيق، ورقة الطبع، وإصابة النادر، والتشبيه المصيب، والبديهة التي لا يلحق فيها؛ مع شرف النفس، وعلو الهمة، وكان قد قطع عمره، وأفنى دهره، في اللهو واللعب، والفكاهة والطرب، وكان أعلم الناس بضرب العود، واختلاف طرائقه، وصنعة اللحون، وكثيرا ما يقول المعاني اللطيفة في الأبيات الحسنة، ويصوغ عليها الألحان المطربة البديعة المعجبة، اختراعا منه وحذقا، وكانت له في ذلك قريحة وطبع، وكان إذا لم يزره أحد من إخوانه أحضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته، منهم ولده وعبد الله ابن أخيه وبعض غلمانه، وكلهم يغني فيجيد، فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب، فيدعو بالعود ونغني لنفسه ولهم، وكان بشارة الزامر الذي يزمر عليه من حذاق زمرة المشرق؛ وكان بعيد الهمة سمحا بما يجد، تغل عليه ضياعه كل عام أموالا جليلة، فلا تحول السنة حتى ينفد جميع ذلك ويستسلف غيره، فكان لا يطرأ من المشرق مغن إلا سأل من يقصد بهذا الشأن، فيدل عليه، فمن وصله منهم استقبله بصنوف البر والإكرام، وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه إلى أحد من الناس، فلا يزال معه في صبوح وغبوق، وهو مجدد له كل يوم كرامة، حتى يأخذ جميع ما معه من صوت مطرب أو حكاية نادرة.

وجلس يوما وقد زاره رجلان من إخوانه، وحضر أقرباؤه، فطعموا وشربوا وأخذوا في الغناء، فارتج المجلس، إذ دخل عليه بعض غلمانه فقال: بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر، ذكر أنه ضيف، فأمر بإدخاله، فإذا رجل أسمر سناط (١) ، رث الهيئة، فسلم عليه، قال: أين بلد الرجل؟

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٨٨

(١) سناط: ليس في عارضيه.." (١)

"فيها، فأعجب السلطان والحاضرون بذلك؛ انتهى كلام ابن خلدون، ولا يخلو عن فائدة زائدة.

[فوائد عن المقري الجد]

ولا بأس أن نورد من فوائد مولاي الجد ما حضرني الآن: فمن ذلك ما حكاه ابن الرزاق عن ابن قطرال قال (١) : سمع يهودي بالحديث المأثور نعم الإدام الخل فأنكر ذلك، حتى كاد يصرح بالقدح، فبلغ ذلك بعض العلماء، فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة، قال: فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام.

ومنها أنه قال: أنشدني الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد قال: أنشدني الشيخ التقي ابن دقيق العيد لنفسه **في معنى لطيف حجازي** (٢) :

إذا كنت في نجد وطيب نعيمه ... تذكرت أهلي باللوى فمحسر

وإن كنت فيهم زدت (٣) شوقا ولوعة ... إلى ساكني نجد وعيل تصبري

فقد طال ما بين الفريقين موقفي ... فمن لي بنجد بين أهلي ومعشري ومنها ما حاكاه عن عبد الله بن الحق عن ابن قطرال قال (٤) : كنت بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام إذ أقبل رافضي بفحمة في يده، فكتب بها على الجدار هناك:

من كان يعلم أن الله خالقه ... فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

---

(١) قارن بما ورد في نيل الابتهاج: ٢٥٢.

(٢) انظر الطالع السعيد: ٣٢١ والديوان الملحق: ١٧٣ وطبقات السبكي ٦: ١٢.

(٣) الطالع: ذيت.

(٤) قارن بما في نيل الابتهاج: ٢٥٢.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٩٤/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٥٦/٥